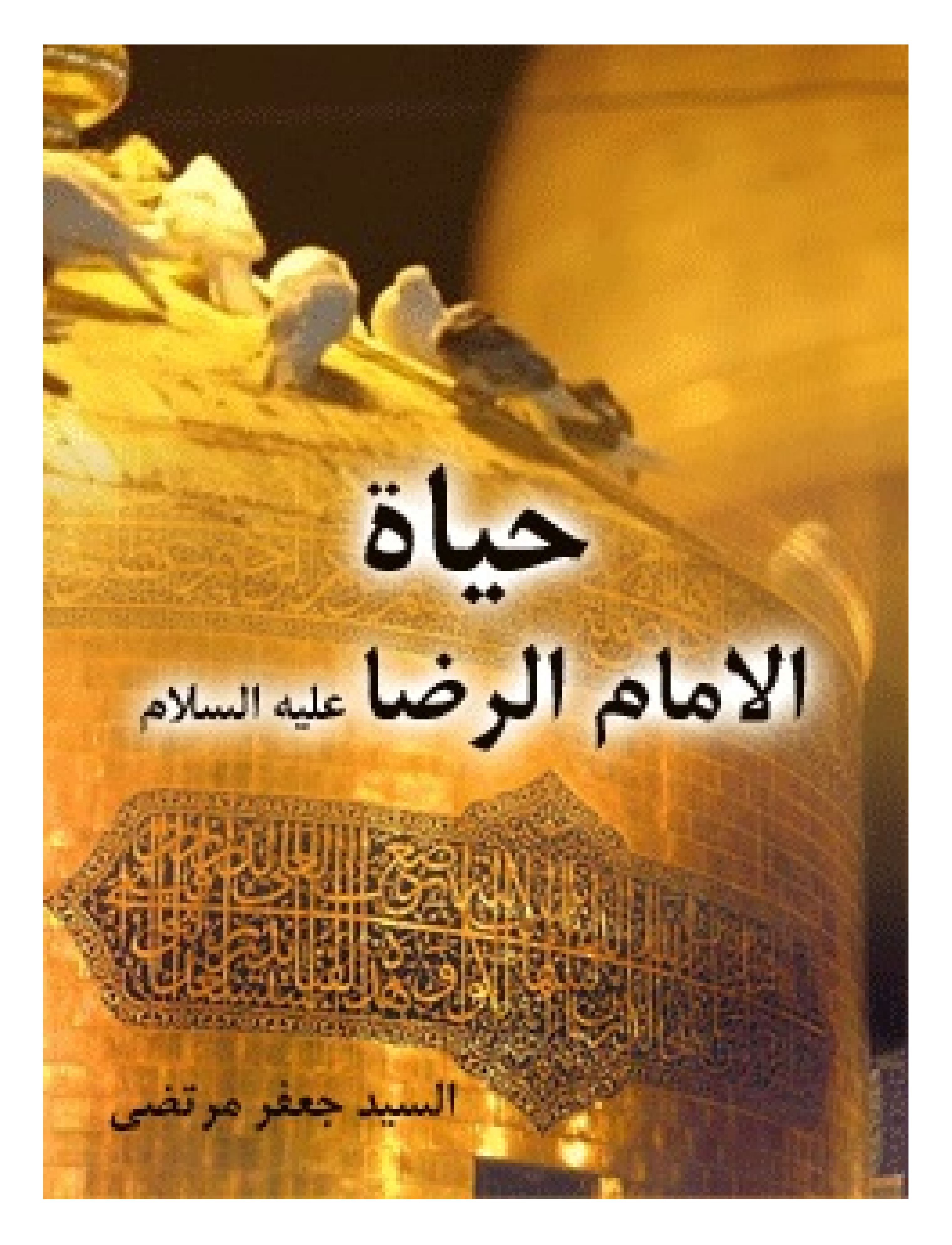

حياة
الامام الرضا عليه السلام
السيد جعفر مرتضى


بسم الله الرحمن الرحیم

حیاة الإمام الرضا (علیه السلام)

کاتب:

علامه سید جعفر مرتضی عاملی

نشرت فی الطباعة:

موسسه فرهنگی تبیان

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

حیاة الإمام الرضا (علیه السلام)

اشارة

عنوان : حیاة الإمام الرضا (علیه السلام)
پدیدآورندگان : عاملی، جعفر مرتضی، ۱۹۴۴-م.(پدیدآور)
صاحب محتوا : موسسه فرهنگی و اطلاع رسانی تبیان
موسسه فرهنگی و اطلاع رسانی تبیان
توصیفگر : تاریخ اسلام
سرگذشت نامه های فردی
سیره امامان
رده بندی : -
وضعیت نشر : قم: موسسه فرهنگی و اطلاع رسانی تبیان، ۱۳۸۷
ویرایش : -
مشخصات فیزیکی : -
خلاصه :
فهرست مطالب : -
مخاطب :
یادداشت : ,ملزومات سیستم: ویندوز ۹۸+ ؛ با پشتیبانی متون عربی؛ + IE۶شیوه دسترسی: شبکه جهانی وبعنوان از روی صفحه نمایش عنوانداده های الکترونیکی
شناسه : oai:tebyan.net/۳۷۲۶۳
مکان : -
شرایط دسترسی : -
تاریخ ایجاد رکورد : ۱۳۸۸/۱۲/۲
تاریخ تغییر رکورد : -
ملحقات : -
تاریخ ثبت : ۱۳۸۹/۷/۴
قیمت شیء دیجیتال : رایگان

الإهداء

الإهداء إلیک یا أعز من فی الوجود علی.. یا من تعیش لأجلی، وتشعر بآلامی، وتحس بمشاکلی.. دون أن أراک، ودون أن أعرف مکانک، بل وحتی دون أن أفطن فی کثیر من الأحیان لوجودک.

إلیک یا أملی الحی، الذی یمدنی بالقوة، ویجدد فی العزیمة.

ویا قبس الهدی والنور، الذی لولاه لکنت أعیش فی الظلام،.

ظلم الوحدة، والحيرة، والضياع.

إليك. يا من تملأ الأرض قسطا، وعدلا، بعدما ملئت ظلما، وجورا.

إليك. يا سيدى، ومولاى، يا صاحب الزمان. أرفع كتابى هذا.

راجيا منك القبول.

جعفر. (۷) صفحهمفاتيح البحث: العزّة (۱)

تقديم

تقديم:

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه أجمعين، محمد وآله الطيبين الطاهرين:

وبعد:

فقد كان هذا الكتاب نتيجة دراسة استمرت ثلاث سنوات ما بين مد وجزر. وهو يبحث فى ظروف وأسباب حدث تاريخى هام فى التاريخ الإسلامى.. ألا وهو ": أخذ البيعة للإمام الرضا عليه السلام بولاية العهد للمأمون."

ورغم الأهمية البالغة لهذا الحدث، وكونه جديرا بالدراسة، والبحث، والتمحيص. فإننا رأينا المؤرخين والباحثين – ولأسباب مختلفة – يضربون عنه صفحا، ويحاولون تجاهله، والتقليل من أهميته.

وعلى كل حال.. ومهما كانت الحقائق التى أوردتها فى هذا الكتاب موافقة لهوى قوم، ومثيرة لحنق آخرين.. فإن ما أريد أن أؤكد عليه هو: (۹) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (۱)، الصّلاة (۱)، الطهارة (۱)

إننى لثقتى من نفسى بأننى ما ادخرت وسعا، ولم آل جهدا فى تمحيص الحقائق، وإبراز المعالم الأصيلة للصورة، التى أريد – لسبب أو لآخر – طمسها، وتشويه معالمها، وأيضا لحسن ظنى بالقارئ، وثقتى بنزاهته، ونظرته الواعية.

من أجل ذلك أقول – وبكل رضى، وارتياح، واطمئنان –:

إننى لا أريد أن أفرض ما فى هذا الكتاب من آراء، واستنتاجات على أحد.. بل سوف أترك الحكم فى ذلك للقارئ نفسه، الذى يمتلك كامل الحرية فى أن يقبل، أو أن يرفض، إذا اقتضى الأمر أيا من الرفض، أو القبول.

والله ولينا. وهو الهادى إلى سواء السبيل.

جعفر مرتضى الحسينى

صفحه(۱۰)

تمهيد

تمهيد صلة الماضى بالحاضر والمستقبل:

.. بديهى أن بعض الأحداث التاريخية، التى تمر بالأمة، تؤثر تأثيرا مباشرا، أو غير مباشر فى واقعها، إن حاضرا، وإن مستقبلا.

بل وقد تؤثر فى روح الأمة، وعقلها، وتفكيرها.. ومن ثم على مبادئها العامة، التى قامت عليها قوانينها ونظمها، التى تنظم لها سيرتها، وتهيمن على سلوكها.. فقد تقوى من دعائمها، وتؤكد وجودها، واستمرارها، وقد تنسفها من أسسها، إن كانت تلك المبادئ على درجة كبيرة من الضعف والوهن فى ضمير الأمة ووجدانها.. وعلى صعيد العمل فى المجال العملى العام.

فمثلا.. نلاحظ أن الاكتشافات الحديثة، والتقدم التقنى قد أثر أثرا لا ينكر حتى فى عاطفة الإنسان، التى يفرضها، واقع التعايش. وحتى فى مواهبه وملكاته، فضلا عن سلوكه، وأسلوب حياته.

وحیث إن المبادئ الاجتماعیـة لم تكن علی درجة من الرسوخ والقوة فی ضـمیر الإنسان ووجد أنه، ولم تخرج عن المسـتوی الشـكلی فی حیاته العملیة - وإن انغرست فی أعماق بعض أفراده أحیانا فی دورات تاریخیة

صفحه(۱۱)

قصیرة - نری أنها بدورها قد تأثرت بذلک، ونسفت أو كادت من واقع هذه الأمة، وعدمت أو كادت من دائرة حیاتها. ولیكون البدیل - من ثم - عنها لـدی هـذا الكائن هو " الذاتیـة " الكافرة بكل العواطف الاجتماعیـة، والعوض عنها فی نفسه هو المادة الجافة، التی لا ترحم ولا ترثی، ولا تلین، لا یجـد لـذة العاطفـة، ولا حلاوة الرحمـة، ولیعود الإنسان - بعد لأی - متشائما حاقدا، لا یثق بمسـتقبله، ولا یأمن من یحیط به، ولا یطمئن إلی أقرب الناس إلیه.

وبطبیعة الحال، سوف یتأثر النشء الجدید بذلک، ثم ینتقل ذلک إلی الجیل الذی یلیه. وهكذا..

وهكذا.. فإن الحدث التاریخی الذی كان قبل ألف سنة مثلا، أو أكثر قد نجد له آثارا بارزة، حتی فی واقع حیاتنا التی نعیشها الیوم.

وإذن.. فنسـتطیع أن نسـتخلص من هـذا: أن الأحـداث التاریخیـة مهما بعدت، ومن أی نوع كانت تؤثر فی وضع الأمة، وفی تصـرفاتها، وفی حیاتها، وسلوكها علی المدی الطویل. وتتحكم - إلی حد ما - فی مسـتقبلها، وإن العالم التاریخی له أثر كبیر فی فرض المستوی الذی یعیشه المجتمع بالفعل، سواء فی ذلک الأدبی منه. أو العلمی، أو الدینی، أو السیاسی، أو الاقتصادی، أو غیر ذلک.

وغنی عن القول هنا. أن التأثر بالأحداث یختلف من أمة لأخری، ومن عصر لآخر.

* * * لماذا كان تدوین التاریخ:

ومن هنا تبرز أهمیة التاریخ. ونعرف أنه یلعب دورا كبیرا فی حیاة

صفحه(۱۲)

الأمم، مما یجعلنا لا نجد كثیر عناء فی الإجابة علی سؤال: لماذا عنیت الأمم علی اختلافها بالتاریخ. تدوینا. ودرسا، وبحثا، وتمحیصا؟! فـإن ذلـک لم یكن إلا لأنها تریـد أن تسـتفید منه، لتتعرف علی واقعها الـذی تعیشه، لتسـتفید من ذلک لمسـتقبلها الـذی تقـدم علیه.. ولتكتشف منه عوامل رقیها. وانحطاطها، ولتنطلق من ثم لبناء نفسها علی أسس متینة وسلیمة..

فمهمـة التاریـخ إذن - تاریـخ الأمـة المـدون - هی: أن یعكس بأمانـة ودقـة مـا تمر بـه الأمـة مـن أحـوال وأوضـاع، وأزمـات فكریـة، واقتصادیة، وظروف سیاسیة: واجتماعیة، وغیر ذلک.

* * * ونحن. هل نملک تاریخا!!

ونحن أمة.. لكننا لا نملک تاریخا - وأقصد بذلک كتب التاریخ - نسـتطیع أن نسـتفید منه الكثیر فی هذا المضـمار، لأن أكثر ما كتب لنا منه تتحكم فیه النظرة الضـیقة، والهوی المذهبی، والتزلف للحكام، وأقصد ب " النظرة الضیقة " عملیة ملاحظة الحدث منفصلا عن جذوره وأسبابه التی تلقی الضوء الكاشف علی حقیقته وواقعه.

نعم.. إننا بمرارة - لا نملک تاریخا نسـتطیع أن نسـتفید منه الكثیر، لأن المسـیرة قد انحرفت، والأهواء قد لعبت لعبتها (۱) وأثرت أثرها المقیت (۱) ومن أراد أن یعرف المزیـد عن ذلک، فلیراجع: النصائـح الكافیـة لمن یتولی معاویة من ص ۷۲ إلی ص ۷۹ والغدیر ج ۵ ص ۲۰۸ إلی ص ۳۷۸، و ج ۱۱ مـن ص ۷۱، إلی ص ۱۰۳، و ج ۹ مـن ص ۲۱۸ إلی آخر المجلـد، وغیر ذلک من مجلـدات هـذا الكتاب وصـفحاته والاحتجاج للطبرسـی، وخمسون ومئة صـحابی مختلق للعسـكری، وغیر ذلک كثیر (... ۱۳) صفحهمفاتیح البحث: كتاب الكافئة للشیخ المفید (۱)

البغیض، حتی فی تدوین التاریخ نفسه.

وإنه لمما یـدمی قلوبنا، ویملأ نفوسـنا أسـی وألما، أن نكون قـد فقدنا تاریخنا، ودفناه تحت ركام من الأنانیات. والعصـیات، والأطماع الرخیصة، حتی لم یبق منه سوی الرسوم الشوهاء، والذكریات الشجیة..

ومرة أخرى أقول: إن كل ما لـدينا هو - فقط - تاريـخ الحكام والسـلاطين، الـذين تعاقبوا على كراسـى الحكم، وحتى تاريـخ الحكام هذا، رأيناه مشوها، وممسوخا، حيث لم يسـتطع أن يعكس بأمانة وحيدة الصورة الحقيقية لحياة أولئك الحكام، وأعمالهم وتصرفاتهم. ومـا ذلـك إلاـ لأـن المؤرخين لم يكونوا أحرارا فى كتـابتهم للتاريـخ، بـل كـانوا يؤرخون ويكتبون حسب ما يريـده الحكام أنفسـهم، ويخدم مصالحهم.

إما رهبة من هؤلاء الحكام، أو رغبة، أو تعصبا لمذهب، أو لغيره.

ومن هنا.. فليس من الغريب جدا أن نرى المؤرخ يعتنى بأمور تافهة وحقيرة، فيسـهب القول فى وصف مجلس شـراب، أو منادمة، حتى لا يفوته شئ منه، أو يختلق ويفتعل أحداثا لم يكن لها وجود إلا فى عالم الخيالات والأوهام، أو يتكلم عن أشخاص لم يكن لهم شأن يـذكر، بـل قـد لاـ يكون لهم وجود أصـلا.. بينمـا نراه فى نفس الوقت يهمل بالكليـة شخصـيات لها مكانتها، وخطرها فى التاريـخ، أو يحاول تجاهل الدور الذى لعبته فيه.. ويهمل أو يشوه أحداثا ذات أهمية كبرى.

صـدرت من الحاكم نفسه، أو من غيره. ومن بينها ما كان له دور هام فى حياة الأمة، ومسـتقبلها، وأثر كبير فى تغيير مسـيرة التاريخ، أو يحيطها - لسبب أو لآخر - بستار من الكتمان، والإبهام.

* * ومن تلك الأحداث...

وفى طليعة تلك الأحداث التى كان نصيبها ذلك ": البيعة للإمام

صفحه(۱۴)

الرضا عليه السلام بولاية العهد ". من قبل الخليفة العباسى عبد الله المأمون!.

هـذا الحـدث الـذى لم يكن عاديـا، وطبيعيـا، كسـائر ما يجرى وما يحـدث، والـذى كان نصـيبه من المؤرخين أن يتجاهلوه، ويقللوا ما أمكنهم من أهميته، وخطره، وأن يحيطـوا أسـبابه ودوافعه، وظروفه بسـتائر من الكتمـان. وعنـدما كـانت تـواجههم الأسـئلة حوله تراهم يرددون تلك التفسيرات التى أراد الحكام أن يفهموها للناس، دون أن يكون من بينها ما يقنع، أو ما يجدى..

إلا أننا مع ذلك، لم نعـدم فى هـذا الـذى يسـمى، ب " التاريـخ " بعض الفلتات والشذرات المتفرقة هنا وهناك، التى تلقى لنا ضوءا، وتبعث فينا الرجاء والأمل بالوصول إلى الحقائق التى خشيها الحكام، فقضوا عليها - بكل قسوة وشراسة - بالعدم، والاندثار..

ولو فرض: أنه كان للمؤرخين القدامى العذر - إلى حد ما - فى تجاهل هذا الحدث، والتقليل من أهميته، لظروف سياسية، واجتماعية، ومذهبيـة معينة.. فإن من الغريب حقا أن نرى الباحثين اليوم - مع أنهم لا يعيشون تلك الظروف، وينعمون بالحرية بمفهومها الواسع. - يحاولون بـدورهم تجاهل هذا الحدث، والتقليل من أهميته، عن قصد أحيانا، وعن غير قصد أخرى، وإن كنا نسـتبعد هذا الشق الأخير، إذ أننا نشك كثيرا فى أن لا يسترعى حدث غريب كهذا انتباههم، ويلفت أنظارهم.

وأيا ما كان السبب فى ذلك، فإن النتيجة لا تختلف، ولا تتفاوت، إذ أنها كانت فى الواقع الخارجى سلبية على كل حال.

* * (۱۵) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (۱)، السب (۱)

وبدافع من الشـعور بالواجب ومن هنا. وبدافع من الشـعور بالمسؤولية، رأيت أن أقوم بدراسة لهذا الحدث بالذات، للتعرف على حقيقة دوافعه وأسبابه، وواقع ظروفه وملابساته.

وكانت نتيجة تلك الدراسة، التى استمرت ثلاث سنوات ما بين مد وجزر هى: هذا الكتاب الذى بين يديك..

لا أدعى: أن كل ما فى هذا الكتاب من آراء واستنتاجات، لا تعدو الحقيقة، لا تشذ عن الصواب.

ولا أدعى أيضا: أننى اسـتطعت أن أضع يـدى على كل خيوط القضـية، وأن أنفذ إلى جميع جذورها العميقة والرئيسة، فإن ذلك ليس من الأمور السهلة بالنسبة لأى حدث تاريخى مضى عليه العشرات والمئات من السنين، فكيف إذا كان إلى جانب ذلك مما قد أريد له - كما قلنا - أن تبقى دوافعه وأسبابه طى السرية والكتمان، وظروفه وملابساته رهن الابهام والغموض..

لا.. لا أدعی هذا، ولا ذاک. وإنما أقول:

إن هـذا الکتـاب قـادر – ولاـ شـک – علی أن یرسم علامـة اسـتفهام کـبیرة حول " طبیعیـة " هـذا الحـدث، وحول المـأمون، ونوایـاه، وتصرفاته المشبوهة.

وإنه – علی الأقـل یمکن أن یعتبر خطوة علی طریق الکشف الکامـل عن جمیع الحقـائق، والتعرف علی کافـة العوامـل والظروف، التی اکتنفت هذا الحدث التاریخی الهام. (۱۶) صفحهمفاتیح البحث: الکتمان (۱)

تقسیم الکتاب.. باختصار..

ومن أجل استیفاء البحث من جمیع جوانبه، کما لا بد لنا من تقسیم الکتاب إلی أقسام أربعة:

الأول: یتناول قیام الدولة العباسـیة، وأسالیب دعوتها، ویعطی لمحة عن موقف العلویین، والعباسیین، کل منهما من الآخر، وردود الفعل لذلک، وغیر ذلک من أمور..

الثانی: یبحث حول ظروف البیعة، وأسبابها، ونتائجها.

الثالث: یتکفل بإلقاء أضواء کاشفة عن المواقف، سواء بالنسبة إلی المأمون، أو بالنسبة إلی الإمام (ع)..

الرابع: نعرض فیه لبعض الأحـداث التی تلقی لنـا ضوءا علی حقیقـة نوایـا المـأمون، وتکشف لنـا عن بعض مخططـاته.. وغیر ذلک مما یتصل بذلک، ویرتبط به، بنحو من الارتباط والاتصال..

هذا:

وقد وضعنا فی آخر الکتاب بعض الوثائق التاریخیة الهامة، التی آثرنا أن یطلع القارئ بنفسه علی نصها الکامل..

ونسأل الله أن یوفقنا جمیعا. ویهدینا سبیل الرشاد.. (۱۷) صفحهمفاتیح البحث: الدولة العباسیة (العباسیون) (۱)

"القسم الأول: ممهدات"

القسم الأول ممهدات.

۱ – قیام الدولة العباسیة.

۲ – مصدر الخطر علی العباسیین.

۳ – سیاسة العباسیین ضد العلویین.

۴ – سیاسة العباسیین مع الرعیة..

۵ – فشل سیاسة العباسیین ضد العلویین. (۱۹) صفحهمفاتیح البحث: الدولة العباسیة (العباسیون) (۱)

قیام الدولة العباسیة

قیام الدولة العباسیة العلویون فی الماضی البعید..

بعد أن أمعن الأمویون فی الانحراف عن الخط الإسـلامی القویم، وأصبح واضحا لدی کل أحد، أن هدفهم لیس إلا الحکم والسیطرة، والتحکم بمقـدرات الأمـة وإمکاناتهـا.. وأن کـل همهم کان مصـروفا إلی الملـذات والشـهوات، أینما کانت، وحیثما وجـدت.. ولیس لمصلحة الأمة، وسعادتهما، ورفاهها عندهم أی اعتبار..

وبعد أن لجوا فی عدائهم لأهل البیت علیهم السلام، وبلغوا الغایة فیهم، قتلا، وعسفا، وتشریدا، وخصوصا ما کان منهم فی وقعة کربلاء التی لم یعرف التاریخ أبشع، ولا أفظع منها.. وجعلهم لعن علی علیه السلام سنة لهم. یشب علیها الصغیر، ویهرم علیها الکبیر..

ثم ملاحقتهم لولده، ولکل من یتشیع لهم. تحت کل حجر ومدر، وفی کل سهل وجبل، لیعفوا منهم الآثار، ویخلو منهم الدیار.

بعـد كل هـذا.. وبفضل جهاد أهل البيت المتواصل، فى سبيل توعيـة الأمة، وتعريفها بأحقيتهم، وبحقيقة، وواقع تلك الطغمة الفاسدة.. كـان من الطبيعى أن ينمو تعاطف الناس مع أهل البيت (۲۱) صفحهمفاتيح البحث: أهل بيت النبى صلى الله عليه وآله (۱)، الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طـالب عليهمـا السـلام (۱)، الدولـة الأموية (۱)، الدولة العباسـية (العباسـيون) (۱)، مدينـة كربلاء المقدسـة (۱)، الهدف (۱)

ويزيـد، كلمـا ازداد نفورهم من الأـمويين، ونقمتهم عليهم، وذلـك تبعا لتزايـد وعيهم. وتكشف الحقائق لهم، ولأنهم أدركوا من واقع الأحداث التى مرت بهم: أن أهل البيت عليهم السلام هم: الركن الوثيق، الذى لا نجاة لهم إلا بالالتجاء إليه، وذلك الأمل الحى، الذى تحيا به الأمة، وتحلو معه الحياة..

* * * العرش الأموى فى مهب الريح.

ولهـذا نجـد: أن الثورات والفتن ضـد الحكم الأـموى كـانت تظهر من كـل جـانب ومكـان. طيلـة فـترة حكمهم، حـتى أنهكت قواهم، وأضعفتهم إلى حد كبير، وفنوا وأفنوا، حتى لم يعد باستطاعتهم ضبط البلاد، ولا السيطرة على العباد..

وكانت تلك الثورات تتخذ الطابع الدينى على العموم، مثل: ثورة أهل المدينة المعروفة ب " وقعة الحرة " وثورة قراء الكوفة والعراق، المعروفة ب " دير الجماجم " سـنة ۸۳ ه.. وقبلها ثورة المختار والتوابين سـنة ۶۷ ه. وأيضا ثورة يزيـد بن الوليد مع المعتزلة على الوليد بن يزيد، للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، سـنة ۱۲۶ ه. وكـذلك ثورة عبـد الله بن الزبير، الذى تغلب على البلاد ما عدا دمشق، وما والاها مدة من الزمن.. ثم الثورة التى قامت ضد هشام فى إفريقيا.

وثورة الخوارج بقيادة المتسمى ب " طالب الحق " سنة ۱۲۸ ه.

وأيضـا ثورة الحارث بن سـريح فى خراسان، داعيا إلى كتاب الله، وسـنة رسوله سـنة ۱۱۶ ه. إلى غير ذلـك ممـا لاـ مجال لنا هنا لتتبعه واستقصائه.. (۲۲) صـفحهمفاتيح البحـث: الأـمر بـالمعروف والنهى عن المنكر (۱)، أهـل بيـت النـبى صـلى الله عليه وآله (۱)، الدولة الأموية (۱)، دولة العراق (۱)، ثورة المختار بن أبى عبيـدة الثقفى (۱)، مدينة الكوفة (۱)، مدرسة المعتزلة (۱)، عبد الله بن الزبير (۱)، خراسان (۱)، الخوارج (۱)، دمشق (۱)

وأما ما كان منها بـدافع غير دينى، بل من أجل الحكم، والسـلطان، فنـذكر منها على سبيل المثال: ثورة آل المهلب سـنة ۱۰۲ ه. وثورة مطرف بن المغيرة..

* * * وأما فى زمن مروان.

وفى زمن مروان بن محمد الجعدى، المعروف بمروان الحمار، كان الوضع فى السوء والتدهور قد بلغ الغاية، وأوفى على النهاية، حيث بلغ من انشغال مروان بالثورات والفتن، التى كانت قد شملت أكثر الأقطار: أنه لم يستطع أن يصغى إلى شكوى عامله فى خراسان نصر بن سيار، الذى كان بدوره يواجه الثورات والفتن، ومن جملتها دعوة بنى العباس، التى كانت تزداد قوة يوما بعد يوم. بقيادة أبى مسلم الخراسانى.

* * * من خلال الأحداث.

كل ذلك يكشف عن مدى تبرم الناس بحكم بنى أمية، وبسلطانهم، الذى كان قائما على أساس من الظلم والجور، والابتزاز، والتحكم بمقدرات الأمة، وإمكاناتها.. ويتضح لنا ذلك جليا إذا لاحظنا:

أن ما كان يتقاضاه الولاة لا يمكن أن يخطر على قلب بشر، ويكفى مثالا على ذلك أن نشير إلى أن خالدا القسرى، كان يتقاضى راتبا سنويا قدره " ۲۰ " مليون درهم، بينما ما كان يختلسه كان يتجاوز (۲۳) صفحهمفاتيح البحث: بنو أمية (۱)، خراسان (۱)، الظلم (۱) ال " ۱۰۰ " مليـون (۱)، وإذا كـان هـذا حـال الولاـة، فكيف ترى كـان حـال الخلفاء، الـذين كانوا يحقـدون على كل القيم، والمثل، والكمالات الإنسانية.. والذين وصف الكميت رأيهم فى الناس، فقال:

رأیه فیهم کرأی ذوی الثلة فی التائجات جنح الظلام.

جز ذی الصوف وانتقاء لذی المخة، نعقا ودعدعا بالبهام (۲).

نعم.. لقد کانت الأمة قد اقتنعت اقتناعا کاملا ونهائیا: بأن بنی أمیة لیس لهم بعد حق فی أن یفرضوا أنفسهم قادة للأمة، ولا روادا لمسیرتها، لأن نتیجة ذلک ستکون – حتما – هی جر الأمة إلی الهاویة.

حیث الدمار والفناء، فلفظتهم، وانقلبت علیهم، تأخذ منهم بعض الحقوق التی لها عندهم، إلی أن تمکنت أخیرا من أن تخلی منهم الدیار، وتعفی منهم الآثار..

* * * وکان نجاح العباسیین طبیعیا..

ومن هنا نعرف: أن نجاح العباسیین فی الاستیلاء علی مقالید الحکم – (۱) السیادة العربیة ص ۳۲، ترجمة الدکتور حسن إبراهیم حسن، ومحمد زکی إبراهیم.

وفی البدایة والنهایة ج ۹ ص ۳۲۵: أن دخل خالد القسری کان فی کل سنة " ۱۳ " ملیون دینار، ودخل ولده یزید بن خالد کان " ۱۰ "ملایین دینار سنویا، ولا بأس بمطالعة کتاب السیادة العربیة، لیعرف ما أصاب، وخصوصا العراقیین والخراسانیین فی عهد الأمویین.

(۲) الهاشمیات ص ۲۶، ۲۷. والثلة: القطعة الکثیرة من الضان. والثائجات: الصائحات.

وانتقاء: اختیار، وأراد بذی المخة: السمینة، ونعقا: أی صیاحا. والدعدعة:

زجر البهائم.

یقول: رأی الواحد من هؤلاء الخلفاء فی رعیته، ومعاملته لها کرأی أصحاب الغنم فی غنمهم، فلا یراعون العدل، ولا الإنصاف فیهم..

(۲۴) صفحهمفاتیح البحث: الدولة الأمویة (۱)، کتاب البدایة والنهایة (۱)، یزید بن خالد (۱)، الإختیار، الخیار (۱)

فی ذلک الحین – لم یکن ذلک الأمر المعجزة، والخارق للعادة. بل کان أمرا طبیعیا للغایة، إذا ما أخذت الحالة الاجتماعیة، والظروف والملابسات آنئذ بنظر الاعتبار، فإن الأمة کانت مهیأة نفسیا لقبول التغییر، أی تغییر. بل کانت تراه أمرا ضروریا، لا بد منه، ولا غنی عنه، إذا کانت ترید لنفسها الحیاة الفاضلة، والعیش الکریم.

ولهذا.. فلیس من الغریب أن نقول:

إنه کان بإمکان أیة ثورة أن تنجح، لو أنها تهیأت لها نفس الظروف، وسارت علی نفس الخط، واتبعت نفس الأسالیب، التی اتبعها العباسیون فی دعوتهم، وثورتهم.

ونستطیع أن نتبین أسالیب العباسیین تلک فی ثلاثة خطوط عریضة وواضحة.

الخط الأول:

"کانوا یصورون أنفسهم علی أنهم ما جاءوا إلا لینقذوا الأمة من شرور بنی أمیة، وظلمهم، وعسفهم، الذی لم یکن یقف عند حدود. وکانت دعوتهم تتخذ اتجاه التبشیر بالخلاص، وأنهم سوف یقیمون حکما مبدؤه العدل، والمساواة، والأمن والسلام. وقد کانت وعودهم هذه کسائر الوعود الانتخابیة، التی خلقتها الدعوة العباسیة فی الجماهیر مسؤولة إلی حد کبیر عن ردود الفعل العنیفة، التی ألفناها من ساسة العصر الحدیث ... بل لقد کانت الأمانی التی خلقتها الدعوة العباسیة فی الجماهیر مسؤولة إلی حد کبیر عن ردود الفعل العنیفة، التی حدثت ضد الحکم العباسی بعد ذلک، حیث کان حکمهم قائما علی الطغیان المتعطش إلی سفک الدماء (۱.").

(۱) راجع: إمبراطوریة العرب، للجنرال جلوب، ترجمة: خیری حماد. (۲۵) صفحهمفاتیح البحث: بنو أمیة (۱)، الکرم، الکرامة (۱)

الخط الثانی:

إنهم لم یعتمدوا کثیرا علی العرب، الذین کانوا یعانون من الانقسامات الداخلیة الحادة، وإنما استعانوا بغیر العرب، الذین کانوا فی عهد بنی أمیة محتقرین، ومنبوذین، ومضطهدین، ومحرومین من أبسط الحقوق المشروعة، التی منحهم إیاها الإسلام. حتی لقد أمر

الحجاج أن لا يؤم فى الكوفة إلا عربى.. وقال لرجل من أهل الكوفة: لا يصلح للقضاء إلا عربى (۱)..

كما طرد غير العرب من البصرة، والبلاد المجاورة لها، واجتمعوا يندبون: وامحمدا وأحمدا. ولا يعرفون أين يذهبون، ولا عجب أن نرى أهل البصرة يلحقون بهم، ويشتركون معهم فى نعى ما نزل بهم من حيف وظلم (۲) بل لقد قالوا ": لا يقطع الصلاة إلا: حمار، أو كلب، أو مولى (۳ ").. وقد أراد معاوية أن يقتل شطرا من الموالى، عندما رآهم كثروا، فنهاه الأحنف عن ذلك (۴).

وتزوج رجل من الموالى بنتا من أعراب بنى سليم، فركب محمد بن بشير الخارجى إلى المدينة، وواليها يومئذ إبراهيم بن هشام بن إسماعيل، (۱) ضحى الإسلام ج ۱ ص ۲۴، والعقد الفريد ج ۱ ص ۲۰۷، ومجلة الهادى، السنة الثانية العدد الأول ص ۸۹، وتاريخ التمدن الإسلامى المجلد ۲ جزء ۴ ص ۳۴۳.

(۲) السيادة العربية ص ۵۶، ۵۷، ولا بأس بمراجعة: تاريخ التمدن الإسلامى المجلد الأول ج ۲ ص ۲۷۴ (۳) العقد الفريد طبع مصر سنة ۱۹۳۵ ج ۲ ص ۲۷۰، وتاريخ التمدن الإسلامى جزء ۴ ص ۳۴۱ (۴) المصدران السابقان.. (۲۶) صفحهمفاتيح البحث: مدينة الكوفة (۲)، مدينة البصرة (۲)، القتل (۱)، الصّلاة (۱)

فشكا إليه ذلك، فأرسل الوالى إلى المولى، ففرق بينه وبين زوجته، وضربه مأتى سوط، وحلق رأسه، وحاجبه، ولحيته. فقال محمد ابن بشير فى جملة أبيات له:

قضيت بسنة وحكمت عدلا * ولم ترث الخلافة من بعيد (۱) ولم تفشل ثورة المختار، إلا لأنه استعان فيها بغير العرب، فتفرق العرب عنه لذلك (۲) ويقول أبو الفرج الأصفهانى. ": كان العرب إلى أن جاءت الدولة العباسية، إذا جاء العربى من السوق، ومعه شئ، ورأى مولى، دفعه إليه، فلا يمتنع (۳ "). بل كان لا يلى الخلافة أحد من أبناء المولدين، الذين ولدوا من أمهات أعجميات (۴).

وأخيرا.. فإن البعض يقول: إن قتل الحسين كان ": الكبيرة، التى هونت على الأمويين أن يقاوموا اندفاع الإيرانيين؟ إلى الدخول فى الإسلام (۵.").

وبعد هذا. فإن من الطبيعى أن يبذل الموالى أرواحهم، ودماءهم وكل غال ونفيس فى سبيل التخلص من حكم يعاملهم هذه المعاملة، وله فيهم هذه النظرة، فاعتماد الدعوة العباسية على هؤلاء كان منتظرا (۱) الأغانى ج ۱۴ ص ۱۵۰، وضحى الإسلام ج ۱ ص ۲۳، ۲۴.

(۲) السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات ص ۴۰، ولا بأس أيضا بمراجعة: تاريخ التمدن الإسلامى، والمجلد الأول، الجزء الثانى ص ۲۸۲، ۲۸۳ (۳) ضحى الإسلام ج ۱ ص ۲۵.

(۴) ضحى الإسلام ج ۱ ص ۲۵، والعقد الفريد ج ۶ ص ۱۳۰، ۱۳۱، طبعة ثالثة، ومجلة الهادى، السنة الثانية، العدد الأول ص ۸۹.

(۵) الصلة بين التصوف والتشيع ص ۹۵. (۲۷) صفحهمفاتيح البحث: الدولة الأموية (۱)، الدولة العباسية (العباسيون) (۱)، ثورة المختار بن أبى عبيدة الثقفى (۱)، أبو الفرج الإصبهانى (الإصفهانى) (۱)، الزوجة (۱)، القتل (۱)

ومتوقعا، كما أن اندفاع هؤلاء فى نصرة الدعوة العباسية كان متوقعا، ومنتظرا أيضا.

الخط الثالث:

أنهم – أعنى العباسيين – قد حاولوا فى بادئ الأمر أن يربطوا دعوتهم وثورتهم بأهل البيت عليهم السلام.

وطبيعة البحث تفرض علينا أن نتوسع فى بيان هذه النقطة بالذات وذلك لما لها من الأهمية البالغة، بالنظر لما تركته من آثار بارزة على مدى التاريخ، ولأنها كانت الناحية التى اعتمد العباسيون عليها اعتمادا كليا، وتعتبر السبب الرئيس فى وصول العباسيين إلى السلطة، وحصولهم على مقاليد الحكم.. ولهذا. فنحن نقول:

دولة بنى العباس فى صحيفة ابن الحنفية:

قد نقل ابن أبى الحديد (۱) عن أبى جعفر الإسكافى: أنه قد صحت الرواية عندهم عن أسلافهم، وعن غيرهم من أرباب الحديث، أنه: لما مات على أمير المؤمنين عليه السلام، طلب محمد بن الحنفية من أخويه: الحسن، والحسن ميراثه من العلم، فدفعا إليه صحيفة، لو

أطلعاه على غيرها لهلك، وكان في هذه الصحيفة ذكر لدولة بني العباس. فصرح ابن الحنفية لعبد الله بن العباس بالأمر، وفصله له.

والظاهر أن تلك الصحيفة انتقلت منه لولده أبي هاشم، وعن طريقه وصلت إلى بني العباس. ويقال: إنها قد ضاعت منهم أثناء (۱) شرح نهج البلاغة ج ۷ ص ۱۴۹، ۱۵۰. (۲۸) صفحهمفاتيح البحث: أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (۱)، الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (۱)، إبن أبي الحديد المعتزلي (۱)، عبد الله بن عباس (۱)، محمد بن الحنفية إبن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام (۱)، بنو عباس (۳)، الموت (۱)، السب (۱)، كتاب شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (۱)

حربهم مع مروان بن محمد الجعدي (۱)، آخر خلفاء الأمويين.

وقد ذكرت هذه الصحيفة في كلام بني العباس، وخلفائهم كثيرا، وسيأتي لها ذكر في رسالة المأمون للعباسيين، التي سوف نوردها في أواخر هذا الكتاب إن شاء الله.

* * متى بدأ العباسيون دعوتهم، وكيف؟

وبعد هذا. فإن الشئ المهم هنا هو تحديد الزمن الذي بدأ به العباسيون دعوتهم، وكيف؟

ونستطيع أن نبادر هنا إلى القول:

إن الذين بدءوا بالدعوة أولا هم العلويون، وبالتحديد من قبل أبي هاشم، عبد الله بن محمد الحنفية، وهو الذي نظم الدعاة، ورتبهم، وقد انضم تحت لوائه: محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، ومعاوية ابن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، و عبد الله بن الحارث بن نوفل ابن الحارث بن عبد المطلب، وغيرهم.. وهؤلاء الثلاثة هم الذين حضروه حين وفاته، وأطلعهم على أمر دعاته.

وقد قرأ محمد بن علي، ومعاوية بن عبد الله تلك الصحيفة، المشار إليها آنفا، ووجد كل منهما ذكرا للجهة التي هو فيها.

ولهذا نلاحظ: أن كلا من محمد بن علي، ومعاوية بن عبد الله، قد ادعى الوصاية من أبي هاشم، مما يدل دلالة واضحة على أنه لم يخصص أيا منهما بالوصية، وإنما عرفهما دعاته فقط. (۱) شرح نهج البلاغة ج ۷ ص ۱۴۹. (۲۹) صفحهمفاتيح البحث: جعفر بن أبي طالب عليهما السلام (۱)، عبد الله بن عباس (۱)، الدولة الأموية (۱)، بنو عباس (۱)، عبد الله بن الحارث بن نوفل (۱)، معاوية بن عبد الله (۲)، عبد الله بن محمد (۱)، محمد بن علي (۳)، كتاب شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (۱)

هذا. وبعد موت معاوية بن عبد الله، قام ابنه عبد الله يدعي الوصاية من أبيه. من أبي هاشم.. وكان له في ذلك شيعة، يقولون بإمامته سرا حتى قتل.

وأما محمد بن علي فقد كان بمنتهى الحنكة والدهاء، وقد تعرف - كما قلنا - من أبي هاشم على الدعاة، واستطاع بما لديه من قوة الشخصية، وحسن الدهاء أن يسيطر عليهم، ويستقل بهم (۱)، ويبعدهم عن معاوية بن عبد الله، وعن ولده، ويبعدهما عنهم.

واستمر محمد بن علي يعمل بمنتهى الحذر والسرية. وكان عليه أن:

۱ - يحذر العلويين، الذين كانوا أقوى منه حجة، وأبعد صيتا.

بل عليه أن يستغل نفوذهم - إن استطاع - لصالحه، وصالح دعوته.

ولقد فعل ذلك هو وولده كما سيتضح.

۲ - وكان عليه أيضا أن يتحاشى مختلف الفئات السياسية، التي لن يكون تعامله معها في صالحه، وفي صالح دعوته.

۲ - والأهم من ذلك أن يصرف أنظار الحكام الأمويين عنه، وعن نشاطاته، ويضللهم، ويعمي عليهم السبل.

* * ولذا فقد اختار خراسان، فأرسل دعاته إليها. وأوصاهم بوصيته (۱) شرح النهج للمعتزلي ج ۷ ص ۱۵۰. (۳۰) صفحهمفاتيح البحث: الدولة الأموية (۱)، معاوية بن عبد الله (۲)، محمد بن علي (۲)، خراسان (۱)، القتل (۱)، الحج (۱)

المشهورة، التي يقسم فيها البلاد والأمصار: هذا علوي، وذاك عثماني، وذلك غلب عليه أبو بكر وعمر، والآخر سفياني. إلى آخر ما سيأتي (۱). (۱) ولقد بذل محمد بن علي جهدا جبارا في إنجاح الدعوة، وكانت أكثر نشاطاته في حياة والده، علي بن عبد الله، الذي

يبدو أنه لم يكن له فى هذا الأمر دور يذكر. وتوفى والده على ما يظهر فى سنة ۱۱۸ ه. وكان قد بدأ نشاطاته، حسب ما بأيدينا من الدلائل التاريخية من سنة ۱۰۰ ه. أى بعد وفاة أبى هاشم بسنتين. إذ فى: سنة ۱۰۰ ه. وجه محمد بن على بن أرض الشراة ميسرة إلى العراق ووجه محمد بن خنيس، وأبا عكرمة السراج، وهو أبو محمد الصادق، وحيان العطار إلى خراسان.

وفيها أيضا جعل اثنى عشر نقيبا، وأمر دعاته بالدعوة إليه، وإلى أهل بيته.

وفى سنة ۱۰۲ ه. وجه ميسرة رسله إلى خراسان، وظهر أمر الدعوة بها وبلغ ذلك سعيد خذينة، عامل خراسان، فأرسل، وأتى بهم، واستنطقهم، ثم أخذ منهم ضمناء وأطلقهم.

وفى سنة ۱۰۴ ه. دخل أبو محمد الصادق، وعدة من أصحابه، من أهل خراسان إلى محمد بن على، فأراهم السفاح فى خرقة، وكان قد ولد قبل خمسة عشر يوما، وقال لهم " والله، ليتمن هذا الأمر، حتى تدركوا ثاركم من عدوكم."

وفى سنة ۱۰۵ ه. دخل بكير بن ماهان فى دعوة بنى هاشم. وفيها مات ميسرة، فجعل محمد بن على بكيرا هذا مكانه فى العراق..

وفى سنة ۱۰۷، أو ۱۰۸ ه وجه بكير بن ماهان عدة من الدعاة إلى خراسان، فظفر بهم عامل خراسان، فقتلهم، ونجا منهم عمارة، فكان هو الذى أخبر محمد ابن على بذلك.

وفى سنة ۱۱۳ ه. صار جماعة من دعاة بنى العباس إلى خراسان، فأخذ الجنيد بن عبد الرحمان رجلا منهم، فقتله، وقال ": من أصيب منهم فدمه هدر."

وفى سنة ۱۱۷ ه. أخذ عامل خراسان أسد بن عبد الله وجوه دعاة بنى العباس، وفيهم النقباء، ومنهم سليمان بن كثير، فقتل بعضهم، ومثل ببعضهم، وحبس آخرين.

وفى سنة ۱۱۸ وجه بكير بن ماهان عمار بن يزيد – وهو خداش – واليا على شيعة بنى العباس، فنزل مروا، ودعا إلى محمد بن على، ثم غلا..

وفى سنة ۱۲۰ ه. وجهت شيعة بنى العباس سليمان بن كثير إلى محمد بن على فى أمر خداش.

وفى سنة ۱۲۴ ه. قدم جماعة من شيعة بنى العباس الكوفة يريدون مكة. وفيها أيضا اشترى بكير بن ماهان أبا مسلم.

راجع فى ذلك كله:

تاريخ الطبرى مطبعة الاستقامة ج ۵ ص: ۳۱۶، ۳۵۸، ۳۶۸، ۳۸۷، ۳۸۹، ۴۲۵، ۴۳۹، ۴۴۰، ۴۶۷، ۵۱۲، وغير ذلك من كتب التاريخ. (۳۱) صفحهمفاتيح البحث: الغلّ (۱)، دولة العراق (۲)، مدينة مكة المكرمة (۱)، مدينة الكوفة (۱)، بنو عباس (۵)، على بن عبد الله (۱)، كتاب تاريخ الطبرى (۱)، بنو هاشم (۱)، عمار بن يزيد (۱)، عبد الرحمان (۱)، محمد بن على (۶)، خراسان (۸)، الصدق (۲)، القتل (۱)، الموت (۱)، الوفاة (۱)

وأمرهم – أعنى الدعاة بالتحاشى عن الفاطميين، لكنه ظل هو شخصيا، ومن معه من العباسيين، الذين استنوا بسنته، وساروا من بعده بسيرته – ظلوا – يتظاهرون للعلويين بأنهم معهم، وأن دعوتهم لهم، ولم يكن إلا القليلون يعرفون بأنه: كان يدبر الأمر للعباسيين.

وقد أعطى دعاته شعارات مبهمة، لا تعين أحدا، وصالحة للانطباق على كل فريق، كشعار ": الرضا من آل محمد " و " أهل البيت." ونحو ذلك.

* * * مدى سرية الدعوة:

والظاهر. أن عبد الله بن معاوية كان من جملة أولئك المخدوعين بهذه الشعارات، إذ قد ذكر المؤرخون، ومنهم أبو الفرج فى مقاتل الطالبيين ص ۱۶۸، وغيره: أنه بعد أن استظهر ابن ضبارة على عبد الله ابن معاوية توجه عبد الله إلى خراسان، وكان أبو مسلم قد ظهر بها، فخرج إلى أبى مسلم طمعا فى نصرته! فأخذه أبو مسلم، فحبسه، ثم قتله.. (۳۲) صفحهمفاتيح البحث: خراسان (۱)، الفرج (۱)

وهذا يدل دلالة واضحة على أن عبد الله بن معاوية كان يظن أن أبا مسلم سوف ينصره، وأنه – يعنى أبا مسلم – كان يدعو إلى أهل

البيت، والرضا من آل محمد على الحقيقة، ولم يخطر فى باله: أن الدعوة كانت للعباسيين، وبتدبير من أعظم داهية فيهم!!..
بل لعلنا نستطيع أن نقول: إن محمد بن على قد استطاع أن يخفى هذا الأمر حتى عن ولديه: السفاح، والمنصور، ولذا نراهما قد التحقا مع جميع بنى هاشم العباسيين والعلويين على حد سواء، وبعض الأمويين (١) ووجوه قريش بعبد الله بن معاوية الخارج سنة ١٢٧ ه. فى الكوفة، ثم فى شيراز، حيث تغلب على: فارس، وكورها، وعلى حلوان، وقومس، وإصبهان، والرى وعلى مياه الكوفة، وعلى مياه البصرة، وعلى همدان، وقم، وإصطخر، وعظم أمره جدا (٢).
وقد تولى المنصور من قبل عبد الله بن معاوية هذا على " إيذج (" ٣) كما تولى غيره غير ذلك من الأمصار. فقبول المنصور لولاية " إيذج " من قبله، باعتباره من الهاشميين يكشف عن أنه لم يكن يعلم: أن والده كان ابتداءا من سنة مئة، أى قبل خروج عبد الله بن معاوية ب " ٢٨ " سنة يسعى جاهدا، ويشقى ويتعب فى تدبير الأمر للعباسيين، وتركيز الدعوة لهم.. وإنما كان يعلم أن الدعوة كانت لأهل البيت، والرضا من (١) الأغانى ج ١١ ص ٧۴، ومقاتل الطالبيين ص ١۶٧، والوزراء والكتاب ص ٩٨.
(٢) راجع أنساب الأشراف ص ۶٣، والأغانى ج ١١ ص ٧۴، ومقاتل الطالبيين ص ١۶٧، والبداية والنهاية ج ١٠ ص ٢۵، ٢۶، و ص ٣، وعمدة الطالب، وزاد فى تاريخ الجنس العربى: المدائن، ونيسابور.
(٢) أنساب الأشراف للبلاذرى ص ۶٣، وعمدة الطالب فى أنساب آل أبى طالب طبع بمبئى ص ٢٢، والوزراء والكتاب ص ٩٨ و ٩٩، وفرج المهموم فى تاريخ علماء النجوم ص ٢١٠، وفيه: أن سليمان بن حبيب بن المهلب أخذه، فحبسه، وأراد قتله، فسلم المنصور منه بعد أن أشرف على القتل.. وليراجع الجهشيارى أيضا. (٣٣) صفحهمفاتيح البحث: الدولة الأموية (١)، مدينة الكوفة (٢)، مدينة البصرة (١)، بنو هاشم (١)، محمد بن على (١)، الظنّ (١)، كتاب انساب الأشراف للبلاذرى (٢)، كتاب البداية والنهاية (١)، القتل (٣)
آل محمد - المنطبق - بالطبع - على العلويين أكثر من غيرهم على الاطلاق.
وإلا فلو كان لمحمد بن على دعوة واضحة، ومشهورة، ومتميزة، وكان المنصور يعلم بها لكان توليه لايذج من قبل عبد الله بن معاوية مضرا جدا فى دعوة أبيه، وضربة قاضية لها.
اللهم إلا أن يكون ثمة غرض آخر أهم، فيكون ذلك منهم حنكة ودهاء - كأن يكون نظرهم إلى أنه: لو نجحت دعوتهم، فبها.
وإلا.. فلو نجحت دعوة عبد الله بن معاوية، فباستطاعتهم أن يحتفظوا فيها بمراكزهم، ونفوذهم، إذ لهم أن يقولوا: إننا كنا من المعاونين والمساهمين فى هذه الدعوة.. كما أن بذلك تنصرف أنظار الحكام عنهم، ويأمن العلويون جانبهم، فلا يناهضون دعوتهم ولا يقفون فى وجهها.
وبهذه الأسباب نستطيع أن نفسر بيعة العباسيين جميعا، أكثر من مرة لمحمد بن عبد الله العلوى، وبه أيضا نفسر جواب المنصور لسائله عن محمد بن عبد الله هذا، حيث قال ": هذا محمد بن عبد الله بن الحسن ابن الحسن، مهدينا أهل البيت " ويأخذ بركابه. ويسوى عليه ثيابه (١).
وأيضا قوله فى مجلس البيعة لمحمد هذا ": ما الناس أصور أعناقا، ولا أسرع إجابة منهم لهذا الفتى ". كما سيأتى.
ومما يوضح أيضا مدى تكتم العباسيين بأمر دعوتهم، أن: إبراهيم الإمام قد بشر بأنه قد أخذت له البيعة بخراسان - وهو فى نفس الاجتماع الذى كان قد عقد ليجددوا فيه البيعة لمحمد بن عبد الله بن الحسن. وسيأتى المزيد من الشواهد لهذا أيضا إن شاء الله تعالى.
وهكذا. فإن النتيجة تكون هى: أن العباسيين ظلوا يتسترون (١) مقاتل الطالبيين ص ٢٣٩، ٢۴٠. (٣۴) صفحهمفاتيح البحث: عبد الله بن الحسن (ع) (١)، عبد الله العلوى (١)، محمد بن عبد الله (٢)، محمد بن على (١)، خراسان (١)، كتاب مقاتل الطالبيين لأبو الفرج الأصفهانى (١)
بالعلويين، ويخدعونهم، على اعتبار أنهم لو نجحوا فى دعوتهم السرية، فإن بيعتهم للعلويين، ودعوتهم، لهم لا تضرهم، وإذ ما فشلوا فإنهم سوف يحتفظون بنفوذهم ومراكزهم فى دولة أبناء عمهم.

هـذا مجمل الكلام بالنسبـة للـدعوة العباسـية، ولكن طبيعـة البحث تفرض علينا التوسع فى بيان المراحل التى مرت بها هذه الدعوة، ولا سيما فيما يتعلق بربطها بأهل البيت عليهم السلام، والعلويين، ومدى اعتمادهم على هذا الربط. فنقول:

لا بد من ربط الثورة بأهل البيت.

إن كان لا بد للعباسيين من ربط الثورة والدعوة بأهل البيت عليهم السلام، حيث إنهم كانوا بحاجة إلى:

أولا: صرف أنظار الحكام عنهم.

ثانيا: كسب ثقة الناس بهم، والحصول على تأييدهم لهم.

ثالثـا: أن لاـ تقابـل دعوتهم بالاسـتغراب، والاسـتهجان، حيث إنهم لم يكونوا معروفين فى أقطـار، وأنحـاء الدولـة الإسـلامية المـترامية الأطـراف، ولاـ كان يعرف أحـد لهم حقا فى الـدعوة لأنفسـهم، كما هو الحال بالنسـبة إلى العلويين، مما يجعل الـدعوة لهم مع وجود العلويين مستغربة ومستهجنة إلى حد ما.

رابعا: – وهو أهم ما فى الأمر – أن يطمئن إليهم العلويون، ويثقوا بهم. حتى لا تكون لهم دعوة فى مقابل دعوتهم، لأن ذلك بلا شك سوف يضعفهم، ويوهن قوتهم، لما يتمتع به العلويون من نفوذ ومكانة فى نفوس الناس بشكل عام.

ولهـذا نرى أبا سـلمة الخلال، يعتذر لأبى العباس السـفاح، عن كتابته (۳۵) صـفحهمفاتيح البحث: أهل بيت النبى صـلى الله عليه وآله (۱)، الكسب (۱)

للإمام الصادق عليه السلام، بأن يجعل الدعوة باسمه، ويبايعه – يعتذر – بأنه ": كان يدبر استقامة الأمر (۱.")

نعم. لقـد كـان لربطهم الثورة بأهـل البيت عليهم السـلام أثر كبير فى نجـاح ثورتهم، وظهور دعوتهم. وقـد أكسـبها ذلـك قوة ومنعـة، وجعلها فى منأى ومأمن من طمع الطامعين، وتطلع المتطلعين، الذين كانوا يرجون لأنفسهم حظا من الحياة الدنيا، وما أكثرهم.

كمـا وأن ذلك قـد أثر أثرا بالغا فى اكتسابهم عطف الأمـة، وتأييـدها، وخصوصا الخراسانيين، الـذين كانوا لا يزالون يعيشون الإسـلام بعيـدا عن أهواء المبتـدعين، وتلاعب المتلاعبين، والـذين ": وإن كانوا أقل غلوا (أى من أهل الكوفة)، فقد كانوا أكثر حماسة للدعوة لأهل البيت (" ۲)، وذلك لأنهم لم يعاملوا معاملـة حسـنة فى الواقع، ولم يسـر فيهم بسـيرة محمـد والقرآن إلا على بن أبى طالب عليه السلام (۳).

كما أنهم لم ينسوا بعـد ما لاقوه فى الدولـة الأمويـة من العسف والتنكيل، ولـذا فمن الطبيعى أن نراهم مسـتعدين لتقبل أية دعوة لأهل البيت عليهم السـلام، والتفاعـل معهـا، بـل والتفـانى فى سبيلهـا. كمـا أن بلـدهم كان بعيـدا من مركز الخلافـة بالشام ولم يكن فيه فرق وأحزاب متناحرة كالعراق الذى كان فيه شـيعة وخوارج ومرجئة وغير ذلك، وكانت وطأة الحكم العباسـى على العراق ومراقبتهم لكل حركة فيه أشد منها فى خراسان.

وبالفعل لقـد شـيد الخراسانيون، الـذين كانوا يحبون أهل البيت عليهم السـلام أركان دولة بنى العباس، وقامت خلافتهم على أكتافهم، واستقامت (۱) تاريخ اليعقوبى ج ۳ ص ۸۷.

(۲) السيادة العربية، والشيعة، والإسرائيليات ص ۱۰۶.

(۳) نفس المصدر ص ۳۹. (۳۶) صفحهمفاتيح البحث: أهل بيت النبى صلى الله عليه وآله (۲)، الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام (۱)، الإمـام أمير المؤمنين على بن ابى طـالب عليهما السـلام (۱)، الدولـة الأموية (۱)، دولة العراق (۲)، مدينة الكوفة (۱)، بنو عباس (۱)، القرآن الكريم (۱)، خراسان (۱)، الشام (۱)، الخوارج (۱)

لهم الأمور بفضل سواعـدهم، وأسـيافهم، وسـيأتى إن شاء الله المزيد من الكلام عن الإيرانيين، وعن سـر تشـيعهم، وخاصة الخراسانيين منهم فى فصل: ظروف المأمون الخ. وغيره من الفصول.

المراحل التى مرت بها عملية الربط:

ولقد مرت عملية الربط هذه بثلاث مراحل أو أربع، طبقا للظروف التى كانت قائمة آنذاك. وإن كانت هذه المراحل قد تبدو متداخلة.

وغير مميزة فى أحيان كثيرة (۱). إلاـ أن ذلك كان تبعا للظروف المكانية، والزمانية، والاجتماعية، التى كانت تتفاوت وتختلف باستمرار إلى حد كبير.. وهذه المراحل هى:

الأولى: دعوتهم فى بادئ الأمر " للعلويين " الثانية: دعوتهم إلى ": أهل البيت، " و " العترة."

الثالثة: دعوتهم إلى " الرضا من آل محمد."

الرابعة: ادعاؤهم الخلافة بالإرث، مع حرصهم على ربط الثورة بأهل البيت، بدعوى: أنهم إنما خرجوا للأخذ بثارات العلويين.

وليرفعوا عنهم الظلم الذى حاق بهم.

المرحلة الأولى:

وإذ قد عرفنا أن الدعوة كانت فى بدء أمرها للعلويين، فلا يجب (۱) قال فى العيون والحدائق ص ۱۸۰ ": وكان قد انتشر فى خراسان دعاة من الشيعة، وقد انقسموا قسمين: قسم منهم يدعو إلى آل محمد على الاطلاق، والقسم الثانى يدعو إلى أبى هاشم بن محمد بن الحنفية، وكان المتولى لهذه الدعوة إلى آل رسول الله صلى الله عليه وآله ابن كثير، وكان الدعاة يرجعون فى الرأى والفقه إلى أبى سلمة الخ. (".. ۳۷) صفحهمفاتيح البحث: الظلم (۱)، أهل بيت النبى صلى الله عليه وآله (۱)، محمد بن الحنفية إبن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام (۱)، خراسان (۱)

أن نستغرب كثيرا، إذا قيل لنا: إن جلة العباسيين، حتى إبراهيم الإمام، والسفاح، والمنصور كانوا قد بايعوا للعلويين أكثر من مرة، وفى أكثر من مناسبة، فإن ذلك ما كان إلا ضمن خطة مرسومة، وضعت بعناية فائقة، بعد دراسة معمقة لظروفهم مع العلويين خاصة، ومع الناس بشكل عام.

ويمكن أن نعتبر بيعتهم هذه هى المرحلة الأولى من تلك المراحل المشار إليها آنفا.

فنراهم عدا تعاونهم الواضح مع عبد الله بن معاوية، قد بايعوا محمد ابن عبد الله بن الحسن أكثر من مرة أيضا، فقد:

"اجتمع آل عباس، وآل على عليه السلام بالأبواء، على طريق مكة، وهناك قال صالح بن على ": إنكم القوم الذين تمتد إليهم أعين الناس، فقد جمعكم الله فى هذا الموضع، فاجتمعوا على بيعة أحدكم، فتفرقوا فى الآفاق، فادعوا الله، لعل أن يفتح عليكم، وينصركم،" فقال أبو جعفر، أى المنصور ": لأى شئ تخدعون أنفسكم؟ والله، لقد علمتم: ما الناس أصور (أى أميل) أعناقا، ولا أسرع إجابة منهم إلى هذا الفتى، " يريد محمد بن عبد الله العلوى.

قالوا ": قد والله صدقت، إنا لنعلم هذا، " فبايعوا جميعا محمدا، وبايعه إبراهيم الإمام، والسفاح، والمنصور، وصالح بن على، وسائر من حضر " طبعا ما عدا الإمام الصادق عليه السلام.".

وخرج دعاة بنى هاشم عند مقتل الوليد بن يزيد، فكان أول ما يظهرونه فضل على بن أبى طالب وولده، وما لحقهم من القتل، والخوف، والتشريد، فإذا استتب لهم الأمر ادعى كل فريق الوصية إلى من يدعو إليه.

ولم يجتمعوا (أى المتبايعون الآنف ذكرهم) إلى أيام مروان بن (۳۸) صفحهمفاتيح البحث: الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام (۱)، الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (۱)، عبد الله بن الحسن (ع) (۱)، مدينة مكة المكرمة (۱)، على بن أبى طالب (۱)، عبد الله العلوى (۱)، بنو هاشم (۱)، صالح بن على (۲)، القتل (۲)، الوصية (۱)

محمد، ثم اجتمعوا يتشاورون، إذ جاء رجل إلى إبراهيم الإمام، فشاوره بشئ، فقام وتبعه العباسيون، فسأل العلويون عن ذلك، فإذا الرجل قد قال لإبراهيم ": قد أخذت لك البيعة بخراسان، واجتمعت لك الجيوش.".

بل لقد بايع المنصور محمد بن عبد الله العلوى مرتين: إحداهما:

بالأبواء على طريق مكة. والأخرى: بالمدينة. وبايعه مرة ثالثة أيضا:

فى نفس مكة، وفى المسجد الحرام بالذات.

ومن هنا نعرف السبب فى حرص السفاح والمنصور على الظفر بمحمد ابن عبد الله العلوى، فإن ذلك لم يكن إلا بسبب ما كان له فى أعناقهما من البيعة (١). (١) قد اقتبسنا هذه النصوص كلها من كثير من المراجع، وخصوصا: مقاتل الطالبيين، لأبى الفرج الأصفهانى، صاحب الأغانى ص ٢٣٣، ٢٣۴. ٢۵۶، ٢۵٧، ٢٩۵، وغيرها. وعلى كل فإن كون الدعوة العباسية كانت فى بدء أمرها باسم العلويين، يبدو مما لا شك فيه، ومما اتفقت عليه كلمات المؤرخين، والنصوص التاريخية، التى سوف نشير إلى شطر منها فى هذا الفصل..

ولا بأس أن يراجع بالإضافة إلى مقاتل الطالبيين فى الصفحات المشار إليها: النصوص التى وردت فى: النزاع والتخاصم للمقريزى ص ۵٠، وتاريخ ابن خلدون ج ۴ ص ٣، و ج ٣، ص ١٨٧، والفخرى فى الآداب السلطانية ص ١۶۴، ١۶۵، وتاريخ التمدن الإسلامى ج ۴ ص ٣٩٧، ٣٩٨، والبحار ج ۴٧ ص ١٢٠ و ص ٢٧٧، وعمدة الطالب، طبع بيروت ص ٨۴، والخرائج والجرائح ص ٢۴۴، وجعفر ابن محمد، لعبد العزيز سيد الأهل ص ١١۵، فما بعدها، وغاية الاختصار ص ٢٢، وإعلام الورى ص ٢٧١، ٢٧٢، وإرشاد المفيد ص ٢٩۴، ٢٩۶، وكشف الغمة ج ٢ ص ٣٨٣، ٣٨۴، وابن أعثم الكوفى فى كتابه: الفتوح على ما نقله فى طبيعة الدعوة العباسية. وأشار الطبرى إلى ذلك فى تاريخه ج ١٠ ص ١۴٣، فقال:

قد ذكروا أن محمدا كان يذكر أبا جعفر ممن بايعه ليلة تشاور بنو هاشم بمكة فيمن يعقدون له الخلافة، حين اضطرب أمر بنى مروان.. وأشار إلى ذلك أيضا ابن الأثير ج ۴ ص ٢٧٠، ويراجع أيضا شرح ميمية أبى فراس ص ١١۴، و ص ١٠۴.

١٠۵، وغير هؤلاء كثير. (٣٩) صفحهمفاتيح البحث: مدينة مكة المكرمة (٣)، عبد الله العلوى (٢)، مسجد الحرام (١)، خراسان (١)، السب (١)، أهل بيت النبى صلى الله عليه وآله (١)، كتاب الإرشاد للشيخ المفيد (١)، كتاب الخرائج والجرائح للقطب الراوندى (١)، كتاب الفتوح لأحمد بن أعثم الكوفى (١)، كتاب إعلام الورى بأعلام الهدى (١)، كتاب مقاتل الطالبيين لأبو الفرج الأصفهانى (٢)، أبو الفرج الإصبهانى (الإصفهانى) (١)، كتاب كشف الغمة للإربلى (١)، مدينة بيروت (١)، إبن الأثير (١)، بنو هاشم (١)، عبد العزيز (١)

وقد ذكر أبو فراس الحمدانى هذه البيعة فى قصيدته المشهورة، المعروفة ب " الشافية " فقال:

بئس الجزاء جزيتم فى بنى حسن * أباهم العلم الهادى وأمهم لا- بيعة ردعتكم عن دمائهم * ولا يمين، ولا قربى، ولا ذمم وذكر ابن الأثير: أن عثمان بن محمد، بن خالد بن الزبير، هرب بعد مقتل محمد إلى البصرة، فأخذ وأتى به إلى المنصور، فقال له المنصور: يا عثمان، أنت الخارج على مع محمد؟!. قال له عثمان:

بايعته أنا وأنت بمكة، فوفيت ببيعتى، وغدرت ببيعتك. فشتمه المنصور، فأجابه، فأمر به فقتل (١).

وذكر البيهقى: أنه لما حمل رأس محمد بن عبد الله بن الحسن إلى المنصور، من مدينة الرسول، صلى الله عليه وآله وسلم، قال لمطير بن عبد الله ": أما تشهد أن محمدا بايعنى "؟. قال ": أشهد بالله، لقد أخبرتنى أن محمدا خير بنى هاشم، وأنك بايعت له ". قال: يا ابن الزانية الخ:

وكانت النتيجة: أن المنصور أمر به، فوتد فى عينيه، فما نطق!. (٢) إلى آخر ما هنالك من النصوص الكثيرة، التى يتضح معها بما لا مجال معه للشك: أن الدعوة كانت فى بدء أمرها لخصوص العلويين، وباسمهم، ثم استغلت بعد ذلك لمصلحة العباسيين.

المرحلة الثانية.

ثم رأينا بعد ذلك: كيف أن الدعوة العباسية تستبعد العلويين. (١) الكامل لابن الأثير ج ۵ ص ١٢.

(٢) المحاسن والمساوى للبيهقى ص ۴٨٢. (۴٠) صفحهمفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، عبد الله بن الحسن (ع) (١)، مدينة مكة المكرمة (١)، ابو فراس الحمدانى (١)، إبن الأثير (١)، مدينة البصرة (١)، بنو هاشم (١)، محمد بن

خالد (۱)، القتل (۲)، الشهادة (۱)، كتاب الكامل لإبن الأثير (۱)

وتتحاشى التصريح باسمهم، بطريقة فيها الكثير من الدهاء، والسياسة، حيث اقتصروا في دعوتهم - بعد ذلك - على أنها ل " أهل البيت، " و " العترة " وهذه هي المرحلة الثانية من المراحل الأربع التي أشرنا إليها.

وكان الناس لا يفهمون من كلمة ": أهل البيت " إلا العلويين، لانصراف الأذهان إليهم عند إطلاق هذه العبارة، وذلك بسبب الآيات والروايات الكثيرة، التي استخدمت هذا التعبير للدلالة عليهم، دون غيرهم.

فهذا أبو داود يقول للنقباء.. ": أفتظنونه - أي النبي صلى الله عليه وآله - خلفه - أي العلم - عند غير عترته، وأهل بيته، الأقرب، فالأقرب؟!.

إلى أن قال: أفتشكون أنهم معدن العلم، وأصحاب ميراث رسول الله صلى الله عليه وآله؟!. (۱ ") وهذا أبو مسلم الخراساني القائم بالدولة العباسية، يكتب إلى الإمام الصادق صلى الله عليه وآله وسلم، ويقول ": إني دعوت الناس إلى موالاة أهل البيت، فإن رغبت فيه، فأنا أبايعك."؟.

فأجابه الإمام صلى الله عليه وآله وسلم. ": ما أنت من رجالي، ولا الزمان زماني، " ثم جاء أبو مسلم، وبايع السفاح، وقلده الخلافة (۲).

وقال السيد أمير علي بعد أن ذكر ادعاء العباسيين للوصاية من أبي هاشم. ": وقد لاقت هذه القصة بعض القبول في بعض المناطق الإسلامية. أما عند عامة المسلمين، الذين كانوا يتعلقون بأحفاد محمد، (۱) الطبري، طبع ليدن ج ۹ ص ۱۹۶۱.

(۲) الملل والنحل للشهرستاني، طبع مؤسسة الحلبي في القاهرة ج ۱ ص ۱۵۴، وطبع العنانية ص ۸۷ وينابيع المودة للحنفي ص ۳۸۱، نقلا عن: فصل الخطاب، لمحمد بارسا البخاري. (۴۱) صفحهمفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (۱)، الدولة العباسية (العباسيون) (۱)، الوراثة، التراث، الإرث (۱)، كتاب فصل الخطاب لسليمان أخ محمد بن عبد الوهاب (۱)، كتاب ينابيع المودة (۱)

فقد ظل دعاة العباسيين يؤكدون لهم أنهم يعملون لحساب: أهل البيت، وحتى ذلك الوقت كان العباسيون يظهرون الولاء التام لبني فاطمة، ويخلعون على حركتهم، وعلى سياساتهم مظهر الوصول إلى هدف ضمان العدالة، والحق لأحفاد محمد. وكان ممثلوا أهل البيت، ومحبوهم، ولا يخامرهم الشك في الغدر، الذي تبطنه هذه الاعترافات من العباسيين، فشملوا محمد بن علي، وجماعته بعطفهم وحمايتهم، الذين كانوا في حاجة إليهما (". ۱).

ويقول. ": وكانت كلمة ": أهل البيت " هي السحر الذي يؤلف بين قلوب مختلف طبقات الشعب، ويجمعهم حول الراية السوداء". (۲).

المرحلة الثالثة:

ثم تأتي المرحلة الثالثة، ويتقلص ظل العلويين، وأهل البيت عن هذه الدعوة، أكثر فأكثر، كلما ازدادت قوتها، واتسع نفوذها، حيث رأينا أخيرا إنها اتسعت بحيث تستطيع أن تشمل العباسيين أيضا مع العلويين.

حيث أصبحت إلى ": الرضا من آل محمد، " وإن كانوا لا يزالون يذكرون فضل علي، وما لحق ولده من القتل والتشريد، كما يتضح بأدنى مراجعة لكتب التاريخ.

وهذه العبارة، وإن كانت لا تختلف كثيرا عن عبارة ": العترة، وأهل البيت، " ونحوها. إلا أنها كانت في أذهان العامة أبعد من أن يراد بها العلويون على الخصوص. ولكن مع ذلك بقيت الجماهير (۱) روح الإسلام ص ۳۰۶ و ۳۰۸. ولا بأس بمراجعة ما ورد في كتاب الإمام الصادق والمذاهب الأربعة ج ۱ جزء ۲ ص ۵۳۲. والسيادة العربية والشيعة والإسرائيليات ص ۹۴. وإمبراطورية العرب ص ۴۰۶، وطبيعة الدعوة العباسية، وغير ذلك.

(۲) تقدم تحت رقم ۱. (۴۲) صفحهمفاتيح البحث: محمد بن علي (۱)، القتل (۱)، الصدق (۱)

تعتقـد أن الخليفة سيكون علويا، كما كان العلويون يعتقدون ذلك (".. ۱) على حـد تعبير أحمد شـلبی. وإذا صح هذا، وفرض - ولو بعيدا - أن شعار: الرضا من آل محمد لا يختلف عن شعار: العترة، وأهل البيت فی أذهان عامة الناس، فلسنا نصر علی جعل هذا مرحلة مستقلة، بل يكون داخلا فيما سبقه، وتكون المراحل حينئذ ثلاثة، لا أربعة.

ملاحظات لا بد منها فی المرحلة الثالثة:

وقبل الانتقال إلی الكلام علی المرحلة الرابعة، والأخيرة، لا بد من ملاحظة أمور:

أ: إنهم فی نفس الوقت الذی نراهم فيه يبعدون الدعوة عن أهل البيت، كما يدلنا عليه قول محمد بن علی العباسی لبكير بن ماهان:

"وحذر شـيعتنا التحرك فی شئ مما تتحرك فيه بنو عمنا آل أبی طالب، فإن خارجهم مقتول، وقايمهم مخذول، وليس لهم من الأمر نصيب " وسنأخذ بثأرهم (".. ۲).

وكما يدلنا عليه ما رواه الطبری من أن محمد بن علی نهی دعاته عن رجل اسمه: غالب، لأنه كان مفرطا فی حب بنی فاطمة (۳).

نراهم من جهة ثانية: وحتی لا يصطدموا بالعلويين وجها لوجه.

كانوا فی جميع مراحل دعوتهم يتكتمون جـدا باسم الخليفـة، الذی يدعون الناس إليه، وإلی بيعته، بل إن الشـخص الذی كانوا يدعون

(۱) التاريخ الإسلامی والحضارة الإسلامية لأحمد شلبی ج ۳ ص ۲۰.

(۲) طبيعة الدعوة العباسية ۱۵۲، نقلا عن: مخطوطة العباسی ص ۹۳ أ، ۹۳ ب.

(۳) راجع: تاريخ الجنس العربی ج ۸ ص ۴۱۱. (۴۳) صفحهمفاتيح البحث: محمد بن علی (۲)

النـاس إليه، وإلی بيعته.. بـل وكـان الناس يبايعونه ما كانوا يعرفونه، بل يعرفه الـدعاة فقط، وعلی الناس أن يبايعوا إلی " الرضا من آل محمد " ولا بأس بمراجعة نص البيعة فی تاريخ التمدن الإسلامی، المجلد الأول، الجزء الأول ص ۱۲۵.

ولعل هدفهم من ذلك كان أيضا: هو أن لا يربطوا الدعوة بفرد معين، حتی لا تضعف إذا ما مات، أو اغتيل..

وعلی كل فقد نص ابن الأثير فی الكامل ج ۴ ص ۳۱۰، حوادث سنة ۱۳۰ علی أن أبا مسلم كان يأخذ البيعة إلی الرضا من آل محمد.

ومثل ذلك كثير فی كلمات المؤرخين، وإليك بعض النصوص التاريخية، التی تدل علی ذلك:.

ففی الكامل، ج ۴ ص ۳۲۳ نص علی أن محمـد بن علی بعث داعيا إلی خراسان يدعو إلی " الرضا من آل محمد " ولا يسـمی أحدا، ولعل الذی أرسله هو أبو عكرمة الآتی ذكره.

وقد قال محمد بن علی العباسی لأبی عكرمة ": فلتكن دعوتك إلی ": الرضا من آل محمد، " فإذا وثقت بالرجل، فی عقله، وبصيرته، فاشرح له أمركم.

وليكن اسمی مستورا من كل أحد، إلا عن رجل عدلك فی نفسك، وتوثقت منه، وأخذت بيعته.".

ثم أمره بالتحاشی عن الفاطميين (۱).

ويقول أحمد شلبی. ": كانوا (أی العباسيون) يوهمون العلويين بأنهم يعملون لهم. ولكنهم فی الواقع كانوا يعملون لأنفسهم (" ۲). (۱) طبيعة الدعوة العباسية ص ۱۵۵، نقلا عن: CID. OP ص ۹۵ أ / ۹۵ ب.

(۲) التاريخ الإسلامی والحضارة الإسلامية ج ۳ ص ۲۰. (۴۴) صفحهمفاتيح البحث: إبن الأثير (۱)، محمد بن علی (۲)، خراسان (۱)، الموت (۱)، الهدف (۱)

ويقول أحمـد أمين. ": ومع هـذا فكـان من إحكـام أمرهم أنهم لم يكونوا يصـرحون عنـد دعوتهم فی كثير من المواقف بـاسم الإمام، ليتجنبوا انشقاق الهاشميين بعضهم علی بعض (". ۱).

ولو كان الخليفة معينا ومعروفا عند الناس، لما اسـتطاع أبو مسلم، وأبو سلمة، وسليمان الخزاعی، أن يكاتبوا الإمام الصادق عليه السلام، وغيره من العلويين، أنهم يبايعونهم، ويجعلون الدعوة لهم. وباسمهم.

وقد تقدمت رسالة أبى مسلم للإمام الصادق عليه السلام، التى يصرح فيها بأنه، إنما دعا الناس إلى موالاة أهل البيت فقط، أى من دون تصريح باسم أحد.

وقد قال أحدهم: كنت عند أبى عبد الله عليه السلام، فأتاه كتاب أبى مسلم، فقال ": ليس لكتابك جواب. أخرج عنا (" ٢).

وقال السيد أمير على عن أبى مسلم ": وقد ظل إلى هذا الوقت مواليا، بل مخلصا، بل متحمسا لأبناء على (٣.")

وقال صاحب قاموس الأعلام ": وعرض أبو مسلم الخراسانى الخلافة ابتداءا على الإمام الصادق، فلم يقبلها (٤. (") ١) ضحى الإسلام ج ٣ ص ٣٨٠، ٣٨١.

(٢) روضة الكافى ص ٢٧٤، والبحار ج ٤٧ ص ٢٩٧.

(٣) روح الإسلام ص ٣٠٦.

(٤) راجع المجلد الأول، الجزء الأول من كتاب: الإمام الصادق والمذاهب الأربعة ص ٥٧، نقلا عن: قاموس الأعلام ج ٣ ص ١٨٢١ طبع استانبول تأليف:

ش. سامى.

ورغم أن أبا مسلم قد قضى على عدة ثورات قامت باسم العلويين، على ما فى كتاب:

طبيعة الدعوة العباسية ص ٢٥١، ٢٥٣، فإننا نعتقد أن رسائله هذه، ورسائله التى أرسلها إلى المنصور يظهر فيها الندم على أنه زوى الأمر عن أهله، ووضعه فى غير محله. هى السر، والسبب الحقيقى الكامن وراء قتله، مع أنه مؤسس الدولة العباسية (ومن سل سيف البغى قتل به)، ومشيد أركانها. وقد استظهر ذلك أيضا المستشرق العلامة (بلوشيه) على ما فى كتاب طبيعة الدعوة العباسية ص ٢٥١، وأشار إليه أيضا السيد أمير على فى كتابه: روح الإسلام ص ٣١١. (٤٥) صفحهمفاتيح البحث: الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام (٢)، الصدق (٢)، الدولة العباسية (العباسيون) (١)، القتل (٢)

وأما أبو سلمة: فإنه عندما خاف من انتقاض الأمر عليه، بسبب موت إبراهيم الإمام، أرسل - والسفاح فى بيته - إلى الإمام الصادق عليه السلام يطلب منه القدوم عليه ليبايعه، وتكون الدعوة باسمه، كما أنه كتب بمثل ذلك إلى عبد الله بن الحسن. لكن الإمام عليه السلام، الذى كان فى منتهى اليقظة والحزم. رفض الطلب، وأحرق الكتاب، وطرد الرسول (١).

وقد نظم أبو هريرة الأبار، صاحب الإمام الصادق عليه السلام هذه الحادثة شعرا، فقال:

ولما دعا الداعون مولاى لم يكن * ليثنى إليه عزمه بصواب ولما دعوه بالكتاب أجابهم * بحرق الكتاب دون رد جواب (١) مروج الذهب ج ٣ ص ٢٥٣، ٢٥٤، وينابيع المودة ص ٣٨١، وتاريخ اليعقوبى ج ٣ ص ٨٦، والوزراء والكتاب ص ٨٦، وهامش ص ٤٢١ من إمبراطورية العرب، والفخرى فى الآداب السلطانية ص ١٥٤، ١٥٥ وروح الإسلام ص ٣٠٨، وعمدة الطالب، طبع بيروت ص ٨٢، ٨٣، والكامل لابن الأثير.

ونقله فى المناقب لابن شهرآشوب ج ٤ ص ٢٢٩، والبحار ج ٤٧، ص ١٣٢ عن ابن كادش العكبرى فى: مقاتل العصابة. لكنهما (أعنى المناقب والبحار) ذكرا أن الذى كتب للإمام هو أبو مسلم.. وفى المناقب ج ٤ آخر ص ٢٢٩، والبحار ج ٤٧ ص ١٣٣ نقلا عن رامش الأفزارى أن الذى كتب إلى الإمام هو أبو مسلم الخلال!!.

وواضح أن هذا هو السبب الحقيقى لقتل أبى سلمة، وقد صرح بذلك جمع من المؤرخين والباحثين. (٤٦) صفحهمفاتيح البحث: الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام (١)، عبد الله بن الحسن (ع) (١)، أبو هريرة العجلى (١)، الخوف (١)، الرفض (١)، كتاب الكامل لإبن الأثير (١)، كتاب مروج الذهب للمسعودى (١)، كتاب ينابيع المودة (١)، مدينة بيروت (١)، ابن شهرآشوب (١)، القتل (٢)، السب (١)

وما كان مولاى كمشرى ضلالة * ولا ملبسا منها الردى بثواب ولكنه لله فى الأرض حجة * دليل إلى خير، وحسن مآب (١) وكتب

إلیه أبو سلمة أیضا مرة ثانیة، عندما أقبلت الرایات ": إن سبعین ألف مقاتل وصل إلینا، فانظر أمرک. " فأجابه الإمام بالرفض أیضا (۲).

وأما سلیمان الخزاعی: المدبر الحقیقی للثورة فی خراسان، فإنه اتصل بعبد الله بن الحسین الأعرج، وهما یسایران أبا جعفر المنصور فی خراسان، عندما أرسله السفاح إلیها، قال سلیمان لعبد الله ": إنا کنا نرجو أن یتم أمرکم، فإذا شئتم فادعونا إلی ما تریدون، "!! فعلم أبو مسلم بالأمر، فقتل سلیمان هذا (۲).

بل إن هذا إن دل علی شئ فإنما یدل علی أن کثیرا من الدعاة ما کانوا یعرفون: أن الخلیفة سیکون عباسیا، فضلا عن أن یکونوا یعرفونه باسمه الصریح.

قال الدکتور فاروق عمر ": علی أننا نستطیع القول: إن اسم الإمام کان معروفا لدی الحلقات الخاصة من الشیعة الهاشمیة، أو العباسیة، وأن الکثیر من الأنصار، الذین ساندوا الثورة، ومنهم ابن الکرمانی نفسه، لم یکن یعرف أن " الرضا من آل البیت " سیکون عباسیا، مع أن ابن الکرمانی کان قائدا کبیرا، وکان یطمع إلی الاستیلاء علی (۱) مناقب ابن شهرآشوب ج ۴ ص ۲۳۰، والبحار ج ۴۷، ص ۱۳۳.

(۲) مناقب ابن شهرآشوب ج ۴ ص ۲۲۹، والبحار ج ۴۷ ص ۱۳۳، والإمام الصادق والمذاهب الأربعة ج ۱ ص ۴۷.

(۳) الطبری ج ۱۰ ص ۱۳۲، والإمامة والسیاسة ج ۲ ص ۱۲۵. (۴۷) صفحهمفاتیح البحث: عبد الله بن الحسین (۱)، خراسان (۲)، القتل (۲)، الضلال (۱)، الحج (۱)، ابن شهرآشوب (۲)

خراسان (۱.").

ب: یلاحظ أن العباسیین قد موهوا علی الناس، واستطاعوا أن یخدعوهم. حیث خیلوا لهم فی بادئ الأمر أن الثورة کانت للعلویین.

ثم بدءوا یعدون العدة لما سوف یقولون للناس عند اکتشافهم لحقیقة الأمر، فصنعوا سلسلة الوصایة المعروفة عنهم من علی بن أبی طالب، إلی محمد ابن الحنفیة، وإلی أبی هاشم، فإلی علی بن عبد الله بن العباس.

وهکذا. وهی فی الحقیقة نفس عقیدة الکیسانیة، کما سنشیر إلیها فی بعض الهوامش الآتیة.

وقد جازت حیلتهم هذه علی الناس، الذین کانوا یظنون أنهم یعملون للعلویین (۲)، حتی لقد خفی أمرهم عن عبد الله بن معاویة حسبما قدمنا، بل لقد کان من جملة المخدوعین، الذین اکتشفوا الحقیقة بعد فوات الأوان، سلیمان الخزاعی، الذی تقدم أنه – باعترافه – کان یرجو هذا الأمر للعلویین، وأبو مسلم الخراسانی الذی صارح المنصور بأن السفاح کان قد خدعه. وأنه خدع أیضا من قبل إبراهیم الإمام، حیث ادعیا الوصایة والإمامة، وحرفا الآیات الواردة فی أهل البیت لتنطبق علیهم، مما کان من نتیجته أن زوی الأمر عن أهله، ووضعه (۱) طبیعة الدعوة العباسیة ص ۲۰۹. ولقد اشتبه الأمر علی الدکتور فاروق عمر، فإن ابن الکرمانی کان من عمال الأمویین، ولم یکن من الشیعة فی أی وقت من الأوقات، وإنما استماله أبو مسلم توطئة للغدر به.. ولم یکن أبو مسلم ولا غیره من الدعاة والنقباء لیصرحوا لعدوهم بمثل هذا الأمر الذی یخفونه عن أخص الناس بهم، بل حتی عمن هم مثل المنصور.

(۲) إمبراطوریة العرب ص ۲۰۶، وغیر ذلک کثیر. (۴۸) صفحهمفاتیح البحث: عبد الله بن عباس (۱)، علی بن أبی طالب (۱)، خراسان (۱)، الظنّ (۱)، الدولة الأمویة (۱)

فی غیر محله (۱).

أما انخداع ابن الکرمانی فهو من الأمور الواضحة والمعروفة. بل لقد رأینا البعض یذکر أن أبا سلمة الخلال کان أیضا من جملة المخدوعین، حیث کان یتوهم: أن الخلیفة سیکون علویا لا عباسیا (۲).

ج: ومما تجدر الإشارة إلیه هنا، هو ما تقدم: من رفض الإمام القاطع لعرض کل من أبی سلمة، وأبی مسلم فی جعل الدعوة له، وباسمه.

وما ذلک إلا لعلمه علیه السلام: بأن هؤلاء لیس لهم من هدف، إلا الوصول إلی مأربهم من الحکم والسلطان، ثم یتخلصون من کل

من لا یعودون بحاجة إلیه، إذا اعتبروه عقبة فی طریقهم. کما کان الحال فی قتلهم أبا مسلم، وسلیمان بن کثیر، وأبا سلمة. وغیرهم. شاهدنا علی ذلک جواب الإمام علیه السلام لأبی مسلم ": ما أنت من رجالی، ولا الزمان زمانی. " وکذلک المحاورة التی جرت بینه علیه السلام، وبین عبد الله بن الحسن، عندما جاءه کتاب من أبی سلمة مثل کتابه.

وأیضا قوله علیه السلام: ما لی ولأبی سلمة، وهو شیعة لغیری. بل ومما یدل علی ذلک دلالة قاطعة. ما قدمناه من اعتذار أبی سلمة للسفاح، عن مراسلته للصادق، وغیره من العلویین، بأنه ": کان یدبر استقامة الأمر " بل یذکر الطبری ج ۶ ص ۱۰۲ وابن الأثیر ج ۵ (۱) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة المجلد الأول، جزء ۲ ص ۵۳۳، وسنشیر إلی مصادر أخری لذلک فیما یأتی إن شاء الله.

(۲) التاریخ الإسلامی والحضارة الإسلامیة ج ۳ ص ۲۵۴، وفی کتاب: السیادة العربیة لفان فلوتن ص ۹۷: أن النقباء أمروا بعض الدعاة بستر اسم المدعو له، وأخفوا اسم المدعو له عن البعض الآخر.. (۴۹) صفحهمفاتیح البحث: عبد الله بن الحسن (ع) (۱)، إبن الأثیر (۱)، القتل (۱)، الصدق (۲)، الرفض (۱)

ص ۴۳۷: أنه عندما جمع السفاح خاصته لیستشیرهم بقتل أبی سلمة وأخبرهم بمکاتبته للعلویین. نجد أن بعض خاصته انبری لیقول: ما یدریکم لعل ما صنع أبو سلمة کان من رأی أبی مسلم (۱). وعلیه فلا یصح قول صاحب العیون والحدائق ص ۱۸۱ ": ولم یکن هوی أبی سلمة معهم، وإنما کان هواه مع الصادق جعفر الخ ". فإن لجوءه إلی الصادق إنما کان لأجل استقامة الأمر. بل إن بعض المحققین لا یستبعد أن یکون من جملة أهدافهم من رسائلهم تلک، إلی الصادق، و عبد الله ابن الحسن، وغیرهما من العلویین. هو معرفة إن کان هؤلاء یطمحون إلی الحکم، ویرغبون فیه أولا وذلک لیستعد العباسیون – من ثم – لمواجهة دعوتهم، ورصد کل حرکاتهم، وسکناتهم، ومن ثم شل حرکتهم، والقضاء علیهم. وهذا أسلوب استعمله المنصور من بعد، لکن الإمام الصادق علیه السلام تنبه للمکیدة، وعمل علی إحباطها.

د: وتصریح أبی سلمة هذا وموقف الإمام منه، وقوله: إنه شیعة لغیره یلقی لنا ضوءا علی الروایات التی تتهمه، وتتهم أبا مسلم بمیول علویة. وأن أبا مسلم أراد أن یعلن خلافة علویة، بمجرد وصوله إلی خراسان، کما عن الذهبی، وشارح شافیة أبی فراس، وتاریخ الخمیس. فإن ذلک لا شاهد له إلا رسائلهما التی أشرنا إلیها. مع أنها لم یکن الهدف منها إلا استقامة الأمر للعباسیین. خصوصا إذا لاحظنا أن أبا مسلم قد قضی علی عدة ثورات للعلویین، وباسمهم – کما أشرنا إلیه – (۱) وأما کتابه للصادق فهو لا یدل علی إخلاصه له، بل هو فقط – کان یدبر استقامة الأمر، وقتله من قبل العباسیین بهذا الجرم لیس إلا تغاضیا عن حقیقة الأمر بهدف الوصول إلی أهدافهم فی التخلص بطریقة مشروعة. (۵۰) صفحهمفاتیح البحث: الإمام جعفر بن محمد الصادق علیهما السلام (۱)، خراسان (۱)، الصدق (۳)، القتل (۱)، الشهادة (۱)، الهدف (۱)

وأنه کان یلاحقهم تحت کل حجر ومدر، وفی کل سهل وجبل، علی حد تعبیر الخوارزمی (۱).

المرحلة الرابعة:

ثم تأتی المرحلة الرابعة والأخیرة، وهی: ادعاؤهم الخلافة بالإرث، کما أشرنا إلیه. ولکنهم استمروا یربطون الثورة بأهل البیت علیهم السلام من ناحیتین:

الأولی: ادعاؤهم الخلافة بالإرث عن طریق علی بن أبی طالب، ومحمد بن الحنفیة، کما سیأتی بیانه.

الثانیة: ادعاؤهم أنهم إنما خرجوا للأخذ بثارات العلویین. فأما ادعاؤهم استحقاقهم الخلافة بالإرث، عن طریق علی بن أبی طالب علیه السلام، واحتجاجهم بقرباهم النسبیة من رسول الله صلی الله علیه وآله، فإننا نلمحها فی کثیر من مواقفهم، حیث کانوا یستطیلون علی الناس بهذه القربی، ویحتجون بها فی مختلف المناسبات (۲). (۱) ولکننا لا نجد فیما بأیدینا من الشواهد التاریخیة، ما یؤید دعوی الخوارزمی هذه عدا ما ذکروه من أنه: قتل عبد الله بن معاویة بن عبد الله بن جعفر، وعبید الله بن الحسین بن علی بن الحسین.

(۲) حیث قد ظلوا بحاجة لأن یصلوا حقهم الذی کانوا یدعونه. بحق علی بن أبی طالب علیه السلام، ووصایتهم بالوصایة التی له،

والتی لا یجهلها أحد، ولیصححوا بهذه الوسیلة خلافتهم، ویتقبلها الناس. فكانت السلسلة التی سیأتی بیانها هی معتمدهم، مضیفین إلیها تبرأهم من أبی بكر وعمر وعثمان.

وفی الحقیقة أن تلك هی عقیدة الكیسانیة انتحلوها لأنفسهم بوحی من مصالحهم الخاصة.

حتی إذا ما وصلوا إلی الحكم نراهم قد قطعوا حبل صلتهم بعلی، وولده، وجعلوا الخلافة حقا للعباس وولده.. ثم تخلوا عن ذلك كله فیما بعد، ورجعوا إلی العقیدة التی أسسها معاویة، ولكنهم اختلفوا عنه بأنهم أدخلوا علیا، وجعلوه فی المرتبة الرابعة، وكان ذلك بدایة وجود أهل السنة بخصائصهم، ومیزاتهم المذهبیة، ولهذا البحث مجال آخر، والله هو الموفق والمستعان. (۵۱) صفحهمفاتیح البحث: أهل بیت النبی صلی الله علیه وآله (۱)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلی الله علیه وآله (۱)، محمد بن الحنفیة إبن الإمام أمیر المؤمنین علیه السلام (۱)، علی بن أبی طالب (۳)، الخوارزمی (۲)، عبد الله بن جعفر الطیار بن أبی طالب علیه السلام (۱)، الحسین بن علی بن الحسین (۱)، القتل (۱)

فقد قال داوود بن علی، أول خطیب لهم علی منبر الكوفة، فی أول كلام له أمام السفاح. ": وإنما أخرجنا الآنفة من ابتزازهم حقنا، والغضب لبنی عمنا (۱.").

ونری السفاح فی خطبته الأولی أیضا فی مسجد الكوفة، بعد أن ذكر عظمة الرب تبارك وتعالی، وفضل النبی صلی الله علیه وآله " قاد الولایة والوراثة، حتی انتهیا إلیه، ووعد الناس خیرا (۲.").

ویقال: إن من جملة ما قاله السفاح فی خطبته الأولی. ": فأعلمهم جل ثناؤه فضلنا، وأوجب علیهم حقنا ومودتنا، وأجزل من الفئ، والغنیمة نصیبنا، تكرمة لنا وفضلا علینا.

وزعمت السبائیة الضلال: أن غیرنا أحق بالریاسة والسیاسة. إلی أن قال: ورد علینا حقنا (۳ ("). ۱) الطبری، طبع لیدن ج ۱۰ ص ۳۱، والبدایة والنهایة ج ۱۰ ص ۴۱، وشرح النهج للمعتزلی ج ۷ ص ۱۵۴، والكامل لابن الأثیر ج ۴ ص ۳۲۵.

(۲) تاریخ ابن خلدون ج ۳ ص ۱۲۹، ومروج الذهب ج ۳ ص ۲۵۶، والطبری ج ۱۰ ص ۳۷، طبع لیدن.

(۳) الطبری ج ۱۰ ص ۳۹، ۴۰، وتاریخ الخلفاء للسیوطی ص ۲۵۷، والبدایة والنهایة ج ۱۰ ص ۴۱، والكامل لابن الأثیر ج ۴ ص ۳۲۴، ۳۲۵.

لكن الظاهر أن لعن السبائیة (وهم الشیعة الإمامیة حسب مصطلحهم) مفتعل علی لسان السفاح. لأن كلمة داوود بن علی المتقدمة تدل علی إنكار العباسیین – فی بدء أمرهم – خلافة أبی بكر، وعمر، وعثمان، وتمسكهم بخلافة علی علیه السلام، حیث یصلون حبل وصایتهم بها.. وإن كانوا قد رجعوا عن هذه العقیدة بعد ذلك حسبما أشرنا إلیه إلی العقیدة التی كان قد روجها معاویة.. ولكن من المؤكد أنهم استمروا علی عقیدتهم تلك، أعنی إنكار خلافة الثلاثة، ووصلهم حبل وصایتهم بعلی علیه السلام، إلی زمن المنصور، الذی كان أول من أوقع الفتنة بین العباسیین والعلویین كما سیأتی.. (۵۲) صفحهمفاتیح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلی الله علیه وآله (۱)، مسجد، جامع الكوفة (۱)، مدینة الكوفة (۱)، الضلال (۱)، شیعة أهل البیت علیهم السلام (۱)، الإمام أمیر المؤمنین علی بن ابی طالب علیهما السلام (۲)، كتاب الكامل لإبن الأثیر (۲)، كتاب مروج الذهب للمسعودی (۱)، كتاب تاریخ ابن خلدون لابن خلدون (۱)، كتاب البدایة والنهایة (۱)، جلال الدین السیوطی الشافعی (۱)، خلافة أبی بكر بن أبی قحافة (۱)

ویقول داوود بن علی فی خطبته الأولی فی مسجد الكوفة أیضا:

. "وأحیا شرفنا وعزنا، ورد إلینا حقنا وإرثنا (". ۱). (۱) الطبری ج ۱۰ ص ۳۲، طبع لیدن، والكامل لابن الأثیر ج ۴ ص ۳۲۵.

أمر هام لا بد من التنبیه علیه:

إننا إذا تتبعنا الأحداث التاریخیة، نجد: أن كل مطالب بالخلافة كان یدعی أول ما یدعی الرحمیة والقربی من رسول الله صلی الله علیه وآله. وأول من بدأ ذلك أبو بكر فی یوم السقیفة، وتبعه علی ذلك عمر، حیث قررا أن لیس لأحد الحق فی أن ینازعهم سلطان

محمـد، إذ أنهم أمس برسول الله رحما (على ما فى نهاية الإرب ج ۸ ص ۱۶۸، وعيون أخبار ابن قتيبة ج ۲ ص ۲۳۳، والعقد الفريد ج ۴ ص ۲۵۸، طبع دار الكتـاب العربى، والأدب فى ظل التشـيع ص ۲۴، نقلا ـ عن البيان والتبيين للجاحظ)، ولأنهم هم أولياؤه وعشـيرته، على ما ذكره الطبرى ج ۳ ص ۲۲۰، طبع دار المعارف بمصر، والإمامة والسياسة ص ۱۴، ۱۵ طبع الحلبى بمصر، وشرح النهج للمعتزلى ج ۶ ص ۷، ۸، ۹، ۱۱، والإمام الحسين للعلايلى ص ۱۸۶، و ص ۱۹۰، وغيرهم. أو لأنهم عترة النبى صلى الله عليه وآله وأصله والبيضة التى تفقأت عنه كما فى العثمانية للجاحظ ص ۲۰۰. فأسقطا بذلك دعوى الأنصار عن الاعتبار.

كما أن أبا بكر قـد اسـتدل على الأنصار بالحديث الذى صرح باستفاضـته جهابذة أهل السـنة (على ما فى ينابيع المودة للحنفى)، وهو قوله صلى الله عليه وآله مشيرا إلى خلفائه الاثنى عشر:

"يكون عليكم اثنا عشر خليفـة كلهم تجتمع عليه الأمـة، كلهم من قريش. – " اسـتدل به – بعـد أن تصـرف فيه، بأن حـذف صـدره، واكتفى بذكر: أن الأئمة من قريش على ما فى صواعق ابن حجر ص ۶، وغيره..

وأصبح كون الأئمة من قريش تقليدا متبعا، بل ومن عقائد أهل السنة المعترف بها، وقد استدل ابن خلدون على ذلك بالإجماع.

ولكن قول عمر: لو كـان سالم مولى حذيفـة حيا لوليته، قـد أوقع ابن خلـدون. كما أوقع غيره من جهابـذة أهل السـنة فى حيص بيص، لعدم كون سالم قرشيا، فضلا عن أن يكون أمس رحما برسول الله من غيره، فراجع مقدمة ابن خلدون ص ۱۹۴، وغيره من كتبهم.

أما ابن كثير فإنه قد استشكل بالأمر من ناحية أخرى، حيث قال – وهو يتحدث عن فتنة محمد بن الأشعث الكندى.. " –: والعجب كل العجب من هؤلاء الـذين بايعوه بالإمارة، وليس هو من قريش، وإنما هو كنـدى من اليمن، وقـد اجتمع الصـحابة يوم السـقيفة على أن الإمـارة لا ـ تكـون إلا ـ فى قريش، واحتـج عليهم الصـديق بالحـديث فى ذلـك، حـتى أن الأنصـار سـألوا أن يكـون منهم أمير مـع أمير المهاجرين، فأبى الصديق عليهم ذلك.. ثم مع هذا كله ضـرب سعد بن عبادة، الذى دعا إلى ذلك أولا، ثم رجع عنه.. " انتهى. راجع البداية والنهاية ج ۹ ص ۵۴.

فتراه يستشـكل فى عمل من بايعوا محمـد بن الأشـعث بإمرة المؤمنين، التى رآها مخالفـة للإجماع المدعى يوم السـقيفة. وتراه يعترف بمخالفة سعد ثم يدعى أنه رجع عن ذلك..

ولست أدرى كيف رجع عنه، مع أنه من المتسـالم عليه تاريخيـا: أنه اسـتمر على الخلاـف معهم، حتى اغتيـل بالشام – اغتالته السـياسة، على حد تعبير طه حسين فى كتابه: من تاريخ الأدب العربى ج ۱ ص ۱۴۶، وغيره.. وذلك أشهر من أن يحتاج إلى بيان.

وعلى كل حال.. فإن ما يهمنا هو الإشارة إلى أن كون الأئمة من قريش ليس فقط أصبـح تقليدا متبعا، بل هو قد أصبـح من عقائد أهل السنة المعترف بها.

ولكن ما تأتى به السـياسة، تذهب به السـياسة، إذ بعد تسـعماية سـنة جاء السـلطان سـليم، وخلع الخليفة العباسى، وتسمى هو ب " أمير المؤمنين " مع أنه لم يكن من قريش.

وبهذا يكون قد ألغى هذا التقليد عملا من عقائد طائفة من المسلمين، وأبطله.

ومهما يكن من أمر فإن أول من ادعى اسـتحقاق الخلافة بالقربى النسبية من رسول الله صلى الله عليه وآله كان أبو بكر، ثم عمر، وجاء بعـدهما بنو أميـة، فعرفوا أنفسـهم ذوى قربى النـبى صـلى الله عليه وآله حـتى لقـد حلف عشـرة من قواد أهـل الشـام، وأصـحاب النعم والرياسة فيها – حلفوا – للسفاح:

على أنهم لم يكونـوا يعرفـون إلى أن قتـل مروان، أقربـاء للنـبى صـلى الله عليه وآله، ولا ـ أهـل بيت يرثـونه غير بنى أميـة. فراجع النزاع والتخاصم للمقريزى ص ۲۸، وشرح النهج للمعتزلى ج ۷ / ۱۵۹، ومروج الذهب ج ۳ ص ۳۳.

بل لقد ذكر المسعودى والمقريزى: أن إبراهيم بن المهاجر البجلى، الموالى للعباسيين قد نظم قضية هؤلاء الأمراء شعرا، فقال:

أيهـا الناس اسـمعوا أخبركم * عجبا زاد على كل العجب عجبا من عبـد شـمس إنهم * فتحوا للناس أبواب الكـذب ورثوا أحمـد فيما

زعموا * دون عباس بن عبد المطلب کذبوا والله ما نعلمه * یحرز المیراث إلا من قرب ویقول الکمیت عن دعوی بنی أمیة هذه:
وقالوا: ورثناها أبانا وأمنا * ولا ورثتهم ذاک أم ولا أب وفی العقد الفرید ج ۲ / ۱۲۰ طبع دار الکتاب العربی: أن أروی بنت الحارث بن عبد المطلب قالت لمعاویة.. ": ونبینا صلی الله علیه وآله هو المنصور، فولیتم علینا من بعده، تحتجون بقرابتکم من رسول الله صلی الله علیه وآله، ونحن أقرب إلیه منکم، وأولی بهذا الأمر الخ.".
ثم جاء العباسیون، وادعوا نفس هذه الدعوی، کما هو واضح من النصوص التی ذکرناها، ونذکرها. بل لقد ادعی نفس هذه الدعوی أیضا أکثر إن لم یکن کل من خرج مطالبا بالخلافة، سواء کان خروجه علی الأمویین أو علی العباسیین.
وهذا یعنی أن العامل النسبی قد لعب دورا هاما فی الخلافة الإسلامیة، وکان الناس بسبب جهلهم. وعدم وعیهم لمضامین الإسلام یصدقون ویسلمون بأن القربی النسبیة تکفی وحدها فی أن تجعل لمدعیها الحق فی منصب الخلافة. ولعل أکثر ما ورد فی القرآن الکریم، والسنة النبویة الشریفة من الوصایا بأهل البیت علیهم السلام، والأمر بمودتهم، ومحبتهم، والتمسک بهم جعل الناس یظنون أن سبب ذلک هو مجرد قرباهم النسبیة منه صلی الله علیه وآله. وکان أن استغل الطامحون فهم الناس الخاطئ هذا. بل لقد حاولوا ما أمکنهم تکریسه، وتثبیته.
إلا أن حقیقة الأمر هی غیر ذلک، فإن منصب الخلافة فی الإسلام، لا یدور مدار القربی النسبیة منه. بل هو یدور مدار الأهلیة والجدارة، والاستعداد الذاتی لقیادة الأمة قیادة صالحة، کما کان النبی صلی الله علیه وآله یقودها، یدلک علی ذلک أننا لو رجعنا إلی النصوص القرآنیة.
وإلی ما ورد عن النبی صلی الله علیه وآله بشأن الخلیفة بعده، فلعلنا لا نعثر علی نص واحد منها یفهم منه أن استحقاق الخلافة یدور مدار القربی النسبیة منه صلی الله علیه وآله، وحسب.
وکل ما ورد فی القرآن، وعنه صلی الله علیه وآله من الأمر بموالاة أهل بیته، وحبهم، والتمسک (۵۳) صفحهمفاتیح البحث: مسجد، جامع الکوفة (۱)، أهل بیت النبی صلی الله علیه وآله (۲)، الرسول الأکرم محمد بن عبد الله صلی الله علیه وآله (۸)، کتاب الکامل لإبن الأثیر (۱)، الدولة الأمویة (۱)، کتاب مروج الذهب للمسعودی (۱)، أروی بنت الحارث بن عبد المطلب (۱)، کتاب البدایة والنهایة (۱)، کتاب ینابیع المودة (۱)، القرآن الکریم (۲)، بنو أمیة (۳)، محمد بن الأشعث (۲)، سعد بن عبادة (۱)، الشام (۲)، السقیفة (۳)، الصدق (۲)، القتل (۱)، الظنّ (۱)، الضرب (۱)، الوراثة، التراث، الإرث (۱)
بهم، ومن تعیینه خلفاءه منهم، فلیس لأجل قرباهم النسبیة منه صلی الله علیه وآله، بل لأن الأهلیة، والجدارة الحقیقیة لهذا النصب قد انحصرت فی الخارج فیهم. فهو علی حد تعبیر الأصولیین:
من باب الإشارة إلی الموضوع الخارجی. ولیس تصریحه صلی الله علیه وآله بالقربی لأجل بیان المیزان والمقیاس والملاک فی استحقاقهم الخلافة.
وواضح أنه کان لا بد من الالتجاء إلی الله ورسوله لتعیین الشخص الذی له الجدارة والأهلیة لقیادة الأمة، لأن الناس قاصرون عن إدراک حقائق الأمور، ونفسیات، وغرائز، وملکات بعضهم البعض.. إدراکا دقیقا وحقیقیا، وعن إدراک عدم طرو تغیر أو تبدل علیه فی المستقبل. ولقد عینه صلی الله علیه وآله بالفعل، ودل علیه بمختلف الدلالات، بالقول، تصریحا، وتلویحا، وکنایة، ونصا، ووصفا، وغیر ذلک، وبالفعل أیضا، حیث أمره علی المدینة، وعلی کل غزوة لا یکون هو صلی الله علیه وآله فیها، ولم یؤمر علیه أحدا، وغیر ذلک.
هذا هو رأی الشیعة، وهذا هو رأی أئمتهم فی هذا الأمر، وکلماتهم طافحة ومشحونة بما یدل علی ذلک. ولا یبقی معه مجال لأی لبس أو توهم، فراجع کلام الإمام علی فی شرح النهج للمعتزلی ج ۶ ص ۱۲، وغیره مما قد یتعسر استقصاؤه..
ومما ذکرنا نستطیع أن نعرف أن ما ورد عن الإمام علی علیه السلام، أو عن غیره من الأئمة الطاهرین، من قولهم: أنهم هم الذین

عندهم ميراث رسول الله صلى الله عليه وآله، فإنما يقصدون به الميراث الخاص، الذى يختص الله به من يشاء من عباده، أعنى: ميراث العلم، على حد قوله تعالى ": ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ". وقد اعترف أبو بكر نفسه لفاطمة الزهراء بأن الأنبياء يورثون العلم لأشخاص معينين من بعدهم، وعلى كل فلقد أنكر على عليه السلام مبدأ استحقاق الخلافة بالقرابة والصحابة أشد الانكار، فقد جاء فى نهج البلاغة قوله عليه السلام ": واعجبا!! أتكون الخلافة بالصحابة والقرابة النسبية."؟!

وأما ما يظهر منه أنهم يستدلون لاستحقاقهم الخلافة بالقربى من رسول الله صلى الله عليه وآله، فإنما اقتضاه الحجاج مع الخصوم، فهو من باب ": الزموهم بما الزموا به أنفسهم. " ويدل على هذا المعنى ويوضحه ما قاله الإمام على عليه السلام لأبى بكر، عندما جيئ به ليبايع، فكان مما قاله.. ": واحتججتم عليهم (أى على الأنصار) بالقرابة من النبى صلى الله عليه وآله..

وأنا أحتج عليكم بمثل ما احتججتم به على الأنصار، نحن أولى الخ.. " راجع: الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٨.

ويشير أيضا عليه السلام – إلى هذا المعنى فى بعض خطبه الموجودة فى نهج البلاغة فمن أراد فليراجعه.. كما ويشير إليه أيضا ما نسب إليه عليه السلام من الشعر (على ما فى نهج البلاغة) وهو قوله:

فإن كنت بالشورى ملكت أمورهم * فكيف بهذا والمشيرون غيب وإن كنت بالقربى حججت خصيمهم * فغيرك أولى بالنبى وأقرب

ولكن أحمد أمين المصرى فى كتابه: ضحى الإسلام ج ٣ ص ٢٦١، و ص ٣٠٠، و ص ٢٢٢، و ص ٢٣٥، وكذلك سعد محمد حسن فى كتابه: المهدية فى الإسلام ص ۵.

والخضرى فى محاضراته ج ١ ص ١۶۶: إن هؤلاء ينسبون إلى الشيعة القول: بأن منصب الخلافة يدور مدار القربى النسبية منه صلى الله عليه وآله وحسب، رغم اعتراف أحمد أمين فى نفس الكتاب، وبالتحديد فى ص ٢٠٨، ٢١٢: بأن الشيعة يحتجون بالنص فى خصوص الخليفة بعد الرسول. بل والخضرى يعترف بذلك أيضا حيث قال ": أما الانتخاب عند أهل التنصيص على البيت العلوى، فإنه كان منظورا فيه إلى الوراثة الخ."

وهى نسبة غريبة حقا – بعد هذا الاعتراف الصريح منهم، ومن غيرهم – فإن عقيدة الشيعة – تبعا لأئمتهم هى ما ذكرنا، أى ليس منصب الخلافة دائرا مدار القربى النسبية منه صلى الله عليه وآله، وأدلة الشيعة تنطق وتصرح بأن القربى النسبية وحدها لا توجب بأى حال من الأحوال استحقاق الخلافة، وإنما لا بد من النص المعين لذلك الشخص الذى يمتلك الجدارة والأهلية والاستعداد الذاتى لها.

إنهم يستدلون على خلافة على عليه السلام بالنصوص القرآنية، والنبوية المتواترة عند جميع الفرق الإسلامية، ولا يستدلون بالقربى إلا من باب: ألزموهم.. أو من باب تكثير الأدلة، أو فى مقابل استدلال أبى بكر وعمر بها، وإذا ما شذ واحد منهم، واستدل بذلك، معتقدا بخلاف ما قلناه عن قصور نظر، وقلة معرفة، أو لفهمه – خطأ – ما ورد عنهم عليهم السلام. من أن عندهم ميراث رسول الله صلى الله عليه وآله، فلا يجب، بل لا يجوز أن يحسب على الشيعة، ومن ثم القول بأن ذلك هو قولهم، وأن تلك هى عقيدتهم.

ولعل أحمد أمين لم يراجع أدلة الشيعة!!

أو أنه راجعها، واشتبه عليه الأمر!!

أو أنه. لا هذا. ولا ذاك.. وإنما أراد التشنيع عليهم، فنسب إليهم ما ليس من مذهبهم!

ويدلنا على صحة هذا الاحتمال الأخير، اعترافه المشار إليه، بأن الشيعة يستدلون على إمامة على عليه السلام بالنص، لا بالقربى!!..

وخلاصة القول هنا: إن القربى النسبية ليست هى الملاك فى استحقاق الخلافة. ولم تكن دعوى أنها كذلك، لا من الأئمة، ولا من شيعتهم. وإنما كانت من قبل أبى بكر، وعمر، ثم الأمويين، فالعباسيين.

وإذا كان أهل السنة – تبعا لأئمتهم – قد جعلوا كون الإمامة فى قريش من عقائدهم.

وإذا كان غير أهل البيت هم الذين ادعوا هذه الدعوى، وهللوا وكبروا لها. فمن الحق لنا إذن أن نقول:

"رمتنى بدائها وانسلت."

وأخيرا.. فلقد كان من أبسط نتائج هذه العقيدة لدى أهل السنة، وقبولهم أن القربى النسبية تجعل لمدعيها الحق فى الخلافة.. أن سنحت الفرصة لأن يصل أشخاص إلى الحكم من أبرز مميزاتهم، وخصائصهم جهلهم بتعاليم الدين، وانسياقهم وراء شهواتهم، أينما كانت، وحيثما وجدت، جاعلين الحكم والسلطان، وسيلة إليها، مسدلين على حماقاتهم هنا، وتفاهاتهم هناك ستارا من القربى النسبية منه صلى الله عليه وآله. وهو من هؤلاء وأمثالهم برئ.

ولما لم يعد ذلك الستار يقوى على المنع من استكناه واقعهم، وحقيقة نواياهم وتصرفاتهم، كان لا بد لهم من الالتجاء إلى أساليب أخرى، تبرر لهم واقعهم، وتحمى تصرفاتهم، وتؤمن لهم الاستمرار فى الحكم، ولعل بيعة المأمون للإمام الرضا عليه السلام بولاية العهد هى من تلك الأساليب، كما سيتضح إن شاء الله تعالى.. (۵۳) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (۱)، الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (۵)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (۴)، الدولة الأموية (۱)، كتاب نهج البلاغة (۳)، السيدة فاطمة الزهراء سلام الله عليها (۱)، الشهوة، الإشتهاء (۱)، الوراثة، التراث، الإرث (۴)، الطهارة (۱)

وعندما ذهب داوود بن على إلى مكة، واليا عليها، من قبل أخيه السفاح، وأراد أن يخطب فى مكة خطبته الأولى، طلب منه سديف بن ميمون أن يأذن له فى الكلام، فأذن له، فوقف، وقال من جملة ما قال:

... "أتزعم الضلال: أن غير آل الرسول أولى بتراثه؟! ولم؟!

وبم؟! معاشر الناس؟! ألهم الفضل بالصحابة، دون ذوى القرابة؟

الشركاء فى النسب، والورثة للسلب (". ۱).

ويقول داوود بن على فى نفس المناسبة، أعنى فى أول خطبة له:

"لم يقم فيكم إمام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، إلا على بن أبى طالب، وهذا القائم فيكم ".. وأشار إلى السفاح (۲). (۱) تاريخ اليعقوبى ج ۳ ص ۸۹، والعقد الفريد، طبع دار الكتاب ج ۴ ص ۴۸۵ (۲) مروج الذهب ج ۳ ص ۲۳۷ و ۲۵۶، والطبرى ج ۱۰ ص ۳۳ و ۳۷، وعيون الأخبار لابن قتيبة ج ۲ ص ۲۵۲، وتاريخ اليعقوبى ج ۳ ص ۸۷، ۸۸، والكامل لابن الأثير ج ۴ ص ۳۲۶، وتاريخ ابن خلدون ج ۳ ص ۱۲۹ و ۱۷۳، وإمبراطورية العرب ص ۴۲۲، والبداية والنهاية ج ۱۰ ص ۴۲، وشرح النهج للمعتزلى ج ۷ ص ۱۵۵، وفيه ": إنه لم يخطب على منبركم هذا خليفة حق إلخ.. " وبرواية أخرى فيه ": أقسم بالله قسما برا، ما قام هذا المقام أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، أحق به من على بن أبى طالب، وأمير المؤمنين هذا.. (" ۵۸) صفحهمفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (۲)، مدينة مكة المكرمة (۲)، على بن أبى طالب (۲)، الضلال (۱)، كتاب مروج الذهب للمسعودى (۱)، كتاب البداية والنهاية (۱)، إبن الأثير (۱)

وقال المنصور فى خطبة له ": وأكرمنا من خلافته، وميراثنا من نبيه (".. ۱).

ولكنهم بعد المنصور - بل وحتى من زمن المنصور نفسه كما سيتضح - قد غيروا سلسلة الإرث هذه، وجعلوها عن طريق العباس، وولده عبد الله، ولكنهم أجازوا بيعة على، لأن العباس نفسه كان قد أجازها.

كما سيأتى بيانه.. فكانت استدلالات الخلفاء ابتداء من المنصور ناظرة إلى الإرث عن هذا الطريق..

فنرى المنصور يبين فى رسالة منه لمحمد بن عبد الله بن الحسن: أن الخلافة قد ورثها العباس فى جملة ما ورثه من النبى صلى الله عليه وآله، وأنها فى ولده (۲).

وكان الرشيد يقول ": ورثنا رسول الله، وبقيت فينا خلافة الله (۳ ") وقال الأمين عندما بويع له، بعد موت أبيه الرشيد.. ": وأفضت خلافة الله، وميراث نبيه إلى أمير المؤمنين الرشيد (۴.").

ومدح البعض المأمون، وعرض بأخيه الذى غدر به، فقال فى جملة أبيات له:

إن تغدروا جهلا بوارث أحمد ووصى كل مسدد وموفق (۵) (۱) مروج الذهب ج ۳ ص ۳۰۱، والطبرى ج ۱۰ ص ۴۳۲.

(۲) الطبرى ج ۱۰ ص ۲۱۵، والعقد الفريد طبع دار الكتاب ج ۵ ص ۸۱ إلى ۸۵ وصبح الأعشى ج ۱ ص ۳۳۳، فما بعد، والكامل للمبرد، وطبيعة الدعوة العباسية..

(۳) البداية والنهاية ج ۱۰ ص ۲۱۷، (۴) تاريخ اليعقوبى ج ۳ ص ۱۶۳.

(۵) مروج الذهب ج ۳ ص ۳۹۹. (۵۹) صفحهمفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (۱)، عبد الله بن الحسن (ع) (۱)، الجهل (۱)، كتاب مروج الذهب للمسعودى (۲)، كتاب البداية والنهاية (۱)، كتاب الكامل للمبرد (۱)

إلى غير ذلك مما لا مجال لنا لتتبعه.. ولنعد إلى ما كنا فيه أولا، فنقول:

دعوى الأخذ بثارات العلويين:

وأما ادعاؤهم: أنهم إنما خرجوا للأخذ بثارات العلويين، واستمرارهم على ربط الثورة بأهل البيت، حتى بعد نجاح ثورتهم، وتسلمهم لازمة الحكم والسلطان - وهذه هى الناحية الثانية من المرحلة الرابعة - فذلك أوضح من أن يخفى.. وقد تقدم قول محمد بن على لبكير بن ماهان:

"وسنأخذ بثأرهم ". يعنى بثارات العلويين.. وتقدم أيضا قول داوود ابن على ": وإنما أخرجنا الآنفة من ابتزازهم حقنا، والغضب لبنى عمنا.".

ويقول السفاح، عندما أتى برأس مروان ": ما أبالى متى طرقنى الموت، فقد قتلت بالحسين، وبنى أبيه من بنى أمية مائتين، وأحرقت شلو هشام بابن عمى زيد بن على، وقتلت مروان بأخى إبراهيم (". ۱).

ويقول صالح بن على لبنات مروان ": ألم يقتل هشام بن عبد الملك، زيد بن على بن الحسين، وصلبه فى كناسة الكوفة؟. وقتل امرأة زيد بالحيرة، على يد يوسف بن عمرو الثقفى؟!

ألم يقتل الوليد بن يزيد يحيى بن زيد، وصلبه بخراسان؟! (۱) مروج الذهب ج ۳ ص ۲۵۷ وفى شرح النهج للمعتزلى ج ۷ ص ۱۳۱، وحياة الإمام موسى بن جعفر للقرشى ج ۱ ص ۳۳۷، نقلا عن مختصر أخبار الخلفاء، هكذا. ". وقد قتلت بالحسين ألفا من بنى أمية. إلى أن قال: وقتلنا سائر بنى أمية بحسين، ومن قتل معه، وبعده من بنى عمنا أبى طالب.. (" ۶۰) صفحهمفاتيح البحث: مدينة الكوفة (۱)، هشام بن عبد الملك (۱)، بنو أمية (۲)، يحيى بن زيد (۱)، على بن الحسين (۱)، صالح بن على (۱)، زيد بن على (۱)، محمد بن على (۱)، خراسان (۱)، القتل (۵)، الغضب (۱)، كتاب مروج الذهب للمسعودى (۱)، موسى بن جعفر (۱)

ألم يقتل الدعى عبيد الله بن زياد، مسلم بن عقيل بن أبى طالب بالكوفة؟!

ألم يقتل يزيد بن معاوية الحسين (۱)؟!.

وبرواية ابن أبى الحديد، أنه قال لهن. ": إذن، لا نستبقى منكم أحدا، لأنكم قد قتلتم إبراهيم الإمام، وزيد بن على، ويحيى بن زيد، ومسلم بن عقيل.

وقتلتم خير أهل الأرض حسينا، وإخوته، وبنيه، وأهل بيته، وسقتم نساءه سبايا - كما يساق ذرارى الروم - على الأقتاب إلى الشام"..

.(۲)

ولا بأس بمراجعة ما قاله داوود بن على عندما قتل ثمانين أمويا مرة واحدة (۳).

وكذلك فإنهم ما لقبوا أبا سلمة الخلال، أول وزير فى الدولة العباسية ب " وزير آل محمد، " وأبا مسلم الخراسانى ب " أمين، أو أمير آل محمد (۵. ") إلا من أجل الحفاظ على ربط الدعوة بأهل البيت عليهم السلام، ولتبقى - من ثم - محتفظة بقوتها، وحيويتها.

وأخيرا. فلم يكن اتخاذهم السواد شعارا إلا تعبيرا عن الحزن والأسى (۱) الكامل لابن الأثير ج ۴ ص ۳۳۲، ومروج الذهب ج ۳ ص

۲۴۷، ولا بأس بمراجعة خطبة السفاح فی مروج الذهب أیضا ج ۳ ص ۲۵۷.

(۲) شرح النهج للمعتزلی ج ۷ ص ۱۲۹.

(۳) تاریخ الیعقوبی ج ۳ ص ۹۲.

(۴) الفخری فی الآداب السلطانیة ص ۱۵۵، ومروج الذهب ج ۳ ص ۲۷۱، والبدایة والنهایة ج ۱۰ ص ۵۴، والطبری ج ۱۰ ص ۶۰، وتاریخ التمدن الإسلامی، المجلد الأول، جزء ۱ ص ۱۵۲، وغیرهم، فإنه مما نص علیه أکثر المؤرخین.. (۶۱) صفحهمفاتیح البحث: مسلم بن عقیل علیه السلام (۲)، إبن أبی الحدید المعتزلی (۱)، الدولة العباسیة (العباسیون) (۱)، مدینة الکوفة (۱)، عبید الله بن زیاد لعنه الله (۱)، یزید بن معاویة لعنهما الله (۱)، زید بن علی (۱)، الشام (۱)، القتل (۳)، الحزن (۱)، کتاب الکامل لإبن الأثیر (۱)، کتاب مروج الذهب للمسعودی (۳)

لما نال أهل البیت فی عهد بنی أمیة (۱).

وهکذا. یتضح، بما لا مجال معه للشک: أنهم کانوا یستغلون سمعة العلویین، ودماءهم الزکیة فی محاولاتهم للوصول إلی الحکم، وتثبیت أقدامهم فیه..

بل إن من الملاحظ أن کثیرا من الثورات التی قامت بعد ثورة بنی العباس، کانت تحاول ذلک - بطریقة أو بأخری - أی أنها کانت تظهر للناس ارتباطها بأهل البیت علیهم السلام، وأنها تحظی بتأییدهم، وموافقتهم، وکثیر منها کان یرفع شعار ": الرضا من آل محمد ".

نهایة المطاف.

وبعد کل ما تقدم.. یتضح لنا بجلاء، الأسلوب الذی انتهجه (۱) هذا یصح بالنسبة للملابس السوداء. وأما کون الرایات سوداء، فیحتمل أن یکون لأجل ذلک، حسبما صرح به ابن خلدون ص ۲۵۹، ویحتمل أن یکون لما ورد من أن رایة علی علیه السلام یوم صفین کانت سوداء، علی ما نص علیه فإن فلوتن فی هامش: ص ۱۲۶ من کتابه السیادة العربیة، أو لأن رایات النبی صلی الله علیه وآله فی حروبه مع الکفار کانت سوداء، یقول الکمیت مشیرا إلی ذلک:

وإلا فارفعوا الرایات سودا * علی أهل الضلالة والتعدی وفی صبح الأعشی ج ۳ ص ۳۷۰، نقلا عن القاضی الماوردی فی کتابه": الحاوی الکبیر: " أن السبب فی اختیارهم السواد هو أن النبی صلی الله علیه وآله قد عقد فی یوم حنین ویوم الفتح لعمه العباس رایة سوداء. وفی صبح الأعشی أیضا ج ۳ ص ۳۷۱ نقل عن أبی هلال العسکری فی کتابه " الأوائل " أن سبب ذلک هو قتل مروان لإبراهیم الإمام، حیث لبس شیعته السواد حدادا علیه، فلزمهم ذلک، وصار شعارا لهم..

ونرجح أن حادثة قتل یحیی بن یزید، ولبس الخراسانیین السواد علیه سبعة أیام، هی التی شجعت العباسیین علی اتخاذ السواد شعارا لهم، إظهارا للحزن والأسی لما نال أهل البیت فی الدولة الأمویة. ویذهب إلی هذا الرأی السید عباس المکی فی نزهة الجلیس ج ۱ ص ۳۱۶. بل صرح البلاذری فی أنساب الأشراف ج ۳ ص ۲۶۴ بما یدل علی ذلک فراجع. (۶۲) صفحهمفاتیح البحث: أهل بیت النبی صلی الله علیه وآله (۱)، بنو أمیة (۱)، الطواف، الطوف، الطائفة (۱)، الإمام أمیر المؤمنین علی بن ابی طالب علیهما السلام (۱)، الرسول الأکرم محمد بن عبد الله صلی الله علیه وآله (۲)، الدولة الأمویة (۱)، کتاب انساب الأشراف للبلاذری (۱)، یحیی بن یزید (۱)، القتل (۲)، السب (۱)، الهلال (۱)

العباسیون، والخطة التی اتبعوها، من أجل کسب ثقة الناس بهم، وتأییدهم لهم، وصرف أنظار الحکام عنهم.

وأیضا الطریقة التی اتبعوها فی إبعاد العلویین عن مجال السیاسة، وأن بیعتهم لهم ما کانت إلا خداعا وتمویها، من أجل تنفیذ خطتهم، وإنجاح دعوتهم.

کما وظهر أن کون الدعوة - فی بادئ الأمر - باسم العلویین، لم یکن أمرا عفویا، وتلقائیا. وإنما کان ضمن خطة دقیقة، ومدروسة،

وضعت بعناية فائقة، كما توضحه لنا النصوص المتقدمة.

وظهر أيضا: كيف أن العباسيين قد حرصوا كل الحرص على ربط الثورة بأهل البيت عليهم السلام، وكانوا يعتمدون على هذا الربط كل الاعتماد، ويصرون، ويؤكدون عليه، كلما سنحت لهم الفرصة، وواتاهم الظرف، حتى عندما وصلوا إلى الحكم، وفازوا بالسلطان.

وقد انقاد الناس لهم في البداية، واستقامت لهم الأمور، ظنا منهم بحسن نيتهم، وسلامة طويتهم.

* * ولكن. ماذا كانت النتيجة بعد ذلك، بالنسبة للناس عامة، وبشكل خاص بالنسبة للعلويين، الذين قامت الثورة باسمهم ونجحت بفضلهم؟!

وماذا كان نصيبهم، ومصيرهم، من هذه الثورة ومعها؟!

هذا. ما سوف نحاول الإجابة عليه فيما يأتي من الفصول. (٦٣) صفحهمفاتيح البحث: أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (١)، الكسب (١)، النفاذ، التنفيذ (١)

مصدر الخطر على العباسيين

مصدر الخطر على العباسيين العلويون هم مصدر الخطر:

قد تقدم معنا: أن الدولة العباسية إنما قامت - في بداية أمرها - على الدعوة لخصوص العلويين، ثم لأهل البيت، ثم إلى الرضا من آل محمد.. وأن سر نجاحها ليس إلا ربطها بأهل البيت عليهم السلام.

وإن كانت قد انحرفت فيما بعد، حيث تحكم العباسيون وتسلطوا على الأمة بدعوى القربى النسبية من الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله.

ومن هنا. فإن من الطبيعي، أن يكون الخطر الحقيقي الذي يتهدد العباسيين، وخلافتهم، هو من جهة أبناء عمهم العلويين، الذين كانوا أقوى منهم حجة، وأقرب إلى النبي صلى الله عليه وآله منهم، باعتراف العباسيين أنفسهم (١).. (١) سيأتي اعتراف عيسى بن موسى بذلك، واعتراف الرشيد للكاظم عليه السلام والمأمون للرضا عليه السلام في الكتاب التي سنورده في أواخر هذا الكتاب، وأيضا قوله للرضا عليه السلام: أنتم والله أمس برسول الله رحما، وبيعة السفاح والمنصور وغيرهم لمحمد بن عبد الله العلوي وكلام المنصور في مجلس البيعة يدل على ذلك أيضا، إلى غير ذلك مما لا مجال لنا هنا لتتبعه واستقصائه..

وقد كان الخلفاء من بني العباس يدركون جيدا مقدار هذا النفوذ. (٦٤) صفحهمفاتيح البحث: أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٢)، الدولة العباسية (العباسيون) (١)، الحج (١)، الإمام علي بن موسى الرضا عليهما السلام (٢)، الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليهما السلام (١)، بنو عباس (١)، عبد الله العلوي (١)

فادعاؤهم الخلافة إذن، له مبرراته الكاملة، سيما وأن من بينهم من له الجدارة والأهلية، ويتمتع بأفضل الصفات والمؤهلات لهذا المنصب من العلم، والعقل، والحكمة، وبعد النظر في الدين والسياسة. هذا بالإضافة إلى كان يكنه الناس لهم، من مختلف الفئات والطبقات، من الاحترام والتقدير، الذي نالوه بفضل تلك المميزات والصفات، وبفضل سلوكهم المثالي، وترفعهم عن كل المشينات، والموبقات.

أضف إلى ذلك كله. أن رجالات الإسلام، وأبطاله، كانوا هم آل أبي طالب " رضي الله تعالى عنه، " فأبو طالب مربي النبي صلى الله عليه وآله وكفيله، وعلي عليه السلام وصيه وظهيره، وكذلك الحسن، والحسين، وعلي زين العابدين، وباقي الأئمة. ومنهم زيد بن علي الخارج على بني أمية، وغيرهم، ممن يطول المقام بذكرهم، رضوان الله عليهم أجمعين.

ولقد كانت بطولات العلويين، ومواقفهم على كل شفة ولسان، وفي كل قلب وفؤاد، حتى لقد ألفت الكتب الكثيرة في وصف تلك البطولات، وبيان هاتيك المواقف.

وخلاصة الأمر: إنه لم يكن هناك مجال لإنكار نفوذ العلويين الواسع فى تلك الفترة، أو تجاهله، فإن ذلك إما أن يكون عن قصر نظر، وقلة معرفة، أو مكابرة وعنادا.

تخوف العباسيين من العلويين:

وقد كان الخلفاء من بنى العباس يدركون جيدا مقدار هذا النفوذ، للعلويين، ويتخوفون منه، منذ أيامهم الأولى فى السلطة. ومما يدل على ذلك: (٦٥) صفحهمفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (١)، أبو طالب عليه السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، بنو عباس (١)، بنو أمية (١)، زيد بن على (١)

أن السفاح، من أول عهده كان قد وضع الجواسيس على بنى الحسن، حيث قال لبعض ثقاته، وقد خرج وفد بنى الحسن من عنده": قم بإنزالهم ولا تأل فى ألطافهم، وكلما خلوت معهم، فأظهر الميل إليهم، والتحامل علينا، وعلى ناحيتنا. وأنهم أحق بالأمر منا، وأحص لى ما يقولون، وما يكون منهم فى مسيرهم، ومقدمهم (١.").

وقد تنوعت هذه المراقبة، وتعددت أساليبها بعد عهد السفاح، يظهر ذلك لكل من راجع كتب التاريخ (٢).

خوف المنصور من العلويين ومما يدل على مدى تخوف العباسيين من العلويين وصية المنصور لولده المهدى، التى يحثه فيها على القبض على عيسى بن زيد العلوى، يقول المنصور:

. "يا بنى، إنى قد جمعت لك من الأموال ما لم يجمعه خليفة قبلى، وجمعت لك من الموالى ما لم يجمعه خليفة قبلى، وبنيت لك مدينة لم يكن فى الإسلام مثلها. ولست أخاف عليك إلا أحد رجلين:

عيسى بن موسى، وعيسى بن زيد. فأما عيسى بن موسى، فقد أعطانى من العهود والمواثيق ما قبلته، ووالله، لو لم يكن إلا أن يقول قولا لما خفته عليك، فأخرجه من قلبك، وأما عيسى بن يزيد، فانفق هذه الأموال، واقتل هؤلاء الموالى، واهدم هذه المدينة، حتى تظفر به،

(١) الطبرى، طبع ليدن ج ١١ ص ٧٥٢، والعقد الفريد، طبع دار الكتاب العربى ج ٥ ص ٧٤، وتاريخ التمدن الإسلامى، وغير ذلك..

(٢) وقد اعترف المنصور نفسه بهذه المراقبة فى بعض خطبه: فراجع: الطبرى ج ١٠ ص ٤٣٢، ومروج الذهب ج ٣ ص ٣٠١. (٦٦) صفحهمفاتيح البحث: عيسى بن زيد (٢)، الوصية (١)، كتاب مروج الذهب للمسعودى (١)

ثم لا ألومك (١.").

وليس تخوف المنصور إلى هذا الحد من عيسى بن زيد لعظمة خارقة فى عيسى هذا، وإنما كل ما فى الأمر أن المجتمع الإسلامى كان قد قبل – فى تلك الفترة من الزمن – أن الخلافة الشرعية إنما هى فى ولد على عليه السلام. وإذا ما قام عيسى بن زيد بثورة، فإنه سوف يلقى تأييدا واسعا، فهو من جهة ابن زيد الشهيد، الثائر على بنى أمية.

ومن جهة أخرى. كان من المعاونين لمحمد بن عبد الله العلوى – قتيل المدينة – الذى كان السفاح والمنصور قد بايعاه، حسبما تقدم، والذى ادعى على نطاق واسع – باستثناء الإمام الصادق عليه السلام – أنه مهدى هذه الأمة. – كما أنه – أى عيسى بن زيد – كان من المعاونين لإبراهيم أخى محمد بن عبد الله الآنف الذكر، والذى خرج بالبصرة، وقتل بباخمرى.

ومما يدل على مدى خوف المنصور من العلويين أنه:

عندما كان مشغولا بحرب محمد بن عبد الله، وأخيه إبراهيم، كان لا ينام الليل فى تلك الأيام. وأهديت له جاريتان، فلم ينظر إليهما، فكلم فى ذلك، فنهر المتكلمة، وقال. ": ليست هذه الأيام من أيام النساء، لا سبيل لى إليهما، حتى أعلم: أرأس إبراهيم لى، أم رأسى لإبراهيم؟ (٢. (") ١) الطبرى طبع ليدن ج ١٠ ص ٤٤٨.

وتحسن الإشارة هنا إلى أن الأموال التى خلفها المنصور للمهدى تبلغ ٦٠٠ مليون درهم، و ١٤ مليون دينار. راجع أمراء الشعر العربى فى العصر العباسى ص ٣٥.

(٢) تاريخ ابن خلدون ج ٣ ص ١٩٥، والطبرى ج ١٠ ص ٣٠٦، وتاريخ اليعقوبى ج ٣ ص ١١٤، والبداية والنهاية ج ١٠ ص ٩٣،

والكامل لابن الأثير ج ۵ ص ۱۸.

وأنساب الأشراف ج ۳ ص ۱۱۸، ولكنه يذكر أنهما امرأتان من قريش كانتا قد خطبتا للمنصور. (۶۷) صفحهمفاتيح البحث: الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام (۱)، عبد الله العلوى (۱)، محمد بن عبد الله (۲)، بنو أمية (۱)، عيسى بن زيد (۳)، الوسعة (۱)، الشهادة (۱)، الخوف (۱)، كتاب الكامل لإبن الأثير (۱)، كتاب تاريخ ابن خلدون لابن خلدون (۱)، كتاب البداية والنهاية (۱)، كتاب الأشراف للشيخ المفيد (۱)، العصر (بعد الظهر) (۱)

وهيئت له آنئذ عجينة من مخ وسكر، فاستطابها، فقال ": أراد إبراهيم أن يحرمنى هذا وأمثاله (۱.")

وأرسل إلى كل باب من أبواب عاصمته - وهى الكوفة آنئذ - إبلا ودوابا، حتى إذا أتى إبراهيم وجيشه من ناحية، هرب هو إلى الرى من الناحية الأخرى (۲).

وفى حربه - أى المنصور - مع محمد بن عبد الله اتسخت ثيابه جدا، حيث لم ينزعها عن بدنه أكثر من خمسين يوما (۳).

وكان لا يستطيع أن يتابع كلامه من كثرة همه (۴).

وأخيرا. فكم من مرة رأيناه يجلب الإمام الصادق عليه السلام، ويتهدده ويتوعده، ويتهمه بأنه يدبر للخروج عليه وعلى سلطانه.

فكل ذلك يدل دلالة واضحة على مدى رعب المنصور، وخوفه من العلويين، وما ذلك إلا لإدراكه مدى ما يتمتعون به من التأكيد، فى مختلف الطبقات، وعند جميع الفئات. (۱) مروج الذهب ج ۳ ص ۲۹۸.

(۲) الطبرى ج ۱۰ ص ۳۱۷، طبع ليدن، وتاريخ اليعقوبى ج ۳ ص ۱۱۳. ومرآة الجنان ج ۱ ص ۲۹۹، وشرح ميمية أبى فراس ص ۱۱۶، وفرج المهموم فى تاريخ علماء النجوم ص ۲۱۰، نقلا عن تجارب الأمم لابن مسكويه ج ۴.

(۳) الطبرى ج ۱۰ ص ۳۰۶، وتاريخ ابن خلدون ج ۳ ص ۱۹۵، والكامل لابن الأثير ج ۵ ص ۱۸، والمحاسن والمساوى ص ۳۷۳، والبداية والنهاية ج ۱۰ ص ۹۳، وأنساب الأشراف للبلاذرى ج ۳ ص ۱۱۸.

(۴) البداية والنهاية ج ۱۰ ص ۹۳، وقال اليافعى فى مرآة الجنان ج ۱ ص ۲۹۸، ۲۹۹:

.. "ولم يأو إلى فراش خمسين ليلة، وكان كل يوم يأتيه فتق من ناحية. هذا، ومئة ألف سيف كامنة له بالكوفة، قالوا: ولولا السعادة لسل عرشه بدون ذلك. (" ۶۸) صفحهمفاتيح البحث: الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام (۱)، مدينة الكوفة (۲)، محمد بن عبد الله (۱)، كتاب مروج الذهب للمسعودى (۱)، كتاب البداية والنهاية (۲)، كتاب الأشراف للشيخ المفيد (۱)

حتى إنه عندما سئل عن المبايعين لمحمد بن عبد الله أجاب.. ":

ولد على، وولد جعفر، وعقيل، وولد عمر بن الخطاب، وولد الزبير بن العوام، وسائر قريش، وأولاد الأنصار (۱.")

وسيمر معنا أن المنصور ادعى أن ولده هو المهدى، عندما رأى أن الناس - ما عدا الإمام الصادق عليه السلام - قد قبلوا بمهدوية محمد بن عبد الله العلوى. وسيمر معنا أيضا طرف من معاملته للعلويين فيما يأتى إن شاء الله تعالى.

خوف المهدى من العلويين:

وأما خوف المهدى من العلويين، فذلك لعله من أوضح الواضحات، فمثلا نرى أنه: عندما أخرج الإمام الكاظم عليه السلام من السجن، يطلب منه أن لا يخرج عليه، ولا على أحد من ولده (۲).

كما أنه قد مكث مدة يطلب عيسى بن زيد، والحسن بن إبراهيم، بعد هربه من السجن.. فقال المهدى يوما لجلسائه ": لو وجدت رجلا من الزيدية، له معرفة بآل حسن، وبعيسى بن زيد، وله فقه. فأجتلبه عن طريق الفقه، فيدخل بينى وبين آل حسن، وعيسى بن زيد،" فدله الربيع على يعقوب بن داوود، فلم يزل أمره يرتفع عند الخليفة المهدى، حتى استوزره، وفوضه جميع أمور الخلافة، وخرج كتابه على الدواوين (۱) مروج الذهب ج ۳ ص ۲۹۴، ۲۹۵.

(۲) راجع: مروج الذهب، وابن خلكان: ترجمة الإمام الكاظم، وفصل الخطاب، وينابيع المودة، وكشف الغمة، ومرآة الجنان، وصفة

الصفوة.

وصرح في ينابيع المودة ص ٣٨٢، ٣٨٣ باتفاق المؤرخين على ذلك. (۶٩) صفحهمفاتيح البحث: الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام (١)، الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليهما السلام (١)، الخليفة عمر بن الخطاب (١)، الحسن بن إبراهيم (١)، الزبير بن العوام (١)، عبد الله العلوى (١)، محمد بن عبد الله (١)، عيسى بن زيد (٢)، الخوف (١)، كتاب مروج الذهب للمسعودى (٢)، كتاب كشف الغمة للإربلى (١)، كتاب ينابيع المودة (٢)

بأنه: قد آخاه (١). كل ذلك من أجل أن يدله على الحسن بن إبراهيم، وعيسى بن زيد، مع أن يعقوب هذا كان قد سجنه المنصور، لخروجه عليه مع إبراهيم بن عبد الله بن الحسن، والمهدى هو الذى أطلقه.

ولكنه لما لم يدله على عيسى بن زيد اتهمه بأنه: يمالئ الطالبيين فسجنه (٢) وبقى في السجن إلى زمن الرشيد، فأخرجه. وقد كف بصره.

خوف الرشيد من العلويين:

وأما الرشيد " الذى ثارت الفتن في زمنه بين أهل السنة والرافضة (٣)، (١) الطبرى، طبع ليدن ج ١٠ ص ۴۶۴، ۵٠٧، ۵٠٨، ومروج الذهب ج ٣ ص ٣١٢، والفخرى في الآداب السلطانية ص ١٨۴، ١٨۵، وليراجع: الوزراء والكتاب ص ١۵۵ وغير ذلك. وسيأتى في فصل: ظروف البيعة المزيد من الكلام حول نفوذ يعقوب هذا.. ونكتفى هنا بالقول: إنه قد بلغ من نفوذه، أن جاز لبشار أن يقول أبياته المشهورة:

بنى أمية هبوا طال نومكم * إن الخليفة يعقوب بن داوود ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا * خليفة الله بين الزق والعود (٢) مروج الذهب ج ٣ ص ٣١٢، وضحى الإسلام ج ٣ ص ٢٩٢، والطبرى، وغير ذلك. وفى مرآة الجنان ج ١ ص ۴١٩ وغيره: أنه حبسه في بئر، وبنى عليه قبة، وليراجع الوزراء والكتاب ص ١۵۵ أيضا.

وقد دخل مروان بن أبى حفصة على المهدى بعد أن سجن يعقوب، وقال له:

"إن يعقوب رجل رافضى.."

ومع ذلك. فإننا نرى البعض يتهم يعقوب هذا بأنه هو الذى وشى للرشيد بالإمام موسى ابن جعفر عليه السلام، فراجع عيون أخبار الرضا ج ١ ص ٧٣، وغيره...

(٣) النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٧٧. (٧٠) صفحهمفاتيح البحث: عبد الله بن الحسن (ع) (١)، الحسن بن إبراهيم (١)، عيسى بن زيد (٢)، كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام (١)، كتاب مروج الذهب للمسعودى (٢)، بنو أمية (١)

فقد كان معنيا بالمسألة عن آل على، وكل من كان ذا نباهة وشأن منهم، كما سيأتى.

وقضيته مع يحيى بن عبد الله بن الحسن، الذى كان قد خرج في الديلم، وحالته السيئة، وهمومه في أيام خروجه، أشهر من أن تحتاج إلى بيان. وكيف لا تأخذه الهموم، وتذهب به الوساوس، وقد اتبع يحيى " خلق كثير، وجم غفير، وقويت شوكته، وارتحل إليه الناس من الكور والأمصار، فانزعج للملك الرشيد، وقلق من أمره. " وكان الساعى بالصلح بينه وبين يحيى هو الفضل بن يحيى، وبسبب تمكنه من إخماد ثورة يحيى عظمت منزلته عند الرشيد جدا، وفرح بذلك الصلح فرحا عظيما (١). وإن كان قد غدر بيحيى بعد ذلك، كما هو معروف ومشهور.

كما أنه عندما ذهب إلى المدينة لم يعط الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، سوى مائتى دينار، رغم أنه كان يعطى من لا يقاسون به الآلاف منها، وكان اعتذاره عن ذلك لولده المأمون، أنه لو أعطاه أكثر من ذلك لم يأمن أن يخرج عليه من الغد مئة ألف سيف من شيعته، ومحبيه صلوات الله وسلامه عليه (٢). (١) راجع في ذلك كله: البداية والنهاية ج ١٠ ص ١۶٧، وعمدة الطالب، طبع بيروت ص ١٢۴، وشرح ميمية أبى فراس ص ١٩٠.

(۲) عيون أخبار الرضا ج ۱ ص ۹۲، والبحار ج ۴۸ ص ۱۳۱، ۱۳۲.

وقد رأينا أن العباسيين ابتداء من المنصور، بل السفاح – مع الإمام الصادق عليه السلام – كانوا دائما يتهددون الأئمة – الذين ما كانوا يجدون الفرصة لأى تحرك، ومن أى نوع، كما سنوضحه – ويتهمونهم بأنهم كانوا يدبرون فى الخفاء للخروج عليهم، ليجدوا الوسيلة من ثم – للتضييق عليهم، والمبرر لسجنهم، ومصادرة أموالهم و و.

وكان الأئمة ينفون ذلك، ويدحضون تلك التهم باستمرار.. لكنهم ما كانوا يقبلون منهم ذلك!! (۷۱) صفحهمفاتيح البحث: عبد الله بن الحسن (ع) (۱)، صلح (يوم) الحديبية (۲)، الفضل بن يحيى (۱)، موسى بن جعفر (۱)، الصّلاة (۱)، كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام (۱)، الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام (۱)، كتاب البداية والنهاية (۱)، مدينة بيروت (۱)، الإخفاء (۱)

ثم عاد وسجنه بعد ذلك بحجة أنه كان يجبى إليه الخراج، ثم يدس إليه السم، ويتخلص منه، وذلك هو مصير أكثر الأئمة على يد الخلفاء قبله وبعده.

وأما فى زمن المأمون!

وأما فى زمن المأمون: فقد كان الأمر أعظم، وأمر، وأدهى، حيث قد شملت الثورات والفتن الكثيرة من الولايات والأمصار، حتى لم يعد يعرف المأمون من أين يبدأ، ولا ـ كيف يعالج. وأصبح يرى، ويؤلمه أن يرى مصيره، ومصير خلافته فى مهب الريح، تتقاذفه الأنواء، ويضرى به الأعصار.

عقدة الحقارة لدى العباسيين:

وكان ذلك بطبيعته يزيد من رعب العباسيين، ويضاعف من مخاوفهم..

سيما بملاحظة أنهم كانوا يعيشون عقدة الحقارة والمهانة.

يقول أبو فراس مشيرا إلى ذلك:

ثم ادعاها بنو العباس ملكهم * وما لهم قدم فيها ولا قدم لا يذكرون إذا ما معشر ذكروا * ولا يحكم فى أمر لهم حكم ولا رآهم أبو بكر وصاحبه * أهلا ـ لما طلبوا منها وما زعموا فهل هم يدعوها غير واجبة * أم هل أئمتهم فى أخذها ظلموا وقد كتب أبو مسلم للمنصور، من جملة رسالة له. ": وأظهركم الله بعد الاخفاء، والحقارة والذل، ثم استنقذنى بالتوبة الخ (۱. ("). ۱) البداية والنهاية ج ۱۰ ص ۶۴. وغيره. (۷۲) صفحهمفاتيح البحث: بنو عباس (۱)، التوبة (۱)، الحج (۱)، كتاب البداية والنهاية (۱)

وفى رسالة أخرى. ": حتى عرفكم من كان جهلكم (۱.")

بل لقد صرح المنصور بذلك لعمه عبد الصمد بن على، حيث قال له ": نحن بين قوم رأونا بالأمس سوقة، واليوم خلفاء، فليس تتمهد هيبتنا إلا باستعمال العقوبة، ونسيان العفو ". كما سيأتى.

فى مواجهة الخطر:

وإذا كان العباسيون يدركون: أن الخطر الحقيقى الذى يتهددهم، إنما هو من قبل أبناء عمهم العلويين، فإن عليهم إذن. أن يتحركوا. أن يفعلوا شيئا. أن يواجهوا الخطر المحدق بهم بكل وسيلة، وبأى أسلوب كان. سيما وهم يشهدون عن كثب سرعة استجابة الناس للعلويين، وتأييدهم، ومساندتهم لكل دعوة من قبلهم.

فكيف عالج العباسيون الموقف؟!.

وما هو مدى نجاحهم فى ذلك؟ إن كان قدر لهم النجاح!! (۱) البداية والنهاية ج ۱۰ ص ۶۹، والإمامة والسياسة ج ۲ ص ۱۳۳، وغير ذلك. (۷۳) صفحهمفاتيح البحث: عبد الصمد بن على (۱)، كتاب البداية والنهاية (۱)

سياسة العباسيين ضد العلويين

سیاسة العباسیین ضد العلویین:

مما سبق:

قد تقدم معنا بعض ما یدل علی مدی نفوذ العلویین، وعلی المکانة التی کانوا یتمتعون بها علی العموم. وأنهم هم الذین کانوا یشکلون الخطر الحقیقی علی العباسیین، ومرکزهم فی الحکم.

وقد کان العباسیون یدرکون بالفعل هذه الحقیقة، فکان علیهم أن یبعدوهم عن مجال السیاسة بأی وسیلة کانت وأن یحدوا ما استطاعوا من نفوذهم، ویضعفوا ما أمکنهم من قوتهم.

وقد اتبعوا من أجل ذلک أسالیب شتی، وطرق متنوعة:

فحاولوا فی بادئ الأمر أن یقارعوهم الحجة بالحجة..

تطویر نظریة الإرث:

وکان من جملة أسالیبهم فی ذلک أنهم غیروا وبدلوا فی السلسلة، التی کانوا یواجهون بها الناس فی تقریرهم لشرعیة خلافتهم من النبی صلی الله علیه وآله. (۷۴) صفحهمفاتیح البحث: الرسول الأکرم محمد بن عبد الله صلی الله علیه وآله (۱)

وذلک لأنهم کانوا فی بدایة أمرهم یصلون حبل وصایتهم بأمیر المؤمنین علیه السلام، ثم منه إلی ولده محمد بن الحنفیة، ثم إلی ابنه أبی هاشم، ثم إلی علی بن عبد الله بن العباس، فإلی ولده محمد بن علی، فإبراهیم الإمام، ثم منه إلی أخیه السفاح (۱) وهکذا.. هذا. مع إنکارهم لشرعیة خلافة أبی بکر وعمر، وعثمان، وغیرهم من خلفاء الأمویین، وغیرهم.

ویتضح إنکارهم وتبرؤهم هذا من کثیر من النصوص التاریخیة. فمن ذلک قصة أبی عون مع المهدی، التی ستأتی فی بعض هوامش هذا الفصل.

ومن ذلک أیضا قول أبی مسلم فی خطبته فی أهل المدینة فی السنة التی حج فیها فی عهد السفاح، قال.. ": وما زلتم بعد نبیه تختارون تیمیا مرة، وعدویا مرة، وأسدیا مرة وسفیانیا مرة، ومروانیا مرة، حتی جاءکم من لا تعرفون اسمه، ولا بیته [یعنی نفسه] یضربکم بسیفه، فأعطیتموها عنوة، وأنتم صاغرون، ألا وإن آل محمد أئمة الهدی، ومنار سبیل التقی، القادة الذادة السادة الخ (۲ "). وتقدم قول داوود ابن علی ": لم یقم فیکم إمام بعد رسول الله الخ ".. وروی أبو سلیمان الناجی، قال ": جلس المهدی یوما یعطی قریشا صلات لهم، وهو ولی عهد، فبدأ ببنی هاشم، ثم بسائر قریش.

فجاء السید أی [الحمیری]، فرفع إلی الربیع حاجب المنصور رقعة مختومة، وقال: إن فیها نصیحة للأمیر، فأوصلها إلیه. فأوصلها.

فإذا فیها: (۱) تاریخ ابن خلدون ج ۳ ص ۱۷۳، ومروج الذهب ج ۳ ص ۲۳۸، ووفیات الأعیان ج ۱ ص ۴۵۴، ۴۵۵، طبع سنة ۱۳۱۰، وإمبراطوریة العرب ص ۴۰۶، وغیر ذلک، وقد أشرنا إلی أن هذه هی عقیدة الکیسانیة، فراجع.

(۲) شرح النهج للمعتزلی ج ۷ ص ۱۶۱، ۱۶۲. (۷۵) صفحهمفاتیح البحث: الإمام أمیر المؤمنین علی بن ابی طالب علیهما السلام (۱)، عبد الله بن عباس (۱)، الدولة الأمویة (۱)، محمد بن الحنفیة إبن الإمام أمیر المؤمنین علیه السلام (۱)، خلافة أبی بکر بن أبی قحافة (۱)، بنو هاشم (۱)، محمد بن علی (۱)، کتاب مروج الذهب للمسعودی (۱)، کتاب تاریخ ابن خلدون لابن خلدون (۱)

قل لابن عباس سمی محمد * لا تعطین بنی عدی درهما احرم بنی تیم بن مرة أنهم * شر البریة آخرا، ومقدما إن تعطهم لا یشکروا لک نعمة * ویکافؤوک بأن تذم وتشتما وإن ائتمنتهم أو استعملتهم * خانوک، واتخذوا خراجک مغنما ولئن منعتهم لقد بدءوکم * بالمنع، إذ ملکوا وکانوا أظلما منعوا تراث محمد أعمامه * وابنیه، وابنته عدیلة مریما وتأمروا من غیر أن یستخلفوا * وکفی بما فعلوا هنالک مأثما لم یشکروا لمحمد إنعامه * أفیشکرون لغیره إن أنعما والله من علیهم بمحمد * وهداهم، وکسا الجنوب، وأطعما ثم انبروا لوصیه وولیه * بالمنکرات، فجرعوه العلقما قال: فرمی بها إلی عبد الله معاویة بن یسار، الکاتب للمهدی، ثم قال: اقطع العطاء، فقطعه. وانصرف الناس. ودخل السید إلیه، فلما رآه ضحک، وقال: قد قبلنا نصیحتک یا إسماعیل. ولم یعطهم شیئا (۱.").

ونری السید الحمیری فی مناسبهٔ أخری ینشد المنصور أبیاتا یهجو بها سوارا القاضی، من جملتها:

إن سوار بن عبد * الله من شـر القضاء نعثلی، جملی، * لکم غیر مواتی (۲) (۱) الأغانی ج ۷ ص ۱۶، طبع دار الفکر، والغدیر ج ۲ ص ۲۵۴، ۲۵۵، والأدب فی ظل التشیع ص ۲۰۷، ومستدرک أخبار السید الحمیری للمرزبانی ص ۵۸، باختصار ودیوان السید الحمیری ص ۳۷۷، ۳۷۸، نقلا عن الأولین، وعن:

أعیان الشیعهٔ ج ۱۲ ص ۱۷۸، وتاریخ الإسلام ج ۲ ص ۱۴۷، وتاریخ آداب اللغهٔ العربیهٔ ج ۲ ص ۶۷، ۶۸.

(۲) طبقات الشعراء لابن المعتز ص ۳۴، والأغانی ج ۷ ص ۲۶۱، والغدیر ج ۲ ص ۲۵۶ (۷۶) صفحهمفاتیح البحث: عبد الله بن عباس (۱)، کتاب أخبار السید الحمیری للمرزبانی الخراسانی (۱)، کتاب أعیان الشیعهٔ للأمین (۱)، التاریخ الإسلامی (۱)

ویقول القاسم بن یوسف:

هـاشم فخر قصـی کلهـا * أین تیم وعـدی والفخار لهم أیـد طوال فی العلی * ولمن ساماهم أیـد قصار لهم الوحی وفیهم بعـده * آمر الحق وفی الحق منـار وهم أولی بأرحامهم * فی کتاب الله إن کان اعتبار ما بعیـد کقریب سـببا * لا ولا یعـدل بالطرف الحمار إلی أن قال:

خسر الآخذ ما لیس له * عمد عین والشریک المستشار ولفیف ألفوا بینهم * بیعهٔ فیها اختلاط وانتشار ورسوله الله لم یدفن فما * شغل القوم اغتمام وانتظار کان منهم قبل آل المصطفی * أن یلوا الأمر حذار ونفار (۱) إلی آخر الأبیات.

والقاسم بن یوسف معاصر لکل من الرشید والمأمون، وتوفی سنهٔ ۲۱۳ ه.

وکل ما ذکرناه یدل علی إنکار العباسیین لشرعیهٔ خلافهٔ أبی بکر وعمر.

ومثل ذلک کثیر لا مجال لنا هنا لاستقصائه، وحسبنا هنا أقوال المؤرخین، فإنها القول الفصل، والحکم العدل.

هذا ما کان فی بدایهٔ الأمر. أی أنهم کانوا یصلون حبل وصایتهم بعلی علیه السلام، وینکرون شرعیهٔ خلافهٔ الثلاثهٔ، ثم عدلوا عن ذلک بعد فترهٔ. وذلک لما یتضـمنه من الاعتراف بأن الوصایهٔ کانت فی ولد علی علیه السـلام. (۱) الأوراق للصولی ص ۱۸۰، وأخبار شعراء الشیعهٔ للمرزبانی ص ۱۰۸ – ۱۰۹. (۷۷) صـفحهمفاتیح البحث: الإمام أمیر المؤمنین علی بن ابی طالب علیهما السـلام (۲)، خلافهٔ أبی بکر بن أبی قحافهٔ (۱)، الدفن (۱)

فأسس المهدی فرقهٔ (۱) تـدعی: أن الإمام بعد رسول الله صـلی الله علیه وآله هو العباس بن عبد المطلب، ثم ابنه عبد الله، ثم ابنه علی، ثم ابنه محمد. وهکذا إلی أن ینتهی الأمر إلیهم. هذا. مع الاسـتمرار علی البراءهٔ من أبی بکر، وعمر، وعثمان. ولکنهم أجازوا بیعهٔ علی ابن أبی طالب، لأن العباس نفسه کان قد أجازها (۲). وتسمی هذه الفرقهٔ ب ": الراوندیهٔ والشیعهٔ العباسیهٔ."

ولکننا لا نجد لهذه الفرقهٔ أثرا فی عصر المأمون، لأن سیاسهٔ الخلیفهٔ قد اقتضت تجمید هذه المقالهٔ، ولو لفترهٔ من الزمان کما سنوضحه

وعلی کل حال فیقول منصور النمری یمدح الرشید:

لولا عـدی وتیم لم تکن وصـلت * إلی أمیـهٔ تمریها وترتضع إن الخلافـهٔ کانت إرث والـدکم * من دون تیم، وعفو الله متسع (۳) (۱) هـذا. ولکن الذی یبدو هو أن صاحب الفکرهٔ الحقیقی هو المنصور. کما یظهر من رسالته لمحمد بن عبد الله بن الحسن، ومن کثیر من کلماته، وخطبه. والمهـدی کان هو المنفـذ لها، والمخرج من عالم القوهٔ إلی عالم الفعل.. بل لقد سار المنصور فی إشاعهٔ هذه الفکرهٔ، وترکیزهـا شوطـا بعیـدا، حتی لقـد تقرب إلیه بها الشعـراء، فهـذا السـید الحمیری یقول – علی ما یرویه لنا المرزبانی فی أخباره ص ۳۷ ویروی أیضا مکافأهٔ المنصور المهمهٔ له علی ذلک – یقول السید:

یا رهط أحمـد إن من أعطاکم * ملک الوری وعطاؤه أقسام رد الخلافـهٔ والوراثـهٔ فیکم * وبنو أمیـهٔ صاغرون رغام لمتمم لکم الـذی أعطاکم * ولکم لدیه زیادهٔ وتمام أنتم بنو عم النبی علیکم * من ذی الجلال تحیهٔ وسلام وورثتموه وکنتم أولی به * إن الولاء تحوزه الأرحام إلی غیر ذلک مما لا مجال لنا لتتبعه واستقصائه.

(۲) فرق الشيعة للنوبختي ص ۴۸، ۴۹، وتاريخ ابن خلدون ج ۳ ص ۱۷۳، ومروج الذهب للمسعودى ج ۳ ص ۲۳۶، إلا أن النوبختى ذكر أنهم لم يجيزوا حتى بيعة على أيضا.

(۳) طبقات الشعراء لابن المعتز ص ۲۴۴، والشعر والشعراء ص ۵۴۶. (۷۸) صفحهمفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (۱)، العباس بن عبد المطلب (۱)، عبد الله بن الحسن (ع) (۱)، بنو أمية (۱)

تشجيع الخلفاء لهذا الاتجاه:

وقد شجع الخلفاء هذه النحلة، أو فقل هذا الاتجاه، واستمروا يناصرونه إلى زمن هارون.

وقد حصل مروان ابن أبى حفصة من الخليفة العباسى " المهدى " على أعظم جائزة تعطى لشاعر فى تلك الفترة، على قوله مخاطبا آل على:

هل تطمسون من السماء نجومها * بأكفكم أو تسترون هلالها أو تدفعون مقالة عن ربكم * جبريل بلغها النبى فقالها نزلت من الأنفال آخر آية * بتراثهم، فأردتم إبطالها يشير إلى آية ": أولوا الأرحام.".

فزحف المهدى من صدر مصلاه إعجابا، وأعطاه مئة ألف درهم، لكل بيت ألف درهم. وكانت هذه أول مئة ألف تعطى لشاعر فى دولة بنى العباس (۱).

وأعطاه هارون بدوره على هذه الأبيات، بعد أن أصبح خليفة مئة ألف أيضا.

كما أن المهدى قد أعطى مروان هذا على قوله:

أنى يكون وليس ذاك بكائن * لبنى البنات وراثة الأعمام أعطاه ثلاثين ألفا من صلب ماله، وكساه جبة، ومطرفا، وفرض على أهله ومواليه ثلاثين ألفا أيضا (۲). (۱) تاريخ بغداد ج ۱۳ ص ۱۴۴، ۱۴۵، ومرآة الجنان ج ۱ ص ۳۲۱.

(۲) ولكن فى العقد الفريد ج ۱ ص ۳۱۲، الطبعة الثالثة، والمحاسن والمساوى ص ۲۱۹:

أنه أخذ منه ثلاثين، ومن أهل بيته سبعين. ولعل هذا هو الأقرب إلى الواقع، فقد ذكر فى المحاسن والمساوى ص ۲۲۰: أن مروان هذا قال فى هذه المناسبة:

بسبعين ألفا راشى من حبائه * وما نالها فى الناس من شاعر قبلى بل هذا البيت يدل على أن السبعين كانت منه، لا من أهل بيته..

وفى طبقات الشعراء ص ۵۱ اكتفى بالقول: أنه أخذ بهذا البيت مالا عظيما.. (۷۹) صفحهمفاتيح البحث: بنو عباس (۱)، الصّلب (۱)، كتاب تاريخ بغداد للخطيب البغدادى (۱)

وينسب هذا الشعر لبشار بن برد كذلك.

وبعد ذلك يقف مروان بن أبى الجنوب (ويقال: بل مروان بن أبى حفصة، وقد أنشدها المتوكل، على ما فى الغدير ج ۴ ص ۱۷۵)، وينشد الخليفة قصيدته التى مطلعها:

لكم تراث محمد * وبعدلكم تشفى الظلامة إلى أن يقول:

ما للذين تنحلوا * ميراثكم إلا الندامة فيخلع عليه أربع خلع، وينثر ثلاثة آلاف دينار، يأمره بالتقاطها، ويعطيه عشرة آلاف درهم، ثم يعقد له - مع ذلك كله - ولاية على البحرين واليمامة (۱).

بل لقد تمادى هارون، وأراد أن يذهب إلى أبعد من ذلك، حيث أراد أن ينكر حتى شرعية خلافة الإمام على عليه السلام، فأحضر " أبا معاوية الضرير " وهو أحد محدثى المرجئة (۲)، وقال له ": هممت أنه من يثبت خلافة على فعلت به وفعلت. ".. فنهاه أبو معاوية عن ذلك، واستدل له بما أعجبه، فارتدع، وانصرف عما كان عزم عليه (۳). (۱) راجع: الكامل لابن الأثير ج ۷ ص ۳۸، والإمام الصادق والمذاهب الأربعة، المجلد الثانى، جزء ۳، ص ۲۲۸.

(۲) المرجئة الأولى كانوا لا يتولون عثمانا ولا عليا، ولا يتبرأون منهما.

(۳) راجع تفصیل ذلک فی تاریخ بغداد ج ۵ ص ۲۴۴، ونکت الهمیان فی نکت العمیان ص ۲۴۷. (۸۰) صفحهمفاتیح البحث: الإمام أمیر المؤمنین علی بن ابی طالب علیهما السلام (۱)، العقد (۱)، کتاب تاریخ بغداد للخطیب البغدادی (۱)، کتاب الکامل لإبن الأثیر (۱)، الصدق (۱)

بل إن بعض النصوص التاریخیة تفید أن المهدی أیضا کان لا یرید أن یجیز بیعة علی علیه السلام (۱).

الإمام علی فی میزان الاعتبار:

وإذا ما عرفنا أن إظهار المأمون حبه لعلی بن أبی طالب، وولده، لیس إلا لظروف سیاسیة معینة کما سیأتی توضیحه. فإننا سوف نری أنفسنا مقتنعین بأن تأرجح الإمام علی علیه السلام فی میزان الاعتبار فی تلک الفترة والتی بعدها عند العباسیین، لم یکن إلا أمرا ظاهریا أملته الظروف السیاسیة، والاجتهادات المختلفة فی أسالیب مواجهة العلویین.

ولهذا نری ارتباکهم فی ذلک ظاهرا للعیان من وقت لآخر، ومن فترة لأخری. وهکذا. نجد أن الإمام علیا لم یکن معتبرا عند المأمون، (۱) فقد ذکر ابن الأثیر فی الکامل ج ۵ ص ۷۲، والطبری فی تاریخه حوادث سنة ۱۶۹ ه.: أن المهدی عندما رأی فی وصیة القاسم بن مجاشع التمیمی المروزی عبارة:

.. "ویشهد أن محمدا عبده ورسوله، وأن علی بن أبی طالب وصی رسول الله، ووارث الإمامة من بعده. الخ.. " رماها من یده، ولم ینظر فی باقیها..

کما أنه عندما ذهب لعیادة أبی عون، الذی کان من کبار رجال الدعوة، والذی أرسله أبو مسلم فی ثلاثین ألفا فی طلب مروان بن محمد، وکان هو الذی أنهی أمره فی مصر علی ما فی الإمامة والسیاسة ج ۲ ص ۱۱۶، ۱۱۹، ۱۲۰. – عندما ذهب المهدی لعیادته –، وطلب منه أبو عون أن یرضی عن ولده، الذی کان یری رأی الشیعة فی الخلافة، أجاب: أنه علی غیر الطریق، وعلی خلاف رأینا. فقال له أبو عون: هو والله یا أمیر المؤمنین، علی الأمر الذی خرجنا علیه، ودعونا إلیه، فإن کان قد بدا لکم، فمرونا، حتی نطیعکم.. راجع الإمام الصادق والمذاهب الأربعة، المجلد الأول، جزء ۲ ص ۵۶۹، وقاموس الرجال ج ۵ ص ۳۷۳، والطبری، وغیر ذلک. (۸۱) صفحهمفاتیح البحث: الإمام أمیر المؤمنین علی بن ابی طالب علیهما السلام (۳)، علی بن أبی طالب (۲)، إبن الأثیر (۱)، الصدق (۱)، الوصیة (۱)

غیر معتبر عند المنصور والرشید، بل هو غیر معتبر عندهم جمیعا.

. ولسنا هنا فی صدد تحقیق هذا الأمر، ولکن قد تکفی الإشارة فی کثیر من الأحیان.

استغلال لقب المهدی:

هذا.. ونلاحظ: أن المنصور أیضا قد حاول أن یقارع العلویین بالحجة، ولکن بنحو آخر، وأسلوب آخر.

فإنه عندما رأی أن الناس قد قبلوا علی نطاق واسع (ما عدا الإمام الصادق علیه السلام) بأن محمد بن عبد الله العلوی هو المهدی.. حاول أن یموه هو بدوره علی الناس، فلقب ولده، والخلیفة بعده ب " المهدی " من أجل أن یصرف الناس عن محمد بن عبد الله هذا..

فقد أرسل مولی له إلی مجلس محمد بن عبد الله، وقال له:

"اجلس عند المنبر، فاسمع ما یقول محمد " قال: فسمعته یقول:

إنکم لا تشکون أنی أنا المهدی، وأنا هو " فأخبرت بذلک أبا جعفر، فقال ": کذب عدو الله، بل هو ابنی (۱.")

ثم. ومن أجل إقناع الناس بهذا الأمر، وجد المنصور من یضع له الأحادیث، ویکذب علی النبی صلی الله علیه وآله، وطبق واضعوها" مهدی الأمة " علی ولده الخلیفة " المهدی (" ۲). ویقول القاضی النعمان الإسماعیلی فی أرجوزته: (۱) مقاتل الطالبیین ص ۲۴۰، والمهدیة فی الإسلام ص ۱۱۷.

(۲) تجـد بعض هـذه الأحاديث في: الصواعق المحرقة ۹۸، ۹۹، وتاريخ الخلفاء للسيوطی ص ۲۵۹، ۲۶۰، ۲۷۲، والبداية والنهاية ج ۶ ص ۲۴۶، ۲۴۷، وغير ذلك. (۸۲) صـفحهمفاتيح البحث: الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام (۱)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (۱)، عبد الله العلوی (۱)، محمد بن عبد الله (۲)، الكذب، التكذيب (۱)، الوسعة (۱)، كتاب مقاتل الطالبيين لأبو الفرج الأصفهانی (۱)، كتاب البداية والنهاية (۱)، جلال الدين السيوطی الشافعی (۱)، كتاب الصواعق المحرقة (۱)

من انتظاره وقـد تسـمى * بهـذه الأسـماء ناس لما تغلبوا ليجعلوها حجـة * فعـدلوا عن واضح المحجة إذ مثلوا الجوهر بالأشـباه * منهم محمد بن عبد الله ابن علی من بنی العباس * ذوی التعدی الزمرة الأرجاس (۱).

وقد أقر أحمد أمين المصری بكذب هذه الأحاديث، ووضعها (۲)، كما أقر غيره بذلک.

بل إن المنصور نفسه - الـذی كان قـد اعترف بمهدوية محمد بن عبد الله العلوی، وتبجح، وافتخر بها (۳) - قد كذب نفسه فی ذلک، وكذبها فی مهدوية ولده أيضا.

يقول مسلم بن قتيبة ": أرسـل إلی أبو جعفر، فـدخلت عليه، فقال: قـد خرج محمـد بن عبـد الله، وتسـمی بالمهـدی، ووالله، ما هو به، وأخری أقولها لک. لم أقلها لأحد قبلک، ولا أقولها لأحد بعدک.. وابنی والله، ما هو بالمهدی، الذی جاءت به الرواية، ولكننی تيمنت به، وتفاءلت به (۴ "). والخليفة المهدی نفسه يقر بأن أباه فقط يروی أنه المهدی الذی بعده فی الناس (۵).

وأمـا اتخـاذهم الزندقـة ذريعـة للقضـاء علی خصـومهم، سـواء من العلـويين، أو من غيرهـم.. فسـيأتی توضـيحه إن شـاء الله تعـالی. (۱) الأرجوزة المختارة ص ۳۱، (۲) ضحی الإسلام ج ۳ ص ۲۴۰.

(۳) مقاتـل الطالبيين ص ۲۳۹، ۲۴۰، والمهدية فی الإسـلام ص ۱۱۶، وجعفر بن محمـد لعبـد العزيز سـيد الأهل ص ۱۱۶، (۴) مقاتل الطالبيين ص ۲۴۷، والمهدية فی الإسلام ص ۱۱۷.

(۵) الـوزراء والكتـاب ص ۱۲۷. (۸۳) صـفحهمفاتيح البحث: بنو عبـاس (۱)، عبـد الله العلـوی (۱)، محمـد بن عبـد الله (۲)، الكذب، التكذيب (۱)، الحج (۱)، أهل بيت النبی صلی الله عليه وآله (۱)، كتاب مقاتل الطالبيين لأبو الفرج الأصفهانی (۲)، عبد العزيز (۱)

وكل ذلک لم يكفهم:

ولكن العباسيين قـد وجـدوا أن ذلک كله لم يكن ينطلی علی أحـد، وأن الأمور - مع ذلک - تسير فی غير صالحهم، ولهـذا فإن من الأفضل والأجدی لهم أن لا يفسحوا المجال للعلويين للمنطق والحجاج، فإن ذلک من شأنه أن يظهر كل ما كان يتمتع به العلويون من خصـائص ومميزات عليهم. هـذا إن لم ينته الأمـر بفضـيحة ساحقـة للعباسـيين، وكشف حقيقتهم وواقعهم أمـام الملأ، الأمر الـذی كان يزعجهم، ويقض مضاجعهم إلی حد كبير..

وإذن.. فإن من الحكمة أن يتبعوا أساليب أخری من أجل القضاء علی العلويين..

ولم تكفهم مراقبتهم لهم، حتی لم يكونوا يغفلون عنهم طرفـة عين أبدا، من أجل التعرف علی أحوالهم، وإحصاء كل حركاتهم، ابتداء من السفاح، ثم اتبعه الخلفاء علی ذلک من بعده.

كما لم يكفهم.. التهديد والوعيد الذی كانوا يواجهونهم به، بهدف إضعاف شخصياتهم، وتحطيم معنوياتهم..

كما لم يكفهم مصادرة أموالهم، وهدم بيوتهم، ومنعهم من السعی من أجل الحصول علی لقمة العيش، حتی لقد بلغ البؤس بهم أن: العلويات كن يتداولن الثوب الواحد من أجل الصلاة (۱).

وكـذلک لم يكفهم. عزلهم عن النـاس، ومنع كـل أحـد من الوصول إليهم، تمهيـدا لتشويه سـمعتهم بما أمكنهم من أساليب الكـذب والافتراء، (۱) كـان ذلک فی زمن المتوكل، راجع: بنـد تاريـخ ج ۱ ص ۷۲، ومقاتـل الطالبيين ص ۵۹۹. (۸۴) صفحهمفاتيح البحث: الكذب، التكذيب (۱)، الصّلاة (۱)، القتل (۱)

وإن كانت سيرتهم الحميدة، وخصوصا أهل البيت منهم، كانت تدفع كل شائعة، وسلوكهم المثالی يدحض كل افتراء.

وأما الاضطهاد والتشريد، وزج العشرات والمئات منهم في السجون الرهيبة، التي كان من يدخل إليها لا يأمل بالخروج منها، حيث إن دخول السجن إنما كان يعني في الحقيقة دخول القبر.. وأما دسهم السم لكل شخصية لا يستطيعون الاعتداء عليها جهارا – أما ذلك – فلم يكن ليكفيهم أيضا، ولا ليقنعهم قطعا. حيث إنهم إنما كانوا متعطشين إلى الولوغ في دمائهم، ومشتاقين إلى التفنن في تعذيبهم، واختراع أساليب جديدة في ذلك، فسمروا بالحيطان من سمروا، وأماتوا جوعا من أماتوا، ووضعوا في الأسطوانات منهم من وضعوا. إلى غير ذلك مما يظهر لكل من له أدنى اطلاع على تاريخهم، وتاريخ سلوكهم مع أبناء عمهم العلويين.

وأما قتلهم لهم جماعات، فأشهر من أن يحتاج إلى بيان. وقضية المنصور مع بني حسن لا يكاد يخلو منها كتاب تاريخي. وكذلك قضية الستين علويا، الذين قتلوا بأمر من الخليفة " المنصور " باستثناء غلام منهم، لا نبات بعارضيه (١). (١) هذا ما نقله في شرح شافية أبي فراس ص ۱۷۴ عن الدر النظيم، عن أحمد بن حنبل، الذي رأى رجلا متعلقا بأستار الكعبة، يضرع إلى الله بالمغفرة، وأقر له بأنه بني على هؤلاء ما عدا الغلام المذكور بأمر من المنصور.. وفي عيون أخبار الرضا ج ١ ص ١٠٨، فما بعدها، وشرح ميمية أبي فراس ص ١٧٦، ١٧٧، والبحار ج ۴۸ ص ۱۷۶ فما بعدها. قصة شبيهة بهذه ينقلها عن حميد بن قحطبة الذي كان يفطر في شهر رمضان، ليأسه من مغفرة الله، لأنه قتل ستين علويا في ليلة واحدة بأمر من الرشيد.. ولكن الظاهر أن ذكر الرشيد اشتباه من الراوي، ولعله عمدي، لأن حميدا قد مات سنة ١٥٨، على ما صرح به في البحار ج ۴۸ ص ۳۲۲، وخلافة هارون الرشيد إنما بدأت سنة ١٧٠، ولعل القصة الحقيقية هي ما عن أحمد بن حنبل، وإنما حرفها المحرفون لحاجة في نفس يعقوب، لا تخفى على المتتبع الخبير، والناقد البصير. (٨٥) صفحهمفاتيح البحث: القتل (٣)، القبر (١)، شهر رمضان المبارك (١)، هارون الرشيد (١)، الموت (١)

موقف كل خليفة منهم على حدة:

وإننا من أجل أن نلم بموقف كل خليفة منهم على حدة من أبناء عمهم العلويين، نقول:

أما السفاح:

فقد قال عنه أحمد أمين.. ": وكانت حياته حياة سفك للدماء، وقضاء على المعارضين (١ "). وقال عنه الجنرال جلوب. ": وكان السفاح والمنصور قد نشئا نشأة المتآمرين، ولذا وطدا ملكهما – بعد نجاح الثورة – بكثير من سفك الدما، ولا سيما من دماء أولاد أعمامهم، من بني أمية، وبني علي بن أبي طالب (٢.").

ويقول الخوارزمي عن السفاح. ": وسلط عليهم (يعني على العلويين) أبا مجرم، لا أبا مسلم، يقتلهم تحت كل حجر ومدر، ويطلبهم في كل سهل، وجبل (٣.").

ومن ذلك يعلم أن إظهاره اللين اتجاههم أمام الناس ما كان إلا من أجل تثبيت دعائم حكمه، وتحكيم قواعد سلطانه، لكنه لم يغفل لحظة واحدة عن مراقبتهم، والتجسس على أحوالهم، بل وقتلهم، إذا ما سنحت الفرصة له لذلك، كما قدمنا. (١) ضحى الإسلام ج ١ ص ١٠٥.

(٢) إمبراطورية العرب ص ۴۹۹.

(٣) رسائل الخوارزمي ص ١٣٠، وضحى الإسلام ج ٣ ص ٢٩٦، ٢٩٧، وسيأتي شطر من هذه الرسالة. راجع ما علقناه على هذه الفقرة في فصل: قيام الدولة العباسية. (٨٦) صفحهمفاتيح البحث: علي بن أبي طالب (١)، بنو أمية (١)، الخوارزمي (٢)، القتل (١)، الدولة العباسية (العباسيون) (١)

وأما المنصور:

الذي لم يتورع عن قتل ابن أخيه السفاح (١)، وعمه عبد الله بن علي.

وأبي مسلم. مؤسس دولته. والذي سافر سنة ١٤٨ ه. إلى الحج، وعزم على القبض على الإمام الصادق (ع)، إن كان لم يتم له ذلك (٢).

والذى سمى نفسه المنصور بعد انتصاره على العلويين (۳).

أما المنصور هذا. فهو أول من أوقع الفتنة بين العباسيين والعلويين (۴).

وقد اعترف عندما عزم على قتل الإمام الصادق عليه السلام، بعدد ضخم من ضحاياه من العلويين، حيث قال:

. "قتلت من ذرية فاطمة ألفا، أو يزيدون، وتركت سيدهم، ومولاهم، وإمامهم، جعفر بن محمد (". ۵).

ولقد كان هذا القول منه فى حياة الإمام الصادق عليه السلام، أى فى صدر خلافة المنصور. فكيف بمن قتلهم بعد ذلك!!

وقد ترك خزانة رؤوس ميراثا لولده المهدى، كلها من العلويين، وقد علق بكل رأس ورقة كتب فيها ما يستدل به على صاحبه، ومن بينها رؤوس شيوخ، وشبان، وأطفال (۶). (۱) تاريخ التمدن الإسلامى المجلد الثانى جزء ۴ ص ۴۹۴، نقلا عن: نفح الطيب ج ۲ ص ۷۱۵.

(۲) النجوم الزاهرة ج ۲ ص ۶ (۳) التنبيه والإشراف ص ۲۹۵، وطبيعة الدعوة العباسية ص ۱۱۹.

(۴) تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ۲۶۱، ومروج الذهب ج ۴ ص ۲۲۲. وشرح ميمية أبى فراس ص ۱۱۷، ومشاكلة الناس لزمانهم لليعقوبى ص ۲۲، ۲۳.

(۵) شرح ميمية أبى فراس ص ۱۵۹، والأدب فى ظل التشيع ص ۶۸.

(۶) تاريخ الطبرى ج ۱۰ ص ۴۴۶، والنزاع والتخاصم للمقريزى ص ۵۲، وغير ذلك. (۸۷) صفحهمفاتيح البحث: الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام (۳)، عبد الله بن على (۱)، جعفر بن محمد (۱)، الحج (۱)، القتل (۳)، كتاب مروج الذهب للمسعودى (۱)، جلال الدين السيوطى الشافعى (۱)، كتاب تاريخ الطبرى (۱)

وهو الذى يقول لعمه عبد الصمد بن على، عندما لامه على أنه يعاجل بالعقوبة، حتى كأنه لم يسمع بالعفو - يقول له " -: إن بنى مروان لم تبل رممهم، وآل أبى طالب لم تغمد سيوفهم - ونحن بين قوم رأونا بالأمس سوقة، واليوم خلفاء، فليس تتمهد هيبتنا إلا بنسيان العفو، واستعمال العقوبة (۱.").

وهو الذى يقول للإمام الصادق عليه السلام ": لأقتلنك، ولأقتلن أهلك، حتى لا أبقى على الأرض منكم قامة سوط (۲.").

وعندما قال المنصور للمسيب بن زهرة: إنه رأى أن الحجاج أنصح لبنى مروان. أجابه المسيب ": يا أمير المؤمنين، ما سبقنا الحجاج إلى أمر، فتخلفنا عنه، والله، ما خلق الله على جديد الأرض خلقا أعز علينا من نبينا صلى الله عليه وآله، وقد أمرتنا بقتل أولاده، فأطعناك، وفعلنا، فهل نصحناك ("؟! ۳).

وهو أول من سن هدم قبر الحسين عليه السلام فى كربلاء (۴).

وهو الذى كان يضع العلويين فى الأسطوانات، ويسمرهم فى الحيطان - كما نص عليه اليعقوبى، وغيره - ويتركهم يموتون فى المطبق جوعا، وتقتلهم الروائح الكريهة، حيث لم يكن لهم مكان يخرجون إليه لإزالة الضرورة، وكان يموت أحدهم، فيترك معهم، حتى يبلى من غير دفن، ثم يهدم المطبق على من تبقى منهم حيا، وهم فى أغلالهم - كما فعل ببنى حسن، كما هو معروف ومشهور. (۱) تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ۲۶۷، وإمبراطورية العرب ص ۴۹۱، والإمام الصادق والمذاهب الأربعة، المجلد الأول جزء ۲ ص ۵۳۴.

(۲) مناقب ابن شهرآشوب ج ۳ ص ۳۵۷، والبحار ج ۴۷ ص ۱۷۸.

(۳) مروج الذهب ج ۳ ص ۲۲۴.

(۴) تاريخ كربلاء، لعبد الجواد الكليدار آل طعمه ص ۱۹۳. (۸۸) صفحهمفاتيح البحث: قبر الحسين (ع) (۱)، الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام (۱)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (۱)، مدينة كربلاء المقدسة (۲)، عبد الصمد بن على (۱)، القتل (۱)، الموت (۱)، كتاب مروج الذهب للمسعودى (۱)، جلال الدين السيوطى الشافعى (۱)، ابن شهرآشوب (۱)، الجود (۱)

ولقد قال أحد العلويين، وهو أبو القاسم الرسى بن إبراهيم بن طباطبا، إسماعيل الديباج. عندما هرب من المنصور إلى السند:

لم یروه مـا أراق البغی من دمنـا * فی کل أرض فلم یقصـر من الطلب ولیس یشـفی غلیلا فی حشاه سوی * أن لا یری فوقها ابن لبنت نبی (۱) وعلی کل: فإن معاملة المنصور لأولاد علی، تعتبر من أسوأ صفحات التاریخ العباسی (۲).

وستأتی عبارة الخضری عنه عن قریب..

وأما المهدی:

الـذی حبس وزیره یعقوب بن داوود، وبنی علی المطبق الذی هو فیه قبة، وبقی فیه حتی عمی، وطال شـعر بدنه، حتی صار کالأنعام - وحبسه - لاتهامه إیاه بأنه یمالئ الطالبیین، کما قدمنا.

المهـدی الـذی عرفنا فیما تقـدم موقفه من أبی عون، وولده، الذی کان یذهب مذهب الشـیعة فی الخلافة.. وکذلک موقفه من وصـیة القاسم ابن مجاشع.

أما المهدی هذا فقد اتخذ الزندقة ذریعة للقضاء علی کل مناوئیه، وخصوصا العلویین، والمتشیعین لهم:

وقـال الـدکتور أحمـد شـلبی ": إن الرمی بالزندقـة اتخـذ وسـیلة للإیقـاع بالأبریـاء فی کثیر من الأحایین (". ۳). (۱) النزاع والتخاصـم للمقریزی ص ۵۱.

(۲) مختصر تاریخ العرب، للسید أمیر علی ص ۱۸۴.

(۳) التاریخ الإسلامی والحضارة الإسلامیة ج ۳ ص ۲۰۰. (۸۹) صفحهمفاتیح البحث: القاسم الرسی (۱)، الوصیة (۱)

وقال الـدکتور أحمد أمین المصـری ": الحق أن بعض الناس اتخذوا الزندقة ذریعة للانتقام من خصومهم، سواء فی ذلک ": الشـعراء، والعلماء، والأمراء، والخلفاء (" ۱).

وقـد ألف له - أی للمهـدی - ابن المفضـل کتابـا فی الفرق، اخترع فیه فرقا من عنـد نفسه، ونسـبها لأولئک الـذین یریـد المهـدی أن یتتبعهم، ویقضـی علیهم. مع أنهم لم یکونوا أصـحاب فرق أصـلا. کزرارة، وعمـار السابـاطی، وابن أبی یعفور، وأمثـالهم، فاخترع فرقة سماها " الزراریـة " نسـبة لزرارة. وفرقـة سـماها " العماریـة " نسـبة لعمار، وفرقة سـماها " الیعفوریة " وأخری سـماها " الجوالیقیة،" وأصحاب سلیمان الأقطع.

وهکذا. إلا أنه لم یذکر " الهشامیة " نسبة لهشام بن الحکم (۲). (۱) ضحی الإسلام ج ۱ ص ۱۵۷. هذا.

وقد اتهم شریک بن عبد الله القاضی بالزندقة، لأنه لم یکن یری الصلاة خلف الخلیفة المهدی، فراجع: البدایة والنهایة ج ۱۰ ص ۱۵۳، وحیاة الإمام موسی بن جعفر ج ۲ ص ۱۳۷، والإمام الصادق والمذاهب الأربعة المجلد الثانی جزء ۳ ص ۲۳۲.

وأیضا. فقـد أراد هارون أن یقتل عمه، الـذی قال: کیف لقی آدم موسـی؟ عنـدما ذکرت روایـة مفادها ذلک. وذلک بتهمـة الزندقـة، راجع: تاریـخ بغداد ج ۱۴ ص ۷، ۸ والبدایـة والنهایة ج ۱۰ ص ۲۱۵، وحیـاة الإمام موسـی بن جعفر ج ۲ ص ۱۳۸، وتاریخ الخلفاء للسیوطی ص ۲۸۵، والبصائر والذخائر ص ۸۱.

وهـذا یعنی أن لفظ الزنـدیق قـد أطلـق علی کـل من ینـاقش فی أحـادیث الصـحابة، وعلی کـل من یعـارض نظـام الحکم، والحکـام وأهوائهم، وأطلق أیضا علی کل ماجن خلیع کما یبدو لمن راجع روایة شریک القاضی فی مظانها وغیرها..

ولا بأس بمراجعـة عبارة هامـة لأحمد أمین تتعلق بهذا الموضوع فی کتاب الإمام الصادق والمذاهب الأربعة، المجلد الثانی جزء ۳ ص ۲۳۲.

(۲) رجـال المامقـانی ج ۳ ص ۲۹۶، وقـاموس الرجال ج ۹ ص ۳۲۴، والبحـار ج ۴۸ ص ۱۹۵، ۱۹۶، ورجال الکشـی ص ۲۷، طبع کربلاء. وأشار إلی ذلک المسـعودی أیضا، فراجع: ضحی الإسلام ج ۱ ص ۱۴۱، والیعقوبی فی کتابه مشاکلة الناس لزمانهم ص ۲۴. (۹۰) صفحهمفاتیح البحث: ابن أبی یعفور (۱)، عمار الساباطی (۱)، هشام بن الحکم (۱)، کتاب تاریخ بغداد للخطیب البغدادی (۱)، کتاب رجال الکشی (۱)، مدینة کربلاء المقدسة (۱)، کتاب البدایة والنهایة (۲)، جلال الدین السیوطی الشافعی (۱)، شریک بن عبد

الله (۱)، موسى بن جعفر (۲)، الصدق (۱)، القتل (۱)، الشراكة، المشاركة (۱)، الصّلاة (۱)

وقال عبـد الرحمان بـدوى ": إن الاتهام بالزندقـة فى ذلك العصـر، كان يسـير جنبا إلى جنب مع الانتساب إلى مـذهب الرافضـة، كما لاحظ ذلك الأستاذ (فيدا ("). ۱).

يقول أبو حنيفة أو الطغرائى فى جملة أبيات له:

ومتى تولى آل أحمد مسلم * قتلوه أو وصموه بالإلحاد (۲).

إلى غير ذلك مما لا يمكننا تتبعه واستقصاؤه فى مثل هذه العجالة..

وأما الهادى:

"فقد أخاف الطالبيين خوفا شديدا، وألح فى طلبهم، وقطع أرزاقهم وأعطياتهم، وكتب إلى الآفاق بطلبهم (۳.").

ولم تكن واقعة فخ المشـهورة إلى بسـبب الاضطهاد الذى لحق العلويين، والمعاملة القاسية لهم. حسبما نص عليه المؤرخون.. والتى بلغ عدد الرؤوس فيها مئة ونيفا، وسبيت فيها النساء والأطفال، وقتل السبى حتى الأطفال منهم على ما قيل.

وأما الرشيد:

"الذى حصد شجرة النبوة. واقتلع غرس الإمامة، " على حد تعبير الخوارزمى. (۱) من تاريخ الالحاد فى الإسلام ص ۳۷.

(۲) نسب إلى الأـول ملحقات إحقاق الحق ج ۹ ص ۶۸۸ نقلا عن مفتاح النجا فى مناقب آل العبا للعلامـة البدخشـى ص ۱۲ مخطوط وعن قلنـدر الهنـدى الحنفى فى روض الأزهر ص ۳۵۹ طبع حيـدر آباد وهو منسوب للطغرائى أيضا وهو مثبت فى إحـدى قصائده فى ديوانه فلعله أخذه على سبيل الاستشهاد على عادة الشعراء فى ذلك..

(۳) تاريخ اليعقوبى ج ۳ ص ۱۳۶، ۱۳۷. (۹۱) صفحهمفاتيح البحث: عبد الرحمان (۱)، الخوارزمى (۱)، القتل (۱)، الجنابة (۱)، العصر (بعد الظهر) (۱)، البدخشى (۱)

والذى " لم يكن يخاف الله، وأفعاله بأعيان آل على (ع)، وهم أولاد بنت نبيه، لغير جرم، تدل على عدم خوفه من الله تعالى (۱.").

والذى كان على حد تعبير أحمد شلى ": يكره الشيعة ويقتلهم (۲.").

والذى بلغ من كرهه لهم: أن الشعراء كانوا يتقربون إليه بهجاء آل على عليه السلام، كما يظهر بأدنى مراجعة للتاريخ.

أما الرشيد هذا.

فقـد أقسم على استئصالهم، وكل من يتشـيع لهم. فقال. ": حتام أصبر على آل بنى أبى طالب، والله لأقتلنهم، ولأقتلن شـيعتهم، ولأفعلن وأفعلن (۳.").

وعندما تولى الخلافة أمر بإخراج الطالبيين جميعا من بغداد، إلى المدينة (۴) كرها لهم ومقتا.

"وكان شديد الوطأة على العلويين يتتبع خطواتهم، ويقتلهم (۵.").

. "وأمر عامله على المدينة بأن يضمن العلويون بعضهم بعضا (۶.")

وكان ": يقتل أولاد فاطمة وشيعتهم (۷. (") ۱) الفخرى فى الآداب السلطانية ص ۲۰.

(۲) التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية ج ۳ ص ۳۵۲.

(۳) الأغانى، طبع دار الكتب بالقاهرة ج ۵ ص ۲۲۵.

(۴) الكامل لابن الأثير ج ۵ ص ۸۵ والطبرى ج ۱۰ ص ۶۰۶، وغير ذلك.

(۵) العقد الفريد ج ۱ ص ۱۴۲.

(۶) الولاة والقضاة للكندى ص ۱۹۸، وليراجع: تاريخ كربلاء، لعبد الجواد الكليدار ص ۱۹۶.

(۷) العقـد الفريـد، طبع دار الكتاب العربى ج ۲ ص ۱۸۰. (۹۲) صـفحهمفاتيح البحث: الإمـام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما

السلام (٢)، مدينة بغداد (١)، الخوف (١)، القتل (١)، الكراهية، المكروه (١)، كتاب الكامل لإبن الأثير (١)، مدينة كربلاء المقدسة (١)، الجود (١)

وكان " مغرى بالمسألة عن آل أبى طالب، وعمن له ذكر ونباهة منهم (١.")

وعندما أرسل الجلودى لحرب محمد بن جعفر بن محمد، أمره أن يغير على دور آل أبى طالب فى المدينة، ويسلب ما على نسائهم من ثياب، وحلى. ولا يدع على واحدة منهن إلا ثوبا واحدا (٢).

وعندما حضرته الوفاة كان يقول.. ": وا سوأتاه من رسول الله (٣.")

وهدم قبر الحسين، وحرث أرض كربلاء، وقطع السدرة التى كان يستظل بها الزائرون لتلك البقعة المباركة، وذلك على يد عامله على الكوفة، موسى بن عيسى بن موسى العباسى (٤).

ثم توج موبقاته كلها، وفظائعه تلك، بقتل سيد العلويين، وقائدهم، الإمام موسى بن جعفر، صلوات الله وسلامه عليه. (١) مقاتل الطالبيين ص ٤٩٣، وبعد ذلك قال ": فسأل يوما الفضل بن يحيى - بعد أن عاد من خراسان -: هل سمعت ذكرا لأحد منهم؟ قال: لا والله، ولقد جهدت فما ذكر لى أحد منهم، إلا أنى سمعت رجلا إلخ.."

(٢) أعيان الشيعة، طبعة ثالثة، ج ٤ قسم ٢ ص ١٠٨، وعيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١٦١، والبحار ج ٤٩ ص ١٦٦.

(٣) الكامل لابن الأثير ج ٥ ص ١٣٠، ويلاحظ هنا: أن الإنسان غالبا ما ينكشف على حقيقته حين موته. وقول الرشيد هذا يكشف لنا الرشيد على حقيقته، ويبين لنا مدى ما فعله الرشيد مع ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله.

(٤) تاريخ الشيعة ص ٨٩، وأمالى الشيخ. طبع النجف ص ٣٣٠، والكنى والألقاب ج ١ ص ٢٧ وشرح ميمية أبى فراس ص ٢٠٩، والمناقب لابن شهرآشوب ج ٢ ص ١٩، وتاريخ كربلاء، لعبد الجواد الكليدار ص ١٩٧، ١٩٨، نقلا عن:

نزهة أهل الحرمين ص ١٦، والبحار ج ١٠ ص ٢٩٧، وتظلم الزهراء ص ٢١٨، ومجالى اللطف ص ٣٩، وأعيان الشيعة ج ٤ ص ٣٠٤، وتسلية المجالس، لمحمد بن أبى طالب، وغير ذلك (... ٩٣) صفحهمفاتيح البحث: الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليهما السلام (١)، مدينة كربلاء المقدسة (٢)، مدينة الكوفة (١)، محمد بن جعفر بن محمد (١)، موسى بن عيسى (١)، القبر (١)، القتل (١)، أهل بيت النبى صلى الله عليه وآله (١)، كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام (١)، كتاب أمالى الصدوق (١)، كتاب الكامل لإبن الأثير (١)، كتاب مقاتل الطالبيين لأبو الفرج الأصفهانى (١)، كتاب أعيان الشيعة للأمين (٢)، مدينة النجف الأشرف (١)، الفضل بن يحيى (١)، ابن شهرآشوب (١)، خراسان (١)، الموت (١)، الجود (١)

ولقد خاطبه العقاد مشيرا إلى نبشه لقبر الحسين عليه السلام، فقال:

. "وكأنهم خافوا على قبرك أن ينبشه أشياع على، رضى الله عنه، فدفنوك فى قبر الإمام العلوى، لتأمن فيه النبش والمهانة بعد الممات.

فمن عجب أن يلوذ أبناء على بملكك الطويل العريض، فيضيق بهم، وأن يبحث أتباعك عن ملاذ يحتمى به جثمان صاحب الملك الطويل العريض بعد مماته، فيجدوه فى قبر واحد من أولئك الحائرين اللائذين بأكناف البلدان، من غير قرار، ولا اطمينان (١.").

يشير بذلك إلى قبر على بن موسى الرضا عليهما السلام، حيث إن الرشيد مدفون إلى جانبه، يقول محمد بن حبيب الضبى، رحمه الله مشيرا إلى ذلك:

قبران فى طوس الهدى فى واحد * والغى فى لحد ثراه ضرام قرب الغوى من الزكى مضاعف * لعذابه، ولأنفه الارغام ويقول دعبل رحمه الله:

قبران فى طوس خير الناس كلهم * وقبر شرهم هذا من العبر ما ينفع الرجس من قرب الزكى وما * على الزكى بقرب الرجس من ضرر ولقد بلغ من ظلم الرشيد للعلويين أن جعل الناس يعتقدون فيه بغض على عليه السلام، حتى اضطر إلى أن يقف موقف الدفاع عن

نفسه، ويقسم على أنه يحبه، قال إسحاق الهاشمى ": كنا عند الرشيد، فقال:

بلغنى أن العامة يظنون فى بغض على بن أبى طالب. ووالله، ما أحب (۱) راجع: تاريخ كربلاء، لعبد الجواد الكليدار ص ۱۹۹، نقلا عن: مجلة " الهلال، " عدد أكتوبر سنة ۱۹۴۷ م. ص ۲۵، من مقال بعنوان ": حديث مع هارون الرشيد " للأستاذ العقاد. (۹۴) صفحهمفاتيح البحث: قبر الحسين (ع) (۱)، الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (۱)، الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (۲)، على بن أبى طالب (۱)، محمد بن حبيب (۱)، الموت (۱)، القبر (۳)، الظنّ (۱)، الدفن (۱)، مدينة كربلاء المقدسة (۱)، هارون الرشيد (۱)، الجود (۱)، الهلال (۱)

أحدا حبى له، ولكن هؤلاء (يعنى العلويين) أشد الناس إلخ (". ۱).

ثم يلقى التبعة فى ذلك عليهم، ويقول: إنهم إلى بنى أمية أميل منهم إلى بنى العباس الخ كلامه.

بل لقد رأيناه يعلن أمام أعاظم العلماء عن توبته مما كان منه من أمر الطالبيين ونسلهم (۲).

وذلك أمر طبيعى بعد أن كان يتتبع خطواتهم ويقتلهم " وبعد أن كانت سجون العباسيين، وخصوصا المنصور والرشيد، قد امتلأت من العلويين، وكل من يتشيع لهم " على حد تعبير أحمد أمين (۳).

وأخيرا. فقد بلغ من ظلم الرشيد للعلويين أن توهم البعض أن المأمون إنما بايع للرضا بولاية العهد، من أجل أن يمحو ما كان من أمر الرشيد فى آل على عليه السلام، كما عن البيهقى، عن الصولى (۴).

وأما المأمون:

فستأتى الإشارة إلى بعض ما فعله فى آل على فى تضاعيف الفصول الآتية إن شاء الله تعالى.

والشعراء أيضا قد قالوا الحقيقة:

وهكذا. يتضح لنا كيف أن العباسيين قد انقلبوا – بدافع من (۱) تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ۲۹۳.

(۲) شرح ميمية أبى فراس ص ۱۲۷.

(۳) راجع: ضحى الإسلام ج ۳ ص ۲۹۶، ۲۹۷.

(۴) عيون أخبار الرضا ج ۲ ص ۱۴۷، والبحار ج ۴۹ ص ۱۳۲، وغير ذلك. (۹۵) صفحهمفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (۱)، بنو عباس (۱)، بنو أمية (۱)، كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام (۱)، جلال الدين السيوطى الشافعى (۱)

خوفهم – على العلويين يوسعونهم قتلا، وعسفا وتشريدا، وأذاقوهم مختلف أنواع العذاب، التى لم تكن لتخطر على قلب بشر، بهدف استئصالهم من الوجود، ومحو آثارهم، ليصفو لهم الجو، ولا يبقى من يستطيع أن ينازعهم سلطانهم، الذى يجب أن يكون لهم وحدهم. أو بالأحرى حتى لا يبقى من من شأنه ذلك. حتى لقد نسى الناس فعال بنى أمية معهم، عندما رأوا فعال بنى العباس بهم.

وحتى لقد رأينا أحد شعراء ذلك الوقت يقول:

تالله ما فعلت أمية فيهم * معشار ما فعلت بنو العباس (۱) وقال آخر – وهو أبو عطاء، أفلح بن يسار الندى، المتوفى سنة ۱۸۰ ه. وهو من مخضرمى الدولتين: الأموية والعباسية: قال فى زمن السفاح.

يا ليت جور بنى مروان دام لنا * وليت عدل بنى العباس فى النار (۲) وقال منصور بن الزبرقان النمرى، المتوفى فى خلافة الرشيد:

آل النبى ومن يحبهم * يتطامنون مخافة القتل أمن النصارى واليهود هم * من أمة التوحيد فى أزل (۳).

وقد أنشد الرشيد هذين البيتين بعد موت منصور هذا، فقال الرشيد، بعد أن أرسل إليه من يقتله، فوجده قد مات ": لقد هممت أن أنبش (۱) شرح ميمية أبى فراس ص ۱۱۹.

(۲) المحاسن والمساوى ص ۲۴۶، والشعر والشعراء ص ۴۸۴، ونظرية الإمامة ص ۳۸۲، والمهدية فى الإسلام ص ۵۵، وطبيعة الدعوة

العباسية ص ۲۷۲.

(۳) الأزل: الضيق والشدة. (۹۶) صفحهمفاتيح البحث: الدولة الأموية (۱)، بنو عباس (۳)، بنو أمية (۱)، الموت (۱)، القتل (۱)، العذاب، العذب (۱)، النسيان (۱)، الوفاة (۱)

عظامه فأحرقها (۱.. ") بل فى رسالة الخوارزمى، الآتى شطر منها:

أن قبره قد نبش بالفعل.

ويقول أبو حنيفة أو الطغرائى على اختلاف النسبة فى جملة أبيات له:

ومتى تولى آل أحمد مسلم * قتلوه أو وصموه بالإلحاد ويقول إبراهيم بن عبد الله بن الحسن، يذكر العلويين، الذين قتلهم المنصور، ويقال: إن القائل هو غالب الهمدانى.

أصبح آل الرسول أحمد فى * الناس كذى عرة به جرب ويقول دعبل بن على الخزاعى فى رثاء الرضا، وهو شعر معروف، ومشهور، وقد أنشده للمأمون نفسه:

وليس حى من الأحياء نعلمه * من ذى يمان، ولا ـ بكر، ولا ـ مضر إلا ـ وهم شركاء فى دمائهم * كما تشارك أيسار على جزر قتلا، وأسرا، وتحريقا، ومنهبة * فعل الغزاة بأهل الروم والخزر أرى أمية معذورين إن فعلوا * ولا أرى لبنى العباس من عذر أما أبو فراس الحمدانى فيقول: (۱) زهر الآداب هامش ج ۲ من المستطرف ص ۲۴۶ والشعر والشعراء ص ۵۴۷، والإمام الصادق والمذاهب الأربعة، المجلد الأول جزء ۱ ص ۲۵۴، وطبقات الشعراء ص ۲۴۶، وفيه فى ص ۲۴۴: أن الرشيد بعد سماعه لمدائح النمرى فى أهل البيت، أمر أبا عصمة الشيعى بأن يخرج من ساعته إلى الرقة، ليسل لسان منصور من قفاه، ويقطع يده. ورجله. ثم يضرب عنقه، ويحمل إليه رأسه، بعد أن يصلب بدنه، فخرج أبو عصمة لذلك، فلما صار بباب الرقة استقبلته جنازة النمرى، فرجع إلى الرشيد فأعلمه، فقال له الرشيد " ويلى عليك يا بن الفاعلة، فألا إذا صادفته ميتا فأحرقته بالنار!. (" ۹۷) صفحهمفاتيح البحث: عبد الله بن الحسن (ع) (۱)، ابو فراس الحمدانى (۱)، بنو عباس (۱)، دعبل بن على (۱)، الخوارزمى (۱)، القبر (۱)، الصدق (۱)، الضرب (۱)

ما نال منهم بنو حرب وإن عظمت * تلك الجرائر إلا ـ دون نيلكم (۱) ويقول على بن العباس. الشاعر المعروف بابن الرومى، مولى المعتصم من قصيدة له:

بنى المصطفى كم يأكل الناس شلوكم * لبلواكم عما قليل مفرج أكل أوان للنبى محمد * قتيل زكى بالدماء مضرج إلى أن قال:

أفى الحق أن يمسوا خماصا وأنتم * يكاد أخوكم بطنة يتبعج وتمشون مختالين فى حجراتكم * ثقال الخطى اكفالكم ترجرج وليدهم بادى الطوى ووليدكم * من الريف ريان العظام خدلج ولم تقنعوا حتى استثارت قبورهم * كلابكم فيها بهيم وديزج والقصيدة طويلة جدا، من أرادها فليراجعها.

نصوص أخرى:

يقول فان فلوتن.. ": ولا غرو، فإن العلويين لم يلقوا من الاضطهاد مثل ما لقوا فى عهد الأولين من خلفاء بنى العباس.. (۲).

ويقول الخضرى. ": فكان نصيب آل على فى خلافة بنى هاشم، أشد وأقسى مما لاقوه فى عهد خصومهم من بنى أمية، فقتلوا، وشردوا كل مشرد، وخصوصا فى زمن المنصور، والرشيد، والمتوكل من بنى العباس. وكان اتهام شخص فى هذه الدولة بالميل إلى واحد من (۱) سوف نورد قصيدة أبى فراس، وهى المعروفة ب " الشافية " وكذلك شطرا من قصيدة دعبل، فى أواخر هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

(۲) السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات ص ۱۳۳. (۹۸) صفحهمفاتيح البحث: بنو عباس (۲)، بنو أمية (۱)، على بن العباس (۱)، بنو هاشم (۱)، القبر (۱)، الحرب (۱)، الأكل (۱)

بنى على كافيا لإتلاف نفسه، ومصادرة ماله. وقد حصل فعلا لبعض الوزراء، وغيرهم الخ (". ۱).

ولما دخل إبراهیم بن هرمهٔ، المعاصر للمنصور المدینهٔ، أتاه رجل من العلویین، فسلم علیه، فقال له إبراهیم ": تنح عنی، لا تشط بدمی. ("۲).

بـل یظهر من قضـیهٔ أخری لابـن هرمـهٔ أن العباسـیین کـانوا یعاقبون حتی علی حب أهل البیت علیهم السـلام فی زمن الأمویین، فإنه - أعنی ابن هرمهٔ - عندما سئل فی عهد المنصور عن قوله فی عهد الأمویین:

ومهما ألام علی حبهم * فإنی أحب بنی فاطمهٔ أجاب ": من عض ببظر أمه."

فقال له ابنه: ألست قائلها؟!

قال: بلی.

قال: فلم تشتم نفسک؟!

قال ": ألیس یعض الرجل ببظر أمه خیر له من أن یأخـذه ابن قحطبـهٔ ("؟ ۳) بل إن الجلودی الذی أمره الرشـید بالإغارهٔ علی دور آل أبی طالب - کما قدمنا - قد قال للمأمون، عندما جعل ولایهٔ العهد للرضا: (۱) محاضرات تاریخ الأمم الإسلامیهٔ ج ۱ ص ۱۶۱.

(۲) تاریخ بغداد ج ۶ ص ۱۲۹، وحیاهٔ الإمام موسی بن جعفر ج ۲ ص ۱۸۴.

(۳) طبقـات الشـعراء لابـن المعتز ص ۲۰، ۲۱، والأغـانی ج ۴ ص ۱۱۰، وقـاموس الرجـال ج ۱۰ ص ۲۶۹، نقلاـ عن تنـبیه البکری، وملحقات إحقاق الحق ج ۹ ص ۶۹۰ نقلا عن الحضرمی فی رشفهٔ الصادی ص ۵۶ طبع القاهرهٔ. (۹۹) صفحهمفاتیح البحث: أهل بیت النبی صلی الله علیه وآله (۱)، الدولهٔ الأمویهٔ (۲)، کتاب تاریخ بغداد للخطیب البغدادی (۱)، موسی بن جعفر (۱)

"أعیـذک بالله یا أمیر المؤمنین أن تخرج هـذا الأمر الـذی جعله الله لکم، وخصـکم به، وتجعله فی أیدی أعدائکم، ومن کان آباؤک یقتلونهم، ویشردونهم فی البلاد (".. ۱).

وأمر الرشید عامله علی المدینهٔ: بأن یضمن العلویین بعضهم بعضا (". ۲) وکانوا یعرضون علی السلطات، فمن غاب منهم عوقب!

والمأمون أیضا یعترف:

وجاء فی کتاب المأمون، الذی أرسله إلی العباسیین، بعد ما ذکر حسن سیاسهٔ الإمام علی علیه السلام مع ولد العباس ما یلی:

. "حتی قضی الله بالأمر إلینا، فأخفناهم، وضیقنا علیهم، وقتلناهم أکثر من قتل بنی أمیهٔ إیاهم، ویحکم، إن بنی أمیهٔ قتلوا من سل سیفا، وإنا معشـر بنی العباس قتلناهم جملا.. فلتسألن أعظم الهاشمیهٔ بأی ذنب قتلت، ولتسألن نفوس ألقیت فی دجلهٔ والفرات، ونفوس دفنت ببغداد، والکوفهٔ أحیاء الخ. ". وسنورد الروایهٔ، ونذکر مصادرها فی أواخر هذا الکتاب إن شاء الله.

جانب من رسالهٔ الخوارزمی لأهل نیشابور:

وحسب القـارئ أن یرجع إلی مقاتل الطالبیین لأبی الفرج الأصـفهانی، (۱) بحار الأنوار ج ۴۹ ص ۱۶۶، وعیون أخبـار الرضا ج ۲ ص ۲۶۷.

(۲) لقد کان ذلک قبل الرشید أیضا فراجع تاریخ ابن خلدون ج ۳ ص ۲۱۵، فإنه قال:

.. "وما زال آل أبی طالب یکفل بعضهم بعضا، ویعرضون، فغاب إلخ."

ثم یسوق واقعـهٔ فـخ المشـهورهٔ، وبعض أسـبابها.. ولاـ بأس بمراجعـهٔ الکامل لابن الأثیر ج ۵ ص ۷۵ وغیره (... ۱۰۰) صفحهمفاتیح البحـث: الإمـام أمیر المـؤمنین علی بن ابی طـالب علیهمـا السـلام (۱)، کتـاب مقاتـل الطـالبیین لأبو الفرج الأصـفهانی (۱)، أبـو الفرج الإصبهانی (الإصفهانی) (۱)، مدینهٔ الکوفهٔ (۱)، نهر الفرات (۱)، بنو عباس (۱)، بنو أمیهٔ (۲)، الخوارزمی (۱)، القتل (۲)، کتاب عیون أخبار الرضا علیه السلام (۱)، کتاب تاریخ ابن خلدون لابن خلدون (۱)، کتاب بحار الأنوار (۱)

مع أنه لم یسـتوف کـل شـئ، وإنمـا اکتفی بـذکر بعض منهم، وکـذلک إلی مـا ذکره ابن الساعی فی مختصـر أخبار الخلفاء ص ۲۶، وغیرها.

وغیر ذلک من کتب التاریخ والروایة، لیعلم مقدار الظلم والعسف الذی حاق بأبناء علی، وشیعتهم فی تلک الحقبة من الزمن.

وحسبنا هنا بعد کل الذی قدمناه، أن نذکر فقرات من رسالة أبی بکر الخوارزمی، التی أرسلها إلی أهل نیشابور، یقول أبو بکر، بعد أن ذکر کثیرا من الطالبیین، الذین قتلهم الأمویون، والعباسیون - ومنهم الرضا الذی تسمم بید المأمون -:

"فلما انتهکوا ذلک الحریم، واقترفوا ذلک الإثم العظیم، غضب الله علیهم، وانتزع الملک منهم، فبعث علیهم " أبا مجرم " لا ـ أبا مسلم، فنظر لا نظر الله إلیه إلی صلابة العلویة، وإلی لین العباسیة، فترک تقاه، واتبع هواه، وباع آخرته بدنیاه، بقتله عبد الله بن معاویة بن عبد الله بن جعفر بن أبی طالب. وسلط طواغیت خراسان، وأکراد إصفهان.

وخوارج سجستان علی آل أبی طالب، یقتلهم تحت کل حجر ومدر، ویطلبهم فی کل سهل وجبل، حتی سلط علیه أحب الناس إلیه، فقتله کما قتل الناس فی طاعته، وأخذه بما أخذ الناس فی بیعته، ولم ینفعه:

أن أسخط الله برضاه، وأن رکب ما لا یهواه، وخلت من الدوانیقی (۱) الدنیا، فخبط فیها عسفا، وتقضی فیها جورا وحیفا. وقد امتلأت سجونه بأهل بیت الرسالة، ومعدن الطیب والطهارة، قد تتبع غائبهم، وتلقط حاضرهم، حتی قتل عبد الله بن محمد بن عبد الله الحسنی بالسند، علی ید عمر بن هشام الثعلبی، فما ظنک بمن قرب متناولة علیه، ولأن مسه علی یدیه. (۱) فی مجمع الفوائد ": وخلت إلی الدوانیقی " ولعله هو الصواب. (۱۰۱) صفحهمفاتیح البحث: جعفر بن أبی طالب علیهما السلام (۱)، الدولة الأمویة (۱)، مدینة إصفهان (۱)، عبد الله بن معاویة بن عبد الله (۱)، عبد الله بن محمد بن عبد الله (۱)، الخوارزمی (۱)، خراسان (۱)، الخوارج (۱)، الثعلبی (۱)، الظلم (۱)، القتل (۴)، الغصب (۱)

وهذا قلیل فی جنب ما قتله هارون منهم، وفعله موسی قبله بهم، فقد عرفتم ما توجه علی الحسن (۱) بن علی بفخ من موسی، وما اتفق علی علی بن الأفطس الحسینی من هارون، وما جری علی أحمد بن علی الزیدی، وعلی القاسم بن علی الحسینی من حبسه، وعلی غسان بن حاضر الخزاعی، حین أخذ من قبله، والجملة أن هارون مات وقد حصد شجرة النبوة، واقتلع غرس الإمامة.

وأنتم أصلحکم الله، أعظم نصیبا فی الدین من الأعمش، فقد شتموه، ومن شریک، فقد عزلوه، ومن هشام بن الحکم، فقد أخافوه، ومن علی بن یقطین، فقد اتهموه.".

إلی أن یقول: بعد کلام له عن بنی أمیة:

.. "وقل فی بنی العباس، فإنک ستجد بحمد الله مقالا، وجل فی عجائبهم، فإنک تری ما شئت مجالا.

یجبی فیؤهم، فیفرق علی الدیلمی، والترکی، ویحتمل إلی المغربی، والفرغانی. ویموت إمام من أئمة الهدی، وسید من سادات بیت المصطفی، فلا ـ تتبع جنازته، ولا ـ تجصص مقبرته، ویموت (ضراط) لهم، أو لاعب أو مسخرة، أو ضارب، فتحضر جنازته العدول والقضاة، ویعمر مسجد التعزیة عنه القواد والولاة..

ویسلم فیهم من یعرفونه دهریا، أو سوفسطائیا، ولا یتعرضون لمن یدرس کتابا فلسفیا ومانویا، ویقتلون من عرفوه شیعیا، ویسفکون دم من سمی ابنه علیا.

ولو لم یقتل من شیعة أهل البیت غیر المعلی بن خنیس، قتیل داوود (۱) الظاهر أن الصحیح هو ": الحسین " کما فی مجمع الفوائد. (۱۰۲) صفحهمفاتیح البحث: شیعة أهل البیت علیهم السلام (۱)، بنو عباس (۱)، بنو أمیة (۱)، القاسم بن علی (۱)، المعلی بن خنیس (۱)، هشام بن الحکم (۱)، علی بن یقطین (۱)، علی الزیدی (۱)، القتل (۲)، الموت (۱)، الشراکة، المشارکة (۱)، الجنابة (۱)

ابن علی، ولو لم یحبس فیهم غیر أبی تراب المروزی، لکان ذلک جرحا لا یبرأ، وثائرة لا تطفأ، وصدعا لا یلتئم، وجرحا لا یلتحم.

وکفاهم أن شعراء قریش قالوا فی الجاهلیة أشعارا یهجون بها أمیر المؤمنین علیه السلام، ویعارضون فیها أشعار المسلمین، فحملت أشعارهم.

ودونت أخبارهم، ورواها الرواة، مثل: الواقدی، ووهب بن منبه التمیمی، ومثل الکلبی، والشرقی ابن القطامی، والهیثم بن عدی، ودأب

بن الکنانی، وأن بعض شعراء الشیعة یتکلم فی ذکر مناقب الوصی، بل ذکر معجزات النبی صلی الله علیه وآله وسلم، فیقطع لسانه، ویمزق دیوانه، کما فعل بعبد الله بن عمار البرقی، وکما أرید بالکمیت بن زید الأسدی، وکما نبش قبر منصور بن الزبرقان النمری، وکما دمر علی دعبل بن علی الخزاعی. مع رفقتهم من مروان بن أبی حفصة الیمامی، ومن علی بن الجهم الشامی. لیس إلا لغلوهما فی النصب، واستیجابهما مقت الرب، حتی إن هارون بن الخیزران، وجعفرا المتوکل علی الشیطان، لا علی الرحمان، کانا لا یعطیان مالا ولا یبذلان نوالا إلا لمن شتم آل أبی طالب، ونصر مذهب النواصب، مثل: عبد الله ابن مصعب الزبیری، ووهب بن وهب البختری، ومن الشعراء مثل:

مروان بن أبی حفصة الأموی، ومن الأدباء مثل: عبد الملک بن قریب الأصمعی. فأما فی أیام جعفر فمثل: بکار بن عبد الله الزبیری، وأبی السمط ابن أبی الجون الأموی، وابن أبی الشوارب العبشمی ". وبعد کلام له عن بنی أمیة أیضا قال:

"وما هذا بأعجب من صیاح شعراء بنی العباس علی رؤوسهم بالحق، وإن کرهوه، وبتفضیل من نقصوه وقتلوه، قال المنصور بن الزبرقان علی بساط هارون: (۱۰۳) صفحهمفاتیح البحث: الإمام أمیر المؤمنین علی بن ابی طالب علیهما السلام (۱)، الرسول الأکرم محمد بن عبد الله صلی الله علیه وآله (۱)، بنو عباس (۱)، الکمیت بن زید الاسدی (۱)، بکار بن عبد الله (۱)، عبد الله بن عمار (۱)، الهیثم بن عدی (۱)، بنو أمیة (۱)، وهب بن وهب (۱)، وهب بن منبه (۱)، دعبل بن علی (۱)، القبر (۱)، القتل (۱)، الجهل (۱)، الوصیة (۱)

آل النبی ومن یحبهم * یتطامنون مخافة القتل أمن النصاری والیهود وهم * من أمة التوحید فی أزل وقال دعبل، وهو صنیعة بنی العباس وشاعرهم:

ألم تر أنی مذ ثمانین حجة * أروح، وأغدو دائم الحسرات أری فیئهم فی غیرهم متقسما * وأیدیهم من فیئهم صفرات وقال علی بن العباس الرومی، وهو مولی المعتصم:

تألیت أن لا یبرح المرء منکم * یشل علی حر الجبین فیعفج کذاک بنی العباس تصبر منکم * ویصبر للسیف الکمی المدجج (۱) لکل أوان للنبی محمد * قتیل زکی بالدماء مضرج (۲) وقال إبراهیم بن العباس الصولی – وهو کاتب القوم وعاملهم – فی الرضا لما قربه المأمون:

یمن علیکم بأموالکم * وتعطون من مئة واحدا وکیف لا یتنقصون قوما یقتلون بنی عمهم جوعا وسغبا ویملأون دیار الترک والدیلم فضة وذهبا، یستنصرون المغربی والفرغانی، ویجفون المهاجری والأنصاری، ویولون أنباط السواد وزارتهم، وتلف العجم والطماطم قیادتهم، ویمنعون آل أبی طالب میراث أمهم، وفئ جدهم.

یشتهی العلوی الأکلة، فیحرمها، ویقترح علی الأیام الشهوة فلا یطعمها، وخراج مصر والأهواز، وصدقات الحرمین والحجاز، تصرف إلی ابن أبی مریم المدینی، وإلی إبراهیم الموصلی، وابن جامع السهمی، وإلی زلزل الضارب، وبرصوما الزامر، وأقطاع بختیشوع النصرانی قوت أهل (۱) فی مقاتل الطالبیین ": لذاک بنی العباس یصبر مثلکم ویصبر للموت."

(۲) فی مقاتل الطالبیین ": أکل أوان. (" ۱۰۴) صفحهمفاتیح البحث: بنو عباس (۳)، علی بن العباس (۱)، القتل (۱)، الحج (۱)، الصبر (۲)، الضرب (۱)، الوراثة، التراث، الإرث (۱)، کتاب مقاتل الطالبیین لأبو الفرج الأصفهانی (۲)، الموت (۱)، الأکل (۱)

بلد، وجاری بغا الترکی، والافشین الأشروسنی کفایة أمة ذات عدد.

والمتوکل زعموا یتسری باثنی عشر ألف سریة، والسید من سادات أهل البیت یتعفف بزنجیة، أو سندیة. وصفوة مال الخراج مقصورة علی أرزاق الصفاعنة، وعلی موائد المخاتنة، وعلی طعمة الکلابین، ورسوم القرادین، وعلی مخارق وعلویة المغنی، زرزر، وعمر بن بانة المهلبی، ویبخلون علی الفاطمی بأکلة أو شربة، ویصارفونه علی دانق وحبة، ویشترون العوادة بالبدر، ویجرون لها ما یفی برزق عسکر.

والقوم الذين أحل لهم الخمس، وحرمت عليهم الصدقة، وفرضت لهم الكرامة والمحبة، يتكففون ضرا، ويهلكون فقرا، ويرهن أحدهم سيفه، ويبيع ثوبه، وينظر إلى فيئة بعين مريضة، ويتشدد على دهره بنفس ضعيفة، ليس له ذنب إلا أن جده النبى، وأبوه الوصى، وأمه فاطمة، وجدته خديجة، ومذهبه الإيمان، وإمامه القرآن. وحقوقه مصروفة إلى القهرمانة والمضرطة وإلى المغمزة، إلى المزررة، وخمسه مقسوم على نقار الديكة الدمية، والقردة، وعلى رؤوس اللعبة واللعبة، وعلى مرية الرحلة.

وماذا أقول فى قوم حملوا الوحوش على النساء المسلمات، وأجروا لعبادة وذويه الجرايات، وحرثوا تربة الحسين عليه السلام بالفدان، ونفوا زواره إلى البلدان، وما أصف من قوم هم: نطف السكارى فى أرحام القيان؟ وماذا يقال فى أهل بيت منهم نبع البغا، وفيهم راح التخنيث وغدا، وبهم عرف اللواط؟!. كان إبراهيم بن المهدى مغنيا، وكان المتوكل مؤنثا موضعا، وكان المعتز مخنثا، وكان ابن زبيدة معتوها مفركا، وقتل المأمون أخاه، وقتل المنتصر أباه، وسم موسى بن المهدى أمه، وسم المعتضد عمه. ولقد كان فى بنى أمية مخازى تذكر، ومعائب تؤثر. (". ۱۰۵) صفحهمفاتيح البحث: الإمام الحسين بن على سيد الشهداء (عليهما السلام) (۱)، بنو أمية (۱)، القرآن الكريم (۱)، اللواط (۱)، القتل (۲)، الخمس (۱)، التصدّق (۱)، الوصية (۱)

وبعد أن عدد بعض مخازى بنى أمية، ومعائبهم قال:

.. "وهذه المثالب مع عظمها وكثرتها، ومع قبحها وشنعتها، صغيرة وقليلة فى جنب مثالب بنى العباس، الذين بنوا مدينة الجبارين، وفرقوا فى الملاهى والمعاصى أموال المسلمين.. إلى آخر ما قال (".. ۱).

هذا جانب من رسالة الخوارزمى، وقد كنت أود أن أثبتها بتمامها، لكننى رأيت أن المجال لا يتسع لذلك. وعلى كل فإن: ذلك كله غيض من فيض. ولعل فيما ذكرناه كفاية.. (۱) راجع: رسائل الخوارزمى طبع القسطنطينية سنة ۱۲۹۷ من ص ۱۳۰، إلى ص ۱۴۰، ونقل شطرا كبيرا منها: سعد محمد حسن فى كتابه: المهدية فى الإسلام ابتداء من ص ۵۸ وذكر شطرا منها أيضا الدكتور أحمد أمين فى كتابه ضحى الإسلام ج ۳ ص ۲۹۷ فما بعدها، فراجع. وهى موجودة بتمامها فى مجموعة خطية من تأليف سيدى الوالد أيده الله، سماها ": مجمع الفوائد، ومجمل العوائد " ابتداء من ص ۴۵.. (۱۰۶) صفحهمفاتيح البحث: بنو عباس (۱)، بنو أمية (۱)، الخوارزمى (۲)، الجنابة (۱)

سياسة العباسيين مع الرعية

سياسة العباسيين مع الرعية نظرة عامة:

لا نريد فى هذا الفصل أن نعرض لأنواع القبائح، التى كان العباسيون يمارسونها، فإن ذلك مما لا يمكن الالمام به واستقصاؤه فى هذه العجالة.

وإنما نريد فقط أن نعطى لمحة سريعة عن سيرتهم السيئة فى الناس، ومدى اضطهادهم وظلمهم لهم، وجورهم عليهم، الأمر الذى أسهم إسهاما كبيرا فى كشف حقيقتهم، وبيان واقعهم أمام الملأ.. حتى لقد قال الشعراء فى وصف الحالة العامة فى زمن خلفائهم الشئ الكثير، فمن ذلك قول سليم العدوى فى الثورة على الوضع القائم:

حتى متى لا نرى عدلا نسر به * ولا نرى لولاة الحق أعوانا مستمسكين بحق قائمين به * إذا تلون أهل الجور ألوانا يا للرجال لداء لا دواء له * وقائد ذى عمى يقتاد عميانا (۱) وقال سديف: (۱) المستطرف ج ۱ ص ۹۷، وطبيعة الدعوة العباسية ص ۲۷۲، وضحى الإسلام ج ۲ ص ۳۷.

صفحه(۱۰۷)

إنا لنأمل أن ترتد ألفتنا * بعد التباعد والشحناء والإحن وتنقضى دولة أحكام قادتها * فينا كأحكام قوم عابدى وثن فكتب المنصور إلى عبد الصمد بن على بأن: يدفنه حيا، ففعل (۱).

وقد ذکر أبو الفرج أبیاتا کثیرة بالإضافة إلی هذین البیتین، ونسبها یحیی بن عبد الله بن الحسن، بحضرة الرشید، إلی عبد الله بن مصعب الزبیری، ومن جملتها قوله:

فطالما قد بروا فی الجور أعظمنا * بری الصناع قداح النبع بالسفن (۲) وقال آخر، وهو أحمد بن أبی نعیم، الذی نفاه المأمون بسبب هذا البیت إلی السند:

ما أحسب الجور ینقضی وعلی * الناس أمیر من آل عباس (۳) وقد تقدم قول أبی عطاء السندی، المتوفی سنة ۱۸۰ ه:

یا لیت جور بنی مروان دام لنا * ولیت عدل بنی العباس فی النار وقال الدکتور أحمد محمود صبحی. ": لکن ذلک المثل الأعلی للعدالة، والمساواة الذی انتظره الناس من العباسیین، قد أصبح وهما من الأوهام، فشراسة المنصور والرشید، وجشعهم، وجور أولاد علی بن (۱) راجع: العمدة لابن رشیق ج ۱ ص ۷۵، ۷۶، والعقد الفرید، طبع دار الکتاب العربی ج ۵ ص ۸۷، وهامش طبقات الشعراء ص ۴۱، (۲) مقاتل الطالبیین ص ۴۷۶، ۴۷۷.

(۳) راجع: وفیات الأعیان: ترجمة یحیی بن أکثم، ومروج الذهب ج ۳ ص ۴۳۵، وضحی الإسلام ج ۲ ص ۳۸، ونهایة الإرب ج ۸ ص ۱۷۵، وطبیعة الدعوة العباسیة ص ۲۷۳، وطبقات الشعراء ص ۳۷۸، لکنه نسبه لابن أبی خالد، لکن فی العقد الفرید ج ۶ ص ۴۱۸، قد نسب یحیی بن أکثم هذا البیت إلی دعبل.

وفیه: أنه هو الذی نفی إلی السند. (۱۰۸) صفحهمفاتیح البحث: الحافظ أبو نعیم (۱)، عبد الله بن الحسن (ع) (۱)، بنو عباس (۱)، عبد الصمد بن علی (۱)، عبد الله بن مصعب (۱)، الفرج (۱)، الوفاة (۱)، کتاب مقاتل الطالبیین لأبو الفرج الأصفهانی (۱)، کتاب مروج الذهب للمسعودی (۱)، یحیی بن أکثم (۲)

عیسی، وعبثهم بأموال المسلمین، یذکرنا بالحجاج، وهشام، ویوسف ابن عمرو الثقفی، وعم الاستیاء أفراد الشعب، بعد أن استفتح أبو عبد الله، المعروف ب " السفاح " وکذلک المنصور بالإسراف فی سفک الدماء، علی نحو لم یعرف من قبل (۱.").

ویقول صاحب إمبراطوریة العرب.. ": إنه بالرغم من أن جیش خراسان هو الذی أوصل العباسیین إلی الملک، فإن الفتن فی خراسان ظلت قائمة فی عهد العباسیین، کما کانت فی عهد الأمویین. وکان الشعار الذی رفعه الخراسانیون الآن ": أنهم هم الذین أوصلوا " آل البیت " إلی الحکم، لإقامة عهد من الرحمة والعدل، لا لإقامة عهد آخر من الطغیان، المتعطش إلی سفک الدماء.. إلی أن یقول:

لکن الشیئ الذی لا ریب فیه: هو أن الأحلام بإقامة عهد السلام والعدل، التی کانت السبب فی الثورة العامة ضد الأمویین قد تبخرت الآن، ولو لم یکن العباسیون أسوأ حالا من الأمویین، فإنهم لم یکونوا - علی أی حال - خیرا منهم (۲. "). وقریب منه کلام غیره (۳) وستأتی فی فصل: آمال المأمون إلخ. عبارة فان فلوتن الهامة، والقیمة عن الحکم العباسی، وسیاساته مع الرعیة. فانتظر.

ولعل قصیدة أبی العتاهیة، التی مطلعها:

من مبلغ عنی الإمام * نصائحا متوالیة (۱) نظریة الإمامة ص ۳۸۱، لکن کنیة السفاح هی ": أبو العباس " لا أبو عبد الله و عبد الله هو: اسمه، واسم المنصور أیضا، الذی کان أکبر من السفاح.

(۲) إمبراطوریة العرب ص ۴۵۲.

(۳) راجع: حیاة الإمام موسی بن جعفر ۲ ص ۱۶۲ عن کتاب ": النکبات " للریحانی، وضحی الإسلام ج ۱ ص ۱۲۷ حتی ۱۳۱. (۱۰۹) صفحهمفاتیح البحث: الدولة الأمویة (۳)، العدل الإلهی (۱)، أبو عبد الله (۲)، خراسان (۲)، السب (۱)، موسی بن جعفر (۱)

تعبر تعبیرا صادقا عن الحالة العامة، التی کانت سائدة آنذاک، وهی معروفة ومشهورة ومذکورة فی دیوانه ص ۳۰۴. وهی بحق من الوثائق الهامة. المعبرة عن واقع الحیاة فی تلک الفترة من الزمن.

مع موقف الخلفاء بالتفصیل:

وبعد هذا. وإذا ما أردنا أن نقف عند بعض جنایات وجرائم کل واحد منهم فإننا نقول:

أما السفاح:

الذی أظهر نفسه فی صورة مهدی (۱).

فهو الذی یقول عنه المؤرخون: إنه ": کان سریعا إلی سفک الدماء، فاتبعه عماله فی ذلک، فی المشرق والمغرب، واستنوا بسیرته، مثل: محمد بن الأشعث بالمغرب، وصالح بن علی بمصر، وخازم بن خزیمة، وحمید بن قحطبة، وغیرهم (". ۲).

حتی لقد خرج علیه شریک بن شیخ المهری، الذی کان – علی ما یظهر – من دعاة العباسیین – خرج علیه – ببخارا، فی أکثر من ثلاثین ألفا، فقال ": ما علی هذا بایعنا آل محمد، تسفک الدماء، (۱) البدایة والنهایة ج ۱ ص ۶۹ والتنبیه والإشراف ص ۲۹۲.

(۲) مروج الذهب للمسعودی ج ۳ ص ۲۲۲، وتاریخ الخلفاء للسیوطی ص ۲۵۹.

ومشاکلة الناس لزمانهم للیعقوبی ص ۲۲، ولیراجع إمبراطوریة العرب ص ۴۳۵. (۱۱۰) صفحهمفاتیح البحث: محمد بن الأشعث (۱)، صالح بن علی (۱)، الشراکة، المشارکة (۱)، کتاب مروج الذهب للمسعودی (۱)، کتاب البدایة والنهایة (۱)، جلال الدین السیوطی الشافعی (۱)

ویعمل بغیر الحق (۱ "). فوجه إلیه السفاح أبا مسلم، فقتله، ومن معه..

وقضیة عامل السفاح – وهو أخوه، وقیل: ابن أخیه، یحیی – مع أهل الموصل، حیث ذبح الآلاف الکثیرة منهم فی المسجد. هذه القضیة معروفة ومشهورة.

وینص المؤرخون، علی أنه: لم یبق من أهل الموصل علی کثرتهم إلا أربع مئة إنسان، صدموا الجند، فأفرجوا لهم. کما أنه أمر جنده، فبقوا ثلاثة أیام یقتلون النساء، لأنه سمع أنهن یبکین رجالهن. وینص المؤرخون أیضا: علی أن نفوس أهل الموصل قد ذلت بعد تلک المذبحة، ولم یسمع لهم بعدها صوت، ولا قامت لهم قائمة (۲).

وعندما سألت السفاح زوجته أم سلمة، بنت یعقوب بن سلمة:

"لأی شئ استعرض ابن أخیک أهل الموصل بالسیف؟!. قال لها:

وحیاتک ما أدری (۳!!.").

وقد تقدمت عبارة الدکتور أحمد محمود صبحی عن السفاح والمنصور معا عن قریب. (۱) الکامل لابن الأثیر ج ۴ ص ۳۴۲، والإمامة والسیاسة ج ۲ ص ۱۳۹، وتاریخ الیعقوبی ج ۲ ص ۳۵۴ طبع صادر، والبدایة والنهایة ج ۱۰ ص ۵۶، وتاریخ التمدن الإسلامی ج ۲ ص ۴۰۲، وغیرهم.. وفی کتاب طبیعة الدعوة العباسیة ص ۲۳۰ قال: إنه " لذلک نقل ولاءه للعلویین، وثار ببخارا، وانضم إلیه أنصار العلویین فی خراسان، وکذلک ولاة العباسیین علی بخارا، وبرزم، وکانت حرکته شعبیة.

وجابه أبو مسلم صعوبات کبیرة فی القضاء علیها ".. انتهی.

(۲) راجع تفاصیل هذه القضیة فی: النزاع والتخاصم للمقریزی ص ۴۸، ۴۹، والکامل لابن الأثیر ج ۵ ص ۲۱۲، حوادث سنة ۱۳۲، وتاریخ ابن خلدون ج ۳ ص ۱۷۷، وغایة المرام للموصلی ص ۱۱۵، وتاریخ الیعقوبی، طبع صادر ج ۲ ص ۳۵۷، وشرح میمیة أبی فراس ص ۲۱۶.

(۳) النزاع والتخاصم للمقریزی ص ۴۹، وغیر ذلک. (۱۱۱) صفحهمفاتیح البحث: السیدة أم سلمة بن الحارث زوجة الرسول صلی الله علیه وآله (۱)، الزوجة (۱)، القتل (۱)، السجود (۱)، کتاب الکامل لإبن الأثیر (۱)، کتاب البدایة والنهایة (۱)، إبن الأثیر (۱)، خراسان (۱)

وأما المنصور:

الذی أظهر نفسه فی صورة مهدی کما یظهر من قول أبی دلامة مخاطبا أبا مسلم الذی قتله المنصور:

أبا مجرم ما غیر الله نعمة * علی عبده حتی یغیرها العبد أفی دولة المهدی حاولت غدرة * ألا إن أهل الغدر آباءک الکرد (۱) والذی

قتل خلقا کثیرا حتی استقام له الأمر (۲).

فأمره فی الظلم والجور وانتهاک الحرمات أشهر من أن یذکر، حتی لقد أنکر علیه ذلک.. ": رجل من أعظم الدعاة قدرا، وأعظمهم غناء، وهو أبو الجهم بن عطیة، مولی باهلة. وهو الذی أخرج أبا العباس السفاح من موضعه الذی أخفاه فیه أبو سلمة، حفص بن سلیمان الخلال، وحرسه، وقام بأمره حتی بویع بالخلافة، فکان أبو العباس یعرف له ذلک. وکان أبو مسلم یثق به، ویکاتبه.

فلما استخلف أبو جعفر المنصور، وجار فی أحکامه، قال أبو الجهم:

ما علی هذا بایعناهم، إنما بایعناهم علی العدل، فأسرها أبو جعفر فی نفسه، ودعاه ذات یوم. فتغدی عنده، ثم سقاه شربة من سویق اللوز، فلما وقعت فی جوفه هاج به وجع، فتوهم: أنه قد سم، فوثب، فقال له المنصور: إلی أین یا أبا الجهم؟! فقال: إلی حیث أرسلتنی، ومات بعد یوم أو یومین فقال: (۱) عیون الأخبار لابن قتیبة ج ۱ ص ۲۶ والکنی والألقاب ج ۱ ص ۱۵۸. ویحتمل أن یقصد بالمهدی هنا: السفاح.

(۲) فوات الوفیات ج ۱ ص ۲۳۲، وتاریخ الخلفاء للسیوطی ص ۲۵۹، وتاریخ الخمیس ج ۲ ص ۳۲۴. (۱۱۲) صفحهمفاتیح البحث: حفص بن سلیمان (۱)، الظلم (۱)، القتل (۲)، جلال الدین السیوطی الشافعی (۱)

احذر سویق اللوز لا تشربنه * فإن سویق اللوز أردی أبا الجهم (۱).

وأنکر علیه ذلک أیضا - بالإضافة إلی عمه کما تقدم - جماعة من قواده، فقاموا علیه، ودعوا الناس إلی موالاة أهل البیت، فحاربهم عبد الرحمان الأزدی سنة ۱۴۰ ه. فقتل طائفة منهم، وحبس آخرین (۲).

وقال الطبری فی حوادث سنة ۱۴۰ ه. أیضا. ": وفیها ولی أبو جعفر عبد الجبار بن عبد الرحمن خراسان، فقدمها، فأخذ بها ناسا من القواد، وذکر أنه اتهمهم بالدعاء إلی ولد علی بن أبی طالب، منهم:

مجاشع بن حریث الأنصاری، وأبو المغیرة، مولی لبنی تمیم، واسمه خالد ابن کثیر، وهو صاحب قوهستان، والحریش بن محمد الذهلی، ابن عم داوود، فقتلهم وحبس الجنید بن خالد بن هریم التغلبی، ومعبد بن الخلیل المزنی، بعد ما ضربهما ضربا مبرحا، وحبس عدة من وجوه قواد أهل خراسان (۳.").

ولعل من الأمور الجدیرة بالملاحظة هنا: أن المنصور کان یعاشر الراوندیة القائلین بألوهیته، ولا ینهاهم ولا یردعهم عن مقالتهم تلک، وعندما سأله أحد المسلمین عن ذلک قال له - علی ما فی تاریخ الطبری -:

"لأن یکونوا فی معصیة الله وطاعتنا، أحب إلی من أن یکونوا فی طاعة الله ومعصیتنا.".

ولکنه عندما ثاروا علیه فی الهاشمیة، وضع فیهم السیف وقتلهم، ولکن لا لأجل مقالتهم الشنیعة تلک، وإنما لأجل عدم طاعتهم له!.

(۱) النزاع والتخاصم للمقریزی ص ۵۲، ولیراجع: الوزراء والکتاب ص ۱۳۶ - ۱۳۷ وفیه: أن أبا الجهم کان وزیرا للسفاح.

(۲) البدایة والنهایة ج ۱۰ ص ۷۵.

(۳) الطبری، طبع لیدن ج ۱۰ ص ۱۲۸. (۱۱۳) صفحهمفاتیح البحث: علی بن أبی طالب (۱)، کتاب تاریخ الطبری (۱)، أبو المغیرة (۱)، عبد الرحمان (۱)، خراسان (۲)، القتل (۲)، کتاب البدایة والنهایة (۱)

هذا.. وعندما قال لعبد الرحمان الإفریقی، رفیق صباه:

"کیف رأیت سلطانی من سلطان بنی أمیة."؟

أجابه عبد الرحمان ": ما رأیت فی سلطانهم شیئا من الجور إلا رأیته فی سلطانک (".. ۱).

وعندما قدم علیه عبد الرحمان هذا من إفریقیا، ودخل علیه، بعد أن بقی ببابه شهرا، لا یستطیع الوصول إلیه، قال له عبد الرحمان:

"ظهر الجور ببلادنا، فجئت لأعلمک، فإذا الجوز یخرج من دارک. ورأیت أعمالا سیئة، وظلما فاشیا، ظننته لبعد البلاد منک، فجعلت کلما دنوت منک کان الأمر أعظم."

فغضب المنصور. وأمر بإخراجه (۲).

وقال لابن أبی ذؤيب ": أی الرجال أنا."؟

فأجابه ": أنت والله عندی شر الرجال، استأثرت بمال الله، ورسوله، وسهم ذوی القربی، واليتامی. والمساكين، وأهلكت الضعيف، وأتعبت القوی، وأمسكت أموالهم. (۳). وحج أبو جعفر فدعا ابن أبی ذئب، فقال: نشدتك الله، ألست أعمل بالحق؟ أليس ترانی أعدل؟ فقال ابن أبی ذئب: أما إذ نشدتنی بالله فأقول: اللهم لا، ما أراك تعدل، وإنك لجائر، وإنك لتستعمل الظلمة، وتترك أهل الخير (۴). (۱) تاريخ الخلفاء للسيوطی ص ۲۶۸، وغيره.

(۲) تاريخ بغداد ج ۱۰ ص ۲۱۵، والإمام الصادق، والمذاهب الأربعة المجلد الأول جزء ۲ ص ۴۷۹.

(۳) الإمامة والسياسة ج ۲ ص ۱۴۵.

(۴) صفة الصفوة ج ۲ ص ۱۷۵. (۱۱۴) صفحهمفاتيح البحث: بنو أمية (۱)، عبد الرحمان (۴)، الحج (۱)، كتاب تاريخ بغداد للخطيب البغدادی (۱)، جلال الدين السيوطی الشافعی (۱)، الصدق (۱)

وعندما كان يطوف بالبيت سمع أعرابيا يقول ": اللهم إنی أشكو إليك ظهور الفساد، وما يحول بين الحق وأهله، من الطمع، ". فطلبه المنصور، فأتی به، فاستمع المنصور منه إلی شرح واف عن الظلم، والجور، والفساد، الذی كان فاشيا آنذاك، وهی قصة طويلة لا مجال لذكرها، وعلی مريدها المراجعة إلی مظانها (۱).

ولا ـ بأس بمراجعة ما قاله له عمرو بن عبيد، فی موعظته الطويلة له، ومن جملتها. ": إن وراء بابك نيرانا تتأجج من الجور، والله، ما يحكم وراء بابك بكتاب الله، ولا بسنة نبيه إلخ (".. ۲).

وقد لقی أعرابيا بالشام، فقال له المنصور ": إحمد الله يا أعرابی، الذی دفع عنكم الطاعون بولايتنا أهل البيت."

فأجابه الأعرابی ": إن الله أعدل من أن يجمعكم علينا والطاعون."

فسكت، ولم يزل يطلب له العلل حتی قتله (۳). (۱) المحاسن والمساوی من ص ۳۳۹، إلی ص ۳۴۱ والعقد الفريد للملك السعيد ص ۱۱۶، ۱۱۷، ۱۱۸، وحياة الحيوان للدميری ج ۲ ص ۱۹۰، ۱۹۱، طبع سنة ۱۳۱۹، وعيون الأخبار، لابن قتيبة ج ۲ من ص ۳۳۳، إلی ص ۳۳۶، والعقد الفريد ج ۲ ص ۱۰۴، ۱۰۵، طبع سنة ۱۳۴۶، وضحی الإسلام ج ۲ ص ۴۰، والإمام الصادق والمذاهب الأربعة ج ۲ ص ۴۸۰، نقلا عن: تاريخ ابن الساعی ص ۱۹، والفتوحات الإسلامية لدحلان ج ۲ ص ۴۴۵، حتی ۴۴۸ مطبعة مصطفی محمد. والموفقيات ص ۳۹۲، ۳۹۳ (۲) مرآة الجنان لليافعی ج ۱ ص ۳۳۶، ۳۳۷، والمحاسن والمساوی، طبع صادر ص ۳۳۸، ۳۳۹، وعيون الأخبار، لابن قتيبة باختصار ج ۲ ص ۳۳۷، ونور القبس ص ۴۴.

(۳) روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار ص ۸۶ وأساس الاقتباس، والبداية والنهاية ج ۱۰ ص ۱۲۳، تاريخ الخلفاء للسيوطی ص ۲۶۵، وفی كتاب طبيعة الدعوة العباسية ص ۲۷۳، نقلا عن تاريخ دمشق لابن عساكر III ص ۳۹۱: أن الذی قال للمنصور ذلك هو منصور بن جعونة الكلابی: وأن قوله له هو ": إن الله أعدل من أن يسلط علينا الطاعون والعباسيين معا. (". ۱۱۵) صفحهمفاتيح البحث: الشام (۱)، الظلم (۱)، الطواف، الطوف، الطائفة (۱)، القتل (۱)، كتاب حياة الحيوان للدميری (۱)، كتاب البداية والنهاية (۱)، جلال الدين السيوطی الشافعی (۱)، إبن عساكر (۱)، دمشق (۱)، الصدق (۱)

وقد كتب له سديف، الذی كان من المتحمسين للدولة العباسية:

أسرفت فی قتل الرعية ظالما * فاكفف يديك أظلها " مهديها (" ۱) ويريد ب " مهديها " محمد بن عبد الله بن الحسن علی ما يظهر.

وقضية الرجل الهمدانی، الذی أراد عامل المنصور أن يسلبه ضيعته، فأبی عليه ذلك، فكبله بالحديد، وسيره إلی المنصور، فأودعه السجن أربعة أعوام، لا يسأل عنه أحد، هذه القضية معروفة، ومشهورة (۲).

وعندما بنی مدينة ": المصصية " قد أخذ أموال الناس، حتی ما ترك عند أحد فضلا (۳) وعندما أراد أن يبنی مدينة أخری ثار الناس

عليه ووقع القتال، لأنهم علموا أنه سوف لا يبقى عندهم فضلا أيضا.

وأما ما فعله عبد الوهاب ابن أخى المنصور فى أهل فلسطين، فذلك يفوق كل وصف ويتجاوز كل بيان (۴).

بعض ما يقال عن المنصور:

وأخيرا.. فقد قال عنه البيهقى إنه ": كان يعلق الناس من أرجلهم، حتى يؤدوا ما عليهم (". ۵). (۱) العقد الفريد، طبع دار الكتاب العربى ج ۵ / ۸۸. ويقال: إن هذا هو سبب قتل سديف.

(۲) شرح قصيدة ابن عبدون لابن بدرون ص ۲۸۱، ۲۸۲، ومروج الذهب ج ۳ ص ۲۸۸.

(۳) تاريخ اليعقوبى ج ۳ / ۱۲۱.

(۴) الوزراء والكتاب ص ۱۳۷، (۵) المحاسن والمساوى ص ۳۳۹. (۱۱۶) صفحهمفاتيح البحث: الدولة العباسية (العباسيون) (۱)، عبد الله بن الحسن (ع) (۱)، القتل (۲)، كتاب مروج الذهب للمسعودى (۱)

هذا.. وقد وصف اليافعى والذهبى المنصور بأنه كان ": فيه جبروت وظلم (" ۱).

ووصفه السيد أمير على بأنه ": كان غادرا خداعا، لا يتردد البتة فى سفك الدماء.. إلى أن قال: وعلى الجملة: كان أبو جعفر سادرا فى بطشه، مستهترا فى فتكه. وتعتبر معاملته لأولاد على من أسوأ صفحات التاريخ العباسى (" ۲).

ولا بأس بمراجعة ما قاله الريان، مولى المنصور لجعفر بن أبى جعفر، حيث ينص على أنه قتل أهل الدنيا، ممن لا يعد ولا يحصى، وإن فرعون لا يقاس به (۳).

وأما المهدى:

الذى اتخذ الزندقة ذريعة للفتك بالأبرياء.. فقد كفانا الجهشيارى مؤونة الحديث عنه، حيث قال: إنه فى زمن المهدى هذا:

"كان أهل الخراج يعذبون بصنوف من العذاب، من السباع، والزنابير والسنانير (". ۴). وقد خرج عليه يوسف البرم بخراسان، منكرا عليه أحواله، وسيرته، وما يتعاطاه (۵). (۱) العبر للذهبى ج ۱ / ۲۳۰، ومرآة الجنان لليافعى ج ۱ / ۳۳۴.

(۲) مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامى ص ۱۸۴، وليراجع تاريخ التمدن الإسلامى ج ۴ / ۳۹۹. والتاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية ج ۳ / ۶۱.

(۳) الوزراء والكتاب ص ۱۳۰.

(۴) الوزراء والكتاب ص ۱۴۲.

(۵) البداية والنهاية ج ۱۰ / ۱۳۱. (۱۱۷) صفحهمفاتيح البحث: جعفر بن أبى جعفر (۱)، خراسان (۱)، القتل (۱)، العذاب، العذب (۱)، كتاب البداية والنهاية (۱)

وأما الهادى:

فقد كان ": يتناول المسكر، ويحب اللهو والطرب، وكان ذا ظلم وجبروت (" ۱).

وكان " سئ الأخلاق، قاسى القلب، جبارا، يتناول المسكر، ويلعب (". ۲).

وقد قال عنه الجاحظ ": كان الهادى شكس الأخلاق، صعب المرام، سئ الظن. قل من توقاه، وعرف أخلاقه إلا أغناه، وما كان شئ أبغض إليه من ابتدائه بسؤال. وكان يأمر للمغنى بالمال الخطير الجزيل (". ۳).

وقال الجهشيارى ": كان فظا قاسيا، غير مأمون على وفاء بوعد (" ۴).

نعم. لقد كان يأمر للمغنى بالمال الجزيل الخطير - من بيت مال المسلمين - كما يقول الجاحظ.. وقد بلغ من إسرافه فى إجازة الخلفاء والمغنين، أن دفع إسحاق الموصلى لأن يقول ": لو عاش لنا الهادى لبنينا حيطان دورنا بالذهب والفضة (" ۵) وأخيرا.. فقد قال عنه الذهبى ": قد كان جبارا ظالم النفس (" ۶) إلى آخر ما هنالك مما لا مجال لنا هنا لتتبعه. (۱) تاريخ الخميس ج ۲ / ۳۳۱.

(۲) تاریخ الخلفاء للسیوطی ص ۲۷۹، وغیره.

(۳) التاج للجاحظ ص ۸۱.

(۴) الوزراء والکتاب ص ۱۷۴.

(۵) الأغانی، طبع دار الکتب بالقاهرة ج ۵ / ۱۶۳.

(۶) العبر للـذهبی ج ۱ / ۲۵۸. ولا بأس بمراجعـة: مشاکلـة الناس لزمانهم ص ۲۴. (۱۱۸) صـفحهمفاتیح البحث: الظنّ (۱)، الظلم (۱)، جلال الدین السیوطی الشافعی (۱)

وأما الرشید:

فسیرته تکفی عن کل بیان.. ویکفیه أنه - کما ینص المؤرخون - یشبه المنصور فی کل شئ إلا فی بذل المال (۱)، حیث یقولون إن المنصور کان بخیلا.

وقد تسلط - کالمنصور - بعد مدة من خلافته علی الأمور، فأفسد الصنایع، وأحب جمع الأموال (۲).

"وکان جبارا سفاکا للدماء، علی نمط من ملوک الشرق المستبدین (" ۳).

وقد عسف عامله أهل خراسان، وقتل ملوکها، ووجوه أهلها وأشـرافها وصنادیدها، وأخذ أموالهم. فأرسلها إلی الرشید، الأمر الذی کان سببا فی انتقاضها علیه (۴).

وکـان یعـذب الناس فی الخراج، حیث ": أخـذ العمال، والتناء، والـدهاقین، وأصـحاب الصـنایع، والمتباعین للغلات، والمقبلین. وکان علیهم أموال مجتمعـة، فولی مطـالبتهم عبـد الله بن الهیثم بن سـام. فطـالبهم بصـنوف من العـذاب. إلی أن دخل علیه ابن عیاض، فرأی الناس یعذبون فی الخراج، فقال: ارفعوا عنهم، إنی سـمعت عن رسول الله صلی الله علیه وآله یقول: من عذب الناس فی الدنیا عذبه الله یوم القیامـة، فـأمر بـأن یرفع العـذاب عن الناس، فرفع (".. ۵). (۱) ولکن لا ـ فی سبیـل الله، وإنما علی ملـذاته وشـهواته، وعلی المغنین والمضرطین کما فی رسالة الخوارزمی المتقدمة، وکما ینص علیه أی کتاب تاریخی یتحدث عن سیرته وأفعاله.

(۲) التنبیه والإشراف ص ۲۹۹.

(۳) هذا قول الأمیر شکیب أرسلان، فی تعلیقته علی: حاضر العالم الإسلامی، نقلها عنه:

محمد بن عقیل هامش ص ۲۰ من کتابه: العتب الجمیل.. وهو من منشورات هیئة البحوث الإسلامیة فی إندونیسیا.

(۴) الوزراء والکتاب ص ۲۲۸.

(۵) تاریـخ الیعقوبی ج ۳ / ۱۴۶. (۱۱۹) صـفحهمفاتیح البحث: الرسول الأکرم محمد بن عبد الله صـلی الله علیه وآله (۱)، یوم القیامة (۱)، عبد الله بن الهیثم (۱)، خراسان (۱)، القتل (۱)، العذاب، العذب (۱)، سبیل الله (۱)، محمد بن عقیل (۱)، الخوارزمی (۱)

وکان قد ولی رجلا یضرب الناس، ویحبسهم، لیؤدوا ما علیهم من الخراج (۱).

وقال أبو یوسف، فی عرض وصیته للرشید بشأن عمال الخراج:

"بلغنی أنه: قـد یکون فی حاشـیة العامـل، أو الوالی جماعـة، منهم من له حرمـة، ومنهم من له إلیه وسـیلة، لیسوا بـأبرار ولا ـ صـالحین، یسـتعین بهم. ویـوجههم فی أعمـاله، یقتضـی بـذلک الـذمامات. فلیس یحفظـون مـا یوکلون بحفظه، ولا ـ ینصـفون من یعـاملونه، إنما مذهبهم أخذ شئ، من الخراج کان، أو من أموال الرعیة. ثم إنهم یأخذون ذلک کله - فیما بلغنی - بالعسف، والظلم، والتعدی (۲)..

وقال: وبلغنی أنهم یقیمون أهل الخراج فی الشـمس، ویضـربونهم الضـرب الشدیـد، ویعلقون علیهم الجرار، ویقیدونهم بما یمنعهم من الصلاة، وهذا عظیم عند الله، شنیع فی الإسلام (". ۳).

وبعد. فقد کان فی قصـره أربعة آلاف امرأة: من الجواری والحظایا (۴) وکان علی حد تعبیر بعضـهم ": حریصا علی اللذات المحرمة، وسفک (۱) البدایة والنهایة ج ۱۰ / ۱۸۴.

(۲) الخراج لأبی یوسف ص ۱۱۶ ط سنة ۱۳۹۲ ه.

(۳) المصدر نفسه ص ۱۱۸.

(۴) البدایة والنهایة ج ۱۰ / ۲۲۰، نقلا عن الطبری. وفی نفس الجزء من البدایـة والنهایة ص ۲۲۲ قال ": قال بعضهم: إنه کان فی داره أربعة آلاف جاریة سراری حسان."

وجاء فی ضـحی الإسلام ج ۱ / ۹. أنه ": کان للرشـید زهاء ألفی جاریـة: من المغنیات، والخدمة فی الشـراب فی أحسن زی، من کل نوع من أنواع الثیـاب والجوهر، ". وإذن فکیف بالسـراری الـذین هم أربعـة آلاـف، وبقیـة الجواری، اللواتی یحتاج إلیهن فی کثیر من الشؤون. فالرقم الحقیقی أکثر من أربعـة آلاف بکثیر، بل لعله یزید عما کان عند المتوکل، الذی کان یتسـری باثنی عشـر ألف سـریة، کمـا نص علیه الخوارزمی فیما تقـدم، وجبور عبـد النور فی کتاب الجواری ۳۶ من سلسـلة اقرأ. (۱۲۰) صفحهمفاتیح البحث: الضرب (۱)، کتاب البدایة والنهایة (۳)، الخوارزمی (۱)

الدماء، وغصب حقوق الناس، وکان ظالما لأهل البیت (ع) وکانت جوائزه خاصة لأهل اللهو، واللعب، والمغنین، والراقصات.".

وستأتی عبارة فان فلوتن عنه فی فصل: آمال المأمون الخ.. فانتظر.

وحسب الرشـید. رسالة سـفیان، التی أرسـلها إلیه من غیر طی، ولا ختم، والتی تلقی لنا ضوءا علی جانب من سـیرته وسـلوکه. ولسوف نثبتها – نظرا لأهمیتها – مع الوثائق الهامة فی أواخر هذا الکتاب إن شاء الله تعالی.

وأما الأمین.

.. "الذی رفض النساء، واشتغل بالخصیان، ووجه إلی البلدان فی طلب الملهین، واستخف حتی بوزرائه، وأهل بیته (". ۱).

فقد کان ": قبیح السیرة، ضعیف الرأی، سفاکا للدماء، یرکب هواه، ویهمل أمره، ویتکل فی جلیلات الأمور علی غیره الخ (".. ۲).

ویضیف هنا القلقشندی قوله: منهمکا فی اللذات واللهو (".. ۳).

ویکفیه أن کلا من العبری، وابن الأثیر الجزری یقول عنه: إنه:

"لم یجد للأمین شیئا من سیرته یستحسنه، فیذکره (".. ۴).

ولقد کانت أیامه علی الناس، أیام حروب، وویلات، وسـلب (۱) مآثر الإنافة ج ۱ / ۲۰۵، وتاریخ الخلفاء للسیوطی ص ۲۰۱، ومختصر تاریخ الدول ص ۱۳۴، والکامل لابن الأثیر، طبع دار الکتاب العربی ج ۵ / ۱۷۰، والطبری، وغیر ذلک.

(۲) التنبیه والإشراف ص ۳۰۲.

(۳) مآثر الإنافة فی معالم الخلافة للقلقشندی ج ۱ / ۲۰۴.

(۴) مختصـر أخبار الدول ص ۱۳۴، والفخری فی الآـداب السـلطانیة ص ۲۱۲. (۱۲۱) صـفحهمفاتیح البحث: أهل بیت النبی صـلی الله علیه وآله (۱)، إبن الأثیر (۱)، الرفض (۱)، کتاب الکامل لإبن الأثیر (۱)، جلال الدین السیوطی الشافعی (۱)

ونهب، وما إلی ذلک، مما لا تقره شریعة، ولا یرضی به خلق کریم.

وأما المأمون:

فـإنه لم یکن فی کـل مـا ذکرنـاه أفضل من أسـلافه، ولا کانت أیامه بـدعا من تلک الأیام. کما سـنوضح ذلک فی أواخر فصل: آمال المأمون، وظروفه فی الحکم، حیث سیتضح أن حال الرعیة فی أیامه کان قد تناهی فی السوء، وبلغ الغایة فی التدهور.

وصیة إبراهیم الإمام:

وبعد کل الذی قدمناه، لم یعد یخفی علی أحد، کم سفک العباسیون من الدماء البریئة – عدا عما سفکوه من دماء بنی عمهم العلویین – ونزید هنا: أن إبراهیم الإمام أرسل إلی أبی مسـلم یأمره ": بقتل کل من شک فیه، أو وقع فی نفسه شـئ منه، وإن استطاع أن لا یدع بخراسان من یتکلم بالعربیة إلا قتله فلیفعل، وأی غلام بلغ خمسة أشبار یتهمه فلیقتله، وأن لا یخلی من مضر دیارا (" ۱).

ولعل سر أمره له بقتل كل عربى يرجع إلى أنه كان يعلم أن ذلك يرضى الخراسانيين، الذين كانوا مضطهدين على أيدى العرب. كما أنه كان يعلم أن العرب ين يستجيبوا له استجابة واسعة ضد الأمويين، لأن الدولة الأموية كانت ترضى غرور العربى، وتؤكد اعتزازه بجنسه ومحتده. (١) الطبرى، طبع ليدن ج ٩ / ص ١٩٧۴، و ج ١٠ / ٢۵، والكامل لابن الأثير، ج ۴ / ٢٩۵، والبداية والنهاية ج ١٠ / ٢٨، و ص ۶۴، والإمامة والسياسة ج ٢ ص ١١۴، والنزاع والتخاصم للمقريزى ص ۴۵، والعقد الفريد، طبع دار الكتاب ج ۴ / ۴٧٩، وشرح النهج للمعتزلى ج ٣ / ٢۶٧، وضحى الإسلام ج ١ ص ٣٢. (١٢٢) صفحهمفاتيح البحث: الدولة الأموية (٢)، خراسان (١)، القتل (٣)، الكرم، الكرامة (١)، الوسعة (١)، كتاب الكامل لإبن الأثير (١)، كتاب البداية والنهاية (١)

يضاف إلى ذلك ما كان يعانيه العرب من الانقسامات الداخلية، التى كانت تمزق صفوفهم وتوهن قوتهم.

وأما المضرية فقد كانوا جماعة نصر بن سيار الموالى للأمويين، واليمانية كانوا جماعة ابن الكرمانى المناهض لنصر (١).

أبو مسلم ينفذ الوصية:

وقد حرص أبو مسلم على تنفيذ وصية إبراهيم الإمام كل الحرص.

حتى لقد قتل - كما يقول الذهبى واليافعى " -: خلقا لا يحصون محاربة وصبرا، وكان حجاج زمانه (٢.").

ويقول المؤرخون: إن من قتلهم أبو مسلم صبرا قد بلغ " ست مئة ألف نفس " من المسلمين، من المعروفين، سوى من لم يعرف، ومن قتل فى الحروب، وتحت سنابك الخيل (٣).

وقد اعترف المنصور نفسه بذلك، عندما عاتب أبا مسلم، ثم قتله، فكان من جملة ما عاتبه به قوله ": فأخبرنى عن ست مئة ألف من المسلمين، قتلتهم صبرا. "؟! ولم ينكر أبو مسلم ذلك، وإنما أجابه بقوله: (١) راجع: تاريخ الجنس العربى ج ٨ / ۴١٧.

(٢) العبر للذهبى ج ١ / ١٨۶، ومرآة الجنان ج ١ / ٢٨۵.

(٣) البداية والنهاية ج ١٠ / ٧٢، ووفيات الأعيان ج ١ / ٢٨١، طبع سنة ١٣١٠ ه.

ومختصر تاريخ الدول ص ١٢١، والكامل لابن الأثير ج ۴ ص ٣۵۴، وشرح شافية أبى فراس ص ٢١١، وغاية المرام فى محاسن بغداد دار السلام للعمرى الموصلى ص ١١۶ وتاريخ ابن الوردى ج ١ / ٢۶١، ومآثر الإنافة فى معالم الخلافة ج ١ / ١٧٨، والنزاع والتخاصم للمقريزى ص ۴۶. (١٢٣) صفحهمفاتيح البحث: القتل (٣)، الوصية (٢)، النفاذ، التنفيذ (١)، كتاب الكامل لإبن الأثير (١)، كتاب البداية والنهاية (١)، مدينة بغداد (١)

"لتستقيم دولتكم (" ١)!!.

واعترف جعفر البرمكى بذلك أيضا (٢).

وأبو مسلم نفسه نراه قد اعترف بمئة ألف منها أيضا فى مناسبة أخرى (٣).

وأما من قتلهم فى حروبه مع بنى أمية وقوادهم، فقد أحصوا فوجدوا: ألف ألف وستمائة ألف (۴).

وكل ذلك غير بعيد. إذا ما عرفنا أن ثورة أبى السرايا قد كلفت جيش المأمون فقط (٢٠٠) ألف جندى، كما سيأتى. وكذلك إذا ما لاحظنا ما يذكره المؤرخون عن عدد القتلى فى الوقائع المختلفة، التى خاضها أبو مسلم.

وبعد هذا. فإننا نرى أبا مسلم نفسه يقول فى رسالة منه للمنصور:

"فوترت أهل الدنيا فى طاعتكم، وتوطئة سلطانكم (". ۵) وفى رسالة أخرى منه له أيضا يقول.. ": إن أخاك أمرنى أن أجرد السيف، وآخذ بالظنة، وأقتل على التهمة، ولا أقبل المعذرة، فهتكت بأمره حرمات حتم الله صونها، وسفكت دماء فرض الله حقنها، وزويت الأمر عن أهله، ووضعته فى غير محله (". ۶).

يقصد ب " أهله: " أهل البيت (ع)، وقد أوضح ذلك فى رسالته (١) طبيعة الدعوة العباسية ص ٢۴۵، نقلا عن العينى فى: دولة بنى العباس والطولونيين والإخشيديين ص ٣٠، فما بعدها.

(۲) تاريخ التمدن الإسلامى ج ۲ / ۴۳۵، نقلا عن: زينة المجالس (فارسى).

(۳) تاريخ اليعقوبى ج ۳ / ۱۰۲، وتاريخ ابن خلدون ج ۳ / ۱۰۳.

(۴) شرح قصيدة ابن عبدون لابن بدرون ص ۲۱۴، وليراجع صبح الأعشى ج ۱ / ۴۴۵ أيضا.

(۵) البداية والنهاية ج ۱۰ / ۶۹.

(۶) تاريخ بغداد ج ۱ / ۲۰۸، والبداية والنهاية ج ۱۰ / ۱۴، ولا بأس بمراجعة ص ۶۹.

والنزاع والتخاصم ص ۵۳، والإمام الصادق والمذاهب الأربعة جلد ۱ ج ۲ / ۵۳۳. (۱۲۴) صفحهمفاتيح البحث: أهل بيت النبى صلى الله عليه وآله (۱)، بنو أمية (۱)، القتل (۲)، كتاب تاريخ بغداد للخطيب البغدادى (۱)، كتاب البداية والنهاية (۲)، بنو عباس (۱)، الصدق (۱)

الأخرى للمنصور التى يقول فيها: أن أخاه قد استخف بالقرآن وحرفه، وأنه أوطأه فى غيرهم من أهل بيتهم العشوة، بالإفك والعدوان، وأنه ظهر له بصورة مهدى.

أى أن أخا المنصور قد حرف الآيات الواردة فى أهل البيت (ع) لتنطبق على العباسيين، وأنه بذلك تمكن من إغراء أبى مسلم بالعلويين، ففعل بهم ما فعل بالإفك والعدوان.. ويصرح بذلك فى رسالة أخرى للمنصور، فيقول ": وأوطأت غيركم من كان فوقكم من آل رسول الله بالذل والهوان، والإثم والعدوان ". ويشير بذلك إلى العلويين (۱).

وعلى كل فإننا سوف لا نستغرب إذا رأينا أنه قد بلغ من ظلم أبى مسلم أنه عندما حج ": هربت الأعراب عن المناهل، التى يمر بها ذهابا وإيابا، فلم يبق منهم أحد، لما كانوا يسمعونه من سفكه للدماء (" ۲).

وقال المقريزى ": وقتل (يعنى أبو مسلم) زياد بن صالح، من أجل أنه بلغه عنه أنه يقول: إنما بايعنا على إقامة العدل، وإحياء السنن، وهذا جائر ظالم، يسير بسيرة الجبابرة، وإنه مخالف وكان لزياد بلاء فى إقامة الدولة، فلم يرع له، فغضب عيسى ابن ماهان، مولى خزاعة لقتل زياد، ودعا لحرب أبى مسلم سرا، فاحتال عليه بأن دس إلى بعض ثقاته إلخ ". ثم ذكر كيفية احتيال أبى مسلم وقتله إياه (۳). (۱) طبيعة الدعوة العباسية ص ۳۳، نقلا عن كتاب الفتوح لابن أعثم الكوفى.. ولا بأس بمراجعة الرسائل المختلفة المعبرة عن ذلك فيما تقدم من المراجع، وفى النزاع والتخاصم ص ۵۲، ۵۳، والإمام الصادق والمذاهب الأربعة جلد ۱ ج ۲ / ۵۳۳، ۵۳۴، والبداية والنهاية ج ۱۰ / ۶۹، والإمامة والسياسة ج ۲ / ۱۳۲، ۱۳۳، وغير ذلك، (۲) النزاع والتخاصم ص ۴۶، (۳) نفس المصدر والصفحة. (۱۲۵) صفحهمفاتيح البحث: أهل بيت النبى صلى الله عليه وآله (۱)، زياد بن صالح (۱)، القرآن الكريم (۱)، القتل (۳)، الحج (۱)، الظلم (۱)، كتاب الفتوح لأحمد بن أعثم الكوفى (۱)، كتاب البداية والنهاية (۱)، الصدق (۱)

وقد قال أبو مسلم ليونس بن عاصم عندما قال له: هذا جزائى؟!

"ومن جازيناه بجزائه، وضعت سيفى فلم يبق بر ولا فاجر إلا قتلته (" ۱).

وقال أبو مسلم أيضا ": إن أطفيت من بنى أمية جمرة، وألهبت من بنى العباس نيرانا، فإن أفرح بالإطفاء، فواحزنا من الإلهاب (" ۲).

وقال أبو مسلم أيضا ": إنى نسجت ثوبا من الظلم لا يبلى ما دامت الدولة لبنى العباس، فكم من خارج الخ (". ۳) ولا مجال ثمة للشك:

كل ذلك يدل دلالة قاطعة على مدى الظلم الذى كان يمارسه العباسيون مع الناس بصورة عامة، ومع العلويين، بشكل خاص.. والمتتبع للأحداث التاريخية يرى أن الأمة كانت تعيش فى رعب دائم ومستمر، خصوصا وأن كل أحد كان يرى ويعلم: كيف أن الآلاف من الناس، كانوا يذبحون لأتفه الأسباب وأحقرها.

وأعود فأذكر القارئ ببعض ما أوردناه من رسالة الخوارزمى، التى تعتبر بحق الوثاق الهامة. كما اعترف به غير واحد من الباحثين.

وبعد فلا بد لنا من كلمة أخرى:

كانت تلك - كما قلنا - لمحة خاطفة عن حالة العباسيين من الناس عامة، ومع العلويين خاصة.. ولعل من الظلم للحقيقة وللتاريخ هنا،

(۱) النزاع والتخاصم ص ۴۷.

(۲) المحاسن والمساوی للبيهقی ص ۲۹۸، طبع صادر وشرح ميمية أبی فراس ص ۲۱۴.

(۳) المحاسن والمساوی طبع مصر ج ۱ / ۴۸۲، والكنی والألقاب ج ۱ / ۱۵۷ / ۱۵۸ نقلا عن ربيع الأبرار للزمخشری. (۱۲۶) صفحهمفاتيح البحث: بنو عباس (۲)، بنو أمية (۱)، الخوارزمی (۱)، القتل (۱)، الظلم (۳)، الزمخشری (۱)

أن نمضی ولا نعطی للقارئ لمحة عن حياتهم الخاصة، وسلوكهم الخلقی.

ولذا نری لزاما علينا: أن نلم المامة سريعة ببعض ما يحدثنا به التاريخ فی هذا الموضوع، فنقول العباسيون فی حياتهم الخاصة:

أما حياتهم الخاصة، وما كان يمر بها من رذائل وقبائح، ينـدی لها جبين الإنسان الحر ألما وخجلا، ويقطر قلبه لها دما وألما، فتلك حدث عنها ولا حرج. وقد تقدم فی رسالة الخوارزمی بعض ما يشير إلی ذلک.

وحيث أن الاستقصاء فی هذا الموضوع مما تنوء به العصبة أولو القوة، فإننا لن نحاول التصدی لذلک، سيما وأن هذا الكتاب غير معد لبحث هذا الموضوع فعلا.

ولعل الكلمة التی تجمع صفات بنی العباس الخلقية هی الكلمة التی كتبها المأمون، وهو فی مرو فی رسالة منه للعباسيين، بنی أبيه فی بغداد، والتی قلنا إننا سوف نوردها فی أواخر هذا الكتاب مع الوثائق الهامة، إن شاء الله تعالی.

والمأمون: هو من أهل ذلک البيت، الـذين هم أدری من كل أحـد بما فيه، لأنهم عاشوا فی خضم الأحداث، وشاهدوا كل شیء، وكل القضايا عن كثب. يقول المأمون فی تلک الرسالة:

.. "وليس منكم إلا لاعب بنفسه، مأفون فی عقله، وتـدبيره، إما مغن، أو ضارب دف، أو زامر. والله، لو أن بنی أمية الـذين قتلتموهم بالأمس نشروا، فقيل لهم: لا تأنفوا من معائب تنالوهم بها، لما زادوا علی ما صيرتموه لكم شعارا ودثارا، وصناعة وأخلاقا، ليس منكم إلا من إذا مسه الشر جزع، وإذا مسه الخير منع، ولا (۱۲۷) صفحهمفاتيح البحث: بنو عباس (۱)، بنو أمية (۱)، مدينة بغداد (۱)، الخوارزمی (۱)، المنع (۱)

تأنفون، ولا ترجعون إلا خشية، وكيف يأنف من يبيت مركوبا، ويصبح بإثمه معجبا، كأنه قد اكتسب حمدا، غايته بطنه وفرجه، لا يبالی أن ينال شهوته بقتل ألف نبی مرسل، أو ملک مقرب. أحب الناس إليه من زين له معصية أو أعانه فی فاحشة، تنظفه المخمورة الخ.".

فهذه القطعة تبين لنا بجلاء - كما يتبين من كثير أمثالها - كيف كان خلفاء العباسيين منغمرين فی الملذات والشهوات.. وتبين لنا نظرتهم للحياة وأهدافهم منها. ولولا أن المقام يطول لأوردنا سيلا من الشواهد والدلائل علی مدی استهتارهم، وانتهاكهم، للحرمات، وارتكابهم للموبقات، ليعلم أن أقوال المأمون هذه، وكذلک أقوال الخوارزمی، وغيرهما مما تقدم غير مبالغ فيها، وأن الحقيقة هی أعظم من ذلک بكثير وأن ذلک ليس إلا غيضا من فيض. وكتب التاريخ والأدب خير شاهد علی ذلک، وإن حاولت بعض الأيدی الأثيمة تشويه الحقيقة، والتستر علی واقعهم ذاک المزری والمهين.

وفی نهاية المطاف:

وإذا كانت تلک هی سيرة العباسيين فی حياتهم الخاصة، وتلک هی سياساتهم مع الناس ومع خصومهم، فماذا يمكن أن تكون حالة وزرائهم وقوادهم، وسائر رجال دولتهم؟!

التاريخ وحده هو الذی يتولی الإجابة علی هذا السؤال.

أما نحن.. فنكتفی بهذا القدر، وننتقل إلی الحديث عن بعض نتائج سياسات العباسيين تلک.. وخصوصا ما كان منها يتعلق بالعلويين.

(۱۲۸) صفحهمفاتيح البحث: الخوارزمی (۱)، القتل (۱)، الطواف، الطوف، الطائفة (۱)

فشل سياسة العباسيين ضد العلويين

فشل سياسة العباسيين ضد العلويين سؤال لا بد منه:

والآن. وبعد أن عرفنا موقف العلويين من العباسيين، وقدمنا لمحة من معاملتهم للرعية، التى لم تكن أحسن حالا، ولا أهدأ بالا من العلويين، سيما وأنهم من أول يوم من حكمهم سلطوا على الناس فئة لا تفقه للرحمة معنى، ولا تجد الشفقة إلى قلوبها أى سبيل، همها الدنيا، وغايتها الاستئثار بكل شئ، وتتمتع بحماية مطلقة من قبل الخلفاء، حتى عندما كانت تعبث بأموال الناس، وحتى فى دمائهم وأعراضهم.

وكيف لا!! والخلفاء أنفسهم ما كانوا أحسن حالا من تلك الفئة، ولا أقل انحرافا، وبعدا عن تعاليم السماء، والخلق الإنسانى منها.

بعد أن عرفنا ذلك. وغيره مما تقدم، فإن السؤال الذى يفرض نفسه هو:

ما هى نتائج وآثار سياسات العباسيين تلك؟. وهل استطاعوا أن يجعلوا الناس راضين عن تلك السياسات؟ وعما كانوا يرونه منهم من تميعهم، واستهتارهم بكل القيم، والفضائل الأخلاقية؟.

وهل استطاعوا أن يكتسبوا عطف الأمة، بعد أن فعلوا بها، وبأهل بيت نبيها ما فعلوا؟!.

صفحه(۱۲۹)

أما الجواب:

الواقع.. أن نتيجة ذلك كانت وبالا على العباسيين ": ولا يحيق المكر السئ إلا بأهله. ". فقد كان الناس مستائين جدا من سيرتهم السيئة وسيرة ولاتهم مع الرعية، وكان من الطبيعى جدا أيضا: أن يثير الناس ويسؤهم ما كانوا يرونه من تميعهم الشديد فى حياتهم الخاصة، وإيثارهم اللذات المحرمة على كل شئ، حتى قد يبلغ الأمر بالخليفة منهم أن يحتجب عن الناس منهمكا بلذاته وشهواته. وقد كان الرشيد يحمد الله على أن أراحه البرامكة من أعباء الحكم (۱)، وتركوه ينصرف إلى ما يندى له جبين الإنسان الحر ألما وخجلا، وكذلك كانت حال والده المهدى من قبل، وعلى ذلك جرى ولده الأمين من بعد.

وغيرهم وغيرهم ممن لا نرى ضرورة لتعداد أسمائهم. وحسبنا تلك الشواهد الكثيرة فى التاريخ، الذى قد لا تمر بصفحة منه، فيها حديث عن الخلفاء، إلا وتجد فيها ما لا يسر، وما لا يغبط عليه أحد.

وكان مما ساعد على إدراك الناس لحقيقة نوايا العباسيين، وواقعهم، الذى طالما جهدوا فى التستر عليه، وإخفائه، بحيث لم يعد ثمة شك فى أنهم ليسوا بأفضل من الأمويين، إن لم يكونوا أكثر منهم سوءا. هو ما كانوا يرونه من معاملتهم لبنى عمهم آل أبى طالب، الذين ضحوا بكل شئ فى سبيل هذا الدين، وأعطوا وبذلوا حتى أرواحهم فى سبيل هذه الأمة. والذين كانوا هم الأمل الحى لهذه الأمة المضطهدة، والمغلوبة على أمرها، التى كانت ترى فيهم كل الفضائل، والكمالات الإنسانية..

والذين كان من الواضح لدى كل أحد أن وجود العباسيين فى الحكم مدين لهم، أكثر من غيرهم على الاطلاق. (۱) الوزراء والكتاب ص ۲۲۵. (۱۳۰) صفحهمفاتيح البحث: الدولة الأموية (۱)

لقد رأوهم جميعا متفقين - حتى المأمون كما سيتضح - على العداء لهم، ووجوب التخلص منهم، لكن الفرق هو أن الخلفاء الذين سبقوا المأمون كانت أساليبهم تجاههم، تتميز - عموما - بالعنف والقسوة، بخلافه هو، فإنه اتبع أسلوبا جديدا، وفريدا فى القضاء عليهم، والتخلص منهم.

ولقد كان هذا الموقف مفاجأة للأمة، وصدمة لها، ولذا فمن الطبيعى أن يتسبب فى ردود فعل عنيفة فى ضمير الأمة ووجدانها، وبخيبة أمل قاسية لها فيهم.

بل لقد كان ذلك سببا فى زيادة تعاطفها معهم، ومضاعفة احترامهم لهم - ولو بدافع إنسانى بحت - ومن هنا نلاحظ أنهم كثيرا ما

يذكرون في سبب نكبات الوزراء، والعمال، بل والعلماء أيضا - صدقا كان ذلك أو كذبا - أنه أجار علويا، أو أطلقه من السجن، ودله على طريق النجاة، وقد ذكرت هذه المنقبة للإمام أحمد بن حنبل أيضا (۱)، وأما موقف أبي حنيفة، والشافعي، وغيرهم من العلماء، فهو أشهر من أن يذكر.

ولعل الأهم من ذلك كله:

ولعل الأهم من ذلك كله أن الناس الذين كانوا يرون سلوك العباسيين مع العلويين، ومع الناس عامة، وأيضا سلوكهم اللاأخلاقي في حياتهم الخاصة.. كانوا يرون في مقابل ذلك: زهد العلويين، وورعهم، وترفعهم عن كل الموبقات والمشينات، وخصوصا الأئمة منهم عليهم السلام.

وقد جعلهم ذلك ينساقون معهم لا إراديا، حيث رأوا أنهم هم الذين يمتلكون كل المؤهلات، ويتمتعون بكافة الفضائل والمزايا، التي (۱) راجع كتاب: شيخ الأمة، الإمام أحمد بن حنبل، لعبد العزيز سيد الأهل. (۱۳۱) صفحهمفاتيح البحث: أحمد بن حنبل (۲)، الزهد (۱)، عبد العزيز (۱)

تجعلهم جديرين بخلافة محمد صلى الله عليه وآله، وأهلا لقيادة الأمة، قيادة صالحة وسليمة، كما كان النبي صلى الله عليه وآله يقودها من قبل.

وواضح أن تلك الخصائص، وهاتيك المؤهلات والمميزات لأئمة أهل البيت (ع) وذلك السلوك المثالي لهم - كل ذلك - كان يغري العباسيين بمضايقتهم، وملاحقتهم أشد الاغراء، وكان أيضا يدفع الحساد للوشاية بهم. وتحريض الخلفاء على الايقاع والتنكيل فيهم.

ولهذا نرى أن الخلفاء! لم يكونوا يألون جهدا، أو يدخرون وسعا في ملاحقتهم، واضطهادهم، وسجنهم. حتى إذا تمكنوا منهم قضوا عليهم، بالوسائل التي تضمن - بنظرهم - عدم إثارة شكوك الناس وظنونهم.

التشيع للعلويين:

وبعد كل الذي قدمناه، فإن من الطبيعي أن نرى العلويين يتمتعون بالاحترام والتقدير من مختلف الفئات والطبقات، وأن نرى ازدياد احترام الناس، وتقديرهم لهم باستمرار.. حتى لقد كان لهم في نفوسهم من عميق الحب، وصادق المودة، ما أرهب العباسيين، وأرعبهم. وحتى لقد رأينا الرشيد نفسه - وهو طاغية بني العباس بلا منازع - يشكو لعظيم البرامكة، يحيى بن خالد غمه وحيرته في أمر الإمام موسى (ع)، رغم أنه (ع) كان في السجن. ونرى يحيى بن خالد يعترف بدوره بأن: الإمام " المسجون " قد أفسد عليهم قلوب شيعتهم!! (۱) ولا يجب أن نستغرب شكوى الرشيد تلك. ولا اعتراف يحيى هذا (۱) الغيبة للشيخ الطوسي ص ۲۰، والبحار. (۱۳۲) صفحهمفاتيح البحث: أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (۱)، الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليهما السلام (۱)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (۲)، بنو عباس (۱)، يحيى بن خالد (۲)، الشيخ الطوسي (۱)

بعد أن التشيع (۱) يجد سبيله إلى كل قلب، وكل فؤاد، حتى وزراء العباسيين، وقوادهم، بل وحتى نساء الخلفاء أنفسهم.

فهذه أم الخليفة المهدي تقيم خادما لقبر الحسين (ع)، وتجري عليه كل شهر ثلاثين درهما، دون أن يعلم بها أحد (۲).

وهذه بنت عم المأمون، التي كان لها نفوذ قوي عنده، يذكر المؤرخون أنها كانت تميل إلى الإمام الرضا (ع).

بل وحتى " زبيدة، " زوجة الرشيد، وحفيدة المنصور، وأعظم عباسية على الاطلاق، يقال: إنها كانت تتشيع، وعندما علم الرشيد بذلك حلف أن يطلقها (۳).. ولعل لهذا السبب أحرق أهل السنة قبرها مع ما أحرقوا من قبور بني بويه وقبر الكاظم (ع) وذلك عندما وقعت الفتنة العظيمة بين السنة والشيعة سنة ۴۴۳ ه‍ (۴).

وأما وزراء العباسيين، فأمرهم أظهر من أن يحتاج إلى بيان، فإن التاريخ يحدثنا: أن العباسيين، ابتداء من السفاح، كانوا غالبا يبطشون بوزرائهم، بسبب اطلاعهم على تشيعهم، وممالاتهم للعلويين، ابتداء بأبي سلمة، فأبي مسلم، فيعقوب بن داوود. وهكذا إلى أن ينتهي

الأمر بالفضل بن سهل، وغيره من بعده، بل وحتى نكبة البرامكة يقال:

إن سببها هو تشيعهم للعلويين!. حتى لقد أصبح التسمى ب " الوزير. (" ١) كلمة " التشيع " التى ترد فى هذا الكتاب، لا أقصد بها غالبا – التشيع بمفهومه الأخص، والمذهب المعروف، وإنما أقصد بها مجرد الولاء والحب للعلويين، وتأييدهم ضد خصومهم، سواء أكان ذلك من الشيعة بالمعنى المعروف، أو من غيرهم من أهل الفرق الإسلامية الأخرى.

(٢) الطبرى ج ١١ / ٧٥٢، طبع ليدن.

(٣) ذكر ذلك الصدوق فى المجالس، فراجع: رجال المامقانى، مادة ": زبيدة."

(۴) الكنى والألقاب ج ٢ / ٢٨٩ نقلا عن ابن شحنة فى روضة المناظر. (١٣٣) صفحهمفاتيح البحث: قبر الحسين (ع) (١)، الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (١)، الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليهما السلام (١)، الفضل بن سهل (١)، القبر (١)، الزوج، الزواج (١)، السب (١)، الشيخ الصدوق (١)

يعتبر شؤما: وينفر الناس منه كل النفور، كما سنشير إليه فيما يأتى إن شاء الله تعالى.

وأما عن أمرائهم وقوادهم، فالأمر فيهم أوضح وأجلى، حيث إنهم ما كانوا يرون إلا واليا أو قائدا يخرج عليهم داعيا للعلويين، أو آخر قد خلع طاعتهم، واستجاب لدعوة خصومهم آل على، أو ثالث يخشى أن يميل إليهم، ويتعاطف معهم.. وقد بدأ قوادهم بالخروج عليهم من زمن السفاح، الذى خرج عليه ابن شيخ المهرى، داعيا لآل على، وبعد ذلك كانت ثورة القواد على المنصور داعين إلى موالاة أهل البيت، وقامت ثورة ضد المنصور، وداعية للعلويين فى نفس خراسان، وذلك فى سنة (١۴٠ ه). وبعد ذلك وفى زمن المهدى العباسى قامت ثورة أخرى فى خراسان تدعو إلى آل أبى طالب بقيادة صالح بن أبى حبال. وعظم شأنه جدا، ولم يمكنهم القضاء عليه إلا بإعمال الحيلة (١) وأما فى زمن الرشيد، فقد ثارت الفتن بين أهل السنة والرافضة، على حد تعبير النجوم الزاهرة.

الخطر الحقيقى:

وأما الذى كان يكمن فيه الخطر الحقيقى، وكان يهز الدولة، ويزعزع من أركانها. فهو ثورات العلويين أنفسهم، حتى ليقال:

إنه قد بويع لمحمد بن عبد الله بن الحسن، وأخيه إبراهيم فى أكثر الأمصار، وذلك فى سنة ١۴۵ ه. وبعد ذلك كانت واقعة فخ المشهورة، ثم استمر الحال على ذلك، فلم يكن العباسيون يرون، إلا علويا ثائرا، أو أنه يدبر للثورة، حتى أوائل زمن المأمون، حيث بلغت الحالة فيه (١) راجع: لطف التدبير ص ١٠۵. (١٣۴) صفحهمفاتيح البحث: عبد الله بن الحسن (ع) (١)، خراسان (٢)

فى السوء والتدهور الغاية، وأوفت على النهاية. حتى ليقال: إن الثورات العلوية، التى قامت فيما بين عهد السفاح، وأوائل عهد المأمون، وبالتحديد إلى حوالى سنة ٢٠٠ ه أى فيما يقل عن سبعين عاما، قد قاربت الثلاثين ثورة، هذا بغض النظر عن الثورات الأخرى التى كانت تدعو لهم. وإلى موالاتهم.

وستأتى الإشارة إلى بعض الثورات العلوية التى قامت ضد المأمون بالخصوص، وإلى أنه حتى قائده العظيم، طاهر بن الحسين، – بل وجميع آل طاهر (١) – وكذلك وزيره الفضل بن سهل، وهرثمة بن أعين، وغيرهم، وغيرهم، كانوا يتهمون بالتشيع للعلويين.

ولسوف يتضح أن الوضع فى عهده قد أصبح إلى حد كبير شبيها بالوضع الذى كان سائدا فى أواخر عهد الأمويين، بفارق واحد بسيط، لو استمر الحال لتسارع لذلك الفارق الضعف والوهن، وذلك الفارق هو: أنه لا يزال كثير من الناس المخدوعين بدعايات العباسيين يعتبرون تلك المنازعات طبيعية بين من يستحقون الخلافة!!!.

ويبقى هنا سؤال:

لماذا لم تكن ثورات العلويين، أو الثورات الداعية لهم. تصادف النجاح، مع أنها كانت تحظى بالتأييد الواسع، فى مختلف فئات الشعب، وطبقاته؟!..

وجوابنا عن هذا السؤال هو: أن الذى يراجع التاريخ يرى – بما لا مجال معه للشك –: أن تلك الثورات لم يكن يسبقها التخطيط، (١)

راجع: الكامل لابن الأثير، حوادث سنة ٢٥٠ ه. (١٣٥) صفحهمفاتيح البحث: الدولة الأموية (١)، طاهر بن الحسين (١)، الفضل بن سهل (١)، الوسعة (١)، الطهارة (١)، كتاب الكامل لإبن الأثير (١)

والإعداد الكافيان، وما كان العباسيون ليعطوها الفرصة لتخطيط وإعداد يمكن أن يصل إلى درجة تمكنه من أن يذهب بدولة الجبارين.

هذا بالإضافة إلى فساد القيادة القبلية آنذاك، والتى كانت السبب الأول والأخير لنجاح أية ثورة أو فشلها.. وسيأتى تفصيل ذلك على النحو الكافى والشافى، فى فصل: مدى جدية العرض، إن شاء الله.

ونتيجة كل ذلك:

وهكذا.. يتضح: أن سياسات العباسيين، لم تستطع أن تحقق لهم الأهداف التى كانوا يتوخون تحقيقها، وإنما كانت نتائجها عكسية بالنسبة إليهم، ودمارا ووبالا عليهم، قبل أن تكون وبالا على أى من خصومهم.

وبالأخص أبناء عمهم العلويين. (١٣٦) صفحهمفاتيح البحث: السب (١)

القسم الثانى ظروف البيعة وأسبابها:

١ - شخصية الإمام الرضا (ع).

٢ - من هو المأمون؟.

٣ - آمال المأمون، وآلامه..

٤ - ظروف البيعة وأسبابها.

٥ - أسباب البيعة لدى الآخرين. (١٣٧) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (١)

شخصية الإمام الرضا (ع)

شخصية الإمام الرضا عليه السلام لمحات:

الإمام الرضا (ع)، هو ثامن الأئمة الاثنى عشر، الذين نص عليهم النبى صلى الله عليه وآله: على بن موسى، بن جعفر، بن محمد، بن على، ابن الحسين، ابن على، بن أبى طالب، صلوات الله عليهم أجمعين.

ستة آباؤه من هم أفضل من يشرب صوب الغمام كنيته: أبو الحسن.

ومن ألقابه: الرضا، والصابر، والزكى، والولى.

نقش خاتمه: حسبى الله.

وقيل: بل نقشه: ما شاء الله، لا قوة إلا بالله (١).

ولد فى المدينة سنة ١٤٨ ه. أى: فى نفس السنة التى توفى فيها (١) لنا رأى بالنسبة للقب، ونقش الخاتم: وهو أنه كثيرا ما يعبر عن ظاهرة من نوع معين، وظروف اجتماعية، وسياسية، ونفسية، وغير ذلك. وكذلك عن مميزات، وملكات شخصية خاصة. ونأمل أن نوفق لبحث هذا الموضوع مستوفى فى فرصة أخرى إن شاء الله. (١٣٩) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (٢)، الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، على بن موسى بن جعفر بن محمد (١)

جده الإمام الصادق (ع) على قول أكثر العلماء والمؤرخين مثل:

المفيد فى الإرشاد، والشبراوى فى الإتحاف بحب الأشراف، والكلينى فى الكافى، والكفعمى فى المصباح، والشهيد فى الدروس، والطبرسى فى أعلام الورى، والفتال النيسابورى فى روضة الواعظين، والصدوق فى علل الشرايع، وتاج الدين محمد بن زهرة فى غاية

الاختصار، وابن الصباغ المالکی فی الفصول المهمة، والأردبیلی فی جامع الرواة، والمسعودی فی مروج الذهب، وإن کان فی کلامه اضطراب، وأبو الفداء فی تاریخه، والکنجی الشافعی فی کفایة الطالب، وابن الأثیر فی کامله، وابن حجر فی صواعقه، والشبلنجی فی نور الأبصار، والبغدادی فی سبائک الذهب، وابن الجوزی فی تذکرة الخواص، وابن الوردی فی تاریخه، ونقل عن تاریخ الغفاری، والنوبختی. وکان عتاب بن أسد یقول: إنه سمع جماعة من أهل المدینة یقولون ذلک، وغیر هؤلاء کثیر وذهب آخرون – وهم الأقل – إلی أن ولادته (ع)، کانت سنة ۱۵۳ ه. منهم: الإربلی فی کشف الغمة، وابن شهرآشوب فی المناقب، والصدوق فی عیون الأخبار، وإن کان فی کلامه اضطراب، والمسعودی فی إثبات الوصیة، وابن خلکان فی وفیات الأعیان، وابن عبد الوهاب فی عیون المعجزات، والیافعی فی مرآة الجنان..

وقیل: إن ولادته کانت سنة ۱۵۱ ه.

والقول الأول هو الأقوی والأشهر. ولم یذهب إلی القولین الأخیرین إلا قلة..

وتوفی (ع) فی طوس سنة ۲۰۳ ه. علی قول معظم العلماء، والمؤرخین، والشاذ النادر لا ـ یلتفت إلیه.. (۱۴۰) صفحهمفاتیح البحث: الإمام جعفر بن محمد الصادق علیهما السلام (۱)، کتاب الإرشاد للشیخ المفید (۱)، کتاب الفصول المهمة لإبن صباغ المالکی (۱)، کتاب تذکرة خواص الأمة للسبط إبن الجوزی (۱)، کتاب نور الأبصار للشبلنجی (۱)، کتاب علل الشرایع للصدوق (۱)، کتاب روضة الواعظین (۱)، کتاب إعلام الوری بأعلام الهدی (۱)، کتاب إثبات الوصیة للمسعودی (۱)، کتاب مروج الذهب للمسعودی (۱)، کتاب کشف الغمة للإربلی (۱)، کتاب جامع الرواة لمحمد علی الأردبیلی (۱)، کتاب الأشراف للشیخ المفید (۱)، إبن الأثیر (۱)، ابن شهرآشوب (۱)، محمد بن زهرة (۱)

وبعد:

فأما علمه، وورعه وتقواه:

فذلک مما اتفق علیه المؤرخون أجمع، یعلم ذلک بأدنی مراجعة للکتب التاریخیة، ویکفی هنا أن نذکر أن نفس المأمون قد اعترف بذلک، أکثر من مرة، وفی أکثر من مناسبة. بل فی کلامه: أن الرضا (ع) أعلم أهل الأرض، وأعبدهم. ولقد قال لرجاء بن أبی الضحاک:

. "بلی یا ابن أبی الضحاک، هذا خیر أهل الأرض، وأعلمهم، وأعبدهم (". ۱).

وقد قال أیضا للعباسیین، عندما جمعهم، فی سنة ۲۰۰ ه. وهم أکثر من ثلاثة وثلاثین ألفا (۲):

"إنه نظر فی ولد العباس، وولد علی رضی الله عنهم، فلم یجد أحدا أفضل، ولا أورع، ولا أدین، ولا أصلح. ولا أحق بهذا الأمر من علی بن موسی الرضا (۳). (۱) راجع: البحار ج ۴۹ ص ۹۵، وعیون أخبار الرضا ج ۲ ص ۱۸۳، وغیر ذلک.

(۲) مروج الذهب ج ۳ ص ۴۴۰، والنجوم الزاهرة ج ۲ ص ۱۶۶، وغایة المرام للعمری الموصلی ص ۱۲۱، ومآثر الإنافة فی معالم الخلافة ج ۱ ص ۲۱۲، والطبری، طبع لیدن ج ۱۱ ص ۱۰۰۰، وتاریخ الخلفاء للسیوطی ص ۳۳۳، وغیر ذلک.

وورد ذلک أیضا فی رسالة الحسن بن سهل، لعیسی بن أبی خالد، فراجع: الطبری ج ۱۱ ص ۱۰۱۲، وتجارب الأمم ج ۶ المطبوع مع العیون والحدائق ص ۴۳۰.

هذا. ولکن فی تاریخ التمدن الإسلامی، ج ۱ ص ۱۷۶ ویؤیده ما فی وفیات الأعیان لابن خلکان، طبع سنة ۱۳۱۰ ج ۱ ص ۳۲۱، ویساعد علیه الاعتبار أیضا: أن الذین أحصوا آنئذ هم: العباسیون خاصة المأمون، دون غیرهم من سائر بنی العباس.

(۳) راجع: مروج الذهب ج ۳ ص ۴۴۱، والکامل لابن الأثیر ج ۵ ص ۱۸۳، والفخری فی الآداب السلطانیة ص ۲۱۷، والطبری، طبع لیدن ج ۱۱ ص ۱۰۱۳، ومختصر تاریخ الدول ص ۱۳۴، وتجارب الأمم ج ۶ ص ۴۳۶.

وفی مرآة الجنان ج ۲ ص ۱۱، قال: إنه لم یجد فی وقته أفضل، ولا أحق بالخلافة، من علی بن موسی الرضا. ونحو ذلک ما فی البدایة

والنهاية ج ۱۰ ص ۲۴۷، وينابيع المودة للحنفى ص ۳۸۵، ونظرية الإمامة ص ۳۸۶ ووفيات الأعيان طبع سنة ۱۳۱۰ ه.

ج ۱ ص ۳۲۱، وإمبراطورية العرب، وغير ذلك. (۱۴۱) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (۱)، الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (۱)، كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام (۱)، كتاب الكامل لإبن الأثير (۱)، كتاب مروج الذهب للمسعودى (۲)، كتاب البداية والنهاية (۱)، جلال الدين السيوطى الشافعى (۱)، بنو عباس (۱)، الحسن بن سهل (۱)

قال عبد الله بن المبارك:

هذا على والهدى يقوده * من خير فتيان قريش عوده (۱) ولوضوح هذا الأمر نكتفى هنا بهذا المقدار، وننتقل إلى الحديث عن أمور هامة أخرى، وما يهمنا فى المقام إعطاء لمحة سريعة عن مكانته، وشخصيته (ع)، فنقول:

وأما مركزه وشخصيته (ع):

فهو من الأمور البديهية، التى لا يكاد يجهلها أحد، وقد ساعده سوء الأحوال بين الأمين والمأمون على القيام بأعباء الرسالة، وعلى زيادة جهوده، ومضاعفة نشاطاته، حيث قد فسح المجال لشيعته للاتصال به، والاستفادة من توجيهاته، مما أدى بالتالى - مع ما كان يتمتع به (ع) من مزايا فريدة، وما كان ينتهجه من سلوك مثالى - إلى تحكيم مركزه، وبسط نفوذه فى مختلف أرجاء الدولة الإسلامية، يقول الصولى:

ألاـ إن خير الناس نفسا ووالدا * ورهطا وأجدادا على المعظم أتينا به للحلم والعلم ثامنا * إماما يؤدى حجة الله يكتم (۲) بل لقد قال هو نفسه (ع) مرة للمأمون. وهو يتحدث عن ولاية (۱) مناقب آل أبى طالب ج ۴ ص ۳۶۲.

(۲) نفس المصدر ج ۴ ص ۳۳۲، وهى فى مقتبس الأثر ج ۲۲، ص ۳۲۸، لكنه لم يذكر قائلها.. (۱۴۲) صفحهمفاتيح البحث: عبد الله بن المبارك (۱)، الحج (۱)، كتاب مناقب آل أبى طالب عليه السلام (۱)

العهد. ": وما زادنى هذا الأمر، الذى دخلت فيه فى النعمة عندى شيئا، ولقد كنت فى المدينة، وكتابى ينفذ فى المشرق والمغرب، ولقد كنت أركب حمارى، وأمر فى سكك المدينة، وما بها أعز منى (". ۱).

ويكفى أن نذكر هنا قول ابن مؤنس - عدو الإمام (ع)، وقد أسر (ع) للمأمون بشئ، قال ابن مؤنس:

. "يا أمير المؤمنين، هذا الذى بجنبك والله صنم يعبد دون الله (" ۲).

وفى الكتاب الذى طلب المأمون فيه من الرضا أن يجمع له أصول الدين، وفروعه، قال المأمون: إن الإمام ": حجة الله على خلقه، ومعدن العلم، ومفترض الطاعة (". ۳). كما أن المأمون كان يعبر عن الرضا (ع) ب ": أخيه، " ويخاطبه ب " يا سيدى."

وكتب للعباسيين يصف الرضا، ويقول.. ": وأما ما كنت أردته من البيعة لعلى بن موسى، بعد استحقاق منه لها فى نفسه، واختيار منى له.. إلى أن قال: وأما ما ذكرتم من استبصار المأمون فى البيعة لأبى الحسن، فما بايع له إلا مستبصرا فى أمره، عالما بأنه لم يبق على ظهرها أبين فضلا، ولا أظهر عفة، ولا أورع ورعا، ولا أزهد زهدا فى الدنيا، ولا أطلق نفسا، ولا أرضى فى الخاصة والعامة، ولا أشد فى ذات الله منه (". ۴). (۱) البحار ج ۴۹ ص ۱۵۵، و ص ۱۴۴، والكافى ج ۸ ص ۱۵۱، وعيون أخبار الرضا ج ۲ ص ۱۶۷.

(۲) البحار ج ۴۹ ص ۱۶۶، وأعيان الشيعة ج ۴ قسم ۲ ص ۱۳۸، وعيون أخبار الرضا ج ۲ ص ۱۶۱، ومسند الإمام الرضا ج ۱ ص ۸۶.

(۳) نظرية الإمامة ص ۳۸۸.

(۴) الرسالة مذكورة فى أواخر هذا الكتاب. (۱۴۳) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (۱)، أصول الدين (۱)، العزّة (۱)، الحج (۱)، كتاب أعيان الشيعة للأمين (۱)

وفى كل ما قدمناه دلالة واضحة على سجايا الإمام، ومركزه، وشخصيته. وكما يقولون ": والفضل ما شهدت به الأعداء."

ومما يدل على مكانته وهيبته ما ورد فى رواية أخرى، يقول فيها المتحدث. ": دخلنا (أى هو والرضا " ع) " على المأمون، فإذا المجلس غاص بأهله، ومحمد بن جعفر فى جماعة الطالبيين والهاشميين، والقواد حضور. فلما دخلنا قام المأمون، وقام محمد بن

جعفر، وجميع بنى هاشم، فما زالوا وقوفا والرضا جالس مع المأمون، حتى أمرهم بالجلوس، فجلسوا، فلم يزل المأمون مقبلا عليه ساعة الخ (١.")

وأما ما جرى فى نيسابور:

فلا يكاد يخلو منه كتاب يتعرض لأحوال الرضا (ع)، ومسيره إلى مرو، فإنه عندما دخل نيسابور تعرض له الحافظان: أبو زرعة الرازى، ومحمد بن أسلم الطوسى، ومعهما من طلبة العلم ما لا يحصى، وتضرعوا إليه أن يريهم وجهه، فأقر عيون الخلائق بطلعته، والناس على طبقاتهم قيام كلهم. وكانوا بين صارخ، وباك، وممزق ثوبه، ومتمرغ فى التراب، ومقبل لحافر بغلته، ومطول عنقه إلى مظلة المهد، إلى أن انتصف النهار، وجرت الدموع كالأنهار، وصاحت الأئمة:

"معاشر الناس، أنصتوا، وعوا، ولا تؤذوا رسول الله صلى الله عليه وآله فى عترته ". فأملى صلوات الله عليه، عليهم، بعد أن ذكر السلسلة الذهبية الشهيرة (١) مسند الإمام الرضا ج ٢ ص ٧۶، والبحار ج ۴۹ ص ١٧۵، وعيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١۵۶. (١۴۴) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (٢)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، أبو زرعة الرازى (١)، محمد بن أسلم الطوسى (١)، محمد بن جعفر (٢)، الصّلاة (١)، كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام (١)

السند، قوله ": لا إله إلا الله حصنى، فمن دخل حصنى أمن من عذابى.".

فلما مرت الراحلة أخرج رأسه مرة ثانية إليهم، وقال ": بشروطها، وأنا من شروطها."

فعد أهل المحابر والدوى، فأنافوا على العشرين ألفا. كذلك وصف المؤرخون هذه الحادثة الشهيرة (١).. ولسوف نتحدث عن هذه القضية بالتفصيل فى فصل ": خطة الإمام " إن شاء الله تعالى.

وعن أسناد هذه الرواية، الذى أورده الإمام (ع)، يقول الإمام أحمد بن حنبل ": لو قرأت هذا الإسناد على مجنون لبرئ من جنته."

على ما فى الصواعق المحرقة، ونزهة المجالس (٢) وغير ذلك.

ونقل أن بعض أمراء السامانية بلغه هذا الحديث بسنده، فكتبه بالذهب، وأوصى أن يدفن معه. (١) نقله فى مجلة مدينة العلم، السنة الأولى ص ۴١۵ عن صاحب تاريخ نيسابور، وعن المناوى فى شرح الجامع الصغير، وهى أيضا فى الصواعق المحرقة ص ١٢٢، وحلية الأولياء ٣ ص ١٩٢، وعيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١٣۵، وأمالى الصدوق ص ٢٠٨، وينابيع المودة ص ٣۶۴، و ص ٣٨۵، وقد ذكر قوله عليه السلام:

وأنا من شروطها، فى الموضع الثانى فقط. والبحار ج ۴۹ ص ١٢٣، ١٢۶، ١٢٧، والفصول المهمة لابن الصباغ ص ٢۴٠، ونور الأبصار ص ١۴١، ونقلها فى مسند الإمام الرضا ج ١ ص ۴٣، ۴۴، عن التوحيد ومعانى الأخبار وكشف الغمة ج ٣ ص ٩٨.

وهى موجودة فى مراجع كثيرة أخرى. لكن يلاحظ أن بعض هؤلاء قد حذف قوله عليه السلام ": بشروطها، وأنا من شروطها " ولا يخفى السبب فى ذلك.

(٢) وفيه فى ج ١ ص ٢٢، قال ": إنه (أى الإمام أحمد) قرأها على مصروع فأفاق. (" ١۴۵) صفحهمفاتيح البحث: كتاب الصواعق المحرقة (٢)، أحمد بن حنبل (١)، الدفن (١)، الوصية (١)، كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام (١)، كتاب الفصول المهمة لإبن صباغ المالكى (١)، كتاب نور الأبصار للشبلنجى (١)، كتاب أمالى الصدوق (١)، كتاب كشف الغمة للإربلى (١)، كتاب ينابيع المودة (١)، السب (١)

وها نحن أمام نصوص أخرى:

وكذلك نرى هيبة الإمام (ع) وقوة شخصيته، فى موقفه مع الفضل ابن سهل - أعظم رجل فى البلاط العباسى - وذلك عندما طلب منه الفضل كتاب الضمان، والأمان، حيث أوقفه ساعة، ثم رفع رأسه إليه، وسأله عن حاجته، فقال ": يا سيدى. إلى أن قال الراوى:

ثم أمره بقراءة الكتاب - وكان كتابا فى أكبر جلد - فلم يزل قائما حتى قرأه! الخ (". ١).

ثم رأينا المأمون عندما قتل الفضل بن سهل ذا الرئاستين، وشغب عليه القواد والجند، ومن كان من رجال ذى الرئاستين، وقد جاءوا بالنيران ليحرقوا الباب عليه، ليصلوا إليه – قد رأينا – كيف هرع إلى الإمام، يطلب منه أن يتدخل لإنقاذه، فخرج (ع) إليهم، وأمرهم بالتفرق، فتفرقوا.. يقول ياسر الخادم ": فأقبل الناس والله، يقع بعضهم على بعض، وما أشار لأحد إلا ركض، ومر، ولم يقف (". ٢).

ونجا المأمون بذلك بجلده، واحتفظ بحياته.

وفى كتاب العهد الذى كتبه المأمون بخط يده – كما صرح به كل من تعرض له – فقرات تدل على سجايا الإمام، وعلى مركزه، وشخصيته، يقول المأمون عنه.. ": لما رأى من فضله البارع، وعلمه (١) أعيان الشيعة ج ۴ قسم ٢ ص ١٣٩، وعيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١۶٢، ١۶٣ والبحار ج ۴٩ ص ١۶٨، ومسند الإمام الرضا ج ١ ص ٨٨.

(٢) المناقب ج ۴ ص ٣۴٧، وروضة الواعظين ج ١ ص ٢٧٣، وكشف الغمة ج ٣ ص ٧٠، والكافى ج ١ ص ۴٩٠، ۴٩١، وأعلام الورى ص ٣٢۴، وأعيان الشيعة ج ۴.

قسم ٢ ص ١١٠، ١۴٠، طبعة ثالثة، وعيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١۶۴، وإرشاد المفيد ص ٣١۴، والبحار ج ۴٩ ص ١۶٩، ومعادن الحكمة ص ١٨٣، وشرح ميمية أبى فراس ص ١٩٨، ١٩٩. (١۴۶) صفحهمفاتيح البحث: الفضل بن سهل (١)، القتل (١)، كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام (٢)، كتاب إعلام الورى بأعلام الهدى (١)، كتاب كشف الغمة للإربلى (١)، كتاب أعيان الشيعة للأمين (٢) الناصع، وورعه الظاهر، وزهده الخالص، وتخليه من الدنيا، وتسلمه من الناس.

وقد استبان له ما لم تزل الأخبار عليه متواطية، والألسن عليه متفقة، والكلمة فيه جامعة، ولما لم يزل يعرفه به من الفضل يافعا، وناشيا، وحدثا، ومكتهلا الخ ".. وكتاب العهد مذكور فى أواخر هذا الكتاب..

وفى نهاية المطاف:

فإن الإمام (ع) هو أحد العشرة، الذين هم على حد تعبير الجاحظ:

"كل واحد منهم: عالم، زاهد، ناسك، شجاع، جواد، طاهر، زاكى، والذين هم بين خليفة، أو مرشح لها (". ١).

وهو على ما فى النجوم الزاهرة ": سيد بنى هاشم فى زمانه، وأجلهم، وكان المأمون يعظمه، ويجله، ويخضع له، ويتفانى فيه (". ٢).

ومثله ما عن سنن ابن ماجة، على فى خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ص ٢٧٨.

وقال عنه (ع) عارف تأمر ": يعتبر من الأئمة الذين لعبوا دورا كبرا على مسرح الأحداث الإسلامية فى عصره (". ٣).

وأخيرا. فقد وصفه أبو الصلت، ورجاء بن أبى الضحاك، وإبراهيم ابن العباس، وغيرهم، وغيرهم. بما لو أردنا نقله لطال بنا الكلام.

وحسبنا ما ذكرنا، فإننا إذا أردنا أن نلم بما قيل فى حق الإمام (ع) لاحتجنا إلى تأليف خاص، ووقت طويل.. (١) آثار الجاحظ ص ٢٣٥.

(٢) النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٧۴.

(٣) الإمامة فى الإسلام ص ١٢٥. (١۴٧) صفحهمفاتيح البحث: كتاب سنن إبن ماجة (١)، كتاب خلاصة تذهيب تهذيب الكمال للخزرجى الأنصارى اليمنى (١)، بنو هاشم (١)، الجود (١)، الطهارة (١)، الطواف، الطوف، الطائفة (١)

من هو المأمون

من هو المأمون؟

لمحات:

هو عبد الله بن هارون الرشيد.

أبوه: خامس خلفاء بنى العباس.. وهو سابعهم، بعد أخيه الأمين.

أمه: جارية خراسانية، اسمها ": مراجل. " وقد ماتت بعد ولادتها إياه، وهى ما تزال نفساء. فنشأ يتيم الأم.

وقد كانت أمه - كما يقول المؤرخون - أشوه، وأقذر جارية فى مطبخ الرشيد.

وذلك هو الـذى يجعلنا نصـدق القصـة التى تقال عن السبب فى حملها به (۱). (۱) وتحكى هـذه القصـة على النحو التالى: أن زبيدة لاعبت الرشـيد بالشطرنج على الحكم والرضا، فغلبته، فحكمت عليه أن يطأ أقبح وأقذر وأشوه جارية فى المطبخ، فبذل لها خراج مصر والعراق لتعفيه من ذلك، فلم تقبل، ولم تجد جارية تجمع الصـفات المذكورة غير مراجل، فطلبت إليه أن يطأها، فجاء المأمون.. راجع حياة الحيوان للدميرى ج ۱ ص ۷۲، وأعلام الناس فى أخبار البرامكـة، وبنى العباس للاتليدى ص ۱۰۶، ۱۰۷، وعيون التواريخ. وأشار إليهـا إشارة واضـحة: الإسـحاقى فى لطائف أخبار الأول ص ۷۴، وكـذلك فى روض الأخبـار المنتخب من ربيع الأـبرار ص ۱۵۷. ولا ينـافى ذلك أن ولـد فى الليلـة التى تولى فيها أبوه الخلافـة، فإن أولياء العهـد كانوا يتولون أعظم الولايات من قبل الخلفاء، وقـد قسم الرشـيد الدولة كلها بين أولاده الثلاثة: الأمين، والقاسم، ولم يبق لنفسه شـيئا، وهو على قيد الحياة (... ۱۴۸) صفحهمفاتيح البحث: بنو عباس (۲)، عبد الله بن هارون (۱)، السب (۱)، كتاب حياة الحيوان للدميرى (۱)، دولة العراق (۱)، الدميرى (۱)، الشطرنج (۱)

دفعه أبوه إلى جعفر بن يحيى البرمكى، فنشأ فى حجره، كانت ولادته فى سنة ۱۷۰ ه. فى نفس الليلة التى تولى فيها أبوه الخلافة.

وكانت وفاته سنة ۲۱۸ ه.

وكان مربيه الفضل بن سهل، ثم أصبح وزيره، وهو المعروف بذى الرئاستين.

وكان قائده: طاهر بن الحسين ذو اليمينين..

ميزات وخصائص:

وقـد كانت حياته حياة جـد ونشاط، وتقشف، على العكس من أخيه الأمين، الـذى نشأ فى كنف " زبيدة، " وما أدراك ما " زبيدة، " فقـد كـانت حيـاته حيـاة نعمـة وترف، يميـل إلى اللعب والبطالـة، أكثر منه إلى الجـد والحزم. يظهر ذلـك لكل من راجع تاريـخ حياة الأخوين.

ولعل سـر ذلك يعود إلى أن المأمون لم يكن كأخيه، يشـعر بأصالة محتده، ولا كان مطمئنا إلى مسـتقبله، وإلى رضا العباسـيين به. بل كان يقطع بعدم رضاهم به خليفة وحاكما، ولهذا. فقد وجد أنه ليس لديه أى رصيد يعتمد عليه غير نفسه، فشمر عن ساعد الجد، وبدأ يخطط لمستقبله منـذ اللحظـة الأـولى التى أدرك فيهـا واقعه، والمميزات التى كـان يتمتع بها أخوه الأمين عليه. (۱۴۹) صفحهمفاتيح البحث: طاهر بن الحسين (۱)، جعفر بن يحيى (۱)، الفضل بن سهل (۱)

بل نلاحظ: أنه كان يسـتفيد من أخطاء أخيه الأمين، فإن ": الفضل عندما رأى اشـتغال الأمين باللهو واللعب، أشار على المأمون بإظهار الورع والدين، وحسن السيرة، فأظهر المأمون ذلك.. وكان كلما اعتمد الأمين حركة ناقصة اعتمد المأمون حركة شديدة (" ۱).

ومن هنا نعرف السـر فيما يظهر من رسالته للعباسـيين، حيث نصب فيها نفسه واعظا تقيا، وأضـفى عليها هالـة من التقى والورع!! والزهد فى الدنيا!! والالتزام بأحكام الشريعة، وتعاليم الدين!!. ليروه ويراه الناس نوعية أخرى تفضل نوعية أخيه الأمين، وتزيد عليها.

ما يقال عن المأمون:

وعلى كل حال.. فإن المأمون كان قد برع فى العلوم والفنون، حتى فاق أقرانه، بل فاق جميع خلفاء بنى العباس..

وقد قال بعضهم ": لم يكن فى بنى العباس أعلم من المأمون (" ۲).

وقال عنه ابن النديم إنه ": أعلم الخلفاء بالفقه والكلام (" ۳).

وقال عنه محمد فريد وجدى ": لم يل الخلافة بعد الخلفاء الراشدين أكفأ منه (" ۴).

وفى الأخبـار الطوال ": وكـان شـهما، بعيـد الهمـة، أبى النفس، وكان نجم بنى العباس فى العلم والحكمـة (". ۱) الفخرى فى الآـداب السلطانية ص ۲۱۲. ولكن سـيأتى أن المأمون هو الـذى طلب من الفضل: أن يشـيع عنه الزهـد والتقوى، وليس الفضل هو المشير عليه

بذلك..

(۲) حياة الحيوان للدميرى ج ۱ ص ۷۲.

(۳) فهرست ابن النديم، طبع مطبعة الاستقامة فى القاهرة ص ۱۷۴.

(۴) دائرة المعارف الإسلامية ج ۱ ص ۶۲۰. (۱۵۰) صفحهمفاتيح البحث: بنو عباس (۳)، ابن النديم (۲)، كتاب حياة الحيوان للدميرى (۱)، الزهد (۱)

بل لقد روى عن الإمام على (ع)، أنه قال – وهو يصف خلفاء بنى العباس " –: سابعهم أعلمهم (" ۱).

وقد وصفه السيوطى وابن تغرى بردى، وابن شاكر الكتبى، فقالوا:

"وكان أفضل رجال بنى العباس: حزما، وعزما، وحلما، وعلما، ورأيا، ودهاء (۲) وهيبة، وشجاعة، وسؤددا، وسماحة، (۱) مناقب آل أبى طالب ج ۲ ص ۲۷۶، وسفينة البحار ج ۲ ص ۳۳۲، مادة ": غيب."

(۲) دهاء المأمون، وحنكته، وسياسته من المسلمات، والأمثلة على ذلك كثيرة، فقد روى لنا ابن عبد ربه فى العقد الفريد ج ۱ ص ۱۲۳، والجهشيارى فى الوزراء والكتاب ص ۳۱۱: كيف أنه بين للفضل بن سهل: أن أخاه الأمين كان يستطيع أن ينتصر عليه، لو أنه أرسل إلى أهل البلاد التى يحكمها المأمون يخبرهم ": أنه قد وضع عنهم الخراج إلى سنة. فحينئذ، إن لم يقبل المأمون، قامت البلاد ضده، وإن قبل لم يجد ما يعطى الجند، فيقومون ضده، وفى كلا الحالتين يكون النصر للأمين، لو وقعت بينهما الحرب، فحمد الفضل ربه، على أن لم يهتد الأمين، وأتباعه إلى هذا الرأى. وإن كان فى العقد الفريد للملك السعيد، ص ۵۰ ينسب هذا الرأى إلى الشيخ أبى الحسن القطيفى، وأنه أشار به على الأمين، فلم يقبله. وفى المحاسن والمساوى طبع مصر ج ۲ ص ۷۷، ۷۸، نسبة إلى شيخ مسن أشار به على الأمين فلم يقبل منه.

وقد رأينا أيضا: أنه عندما تسلم زمام الحكم قد طلب من الفضل: أن يشيع عنه الزهد والتقوى والورع، ففعل.. راجع تاريخ التمدن الإسلامى ج ۴ ص ۲۶۱.

ورأينا كذلك: أنه يقتل الفضل، ويبكى عليه، ويقتل قتلته، ويقتل الرضا، ثم يبكى عليه. ويقتل طاهرا، ويولى أبناءه مكانه.. ورأينا أيضا: أنه يولى الرضا العهد، ويوهم العباسيين: أن ذلك كان من تدبير الفضل، ويقتل أخاه، ويوهمهم أن الذنب فى ذلك على الفضل وطاهر. إلى آخر ما هنالك، مما سيأتى، وغيره، مما يدل على عمقه، ودهائه، وحنكته، وسياسته.. وأن الفضل وغيره، ما كانوا إلا دمى له، يلهو ويلعب بها، ويحركها كيف شاء، وحيثما أراد.. (۱۵۱) صفحهمفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (۱)، جلال الدين السيوطى الشافعى (۱)، بنو عباس (۲)، كتاب مناقب آل أبى طالب عليه السلام (۱)، القتل (۶)، البكاء (۱)، الطهارة (۱)، الحرب (۱)

لولا أنه شان ذلك كله. بالقول بخلق القرآن (۱)، ولم يل الخلافة من بنى العباس أعلم منه (". ۲).

شهادة ذات أهمية:

وقد شهد له أبوه نفسه بالتقدم على أخيه الأمين، قال.. ": وقد عنيت بتصحيح هذا العهد، وتصييره إلى من أرضى سيرته، وأحمد طريقته، وأثق بحسن سياسته، وآمن ضعفه ووهنه، وهو: عبد الله.

وبنو هاشم – يعنى العباسيين – مائلون إلى محمد بأهوائهم، وفيه ما فيه من الانقياد لهواه، والتصرف مع طويته، والتبذير لما حوته يده، ومشاركة النساء، والإماء فى رأيه، و عبد الله المرضى الطريقة، الأصيل الرأى، الموثوق به فى الأمر العظيم، فإن ملت إلى عبد الله، أسخطت بنى هاشم، وإن أفردت محمدا بالأمر، لم آمن تخليطه على الرعية. (۳).

وقال أيضا ": إنى لأعرف فى عبد الله حزم المنصور، ونسك المهدى، وعزة الهادى، ولو شئت أن أنسبه إلى الرابع – يعنى نفسه – لنسبته، وقد قدمت محمدا عليه، وإنى لأعلم أنه منقاد لهوه، مبذر (۱) قال القلقشندى فى كتابه: مآثر الإنافة فى معالم الخلافة ج ۱ ص

۲۱۳: إنه قد طعن الناس!! على المأمون ثلاثة أشياء: الأول: القول بخلق القرآن!!. الثانى: التشيع.

الثالث: بث علوم الفلاسفة بين المسلمين.

فتأمل، بالله عليك بهذه الأمور، التى عدوها من المطاعن، وبعد ذلك: فاضحك، أو فابك على عقول هؤلاء الجهلاء، الذين يسميهم الناس، أو يسمون أنفسهم علماء!!!

والعلم من هؤلاء وأمثالهم برئ..

(۲) تاريخ الخلفاء ص ۳۰۶، وفوات الوفيات ج ۱ ص ۲۳۹، والنجوم الزاهرة، وتاريخ الخميس ج ۲ ص ۳۳۴.

(۳) مروج الذهب طبع بيروت ج ۳ ص ۳۵۲، ۳۵۳. (۱۵۲) صفحهمفاتيح البحث: بنو عباس (۱)، بنو هاشم (۲)، القرآن الكريم (۲)، الشهادة (۱)، كتاب مروج الذهب للمسعودى (۱)، مدينة بيروت (۱)، البكاء (۱)

لما حوته يده، يشاركه فى رأيه الإماء والنساء، ولولا أم جعفر - يعنى زبيدة - وميل بنى هاشم، لقدمت عبد الله عليه (".. ۱). يعنى فى ولاية العهد. (۱) راجع شرح قصيدة ابن عبدون لابن بدرون ص ۲۴۵، وتاريخ الخلفاء للسيوطى ص ۳۰۷، وقريب منه ما فى الأخبار الطوال ص ۴۰۱، والإتحاف بحب الأشراف ص ۹۶، وتاريخ الخميس ج ۲ ص ۳۳۴.

هذا.. والرشيد هنا يدعى النسك للمهدى مع أن كتب التاريخ زاخرة بأخبار بذخه، ولهوه ولعبه، ويكفى أن نذكر هنا: أنه قد سلم الأمر ليعقوب بن داوود، وانصرف إلى ملذاته وشهواته، حتى قال فيه بشار بن برد أبياته المشهورة:

بنى أمية هبوا طال نومكم * إن الخليفة يعقوب بن داوود ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا * خليفة الله بين الزق والعود فراجع: الفخرى فى الآداب السلطانية ص ۱۸۴، ۱۸۵، وتاريخ التمدن الإسلامى المجلد الأول جزء ۲ ص ۴۰۷، والبداية والنهاية، وأى كتاب تاريخى شئت..

هذا.. ولعل ما ينسب إليه من الزهد والورع إنما كان بلحاظ ما قدمناه: من تسمية أبيه له ب " المهدى " لكى يكون مهدى الأمة الذى يملأ الأرض قسطا، وعدلا، واخترع أحاديث كثيرة لتأييد مدعاه هذا.

ولكن الحقيقة هى ما قدمناه، من أنه لم يكن يقل فى تهتكه واستهتاره عن غيره من الخلفاء، حتى لقد ذكر الطبرى فى تاريخه، طبع مطبعة الاستقامة ج ۶ ص ۴۰۵، أنه ألبس ابنته " البانوقة " لباس الفتيان، لتمشى فى مقدمة الجند والقواد، وقد رفع القباء ثدييها الناهدين، وكانت سمراء، حسنة القد، حلوة، على حد تعبير الطبرى.

فماذا كان يقصد " المهدى المنتظر!! " من تصرفه هذا!!. فهل كان يريد بذلك أن يملأ الأرض قسطا وعدلا؟!!.

ولماذا كان الزاهد الورع!! و " المهدى المنتظر " يعذب الناس بالسنانير والزنابير، ليبتز منهم أموالهم، ويتخذ الاتهام بالزندقة ذريعة للقضاء على خصومه، كما قدمنا، وأيضا يشرب الخمر، ويسمع الغناء، حتى بلغ فى ذلك حدا جعل يعقوب بن داوود يلومه على ذلك، ويقول له ": ما على هذا استوزرتنى، ولا على هذا صحبتك الخ."..

وفى ذلك يقول بعض الشعراء، يعرض بيعقوب، ويحث المهدى على الاستمرار فى ذلك على ما فى البداية والنهاية ج ۱۰ ص ۱۴۸، ۱۴۹ - يقول فى ذلك -:

فدع عنك يعقوب بن داوود جانبا * واقبل على صهباء طيبة النشر وأخيرا.. فإننا لا نعرف أحدا يقول بأن المهدى العباسى، هو المهدى الموعود، إلا سلم الخاسر، فقد نقل ذلك عنه ابن المعتز فى طبقات الشعراء ص ۱۰۴، ويدل على ذلك قول الخاسر فى قصيدة له يمدح بها المهدى العباسى على ما فى الأغانى ج ۲۱ ص ۱۸۷، طبع دار الفكر:

له شيم عند بذل العطاء * لا يعرف الناس مقدارها و " مهدى أمتنا " والذى * حماها وأدرك أوتارها والسيد الحميرى أيضا ممن كان قد ظن أنه المهدى حقا لكن فعاله قد بينت: أنه ليس هو، ولذلك يقول السيد حسبما يروى المرزبانى أخبار السيد الحميرى (المستدرك) ص ۵۸:

ظننـا أنه " المهـدی " حقا * ولا تقع الأمور کما ظننا ولا والله، ما المهـدی إلا * إماما فضـله أعلی وأسـنی ولا بأس بالإشارة هنا إلی ما ذکروه، من أن سبب تسمیته بالخاسر: أنه کان عنده مصحف، فباعه، واشتری بثمنه طنبورا، فبقیت من ثمنه بقیة، فاشتری بها خمرا!!..

فبورک من مهـدی أتباعه أمثال هـذا!! وبورکت أمة تعترف بمهدی له تلکم الصـفات!!. (۱۵۳) صـفحهمفاتیح البحث: بنو هاشم (۱)، کتاب أخبار السید الحمیری للمرزبانی الخراسانی (۱)، کتاب البدایة والنهایة (۲)، جلال الدین السیوطی الشافعی (۱)، کتاب الأشراف للشیخ المفید (۱)، بنو أمیة (۱)، اللبس (۱)، الزهد (۱)، الظنّ (۱)

وعلی کل حال. فإن کل من تعرض من المؤرخین وغیرهم، لشـرح حال المأمون، قـد شـهد له بالتقـدم، وبأنه رجل خلفاء بنی العباس وواحدهم.

ومـا یهمنـا هنـا، هو مجرد الإشـارة إلی حـال المأمون، وما کان علیه من الـدهاء والسـیاسة، وحسن التـدبیر. ولسـنا هنا فی صـدد تحقیق أحواله، والإحاطة بکافة شؤونه، فإن ذلک لا یناسب الغرض الذی وضع من أجله هذا الکتاب.

وسـیمر معنـا فی الفصول الآتیـة المزیـد من الکلاـم عن المـأمون وظروفه، مما له نحو ارتباط بالموضوع الـذی نحن بصـدد تحقیقه من قریب، أو من بعید، إن شاء الله تعالی.. (۱۵۴) صفحهمفاتیح البحث: بنو عباس (۱)، الشهادة (۱)

آمال المأمون وآلامه

آمال المأمون وآلامه العباسیون لا یرضون بالمأمون!

لا یشک المؤرخون بأن المأمون کان أجـدر من الأمین، وأحق بالخلافـة (۱). بل لقد مر اعتراف الرشـید نفسه بذلک، لکنه اعتذر عن إسـناده الأمر الأمین: بأن العباسـیین، لا یرضون بالمأمون خلیفة، وحاکما، رغم سـنه وفضله وکیاسته، وأنهم یرجحون أخاه الأمین علیه، قال الرشـید، حسبما تقدم ": وبنو هاشم مائلون إلی محمد بأهوائهم، وفیه ما فیه.. إلی أن قال: فإن ملت إلی ابنی عبد الله. أسخطت بنی هاشم، وإن أفردت محمـدا بالأمر، لم آمن تخلیطه علی الرعیـة الـخ "!! ومر أیضا قول الرشـید.. ": ولولا أم جعفر، ومیل بنی هاشم إلیه (أی إلی الأمین) لقدمت عبد الله علیه.".

کمـا أن المـأمون نفسه یقول فی رسـالته للعباسیین، المـذکورة فی أواخر هـذا الکتـاب.. ": وأما ما ذکرتم، مما مسـکم من الجفاء فی ولایتی، فلعمری ما کان ذلک إلا منکم: بمظافرتکم علیه، وممایلتکم إیاه (۱) لیس المراد هنا: الجدارة الحقیقیة، التی قررها الله، وبینها محمـد صـلی الله علیه وآله، وإنمـا المراد الجـدارة التی یفهمها هؤلاء، واعتاضوا بها عن حکم الله، وسـنة نبیه (... ۱۵۵) صفحهمفاتیح البحث: بنو هاشم (۲)، الرسول الأکرم محمد بن عبد الله صلی الله علیه وآله (۱)

(أی الأمین)، فلما قتلته، تفرقتم عبادیـد، فطورا أتباعا لابن أبی خالد، وطورا أتباعا لأعرابی، وطورا أتباعا لابن شـکلة، ثم لکل من سـل سیفا علی. ولولا أن شیمتی العفو، وطبیعتی التجاوز، ما ترکت علی وجهها منکم أحدا، فکلکم حلال الدم الخ."..

سوف یأتی قول الفضل بن سهل للمأمون.. ": وبنو أبیک معادون لک، وأهل بیتک الخ."..

إلی آخر ما هنالک من النصوص الدالة علی حقیقة الموقف السلبی للعباسیین ضد المأمون، وتفضیلهم أخاه الأمین علیه.

سؤال قد تصعب الإجابة علیه:

فمـا هـو السـر یـا تری؟ فی عـدم رضـا العباسـیین بالمـأمون؟! ولمـاذا یفضـلون أخـاه أمین علیه؟!! مـع أنه هو الأـلیق والأجـدر والأـحق بالخلافة!!.

إن الإجابة علی هذا السؤال ربما تبدو لأول وهلة صعبة، وشاقة.

ولکننا لن نستسلم لهذا الشعور، ولسوف نحاول الإجابة علیه، معتمدین علی بعض ما بأیدینا من النصوص التاریخیة، التی تلقی لنا ضوءا کاشفا علی حقیقة القضیة، وواقع الأمر: فنقول:

الجواب عن السؤال:

لعل سر انحراف العباسيين عن المأمون إلى أخيه الأمين يرجع إلى أن الأمين كان عباسيا، بكل ما لهذه الكلمة من معنى:

فأبوه: هارون.. (۱۵۶) صفحهمفاتيح البحث: الفضل بن سهل (۱)، القتل (۱)

وأمه ": زبيدة، " حفيدة المنصور، هاشمية (۱)، والتي لو نشرت شعرها، لما تعلقت - على ما قيل - (۲) إلا بخليفة، أو ولي عهد، والتي كانت أعظم عباسية على الاطلاق.

وكان في حجر الفضل بن يحيى البرمكي، أخي الرشيد من الرضاعة، وأعظم رجل نفوذا في بلاط الرشيد.

وكان يشرف على مصالحه الفضل بن الربيع، العربي، الذي كان جده من طلقاء عثمان، والذي لم يكن ثمة من شك في ولائه للعباسيين.

أما المأمون:

فقد كان في حجر جعفر بن يحيى، الذي كان أقل نفوذا من أخيه الفضل.

وكان مؤدبه، والذي يشرف على مصالحه، ذلك الرجل الذي لم يكن العباسيون يرتاحون إليه بشكل خاص، لأنه كان متهما بالميل إلى العلويين. والذي كانت العداوة بينه وبين مربي الأمين، الفضل بن الربيع على أشدها، ذلك الرجل الذي أصبح فيما بعد وزيرا للمأمون، ومدبرا لأموره، وأعني به ": الفضل بن سهل الفارسي، " وقد (۱) وفي الفخري في الآداب السلطانية ص ۲۱۲، ومروج الذهب ج ۳ ص ۳۹۶، والنجوم الزاهرة ج ۲ ص ۱۵۹، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ۳۰۳، وتاريخ اليعقوبي ج ۳ ص ۱۶۲ ": أنه لم يتفق لخليفة عباسي أن يكون عباسي الأب والأم، غير الأمين ... " ولا بأس أيضا بمراجعة: مختصر التاريخ ص ۱۳۰، ومآثر الإنافة في معالم الخلافة ج ۱ ص ۲۰۳، وابن بدرون في شرح قصيدة ابن عبدون ص ۲۴۳، وزهر الآداب ج ۲ ص ۹۹۳، طبع دار الجيل.

(۲) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ۳۰۶. (۱۵۷) صفحهمفاتيح البحث: الفضل بن يحيى (۱)، الفضل بن الربيع (۱)، جعفر بن يحيى (۱)، الفضل بن سهل (۱)، الرضاع (۱)، كتاب مروج الذهب للمسعودي (۱)، جلال الدين السيوطي الشافعي (۲)

مل العباسيون الفرس، وخافوهم. ولذا سرعان ما استبدلوهم بالأتراك وغيرهم..

أما أم المأمون. فقد كانت خراسانية غير عربية، وقد ماتت أيام نفاسها به، وحتى لو كانت على قيد الحياة، فإنها - وهي أشوه، وأقبح، وأقذر جارية في مطبخ الرشيد - لن تستطيع أن تكون مثل زبيدة عظمة، ونفوذا ولو قلنا إن موتها كان في مصلحة المأمون لما عدونا الحقيقة، كيف وقد بلغ من مهانتها - في نظر الناس - أن كان المأمون يعير بها.

فهذه زينب بنت سليمان. التي كانت عند بني العباس بمنزلة عظيمة، عندما لم يحضر المأمون جنازة ابنها، واكتفى بإرسال أخيه صالح من قبله، تغضب، وتقول لصالح ": قل له: يا بن مراجل، أما لو كان يحيى بن الحسين بن زيد، لوضعت ذيلك على فيك، وعدوت خلف جنازته (". ۱).

والرقاشي الشاعر يمدح الأمين، ويعرض بهجاء المأمون، فيقول:

لم تلده أمة تعرف في السوق التجارا لا ولا حد، ولا خان، ولا في الخزي جارا (۲) يعرض بالمأمون، وأن أمه كانت أمة تباع، وتشرى في الأسواق.

بل إن نفس الأمين قد عير أخاه بأمه، فقال:

وإذا تطاولت الرجال بفضلها * فأربع فإنك لست بالمتطاول (۱) الكامل لابن الأثير، طبع دار الكتاب العربي ج ۵ ص ۲۳۰، والإمام الصادق والمذاهب الأربعة المجلد الثاني جزء ۴ ص ۴۹۳.

(۲) المعارف لابن قتيبة، طبع سنة ۱۳۰۰، والفخري في الآداب السلطانية ص ۲۱۲. (۱۵۸) صفحهمفاتيح البحث: بنو عباس (۱)، يحيى بن الحسين بن زيد (۱)، الغضب (۱)، كتاب الكامل لإبن الأثير (۱)

أعطاك ربك ما هويت وإنما * تلقى خلاف هواك عند " مراجل " تعلو المنابر كل يوم آملا * ما لست من بعدى إليه بواصل (۱)

وقد أقذع فى هجائه، حين كتب إليه أيام الفتنة بينهما بقوله:

يا بن التى بيعت بأبخس قيمة * بين الملأ فى السوق هل من زائد ما فيك موضع غرزة من إبرة * إلا وفيه نطفة من واحد فأجابه المأمون:

وإنما أمهات الناس أوعية * مستودعات وللأما أكفاء فلرب معربة ليست بمنجبة * وطالما أنجبت فى الخدر عجماء (۲) وأخيرا. فإن خير ما يصور لنا الحالة المعنوية التى كان يعانى منها المأمون، هو قول دعبل مخاطبا له:

إنى من القوم الذين سيوفهم * قتلت أخاك، وشرفتك بمقعد شادوا بذكرك بعد طول خموله * واستنقذوك من الحضيض الأوهد (۳) مركز الأمين هو الأقوى:

وبعد كل ما تقدم. فإن ما لا بد لنا من الإشارة إليه هنا، هو: (۱) تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ۳۰۴.

(۲) غاية المرام فى محاسن بغداد دار السلام للعمرى الموصلى ص ۱۲۱.

(۳) معاهد التنصيص ج ۱ ص ۲۰۲، ووفيات الأعيان، طبع سنة ۱۳۱۰ ه. ج ۱ ص ۱۷۹، وتاريخ الخلفاء ص ۳۲۴، والشعر والشعراء ص ۵۳۹، ۵۴۰، والغدير ج ۲ ص ۳۷۶، والعقد والفريد، طبع دار الكتاب العربى ج ۲ ص ۱۹۶، وتاريخ التمدن الإسلامى، المجلد الثانى جزء ۳ ص ۱۱۵، وزهر الآداب طبع دار الجيل ج ۱ ص ۱۳۴، والكنى والألقاب ج ۱ ص ۳۳۱. (۱۵۹) صفحهمفاتيح البحث: جلال الدين السيوطى الشافعى (۱)، مدينة بغداد (۱)

قوة مركز الأمين، بالنسبة إلى أخيه المأمون، حيث قد كان للأمين حزب قوى جدا، وأنصار يستطيع أن يعتمد عليهم، يعملون من أجله، وفى سبيل تأمين السلطة له، وهم: أخواله، والفضل بن يحيى البرمكى، وأكثر البرامكة، إن لم يكن كلهم. وأمه: زبيدة، بل والعرب أيضا، كما سيأتى.

وإذا ما عرفنا أن هؤلاء هم الذين كانوا يؤثرون على الرشيد كل التأثير، وكان لهم دور كبير فى توجيه سياسة الدولة.. فلسوف نرى أنه كان من الطبيعى أن يضعف الرشيد أمام هذه القوة، وينصاع لها.

ومن ثم.. لتؤثر مساعيها أثرها. وتعطى نتيجتها فى الوقت المناسب، فيجعل ولاية العهد من بعده لولده الأصغر سنا، وهو الأمين، ويترك الأكبر – المأمون – ليكون ولى العهد الثانى بعد الأصغر.

ولعل تعصب بنى هاشم. وجلالة عيسى بن جعفر قد لعبا دورا كبيرا فى فوز الأمين بالمركز الأول فى ولاية عهد أبيه الرشيد (۱). هذا عدا عن الدور الرئيسى. الذى لعبته " زبيدة " فى تكريس الأمر لصالح ولدها (۲).

فيحدثنا المؤرخون: أن عيسى بن جعفر بن المنصور، خال الأمين جاء إلى الفضل بن يحيى، وهو متوجه إلى خراسان على رأس جيش، وقال له ": أنشدك الله، لما عملت بالبيعة لابن أختى، فإنه ولدك، وخلافته لك، وإن أختى زبيدة تسألك ذلك.. فوعده الفضل أن يفعل، وعندما انتصر على الخارجين هناك. بايع هو ومن معه من القواد والجند لمحمد (۳). (۱) ابن بدرون فى شرح قصيدة ابن عبدون ص ۲۴۵، والإتحاف بحب الأشراف ص ۹۶.

(۲) راجع تفصيل ذلك فى: الطبرى ج ۱۰ ص ۶۱۱، والنجوم الزاهرة ج ۲ ص ۷۶، والكامل لابن الأثير ج ۵ ص ۸۸، وأشار إلى ذلك أيضا ابن خلدون فى تاريخه ج ۳ ص ۲۱۸.

(۳) زهر الآداب طبع دار الجيل ج ۲ ص ۵۸۱. (۱۶۰) صفحهمفاتيح البحث: الفضل بن يحيى (۲)، بنو هاشم (۱)، خراسان (۱)، كتاب الكامل لإبن الأثير (۱)، كتاب الأشراف للشيخ المفيد (۱)

رغم أن المأمون كان أسن من الأمين بستة أشهر، وعلى أقل الأقوال بشهر واحد.

وأصبح الرشيد حينئذ أمام الأمر الواقع، حيث إن الذى أقدم على هذا الأمر، هو ذلك الرجل. الذى لا يمكن رد كلمته، والذى له من

النفوذ والسلطان، والخدمات الجلى، والأيادى البيضاء عليه، ما لا يمكن له، ولا لأحد غيره أن يجحده أو أن يتجاهله.

ويلاحظ هنا: أن عيسى بن جعفر قد ذكر أن أخته زبيدة، تسأله أن يقدم على هذا الأمر، وزبيدة التى تخطى باحترام كبير عند العباسيين، ولها نفوذ واسع، وتأثير كبير على الرشيد - زبيدة هذه - يهتم البرامكة جدا بأن تكون معهم، وإلى جانبهم، وذلك ليبقى لهم سلطانهم، ويدوم لهم حكمهم، الذى أشار إليه عيسى بقوله ": فإنه ولدك، وخلافته لك " فإن فى هذا القول دليلا واضحا للفضل على سلامة وصحة ما يقدم عليه بالنسبة لمصالحه هو، ومصالح البرامكة بشكل عام. وبالنسبة لدورهم فى مستقبل الخلافة العباسية.. وهو فى الحقيقة يشتمل على إغراء وترغيب واضح بالعمل لهذا الأمر، وفى سبيله.

كما أن قول عيسى الآنف الذكر يلقى لنا ضوءا على الدور الذى لعبته زبيدة فى مسألة البيعة لولدها بولاية العهد. فهو يشير إلى أنها كانت قد استخدمت نفوذها فى إقناع رجال الدولة بتقديم ولدها. هذا بالإضافة إلى أنها كانت تحرض الرشيد على ذلك باستمرار (۱)، حتى لقد صرح الرشيد نفسه بأنه ": لولا أم جعفر وميل بنى هاشم لقدم عبد الله على محمد، كما أشرنا إليه."

قال محمد فريد وجدى مشيرا إلى أن الرشيد لم يكن يريد جرح عاطفة (۱) النجوم الزاهرة ج ۲ ص ۸۱، وتاريخ الخلفاء للسيوطى ص ۲۹۰. (۱۶۱) صفحهمفاتيح البحث: بنو هاشم (۱)، الوسعة (۱)، جلال الدين السيوطى الشافعى (۱)

زبيدة ": كانت ولاية الأمين بعهد من أبيه، قدمه على إخوته لمكان والدته، وكان الأحق بالتقديم المأمون لعلمه وفضله وسنه (".. ۱)

وبعد. فإننا لا نستبعد أنها كانت بالإضافة إلى ذلك قد استخدمت أموالها، من أجل ضمان ولاية العهد لولدها الأمين، ولعل مما يشير إلى ذلك قول الفضل بن سهل للمأمون ": وهو ابن زبيدة، وأخواله بنو هاشم، وزبيدة وأموالها.".

وأخيرا. فإن من المحتمل جدا أن يكون الرشيد - بملاحظة الدور الذى كانت تلعبه الأنساب فى التفكير العربى - قد لاحظ سمو نسب الأمين على المأمون، وكان لذلك أثر فى تقديمه له عليه، وقد ألمح بعض المؤرخين إلى ذلك فقال ": وفيها (أى فى سنة ۱۷۶ ه) عقد الرشيد لابنه المأمون عبد الله العهد بعد أخيه الأمين. إلى أن قال:

وكان المأمون أسن من الأمين بشهر واحد، غير أن الأمين أمه زبيدة بنت جعفر هاشمية، والمأمون أمه أم ولد اسمها " مراجل " ماتت أيام نفاسها به (". ۲).

محاولات الرشيد لصالح المأمون:

ومن كل ما تقدم يتضح لنا حقيقة موقف العباسيين، وأهل بيت المأمون، ورجال الدولة من المأمون.. ويظهر إلى أى حد كان مركز أخيه قويا، ونجمه عاليا، وأنه لم يكن له مثل ذلك الحظ الذى كان لأخيه الأمين. (۱) دائرة المعارف الإسلامية ج ۱ ص ۶۰۶.

(۲) النجوم الزاهرة ج ۲ ص ۸۴، وقريب منه ما فى تاريخ الخلفاء للسيوطى. (۱۶۲) صفحهمفاتيح البحث: بنو هاشم (۱)، الفضل بن سهل (۱)، جلال الدين السيوطى الشافعى (۱)

إلا أن أباه الرشيد، الذى كان يدرك حقيقة الموقف كل الادراك، قد حاول أن يضمن له نصيبه من الخلافة، فجعله ولى العهد بعد أخيه الأمين، وكتب بذلك العهود والمواثيق، وأشهد عليها، وعلقها فى جوف الكعبة، ولا نعلم خليفة، قبله ولا بعده فعل ذلك مع أولياء عهده، من أولاده أو من غيرهم، رغم أن غيره من الخلفاء قد أخذوا البيعة لأكثر من واحد بعدهم.

كما أنه قد حاول بطرق شتى أن يشد من عضد المأمون، ويقوى مركزه فى مقابل أخيه الأمين، لأنه كان يخاف منه على أخيه المأمون، فنراه يجدد أخذ البيعة للمأمون أكثر من مرة، ويوليه الحرب، ويولى أخاه السلم (۱) ويهب المأمون كل ما فى العسكر من كراع وسلاح. ويأمر الفضل بن الربيع، الذى كان يعرف أنه سوف يتآمر مع الأمين - يأمره - بالبقاء مع المأمون فى خراسان. إلى غير ذلك من مواقفه، التى لا نرى حاجة لتتبعها واستقصائها.

مركز المأمون ظل فى خطر:

ولكن رغم كل محاولات الرشيد فقد ظل مركز المأمون فى خطر والكل كان يشعر بذلك، وكيف لا يعرف الجميع ذلك. ولا

يشعرون به، وهم يرون الأمين يصرح بعد أن أعطى العهود والمواثيق، وحلف الأيمان، بأنه: كان يضمر الخيانة لأخيه المأمون (٢).

لقد كان الكثيرون يرون بأن هذا الأمر لا يتم، وأن الرشيد قد أسس العداء والفرقة بين أولاده "، وألقى بأسهم بينهم، وعاقبة ما صنع

(١) مروج الذهب ج ٣ ص ٣٥٣، والطبرى حوادث سنة ١٨۶ ه.

(٢) الوزراء والكتاب ص ٢٢٢. (١۶٣) صفحهمفاتيح البحث: الفضل بن الربيع (١)، خراسان (١)، الخوف (١)، الحرب (١)، كتاب مروج الذهب للمسعودى (١)

فى ذلک مخوفة على الرعية " وقالت الشعراء فى ذلک الشئ الكثير.

ومن ذلک قول بعضهم:

أقول لغمة فى النفس منى * ودمع العين يطرد اطرادا خذى للهول عدته بحزم * ستلقى ما سيمنعک الرقادا فإنک إن بقيت رأيت أمرا * يطيل لک الكآبة والسهادا رأى الملک المهذب شر رأى * بقسمته الخلافة والبلادا رأى ما لو تعقبه بعلم * لبيض من مفارقه السوادا أراد به ليقطع عن بنيه * خلافهم ويبتذلوا الودادا فقد غرس العداوة غير آل * وأورث شمل ألفتهم بدادا والقح بينهم حربا عوانا * وسلس لاجتنابهم القيادا فويل للرعية عن قليل * لقد أهدى لها الكرب الشدادا وألبسها بلاءا غير فان * وألزمها التضعضع والفسادا ستجرى من دمائهم بحور * زواخر لا يرون لها نفادا فوزر بلائهم أبدا عليه * أغيا كان ذلک أم رشادا (١) والمأمون وحزبه كانوا يدركون ذلک:

وبعد.. فإنه من الطبيعى جدا أن نرى أن المأمون وحزبه كانوا يدركون أن مركز المأمون كان فى خطر، وأن الأمين كان ينوى الخيانة لأخيه. ولقد رأينا الفضل بن سهل عندما عزم الرشيد على الذهاب إلى خراسان، وأمر المأمون بالمقام فى بغداد - رأيناه - يقول للمأمون:

"لست تدرى ما يحدث بالرشيد، وخراسان ولايتک، والأمين مقدم عليک. وإن أحسن ما يصنع بک أن يخلعک، وهو ابن زبيدة، وأخواله (١) الطبرى حوادث سنة ١٨۶ ه. (١۶۴) صفحهمفاتيح البحث: مدينة بغداد (١)، الفضل بن سهل (١)، خراسان (٢)

بنو هاشم، وزبيدة، وأموالها (".. ١). وتقدم أيضا قوله له: إن أهل بيته وبنى أبيه، والعرب معادون له.

والرشيد أيضا كان فى قلق:

بل لقد صرح الرشيد نفسه بأنه كان يخشى من الأمين على المأمون، فإنه قال لزبيدة، عندما عاتبته على إعطائه الكراع والسلاح للمأمون:

"إنا نتخوف ابنک على عبد الله، ولا نتخوف عبد الله على ابنک إن بويع (". ٢).

هذا بالإضافة إلى تصريحات الرشيد السابقة، والتى لا نرى حاجة إلى إعادتها.

ولقد قال الرشيد، عندما بلغه ما يتهدد به محمد الأمين:

محمد لا تظلم أخاک فإنه * عليک يعود البغى إن كنت باغيا ولا تعجلن الدهر فيه فإنه * إذا مال بالأقوام لم يبق باقيا (٣) ومهما يكن من أمر، فإن الحقيقة التى لا يمكن الجدال فيها، هى أن الرشيد كان فى قضية ولاية العهد مغلوبا على أمره، من مختلف الجهات.

وكان يشعر أن ما أبرمه سوف يكون عرضة للانتقاض بين لحظة وأخرى، وكم كان يؤلمه شعوره هذا، ويحز فى نفسه.. حتى لقد ترجم مشاعره هذه شعرا فقال: (١) تاريخ ابن خلدون ج ٣ ص ٢٢٩، والنجوم الزاهرة ج ٢ ص ١٠٢، والكامل لابن الأثير، طبعة ثالثة ج ۵ ص ١٢٧، والوزراء والكتاب ص ٢۶۶.

(٢) مروج الذهب ج ٣ ص ٣٥٣. ولعله إنما فعل ذلک أيضا، من أجل أن يطيب خاطر المأمون، ويذهب ما فى نفسه - وهو الأفضل، والأكبر سنا من أخيه - من غل وحقد وضغينة..

(٣) ابن بدرون فى شرح قصيدة ابن عبدون ص ٢۴۵، وفوات الوفيات ج ٢ ص ٢۶٩. (١۶۵) صفحهمفاتيح البحث: بنو هاشم (١)،

الجدال (۱)، كتاب مروج الذهب للمسعودی (۱)، كتاب تاريخ ابن خلدون لابن خلدون (۱)، إبن الأثير (۱)

لقد بان وجه الرأی لی غير أننی * غلبت علی الأمر الذی كان أحزما وكيف يرد الدر فی الضرع بعدما * توزع حتی صار نهبا مقسما

أخاف التواء الأمر بعد استوائه * وأن ينقض الحبل الذی كان أبرما (۱) علی من يعتمد المأمون؟

وهكذا: وإذا كان أبوه قد استطاع أن يضمن له المركز الثانی بعد أخيه الأمين، وإذا كان ذلک لا يكفی لأن يجعل المأمون يطمئن إلی مستقبله فی الحكم، وأن يأمن أخاه وبنی أمية العباسيين، أن لا ـ يحلوا العقدة، وينكثوا العهد، فهل يستطيع المأمون أن يعتمد علی غيرهم، لو تعرض مركزه ووجوده لتهديد فی وقت ما؟!. ومن هم أولئک الذين يستطيع أن يعتمد عليهم؟! وكيف؟.. وما هو موقفهم فعلا منه؟! وكيف يستطيع أن يصل إلی الحكم، والسلطان؟! ومن ثم..

كيف يستطيع أن يحتفظ به، ويقوی من دعائمه؟!

إن نظرة شاملة علی الفئات الأخری فی تلک الفترة من الزمن، لكفيلة بأن تظهر لنا أنه لم يبق أمام المأمون غير العلويين، والعرب، والإيرانيين.

فما هو موقف هؤلاء منه، وأی الفئات تلک هی التی يستطيع أن يعتمد عليها؟ وكيف يستطيع أن يغير مجريات الأمور لتكون فی صالحه، وعلی وفق مراده؟!.

هذا هو السؤال الذی لا بد للمأمون من أن يضع الحل والإجابة عليه، بكل دقة ووعی وإدراک. وأن يتحرک من ثم علی وفق تلک الإجابة، (۱) ابن بدرون أيضا ص ۲۴۵، وزهر الآداب، طبع دار الجيل ج ۲ ص ۵۸۱، وفوات الوفيات ج ۲ ص ۲۶۹. (۱۶۶) صفحهمفاتيح البحث: بنو أمية (۱)

وعلی مقتضی ذلک الحل.. ولنلق أولا ـ نظرة سريعة علی مواقف كل من هؤلاء من المأمون، ولنخلص من ثم إلی معرفة الفئة التی يستطيع المأمون أن يعتمد عليها فی مواجهة الأخطار والتحديات، التی تنتظره، وتنتظر نظام حكمه، بصورة عامة.. فنقول:

موقف العلويين من المأمون:

أما العلويون.. فإنهم – بالطبع – لن يرضوا بالمأمون – كما لن يرضوا بغيره من العباسيين، خليفة وحاكما لأن من بينهم من هو أجدر من كل العباسيين، وأحق بهذا الأمر، ولأن المأمون، وغيره، كانوا من تلک السلالة، التی لا يمكن أن تصفو لها قلوب آل علی، لأنها قد فعلت بهم أكثر من فعل بنی أمية معهم، كما تقدم.. فقد سفكت دماءهم، وسلبتهم أموالهم، وشردتهم عن ديارهم، وأذاقتهم شتی صنوف العذاب والاضطهاد. ويكفی المأمون عندهم: أنه ابن الرشيد، الذی حصد شجرة النبوة، واجتث غرس الإمامة، والذی قد عرفت طرفا من سيرته السيئة معهم فيما تقدم من الفصول.

موقف العرب من المأمون، ونظام حكمه:

وأما العرب: فإنهم لا يرضون بالمأمون خليفة وحاكما أيضا، كما أشار إليه الفضل بن سهل فيما تقدم.

أما أولا: فلأن أمه، ومؤدبه، والقائم بأمره، غير عربيين.

ولقد عانی العرب ما الله أعلم به، من تقديم أسلافه للموالی، حتی لم يعد لهم معهم أی شأن يذكر، وأصبح العربی أذل من نعجة، وأحقر من الحيوان.

قال المسعودی. ": وكان (أی المنصور) أول خليفة استعمل (۱۶۷) صفحهمفاتيح البحث: يوم عرفة (۱)، بنو أمية (۱)، الفضل بن سهل (۱)، العذاب، العذب (۱)

مواليه وغلمانه فی أعماله، وصرفهم فی مهماته، وقدمهم علی العرب، فامتثل ذلک الخلفاء من بعده، من ولده، فسقطت، وبادت العرب، وزالت رياستها، وذهبت مراتبها (". ۱).

وقال ابن حزم، وهو يتحدث عن العباسيين. ": فكانت دولتهم أعجمية، سقطت فيها دواوين العرب، وغلبت عجم خراسان علی الأمر،

وعاد الأمر كسرويا، إلا أنهم لم يعلنوا بسب أحد من الصحابة رضوان الله عليهم. وافترقت في دولة بنى العباس كلمة المسلمين (۲.").
ويقول الجاحظ.. ": دولة بنى العباس أعجمية، خراسانية، ودولة بنى مروان عربية (۳.").
إلى آخر ما هنالك، مما يدل على سقوط العرب في تلك الفترة، وامتهانهم، ويبدو أن ذلك من المسلمات. وقد استوفى الباحثون – ومنهم أحمد أمين، في الجزء الأول من ضحى الإسلام – البحث في هذا الموضوع، فمن أراد فليراجع مظان وجوده.
وإذا ما عرفنا: أن من الطبيعى أن يكون ذهاب رئاسة العرب، وإبادتها، واضطهادها على يد الفرس، الذين كانوا هم أصحاب القدرة والسلطان آنذاك.. فلسوف نجد أن من الطبيعى أن يحقد العرب، الذين كانوا في وقت ما هم أصحاب الجبروت والقوة، على الفرس، وعلى كل من يتصل بهم. ويمت إليهم بسبب، من قريب أو من بعيد. (۱) مروج الذهب، طبع بيروت ج ۴ ص ۲۲۳، وتاريخ الخلفاء للسيوطى ص ۲۴، و ص ۲۶۹، ۲۷۰، و ص ۲۵۸، وفي طبيعة الدعوة العباسية ص ۲۷۹، نقلا عن المقريزى في: السلوك لمعرفة دول الملوك ج ۱ ص ۱۴ مثل ذلك. وليراجع أيضا كتاب: مشاكلة الناس لزمانهم لليعقوبى ص ۲۳.
(۲) البيان المغرب، طبع صادر ص ۷۱.
(۳) البيان والتبيين ج ۳ ص ۳۶۶. (۱۶۸) صفحهمفاتيح البحث: بنو عباس (۲)، خراسان (۱)، كتاب مروج الذهب للمسعودى (۱)، جلال الدين السيوطى الشافعى (۱)، مدينة بيروت (۱)
وأما ثانيا: فلسيرة أسلافه، وأبيه الرشيد بالخصوص، في الناس عامة، ومع أهل بيت نبيهم خاصة، والتى قدمنا شطرا منها في الفصول التى سبقت.
أما الأمين: فقد كان له – إلى حد ما – شافع عندهم، حيث إنه كان من أب وأم عربيين من جهة. وكان قد منحهم ثقته وحبه، وقربهم إليه، حتى كان وزيره الفضل بن الربيع منهم. من جهة ثانية، فتوسموا فيه أن يجعل لهم. وأن ينظر إليهم بغير العين، التى كان أبوه وأسلافه ينظرون إليهم بها. أو على الأقل: سوف لا تكون نظرته إليهم. على حد نظرة المأمون نحوهم. وذلك ما يجعلهم يرجحونه – على الأقل – على أخيه المأمون، وإن كان المأمون أفضل، وأسن منه، فلقد كان عليهم أن يختاروا أهون الشرين، وأقل الضررين.
حتى إن نصر بن شبث، الذى كان هواه مع العباسيين، لم يقم بثورته ضد المأمون، التى بدأت سنة ۱۹۸ ه. واستمرت حتى سنة ۲۱۰ ه. إلا انتصارا للعرب، ومحاماة عنهم، لأن العباسيين كانوا يفضلون عليهم العجم، حسب تصريحات نصر بن شبث نفسه (۱).
وحتى في مصر أيضا، قد ثارت الفتن بين القيسية، المناصرة للأمين، واليمانية المناصرة للمأمون..
وقال أحمد أمين. ": إن أغلب الفرس تعصب للمأمون، وأغلب العرب تعصبوا للأمين (".. ۲) كما أننا نكاد لا نشك في أن تعصب العرب للأمين ليس إلا للسببين المتقدمين، الذين أشرنا إليهما، وأشار إلى أحدهما نصر بن شبث.. (۱) التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية ج ۳ ص ۱۰۴.
(۲) ضحى الإسلام ج ۱ ص ۴۳. (۱۶۹) صفحهمفاتيح البحث: الفضل بن الربيع (۱)
ولكن فردينان توتل يرى في منجد الأعلام: أن تعصب العرب للأمين يرجع إلى أن ": المأمون لم يستطع أن يجعل العرب يحبونه، حيث إنه كان يظهر ميلا للإيرانيين، ويقربهم إليه. وقد أعانه الإيرانيون في مبارزاته، وحروبه، وخصوصا الخراسانيين منهم.".
ولكن الذى يبدو لى هو أن تعصب العرب للأمين لم يكن نتيجة تقريب المأمون للإيرانيين، وتحببه للخراسانيين، وإنما عكس ذلك هو الصحيح، فإن المأمون لم يتقرب من الخراسانيين إلا بعد أن فرغت يده من العرب وأهل بيته، والعلويين.
لا بد من اختيار خراسان:
وبعد أن فرغت يد المأمون من بنى أبيه، والبرامكة (۱)، والعرب، والعلويين، اضطر أن يلتجئ إلى جهات أخرى لتمد له يد العون والمساعدة، وتكون سلما لأغراضه، وأداة لتحقيق أهدافه ومآربه.
ولم يبق أمامه غير خراسان، فاختارها، كما اختارها محمد بن على العباسى من قبل. فأظهر لهم الميل الحب، وتقرب إليهم، وقربهم

إليه، وأراهم: أنه محب لما ولمن يحبون، وكاره لما ولمن يكرهون. حتى إنه عندما علم منهم الميل إلى العلويين، والتشيع لهم، أظهر هو بدوره أنه محب للعلويين، ومتشيع لهم.

كما أنه كان من جهة ثانية قطع لهم على نفسه الوعود والعهود، برفع (۱) ذكرنا للبرامكة هنا ليس عفويا، فإن محط نظرنا يشمل حتى الأيام الأولى، التى فتح بها المأمون عينيه، وعرف واقعه، وأدرك الأخطار، التى تتهدده، وتتهدد مستقبله فى الخلافة مع أخيه الأمين، فلا يرد علينا: أن البرامكة قد نكبهم الرشيد قبل خلافة المأمون بزمان. مضافا إلى الدور الكبير الذى لعبه البرامكة فى تقديم أخيه الأمين عليه، حسبما قدمنا (... ۱۷۰) صفحهمفاتيح البحث: محمد بن على (۱)، خراسان (۲)، الإختيار، الخيار (۱)

الظلم والحيف عنهم، ورد عنهم الكيد، الأمر الذى جعلهم يثقون به، ويطمئنون إليه، ويعلقون كل آمالهم عليه.

تشيع الإيرانيين:

هذا. وليس تشيع (۱) الإيرانيين بالأمر الذى يحتاج إلى إثبات، بعد أن تقدم معنا: أن دولة العباسيين ما قامت إلا على أساس الدعوة للعلويين، وأهل البيت. وبعد أن رأينا الخراسانيين يظهرون النياحة على " يحيى بن زيد " سبعة أيام، وكل مولود ولد فى خراسان فى سنة قتل يحيى سمى ب " يحيى (" ۲). بل يذكر البلاذرى: أنه لما استشار المنصور عيسى بن موسى فى أمر محمد وإبراهيم ابنى عبد الله بن الحسن، فأشار عليه بأن يولى المدينة رجلا ـ خراسانيا، قال له المنصور ": يا أبا موسى إن محبة آل أبى طالب فى قلوب أهل خراسان ممتزجة بمحبتنا، وإن وليت أمرها رجلا ـ من أهل خراسان حالت محبته لهما بينه وبين طلبهما، والفحص عنهما، ولكن أهل الشام قاتلوا عليا على أن لا يتأمر عليهم لبغضهم إياه الخ (". ۳).

وقد تقدم معنا: كيف وصف المؤرخون ما جرى فى نيشابور، حين دخلها الإمام الرضا، وسيأتى فى فصل: خطة الإمام، وصف ما جرى فى مرو حينما خرج الإمام ليصلى بالناس. ولقد عرفنا أيضا: كيف فرق الإمام الرضا الناس عن المأمون. عندما أرادوا قتله، انتقاما للفضل بن سهل. (۱) قد تقدم منا ما نقصده بكلمة " التشيع " فى هذا الكتاب، فلا نعيد.

(۲) مروج الذهب ج ۳ ص ۲۱۳، وشرح ميمية أبى فراس ص ۱۵۷، وليراجع أيضا نزهة الجليس ج ۱ ص ۳۱۶، فإن فيه ما يشير إلى ذلك.

(۳) أنساب الأشراف للبلاذرى ج ۳ ص ۱۱۵. (۱۷۱) صفحهمفاتيح البحث: الدولة العباسية (العباسيون) (۱)، عبد الله بن الحسن (ع) (۱)، يحيى بن زيد (۱)، خراسان (۳)، الشام (۱)، الظلم (۱)، القتل (۲)، كتاب مروج الذهب للمسعودى (۱)، كتاب انساب الأشراف للبلاذرى (۱)

بل لقد بلغ من حب الإيرانيين لأهل البيت أن المأمون كان يخشى على نفسه أن يقتلوه، لو أنه أراد أن يرجع عن البيعة للإمام الرضا بولاية العهد (۱).

ويقول جرجى زيدان ": وكان الخراسانيون، ومن والاهم من أهل طبرستان والديلم، قبل قيام الدولة العباسية، من شيعة على، وإنما بايعوا للعباسيين مجاراة لأبى مسلم أو خوفا منه (". ۲).

وقال أحمد أمين.. ": إن الفرس يجرى فى عروقهم التشيع (". ۳) ويقول الدكتور الشيبى.. ": إن الفرس قد عادوا إلى التشيع، بعد أن نزلت بهم ضربة السفاح أولا، ثم المنصور، ثم الرشيد (". ۴) ويقول أحمد شلبى. ": إنه ربما كان سبب أخذ المأمون للرضا العهد، هو أنه يريد أن يحقق آمال الخراسانيين، الذين كانوا إلى أولاد على أميل (". ۵) ما هو سر تشيع الإيرانيين؟

يقول السيد أمير على، وهو يتحدث عن سر ارتباط الفرس بقضية بنى فاطمة.. ": وقد أظهر الإمام على منذ بداية الدعوة الإسلامية (۱) تاريخ التمدن الإسلامى المجلد الثانى، جزء ۴ ص ۴۴۰.

(۲) نفس المصدر والمجلد، والجزء ص ۲۳۲، ولا يهمنا هنا مناقشة جرجى زيدان فيما جعله سببا لبيعتهم للعباسيين، ولعل ما قدمناه فى فصل: قيام الدولة العباسية كاف فى ذلك.

(۳) ضحى الإسلام ج ۳ ص ۲۹۵.

(۴) الصلة بين التصوف والتشيع ص ۱۰۱.

(۵) التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية ج ۳ ص ۱۰۷. (۱۷۲) صفحهمفاتيح البحث: الدولة العباسية (العباسيون) (۲)

كل تقدير، ومودة نحو الفرس، الذين اعتنقوا الإسلام، لقد كان سلمان الفارسى، وهو أحد مشاهير أصحاب الرسول، رفيق على وصديقه.

وكان من عادة الإمام أن يخصص نصيبه " النقدى " فى الأنفال لافتداء الأسرى. وكثيرا ما أقنع الخليفة عمر بمشورته، فعمد إلى تخفيف عبء الرعية فى فارس. وهكذا كان ولاء الفرس لأحفاده واضحا تمام الوضوح (". ۱).

ويرى فان فلوتن: إن من أسباب ميل الخراسانيين، وغيرهم من الإيرانيين للعلويين، هو أنهم لم يعاملوا معاملة حسنة، ولا رأوا عدلا إلا فى زمن حكم الإمام على (ع) (۲).

أما الأستاذ على غفورى فيرى (۳): أن الإيرانيين كانوا قبل الإسلام يعاملون بمنطق: أن الناس قد خلقوا لخدمة الطبقة الحاكمة، وأن عليهم أن ينفذوا الأوامر من دون: كيف؟ ولماذا؟. فجاء الإسلام بتعاليمه الفطرية السهلة السمحاء، فاعتنقوه بكل رضى وأمل، وبدأ جهادهم فى سبيل إقامة حكومة إسلامية حقيقية.

وبما أن أولئك الذين تسلموا زمام الأمور – باستثناء الإمام على طبعا – كانوا منحرفين [المقصود هنا بالطبع هو خلفاء الأمويين] عن الإسلام، وتعاليمه، ويحاولون تلبيس عاداتهم الجاهلية، حتى التمييز القبلى، والعرقى بلباس الإسلام. وإعطائها صفة القانونية والشرعية.

فإن الإيرانيين لم يجدوا أهداف الإسلام، وتعاليمه فى تلك الحكومات، ولهذا كان من الطبيعى أن يتوجهوا إلى على، والأئمة من ولده، الذين تعدى الآخرون على حقوقهم بالخلافة، والذين كان سلوكهم المثالى هو (۱) روح الإسلام ص ۳۰۶.

(۲) السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات.

(۳) يادبود هشتمين امام " فارسى. (" ۱۷۳) صفحهمفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (۱)، الدولة الأموية (۱)، سلمان المحمدى (الفارسى) رضوان الله عليه (۱)، الهدف (۱)، الجهل (۱)

المرآة الصافية، التى تنعكس عليها تعاليم الإسلام وأهدافه، ويمثلون الصورة الحقيقية للإسلام على مدى التاريخ. وكان صدى علمهم، وزهدهم، واستقامتهم يطبق الخافقين، وخصوصا الصادق والرضا، الذى اهتبل الفرصة إبان الخلاف بين الأمين والمأمون لنشر تعاليم الإسلام. وتعريف الناس على الحقائق، التى شاء الآخرون أن لا يعرفها أحد.

لكن لم يكن يروق للقوى الحاكمة، أن تظهر تلك الوجوه الطاهرة على الصعيد العام، وتتعرف عليها الأمة الإسلامية، وعلى فضائلها، وكمالاتها، لأن الناس حينئذ سوف يدركون الواقع المزرى لأولئك الحكام، والمنزلفين لهم. والذين كانوا يتحكمون بمقدرات الأمة، وإمكاناتها، وإذا أدركوا ذلك فإن من الطبيعى أن لا يترددوا فى تأييد الأئمة، ومساعدة أية نهضة، أو ثورة من قبلهم. ولهذا فقد جهد الحكام فى أن يزووهم ويبعدوهم ما أمكنهم عن الناس، ووضعوهم تحت الرقابة الشديدة، وفى أحيان كثيرة فى غياهب السجون. حتى إذا ما سنحت لهم فرصة، تخلصوا منهم بالطريقة التى كانوا يرون أنها لا تثير الكثير من الشكوك والظنون.

عودة على بدء:

وعلى كل حال.. فإن ما يهمنا هنا هو مجرد الإشارة إلى تشيع الإيرانيين، الذى حاول المأمون أن يستغله لمصالحه وأهدافه. حيث قد أثمرت وعود المأمون للخراسانيين، وتحببه لهم. وتقربه منهم، وتظاهره بالحب لعلى (ع) وذريته، الثمار المرجوة منها، لأن الخراسانيين كانوا يريدون التخلص من أولئك الحكام الذين انقلبوا عليهم يقتلون. ويضطهدون كل من عرفوه مواليا لأهل البيت محبا لهم، ابتداء من المنصور، بل السفاح. وانتهاء بالرشيد، الذى لم يستطع يحيى بن خالد البرمكى أن (۱۷۴) صفحهمفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (۱)، يحيى بن خالد (۱)، الصدق (۱)، القتل (۱)، الظنّ (۱)

یسمع لعلوی ذکرا فی خراسان فی زمانه. رغم أنه جهد کل الجهد من أجل ذلک. وفی سبیله، حسبما تقدم.

کما أنهم – أعنی الخراسانیین – قد توسموا فی المأمون أن یکون المنقذ لهم من أولئک الولاة، الذین ساموهم شتی ضروب العسف، والظلم والعذاب. والذین لم یکن بهمهم غیر مصالحهم، وإرضاء شهواتهم وملذاتهم، یعلم ذلک بأدنی مراجعة للتأریخ.

وقد وثقوا إلی حد ما بوعود المأمون تلک، التی کان یغدقها علیهم، وعلی غیرهم بدون حساب، وأمنوا جانبه، فکانوا جنده، وقواده، ووزراءه المخلصین، الذین أخضعوا له البلاد، وأذلو له العباد، وبسطوا نفوذه وسلطانه علی کثیر من الولایات والأمصار، التی کان یطمح إلی الوصول إلیها، والسیطرة علیها.

کیف یثق العرب بالمأمون؟!

وهکذا إذن.. یتضح أن میل المأمون للإیرانیین ما کان إلا دهاء منه وسیاسة، استغلها المأمون أحسن ما یکون الاستغلال، حتی استطاع أن یصل إلی الحکم، ویتربع علی عرش الخلافة، بعد أن قتل أخاه العزیز علی العباسیین والعرب، وقضی علی أشیاعه بسیوف غیر العرب، وذلک ذنب آخر لن یسهل علی العرب الاغضاء عنه أو غفرانه.

ثم ولی علی بغداد رجلا غیر عربی، هو الحسن بن سهل، أخو الفضل بن سهل، الذی تکرهه بغداد والعرب کل الکره..

ثم إنه بعد هذا کله جعل مقر حکمه مروا الفارسیة، ولیس بغداد العاصمة العربیة الأولی التی خربها ودمرها.. وکان ذلک من شأنه أن یثیر المخاوف لدی العرب فی أن تتحول الإمبراطوریة العربیة إلی إمبراطوریة (۱۷۵) صفحهمفاتیح البحث: مدینة بغداد (۳)، الحسن بن سهل (۱)، الفضل بن سهل (۱)، خراسان (۱)، القتل (۱)

فارسیة، وخصوصا إذا لاحظنا: أن الفرس هم الذین أوصلوا المأمون إلی الحکم.. وقد أثبتوا جدارتهم، وأهلیتهم فی مختلف المجالات، وخصوصا السیاسة، وشؤون الحکم.

قتل الأمین وخیبة الأمل:

وإن قتل الأمین، وإن کان یمثل – فی ظاهره – انتصارا عسکریا للمأمون إلا أنه کان فی الحقیقة ذا نتائج سلبیة وعکسیة بالنسبة للمأمون، وأهدافه، ومخططاته.. سیما بملاحظة الأسالیب التی اتبعها المأمون للتشفی من أخیه الأمین، الذی کان قد أصدر الأمر لطاهر بالأمس بأن یقتله (۱). حیث رأیناه قد أعطی الذی جاءه برأس أخیه – بعد أن سجد لله شکرا! – ألف ألف " أی ملیون " درهم (۲). ثم أمر بنصب رأس أخیه علی خشبة فی صحن الدار، وأمر کل من قبض رزقه أن یلعنه، فکان الرجل یقبض، ویلعن الرأس، ولم ینزله حتی جاء رجل فلعن الرأس، ولعن والدیه، وما ولدا، وأدخلهم فی " کذا وکذا " من أمهاتهم، وذلک بحیث یسمعه المأمون، فتبسم، وتغافل، وأمر بحط الرأس (۳)!.

ویا لیته اکتفی بکل ذلک.. بل إنه بعد أن طیف برأس الأمین بخراسان (۴) (۱) لقد نص الأستاذ علی غفوری فی کتابه الفارسی " یادبود هشتمین إمام " ص ۲۹ علی أن المأمون ": لم یرض بقتل الأمین فحسب، بل أنه هو الذی أمر بقتله."..

(۲) فوات الوفیات ج ۲ ص ۲۶۹، والطبری، طبع دار القاموس الحدیث ج ۱۰ ص ۲۰۲، والبدایة والنهایة ج ۱۰ ص ۲۴۳، وحیاة الحیوان ج ۱ ص ۷۲، وتجارب الأمم المطبوع مع العیون والحدایق ج ۶ ص ۴۱۶.

(۳) مروج الذهب ج ۳ ص ۴۱۴، وتتمة المنتهی ص ۱۸۶ والموفقیات ص ۱۴۰.

(۴) تاریخ الخلفاء للسیوطی ص ۲۹۸. (۱۷۶) صفحهمفاتیح البحث: خراسان (۱)، القتل (۳)، کتاب حیاة الحیوان للدمیری (۱)، کتاب مروج الذهب للمسعودی (۱)، کتاب البدایة والنهایة (۱)، جلال الدین السیوطی الشافعی (۱)

أرسل إلی إبراهیم بن المهدی یعنفه ویلومه علی أنه أسف علی قتل الأمین، ورثاه (۱)!

فماذا ننتظر بعد هذا کله، وبعد ما قدمناه: أن یکون موقف العباسیین. والعرب، بل وسائر الناس منه..

إن أیسر ما نستطیع أن نقوله هنا: أنه کان لقتله أخاه، وفعاله الشائنة تلک.. أثر سیئ علی سمعته، ومن أسباب زعزعة ثقة الناس، به،

وتأكيد نفورهم منه، سواء في ذلك العرب، أو غيرهم.

وقد استمر ذلك الأثر أعواما كثيرة، حتى بعد أن هدأت ثائرة الناس، ورجع إلى بغداد.

فقد جلس مرة يستاك على دجلة، من وراء ستر، فمر ملاح، وهو يقول ": أتظنون أن هذا المأمون ينبل في عيني، وقد قتل أخاه."؟!

قال: فسمعه المأمون، فما زاد على أن تبسم، وقال لجلسائه:

"ما الحيلة عندكم. حتى أنبل في عين هذا الرجل الجليل (". ٢).

وقال له الفضل بن سهل، عندما عزم على الذهاب إلى بغداد:

"ما هذا بصواب، قتلت بالأمس أخاك، وأزلت الخلافة عنه، وبنو أبيك معادون لك، وأهل بيتك والعرب.. إلى أن قال: والرأى، (١) البداية والنهاية ج ١٠ ص ٤٤٣.

(٢) تاريخ بغداد ج ١٠ ص ١٨٩، والبداية والنهاية ج ١٠ ص ٢٧٧، وتاريخ الخلفاء ص ٣٢٠، وروض الأخيار في منتخب ربيع الأبرار ص ١٨۶، وفوات الوفيات ج ١ ص ٢۴٠. (١٧٧) صفحهمفاتيح البحث: مدينة بغداد (٢)، الفضل بن سهل (١)، القتل (٣)، كتاب تاريخ بغداد للخطيب البغدادى (١)، كتاب البداية والنهاية (٢)

أن تقيم بخراسان، حتى تسكن قلوب الناس على هذا، ويتناسوا ما كان من أمر أخيك (".. ١).

المأمون في الحكم:

وإذا ما أردنا أن نعطف نظرنا على ناحية أخرى في سياسة النظام المأموني، فإننا سوف نرى أنه لم يكن موفقا في سياسته مع الناس، سواء في ذلك العرب أو الإيرانيون، بالأخص أهل خراسان، حيث لم يحاول أن يتجنب سياسة الظلم والعسف والاضطهاد، التي كان يمارسها أسلافه مع الرعية. بل لعله زاد عليهم، وسبقهم أشواطا بعيدة في ذلك، أما سياسته مع العرب:

فالمأمون، وإن استطاع أن يصل إلى الحكم إلا أنه فشل في مهمة الفوز بثقة العرب، خصوصا إذا لاحظنا بالإضافة إلى ما قدمناه تحت عنوان " كيف يثق العرب بالمأمون. " ما نالهم منه، ومن عماله، من صنوف العسف والظلم - عدا عما فعلته فيهم تلك الحروب الطاحنة، التي شنها ضد أخيه الأمين - فإن ذلك يفوق كل وصف، ويتجاوز كل تقدير، (١) البحار ج ۴٩ ص ١۶۶، ومسند الإمام الرضا ج ١ ص ٨۵، وأعيان الشيعة ج ۴ قسم ٢ ص ١٣٨، وعيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١۶٠، هذا.. وتجدر الإشارة هنا: إلى أن بعض المحققين يرى: أن قتل الأخ في سبيل الملك، لم يكن من الأمور التي يهتم لها الناس كثيرا في تلك الفترة، سيما إذا كان المقتول هو المعتدى أولا، والأمين هنا هو المعتدى على المأمون، بخلعه أولا، ثم بإرساله جيشا إلى إيران لمحاربته، والذى هزم على يد طاهر بن الحسين، ولكننا مع ذلك.. لا نزال نصر على رأينا في هذا المجال، سيما وأننا نرى في النصوص التاريخية ما يدعم هذا الرأى ويقويه. (١٧٨) صفحهمفاتيح البحث: خراسان (٢)، الظلم (١)، كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام (١)، دولة ايران (١)، كتاب أعيان الشيعة للأمين (١)، طاهر بن الحسين (١)، القتل (١)

حتى لقد وصف ": ديونيسيوس " جباة الخراج في العراق في سنة (٢٠٠ ه.) بأنهم ": قوم من العراق، والبصرة. والعاقولاء، وهم عتاة، ليس في قلوبهم رحمة، ولا إيمان، شر من الأفاعي، يضربون الناس، ويحبسونهم. ويعلقون الرجل البدين من ذراع واحد، حتى يكاد يموت (" ١).

والإيرانيون أيضا لم يكونوا أحسن حالا:

ولم يكن حالا الإيرانيين من هذه الجهة بأفضل من حال أهل العراق.

ويذكر الجاحظ: أن المأمون ولى محمود بن عبد الكريم التضيف " فتحامل على الناس، واستعمل فيهم الأحقاد والدمن، فخفض الأرزاق، وأسقط الخواص، وبعث في الكور، وأنحى على أهل الشرف والبيوتات، حسدا لهم، وإشفاء لغليل صاحبه منهم، فقصد لهم بالمكروه والتعنت فامتنعت طائفة من الناس من التقدم إلى العطاء، وتركوا أسماءهم، وطائفة انتدبوا مع طاهر بن الحسين بخراسان،

فسقط بذلك السبب بشر كثير ("... ٢).

يقول الجنرال جلوب وهو يتحدث عن المأمون.. "وراح يلقى خطبته الأولى فى الناس، فيعدهم بأن يكون حكمه فيهم طبقا للشرع، وأن يكرس نفسه لخدمة الله وحده. وقد أثارت هذه الوعود التقية حماسة عند الناس. وكانت من أهم أسباب انتصاره. لكن هذه الوعود ما لبثت أن تحولت إلى فجيعة نزلت بالناس، إذ أن الخليفة ما لبث أن نسيها (". ٣) (١) الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى، لآدم متز ج ١ ص ٢٣٢.

(٢) رسائل الجاحظ ج ٢ ص ٢٠٧ - ٢٠٨.

(٣) إمبراطورية العرب، ترجمة، وتعليق خيرى حماد ص ٥٧٠. (١٧٩) صفحهمفاتيح البحث: دولة العراق (٣)، طاهر بن الحسين (١)، عبد الكريم (١)، خراسان (١)، الموت (١)، التقية (١)، السب (١)

ويكفى أن نشير هنا إلى المجاعة التى أصابت أهل خراسان، والرى.

وأصبهان، وعز الطعام، ووقع الموت، وذلك فى سنة ٢٠١ للهجرة..

المأمون مع الرعية عموما:

وعن حالة المأمون العامة مع الناس يقول فان فلوتن:

. "ولم يكن جور النظام العباسى وعسفه، منذ قيام الدولة العباسية بأقل من النظام الأموى المختل، وتذكرنا شراهة المنصور، والرشيد، والمأمون، وجشعهم، وجور أولاد على بن عيسى، وعبثهم بأموال المسلمين بزمن الحجاج، وهشام، ويوسف بن عمر الثقفى. ولدينا البراهين الكثيرة على فجيعة الناس فى هذا العرش الجديد، ومقدار انخداعهم به، ".. ثم يضرب أمثلة من الخارجين على سياسات العباسيين تلك. ثم يقول.. ": كل ذلك يبين أن ما كان يشكو منه المسلمون من الجور والعسف لم يزل على ما كان عليه فى عهد بنى أمية الأول (".. ١).

قال ابن الجراح: إن إبراهيم بن المهدى كان ": يرمى المأمون بأمه (٢)، وإخوته، وأخواته، ومن أيسر ذلك قوله:

صد عن توبة وعن إخبات * ولها بالمجون والقينات ما يبالى إذا خلا بأبى عيسى * وسرب من بدن أخوات أن يغص المظلوم فى حومة الجور * بداء بين الحشا واللهاة (٣) (١) السيادة والعربية والشيعة والإسرائيليات ص ١٣٢.

(٢) ولكن أمه كانت قد ماتت أيام نفاسها به!!. ولعله يريد أن أمه كانت متهمة، فكان يعير بها..

(٣) الورقة، لابن الجراح ص ٢١، ولا بأس بمراجعة كتاب: أشعار أولاد الخلفاء. (١٨٠) صفحهمفاتيح البحث: الدولة العباسية (العباسيون) (١)، بنو أمية (١)، على بن عيسى (١)، خراسان (١)، الطعام (١)، الضرب (١)، الموت (١)، الظلم (١)، النفاس (١)

وما يهمنا هنا هو البيت الأخير، أما ما قبله، فلا نملك إلا أن نقول ": أهل البيت أدرى بالذى فيه."..

وعلى كل حال. فإننا لا نستغرب على المأمون صفة الظلم والعسف والجور. بعد أن رأينا أنه عندما عرضت عليه سيرة أبى بكر، وعمر، وعثمان، وعلى (ع) يأبى أن يأخذ بها جميعا، لأنه كان يجد فى آخر كل منها: أنهم كانوا يأخذون الأموال من وجوهها، ويضعونها فى حقوقها. لكنه قبل سيرة معاوية، الذى أراد الإعلان ببراءة الذمة ممن يذكره بخير، لأن فى آخرها يقول: إنه كان يأخذ الأموال من وجوهها، ويضعها كيف شاء..، وقال المأمون حينئذ ": إن كان فهذا (!! ") وفى رسالة عبد الله بن موسى للمأمون نفسه ما فيه الكفاية فلتراجع فى أواخر هذا الكتاب.

وماذا بعد الوصول إلى الحكم:

وهكذا.. فإن المأمون كان يحسب أنه إذا قتل أخاه، وتخلص من من أشياعه ومساعديه، وبعد أن توتى الحملة الدعائية ضدهم ثمارها - كان يحسب ويقدر - أن الطريق يكون قد مهد له للاستقرار فى الحكم، وأنه سوف يستطيع بعد هذا أن يطمئن، وينام قرير العين.

ولكن فأله قد خاب، وانقلبت مجريات الأمور فى غير صالحه، فإن الإيرانيين قد ": انفضوا بعد الحرب الأهلية المفجعة بين الأمين

والمأمون، عن (۱) المحاسن والمساوی للبیهقی ص ۴۹۵. (۱۸۱) صفحهمفاتیح البحث: الإمام أمیر المؤمنین علی بن ابی طالب علیهما السلام (۱)، عبد الله بن موسی (۱)، الظلم (۱)، القتل (۱)، الحرب (۱)

تأييد العباسيين (". ۱). انفضوا عنه ليمنحوا العلويين عطفهم ومحبتهم، وتأييدهم، لأنهم يعرفون أنهم هم الذين يقيمون العدل، ويعملون بشريعة الله – وما موقف نيسابور، وصلاتی العيد، إلا الدليل الواضح والقاطع على تلك العاطفة، وذلك الحب والتقدير. وأيضا انفضوا عنه لأنه قد كشف لهم عن وجهه الحقيقی، وعرفهم بواقعه الأنانی البشع، وخصوصا بعد أن عانوا ما عانوا هم وغيرهم من صنوف الظلم والجور والاضطهاد، فی ظل نظام الحكم الذی طالما عملوا من أجله، وضحوا فی سبيله.

وحتى لو أنهم كانوا لا يزالون على تأييدهم له، فإنه لا يستطيع بعد هذا أن يعتمد على ذلك التأييد، وعلى ثقتهم به طويلا، فإنه كان من السهل – بعد أن فعل بأخيه وأشياعه، وغيرهم. ما فعل – أن يكتشفوا أن ذلك منه ما كان إلا سياسة ودهاء. كما أنه أصبح من الصعب عليهم – بعد تجربتهم الأولى معه، ومع وعوده، التی ما أسرع ما نسيها – أن يقتنعوا منه بالأقوال التی لا تدعمها الأفعال، ولسوف لا يطمئنون إليه، ولن يتفادوا له – بعد هذا – بالسهولة التی كان يتوقعها.

الموقف الصعب:

كانت تلك لمحة خاطفة عن موقف العباسيين، والعرب تجاه المأمون.

ذلك الموقف، الذی كان يزداد حساسية وتعقيدا، يوما عن يوم.

أضف إلى ذلك أيضا الخطر الذی كان يكمن فی موقف الخراسانيين، الذين رفعوا المأمون على العرش، وسلموا إليه أزمة الحكم والسلطان..

وإذا ما أضفنا إلى ذلك كله، موقف العلويين، الذين اغتنموا فرصة (۱) إمبراطورية العرب ص ۶۴۹. (۱۸۲) صفحهمفاتيح البحث: الظلم (۱)

الصدام بينه وبين أخيه، لتجميع صفوفهم، ومضاعفة نشاطاتهم، فلسوف تكتمل أمامنا ملامح الصورة لحقيقة الوضع والظروف، التی كان يعانی منها المأمون، ونظام حكمه آنذاك.. سيما ونحن نراه فی مواجهة تلك الثورات العارمة، وبالأخص ثورات العلويين أقوى خصوم الدولة العباسية، والتی كانت تظهر من جانب ومكان، وكل ناحية من نواحی مملكته.

ثورات العلويين. وغيرهم:

فأبو السرايا – الذی كان يوما ما من حزب المأمون (۱) – خرج بالكوفة. وكان هو وأتباعه لا يلقون جيشا إلا هزموه، ولا يتوجهون إلى بلدة إلا دخلوها (۲).

ويقال: إنه قد قتل من أصحاب السلطان، فی حرب أبی السرايا فقط، مئتا ألف رجل، مع أن مدته من يوم خروجه إلى يوم ضربت عنقه لم تزد على العشرة أشهر (۳).

وحتى البصرة، معقل العثمانية (۴)، قد أيدت العلويين، ونصرتهم، (۱) ففی الطبری ج ۱۰ ص ۲۳۶، وتاريخ ابن خلدون ج ۳ ص ۲۴۵، والكامل لابن الأثير ج ۵ ص ۱۷۹، طبعة ثالثة: أن المأمون قال لهرثمة ": مالأت أهل الكوفة، والعلويين، وداهنت، ودسست إلى أبی السرايا، حتى خرج، وعمل ما عمل، وكان رجلا من أصحابك إلخ ". واتهام هرثمة بهذا مهم فيما نحن فيه أيضا.

(۲) ضحى الإسلام ج ۳ ص ۲۹۴، ومقاتل الطالبيين ص ۵۳۵.

(۳) مقاتل الطالبيين ص ۵۵۰، والبداية والنهاية ج ۱۰ ص ۳۴۵.

(۴) الصلة بين التصوف والتشيع ص ۱۷۳، وسيأتی كلام محمد بن علی العباسی. المتعلق بهذا الموضوع، عن قريب.. (۱۸۳) صفحهمفاتيح البحث: الدولة العباسية (العباسيون) (۱)، مدينة الكوفة (۲)، مدينة البصرة (۱)، القتل (۲)، الحرب (۱)، كتاب مقاتل الطالبيين لأبو الفرج الأصفهانی (۱)، كتاب البداية والنهاية (۱)، محمد بن علی (۱)

فقد خرج فیها زید النار (۱)، ومعه علی بن محمد، کما خرج منها من قبل علی المنصور إبراهیم بن عبد الله..

وفی مکة، ونواحی الحجاز: خرج محمد بن جعفر، الذی کان یلقب ب " الدیباج " وتسمی ب " أمیر المؤمنین (" ۲).

وفی الیمن: إبراهیم بن موسی بن جعفر..

وفی المدینة: خرج محمد بن سلیمان بن داوود، بن الحسن بن الحسین، ابن علی بن أبی طالب.

وفی واسط: التی کان قسم کبیر منها یمیل إلی العمانیة - خرج جعفر ابن محمد، بن زید بن علی. والحسین بن إبراهیم، بن الحسن بن علی.

وفی المدائن: محمد بن إسماعیل بن محمد..

بل إنک قد لا تجد قطرا، إلا وفیه علوی یمنی نفسه، أو یمنیه الناس بالثورة ضد العباسیین - حسبما نص علیه بعض المؤرخین - حتی لقد اتجه أهل الجزیرة، والشام، المعروفة بتعاطفها مع الأمویین، (۱) سمی بذلک. لأنه حرق دور العباسیین فی البصرة بالنار، وکان إذا أتی برجل من المسودة، أحرقه بثیابه.. علی ما ذکره الطبری ج ۱۱ ص ۹۸۶، طبع لیدن، والکامل لابن الأثیر ج ۵ ص ۱۷۷، وتاریخ ابن خلدون ج ۳ ص ۲۴۴، والبدایة والنهایة ج ۱۰ ص ۳۴۶.

وفی الروایات أن الرضا علیه السلام أظهر الاستیاء من فعل أخیه زید. ولعل سبب ذلک أنه بالإضافة إلی أنه أقدم فی ثورته علی أعمال تنافی أحکام الدین، وتضر إضرارا بالغا بقضیة العلویین العادلة.. کان یمالئ الزیدیة.. أو لأنه أراد إبعاد شر المأمون عن زید، وإبعاد التهمة عن نفسه، بأنه هو المدبر لأمر أخیه.

(۲) ولیس فی العلویین - باستثناء الإمام علی (ع) طبعا - قبله، ولا بعده، من تسمی ب " أمیر المؤمنین " غیره، کما فی مروج الذهب ج ۳ ص ۴۳۹.

و " الدیباجة " لقب لأکثر من واحد من العلویین.. (۱۸۴) صفحهمفاتیح البحث: الدولة الأمویة (۱)، مدینة مکة المکرمة (۱)، إبراهیم بن موسی بن جعفر (۱)، إبراهیم بن عبد الله (۱)، محمد بن إسماعیل بن محمد (۱)، الحسین بن إبراهیم (۱)، علی بن أبی طالب (۱)، محمد بن زید بن علی (۱)، الحسن بن الحسین (۱)، محمد بن سلیمان (۱)، الحسن بن علی (۱)، علی بن محمد (۱)، محمد بن جعفر (۱)، الشام (۱)، الإمام علی بن موسی الرضا علیهما السلام (۱)، الإمام أمیر المؤمنین علی بن ابی طالب علیهما السلام (۱)، کتاب الکامل لإبن الأثیر (۱)، کتاب مروج الذهب للمسعودی (۱)، مدینة البصرة (۱)

وآل مروان.. إلی محمد بن محمد العلوی، صاحب أبی السرایا، فکتبوا إلیه: أنهم ینتظرون أن یوجه إلیهم رسولا، لیسمعوا له، ویطیعوا (۱)..

وأما ثورات غیر العلویین، فکثیرة أیضا، وقد کان من بینها ما یدعو إلی ": الرضا من آل محمد، " کثورة الحسن الهرش سنة ۱۹۸ (۲) .

وسواها ولا مجال لنا هنا للتعرض إلیها. ومن أرادها فعلیه بمراجعة الکتب التاریخیة المتعرضة لها (۳).

الزعیم العباسی الأول یعترف:

هذا مع أن أکثر تلک الأقطار لم تکن تؤید العلویین، ولا تدین لهم بالولاء باعتراف الزعیم العباسی الأول: محمد بن علی بن عبد الله، والد إبراهیم الإمام، حیث قال لدعاته:

.. "أما الکوفة وسوادها: فهناک شیعة علی، وولده. وأما البصرة، وسوادها: فعثمانیة، تدین بالکف. وأما الجزیرة: فحروریة مارقة، (۱) مقاتل الطالبیین ص ۵۳۴.. راجع فی بیان ثورات العلویین: البدایة والنهایة ج ۱۰ ص ۲۴۴، إلی ص ۲۴۷، والیعقوبی ج ۳ ص ۱۷۳، ۱۷۴، ومروج الذهب ج ۳ ص ۴۳۹، ۴۴۰، ومقاتل الطالبیین، والطبری. وابن الأثیر، وأی کتاب تاریخی شئت، لتری کیف أن الثورات فی الفترة الأولی من عهد المأمون، قد عمت جمیع الأقطار والأمصار..

(۲) البدایة والنهایة ج ۱۰ ص ۲۴۴، والطبری ج ۱۱ ص ۹۷۵، طبع لیدن.

(۳) وقد تغلب حاتم بن هرثمة علی أرمینیة، وکان هو السبب فی خروج بابک الخرمی.

وتغلب نصر بن شبث علی کیسوم، وسمسیاط، وما جاورها، وعبر الفرات إلی الجانب الشرقی، وکثرت جموعه، ولم یستسلم إلا فی سنة ۲۰۷ ه. وهناک أیضا حرکات الزط. وثورة بابک. وثورة المصریین التی کانت بین القیسیة المناصرة للأمین والیمانیة المناصرة للمأمون. إلی غیر ذلک مما لا مجال لنا هنا لتتبعه.. (۱۸۵) صفحهمفاتیح البحث: مدینة الکوفة (۱)، علی بن عبد الله (۱)، مدینة البصرة (۱)، محمد بن محمد (۱)، کتاب مقاتل الطالبیین لأبو الفرج الأصفهانی (۱)، کتاب مروج الذهب للمسعودی (۱)، کتاب البدایة والنهایة (۲)، نهر الفرات (۱)، إبن الأثیر (۱)، القتل (۱)، السب (۱)

وأعراب کأعلاج، ومسلمون أخلاقهم کأخلاق النصاری. وأما الشام:

فلیس یعرفون إلا آل أبی سفیان، وطاعة بنی مروان، عداوة راسخة، وجهل متراکم، وأما مکة والمدینة: فغلب علیهما أبو بکر، وعمر، ولکن علیکم بأهل خراسان الخ (".. ۱).

ونقل عن الأصمعی أیضا کلام قریب من هذا (۲).

دلالة هامة:

ومن بعض ما قدمناه فی الفصول المتقدمة، سیما فصل: موقف العباسیین من العلویین، وأیضا مما ذکرناه هنا نستطیع أن نستکشف أن حق العلویین بالخلافة والحکم، قد أصبح من الأمور المسلمة لدی الناس، فی القرن الثانی، الذی یعد من خیر القرون.. حیث لم تکن عقیدة عامة الناس قد استقرت بعد علی هذه العقیدة المتداولة لدی أهل السنة الیوم، والتی أشرنا إلی أنها العقیدة التی وضع أسسها معاویة.. وعلیه.

فما یدعیه أهل السنة الیوم من أن عقیدتهم فی الخلافة قد وصلت إلیهم یدا بید، إلی عصر النبی صلی الله علیه وآله غیر صحیح علی الاطلاق، بل إن الشیخ محمد عبده یری: إن رسوخ عقیدة ": إن حق الخلافة لأهل البیت، وشیوع ذلک فی العرب خاصة. " هو الذی دعا المعتصم إلی تشیید ملکه علی الترک، وغیرهم من العجم، یقول الشیخ محمد عبده ": کان الإسلام دینا عربیا، ثم لحقه العلم فصار علما عربیا، بعد أن کان (۱) البلدان للهمدانی ج ۲ ص ۳۵۲، وأحسن التقاسیم للمقدسی ص ۲۹۳، وعیون الأخبار لابن قتیبة ج ۱ ص ۲۰۴، والسیادة العربیة، والشیعة والإسرائیلیات ص ۹۳، ولا بأس بمراجعة: الحضارة الإسلامیة فی القرن الرابع الهجری ج ۱ ص ۱۰۲، (۲) روض الأخیار، المنتخب من ربیع الأبرار ص ۶۷، والعقد الفرید، طبع دار الکتاب العربی ج ۶، ص ۲۴۸. (۱۸۶) صفحهمفاتیح البحث: الرسول الأکرم محمد بن عبد الله صلی الله علیه وآله (۱)، مدینة مکة المکرمة (۱)، خراسان (۱)، الشام (۱)

یونانیا، ثم أخطأ خلیفة فی السیاسة، فاتخذ من سعة الإسلام سبیلا إلی ما کان یظنه خیرا: ظن أن الجیش العربی قد یکون عونا لخلیفة علوی، لأن العلوی ألصق ببیت النبی صلی الله علیه وآله، فأراد أن یتخذ له جیشا أجنبیا من الترک والدیلم وغیرهم من الأمم التی ظن أنه یستعبدها بسلطانه، ویصطنعها بإحسانه، فلا تساعد الخارج علیه، ولا تعین طالب مکانه من الملک (".. ۱).

عودة علی بدء:

وعلی کل حال.. فإننا إذا أردنا تقییم تلک الثورات، التی کانت تواجه الحکم العباسی، فإننا سوف نجد: أن ما کان یکمن فیه الخطر الحقیقی هو ثورات العلویین، لأنها کانت تظهر فی مناطق حساسة جدا.

فی الدولة، ولأنها کانت بقیادة أولئک الذین یمتلکون من قوة الحجة، والجدارة الحقیقیة، ما لیس لبنی العباس فیه أدنی نصیب..

وکان فی تأیید الناس لهم. واستجابتهم السریعة لدعوتهم دلالة واضحة علی شعور الأمة. بمختلف طبقاتها، وفئاتها تجاه حکم العباسیین، ونوعیة تفکیرها تجاه خلافتهم، وعلی مدی الغضب الذی کان یستبد بالنفوس، نتیجة استهتار العباسیین، وظلمهم، وسیاساتهم الرعناء، مع الناس عامة. ومع العلویین بشکل خاص.

وقد کان المأمون یعلم أکثر من أی شخص آخر، کم سوف یکون حجم الکارثة، لو تحرک الإمام الرضا – الذی اهتبل فرصة الحرب بینه وبین أخیه، لتحکیم مرکزه، وبسط نفوذه ضد الحکم القائم.. (۱) الإسلام والنصرانیة للشیخ محمد عبده. (۱۸۷) صفحهمفاتیح البحث: الرسول الأکرم محمد بن عبد الله صلی الله علیه وآله (۱)، الدولة العباسیة (العباسیون) (۱)، بنو عباس (۱)، الوسعة (۱)، الغضب (۱)، الحرب (۱)، الظنّ (۲)

الناس لم یبایعوا المأمون کلهم بعد:

وبعد کل ما تقدم.. فإن من الأهمیة بمکان، أن نشیر هنا، إلی أن العلویین، وقسما کبیرا من الناس، بل وعامة المسلمین، لم یکونوا قد بایعوا المأمون أصلا:

فأما أهل بغداد، فحالهم فی الخلاف علیه أشهر من أن یذکر، وقد قدمنا فی أول هذا الفصل عبارته فی رسالته، التی کان قد أرسلها للعباسیین فی بغداد..

وأما أهل الکوفة – التی کانت دائما شیعة علی وولده – فلم یبایعوا له، بل بقوا علی الخلاف علیه، إلی أن ذهب أخو الإمام الرضا (ع)!! العباس بن موسی، یدعوهم، فقعدوا عنه، ولم یجبه إلا البعض منهم، وقالوا ": إن کنت تدعو للمأمون، ثم من بعده لأخیک. فلا حاجة لنا فی دعوتک. وإن کنت تدعو إلی أخیک، أو بعض أهل بیتک، أو إلی نفسک، أجبناک (". ۱).

ویلاحظ هنا: کیف قد اختیر رجل علوی، وأخو الإمام الرضا (ع) بالذات، لیرسل إلی الکوفة، المعروفة بالتشیع للعلویین.. ویلاحظ أیضا:

أن رفضهم الاستجابة له، إنما کان لأجل أن الدعوة تتضمن الدعوة للمأمون العباسی.

وأما أهل المدینة، ومکة، والبصرة، وسائر المناطق الحساسة فی (۱) الکامل لابن الأثیر ج ۵ ص ۱۹۰، وتجارب الأمم ج ۶ المطبوع مع العیون والحدائق ص ۴۳۹، وفی تاریخ الطبری ج ۱۱ ص ۱۰۲۰، طبع لیدن، وتاریخ ابن خلدون ج ۳ ص ۲۴۸: أنه قد أجابه قوم کثیر منهم، ولکن قعد عنه الشیعة وآخرون..

لکن ظاهر حال الکوفة التی کانت دائما شیعة علی وولده هو أن المجیبین له کانوا قلة.

کما ذکر ابن الأثیر. (۱۸۸) صفحهمفاتیح البحث: الإمام علی بن موسی الرضا علیهما السلام (۲)، مدینة مکة المکرمة (۱)، مدینة الکوفة (۳)، العباس بن موسی (۱)، مدینة بغداد (۲)، کتاب الکامل لإبن الأثیر (۱)، إبن الأثیر (۱)، کتاب تاریخ الطبری (۱)

الدولة، فقد تقدم ما یدل علی حقیقة موقفهم منه، ومن نظام حکمه.

وقد کتب المأمون نفسه بخط یده، فی وثیقة العهد للإمام یقول:

.. "ودعا أمیر المؤمنین ولده، وأهل بیته، وقواده، وخدمه، فبایعوا مسارعین.. إلی أن قال: فبایعوا معشر أهل بیت أمیر المؤمنین، ومن بالمدینة المحروسة، من قواده، وجنده، وعامة المسلمین لأمیر المؤمنین، وللرضا من بعده، علی بن موسی ".. والوثیقة مذکورة فی أواخر هذا الکتاب.

فقوله ": لأمیر المؤمنین، وللرضا من بعده ". یدل دلالة واضحة علی أن عامة المسلمین ما کانوا قد بایعوا بعد ": لأمیر المؤمنین، " فضلا عن ": أهل المدینة المحروسة."..

وحتی لو أنهم کانوا قد بایعوا له، فإن بیعتهم هذه، وجودها کعدمها، إذ أن عصیانهم، وتمردهم علیه، وعلی حکمه، لم یکن لیخفی علی أحد.. بعدما قدمناه من ثوراتهم تلک. التی کانت تظهر من کل جانب ومکان. وکان کلما قضی علی واحدة منها تظهر أخری داعیة لما کانت تدعو إلیه تلک، أی إلی ": الرضا من آل محمد، " أو إلی أحد العلویین، الذین یشاهد المأمون عن کثب قدرتهم، وقوتهم، ونفوذهم الذی کان یتزاید باستمرار یوما عن یوم.. ولم تستقم له فی الحقیقة سوی خراسان.

نعم بعد أن عاد إلی بغداد، وکان قد قوی أمره، واتسع نفوذه، بدأ الناس یبایعونه فی الأقطار، ویتعللون بأن امتناعهم إنما کان ظاهریا،

وأنهم كانوا فى السر معه، وعلى ولائه، على ما صرح به اليعقوبى فى تاريخه. (۱۸۹) صفحهمفاتيح البحث: مدينة بغداد (۱)، خراسان (۱)، الشهادة (۱)

المأمون يدرك حراجة الموقف:

تلك هى باختصار حالة الحكم العباسى بشكل عام. وحالة المأمون، وظروفه فى الحكم بشكل خاص.. فى تلك الفترة من الزمن.. وقد اتضح لنا بجلاء: أن الوضع كان بالنسبة إلى المأمون، ونظام حكمه، قد ازداد سوءا، بعد وصول المأمون إلى الحكم، وتضاعفت الأخطار، التى كان يواجهها، وأصبح – هو وعرشه – فى مهب الريح. وتحت رحمة الأنواء.. وإذا كان ليس من الصعب علينا: أن نتصور مدى الخطر الذى كان يتهدد المأمون، وخلافته، وبالتالى مستقبل الخلافة العباسية بشكل عام.. فإنه من الطبيعى أن لا يكون من الصعب على المأمون أفعى الدهاء والسياسة أن يدرك – بعمق، إلى أى حد كان مركزه ضعيفا، وموقفه حرجا، حيث إنه هو الذى كان يعيش – أكثر من أى إنسان آخر – فى ذلك الخضم الزاخر بالمشاكل، والمتاعب، والأخطار.

وخصوصا وهو يواجه الثورات. وبالأخص ثورات العلويين، أقوى خصوم الدولة العباسية، تظهر من كل جانب ومكان، وكل ناحية من نواحى مملكته. كما أنه لم يكن ليصعب عليه أن يدرك أن الكثير من المشاكل التى يعانى منها إنما كان نتيجة السياسات الرعناء. التى انتهجها أسلافه، مع الناس عامة، ومع العلويين خاصة. وأن يدرك أن الاستمرار فى تلك السياسة. أو حتى مجرد الاهمام، والتوانى فى علاج الوضع، سوف يكون من أبسط نتائجه أن تلقى خلافة العباسيين على أيدى العلويين نفس المصير الذى لقيته خلافة الأمويين على أيدى أسلافه من قبل..

ماذا يمكن للمأمون أن يفعل:

ولكن.. وبعد أن نجح المأمون فى الوصول إلى ما كان يتمناه، وهو (۱۹۰) صفحهمفاتيح البحث: الدولة الأموية (۱)، الدولة العباسية (العباسيون) (۱)

الحكم والسلطان، وإذا كان لا يرضى به بنو أبيه، ولا العلويون، ولا العرب، وإذا كان حتى غير العرب، ضعفت ثقتهم به، وتزعزع مركزه فى نفوسهم.

وأيضا.. إذا كانت ثورات العلويين، فضلا عن غيرهم.. تظهر من كل جانب ومكان.. وإذا كان الكثيرون، بل عامة المسلمين لم يبايعوا له بعد.. وهكذا إلى آخر ما تقدم. فهل يمكن للمأمون أن يقف تجاه كل تلك العواصف، والانواء التى تتهدده، ونظام حكمه، مكتوف اليدين؟!

وماذا يمكن للمأمون بعد هذا أن يفعل، ليبقى محتفظا بالحكم والسلطان، الذى هو أعز ما فى الوجود عليه؟!.

هذا – ما سوف نحاول الإجابة عليه فى الفصل التالى. (۱۹۱) صفحهمفاتيح البحث: العزّة (۱)

ظروف البيعة وأسبابها

ظروف البيعة وأسبابها إنقاذ الموقف!. كيف؟!

قد قدمنا فى الفصل السابق لمحة عن ظروف المأمون فى الحكم، وأشرنا إلى أن الوضع كان يزداد سوءا يوما عن يوم.. وإلى أنه كان لا بد للمأمون من التحرك، والعمل بسرعة، شرط أن لا يزيد الفتق اتساعا، والطين بلة. وأن يستعمل كل ما لديه من حنكة ودهاء، فى سبيل إنقاذ نفسه، ونظام حكمه، وخلافة العباسيين بشكل عام..

وكان المأمون يدرك: أن إنقاذ الموقف يتوقف على:

۱ – إخماد ثورات العلويين، الذين كانوا يتمتعون بالاحترام والتقدير، ولهم نفوذ واسع فى جميع الفئات والطبقات..

۲ – أن يحصل من العلويين على اعتراف بشرعية خلافة العباسيين.

وليكون بذلك قد أفقدهم سلاحا قويا، لن يقر له قرار، إذا إذا أفقدهم إياه..

۳ - استئصال هـذا العطف، وذلك التقـدير والاحترام. الذى كانوا يتمتعون به، وكان يزداد يوما عن يوم - استئصاله - من نفوس الناس نهائيا، والعمل على تشويههم أمام الرأى العام، بالطرق، والأساليب (۱۹۲) صفحهمفاتيح البحث: الوقوف (۱)، الوسعة (۱)

التى لا تثير الكثير من الشكوك والشبهات، حتى لا يقدرون بعد ذلك على أى تحرك، ولا يجدون المؤيدين لأية دعوة لهم، وليكون القضاء عليهم بعد ذلك نهائيا - سهلا وميسورا..

۴ - اكتساب ثقة العرب ومحبتهم..

۵ - استمرار تأييد الخراسانيين، وعامة الإيرانيين له.

۶ - إرضاء العباسيين، والمتشيعين لهم، من أعداء العلويين.

۷ - تعزيز ثقة الناس بشخص المأمون، الذى كان لقتله أخاه أثر سئ على سمعته، وثقة الناس به.

۸ - وأخيرا.. أن يأمن الخطر الـذى كان يتهـدده من تلك الشخصيـة الفذة، التى كانت تملأ جوانبه فرقا، ورعبا.. وأن يتحاشـى الصدام المسلح معها. ألا وهى شخصية الإمام الرضا (ع)، وأن يمهد الطريق للتخلص منها، والقضاء عليها، قضاء مبرما، ونهائيا.

لا بد من الاعتماد على النفس:

وبعد هذا.. فإن من الواضح أن المأمون كان يعلم قبل كل أحد، أنه:

لم يكن يسـتطيع أن يستعين فى مواجهة تلك المشاكل بالعباسيين، بنى أبيه، بعد أن كانوا ينقمون عليه، قتله أخاه، العزيز عليهم، وعلى العرب، وبعد مواقفه، التى تقدم بيان جانب منها تجاههم.. وأيضا.

بعد أن كانوا لا يثقون به، ولا يأمنون جانبه، بسبب موقفهم السابق منه.

والأهـم من ذلـك أنه لم يكن فيهم الرجال الكفاة، الـذين يسـتطيع (۱۹۳) صـفحهمفاتيح البحث: الإمـام على بن موسـى الرضا عليهما السلام (۱)، القتل (۲)، العزّة (۱)

أن يعتمد عليهم (۱)، يدلنا على ذلك أنهم بعد أن ثاروا على المأمون، بسـبب بيعته للرضا عليه السـلام، لم يجدوا فيهم شـخصا أعظم، وأكفأ من ابن شكلة المغنى، فبايعوه، مع أنه من أصحاب المزامير والبرابط.

وفيه يقول دعبل:

نعر ابن شـكلة بالعراق وأهله * فهفا إليه كل أطلس مائق إن كان إبراهيم مضـطلعا بها * فلتصلحن من بعده لمخارق ولتصلحن من بعد ذاك لزلزل * ولتصـلحن من بعـده للمـارق أنى يكون. وليس ذاك بكـائن * يرث الخلافـة فاسق عن فاسق (۲) كما أنه عندما أصبح إبراهيم هذا خليفة، قال بعض الأعراب، عندما جاء الخبر بأنه: لا مال عند الخليفة ليعطى الجند، الذين ألحوا فى طلب أعطياتهم، قال": فليخرج الخليفـة إلينـا، فليغن لأهـل هـذا الجانب ثلاثـة أصوات، فتكون عطاءهم، ولأهل هـذا الجانب مثلها ".. فقال فى ذلك دعبل - شاعر المأمون - يذم إبراهيم بن المهدى:

يا معشـر الأجناد لا تقنطوا * خذوا عطاياكم، ولا تسخطوا فسوف يعطيكم حنينية * لا تدخل الكيس، ولا تربط والمعبديات لقوادكم * وما بها من أحـد يغبط فهكذا يرزق أصـحابه * خليفة مصـحفه البربط (۳) (۱) وقـد كان بينهم الكثيرون فى أول عهد الدولة العباسيـة. ونقصد ب " الكفاءة " هنا:

الكفاءة الظاهريـة، التى يقرها منطق الجبارين المتغطرسـين، لا الكفاءة الحقيقيـة التى يريدها الله، وجاء بها محمد. وقد أشـرنا إلى ذلك من قبل.

(۲) وفيات الأعيان، طبع سنة ۱۳۱۰ ه‍ ج ۱ ص ۸. والورقة لابن الجراح ص ۲۲، ومعاهد التنصيص ج ۱ ص ۲۰۵، والشعر والشعراء ص ۵۴۱، والكنى والألقاب ج ۱ ص ۳۳۰. والأطلس: هو الرجل يرمى بالقبيح..

(۳) معاهد التنصیص ج ۱ ص ۲۰۵، ۲۰۶، وشرح میمیة أبی فراس ص ۲۸۱، والبدایة والنهایة ج ۱۰ ص ۲۹۰، والبحار ج ۴۹ ص ۱۴۳، والغدیر ج ۲ ص ۳۷۷، والأغانی ج ۱۸ ص ۶۸، و ص ۱۰۱ طبع دار الفکر، والورقة لابن الجراح ص ۲۲، ونزهة الجلیس ج ۱ ص ۴۰۴، وعیون أخبار الرضا ج ۲ ص ۱۶۶، والحنینیات: منسوبة إلی حنین النجفی العبادی. المغنی المشهور، والمعبدیات:

منسوبة إلی معبد المغنی المشهور، والبربط: ملهاة، تشبه العود، وهو فارسی معرب. وأصله: بربت: لأن الضارب یضعه علی صدره.. انتهی عن نزهة الجلیس. (۱۹۴) صفحهمفاتیح البحث: الإمام علی بن موسی الرضا علیهما السلام (۱)، دولة العراق (۱)، کتاب عیون أخبار الرضا علیه السلام (۱)، الدولة العباسیة (العباسیون) (۱)، کتاب البدایة والنهایة (۱)، الضرب (۱)

وإذا کان لا یستطیع أن یستعین ببنی أبیه العباسیین، فبالأحری أن لا یستطیع أن یستعین علی حل مشاکله بالعلویین، والمتشیعین لهم، بعد أن کانوا هم أساس البلاء والعناء له، والذین یخلقون له أعظم المشاکل، ویضعون فی طریق حکمه أشق العقبات.

وأما العرب: فهو أعرف الناس بحقیقة موقفهم منه.

والخراسانیون: لا یستطیع أن یعتمد علی ثقتهم به طویلا، بعد أن کشف لهم عن حقیقته وواقعه الأنانی البشع، بقتله أخاه، وإبعاده طاهرا بن الحسین، مشید أرکان حکمه، عن مسرح السیاسة ": ولقد ذکره الرضا بذلک. عندما استعرض معه حقیقة الوضع القائم آنذاک.".

أی الأسالیب أنجع:

وبعد ذلک.. فإنه من الواضح أنه:

لم یکن لینقذ الموقف القسوة والعنف، وهو الذی یعانی المأمون من نتائجه السیئة ما یعانی.

ولا المنطق والحجاج، لأن العلویین - بناء علی ما شاع عند الأمة، بتشجیع من خلفائها، من أن السبب فی استحقاق الخلافة، هو القربی النسبیة منه صلی الله علیه وآله - إن العلویین بناء علی هذا: أقوی حجة من العباسیین، لأنهم یمتلکون اعترافا صریحا منهم بأن المستحق للخلافة هو (۱۹۵) صفحهمفاتیح البحث: الحج (۱)، القتل (۱)، السب (۱)

الأقرب نسبا إلی النبی صلی الله علیه وآله.

هذا. وإذا ما أراد العباسیون، أو غیرهم الاحتجاج بالأهلیة والجدارة لقیادة الأمة. فإن العلویین لا یدانیهم أحد فی ذلک، وذلک لما کانوا یتمتعون به من الجدارة والأهلیة الذاتیة لقیادة الأمة قیادة صالحة وسلیمة..

وأما النص فمن هو ذلک الذی یجرؤ علی الاستدلال به، وهو یری أنه کله فی صالح آل علی، وأئمة أهل البیت منهم بالخصوص.

وهکذا. نری ویری المأمون: أنه لم یکن لینقذ الموقف أی من تلک الأسالیب، ولا غیرها من الطرق والأسالیب الملتویة، واللاإنسانیة، التی اتبعها أسلافه من قبل.

وإذن.. فلا بد وأن یعود السؤال الأول لیطرح نفسه بکل جدیة.

والسؤال هو: ماذا یمکن للمأمون إذن أن یفعل؟! وکیف یقوی من دعائم حکمه، الذی هو بالنسبة إلیه کل شئ، ولیس قبله، ولا بعده شئ.. حتی لا یطمع فیه طامع، ولا تزعزعه العواصف، ولا تنال منه الأنواء، مهما کانت هوجاء وعاتیة؟!.

خطة المأمون:

وکان أن اتبع المأمون من أجل إنقاذ موقفه، الذی عرفت أنه یتوقف علی نقاط ثمانیة.. ومن أجل الاحتفاظ بالخلافة لنفسه، وأن تبقی فی بنی أبیه - کان أن اتبع - أسلوبا جدیدا، وغیبیا، لم یکن مألوفا، ولا ـ معروفا من قبل.. وأحسب أن لم یتوصل إلیه إلا بعد تفکیر طویل، وتقییم عام وشامل للوضع الذی کان یعیشه، والمشاکل التی کان یواجهها.

لقد کانت خطته غریبة وفریدة من نوعها، وکانت فی غایة الإتقان، والإحکام فی نظره. (۱۹۶) صفحهمفاتیح البحث: الرسول الأکرم محمد بن عبد الله صلی الله علیه وآله (۱)، یوم عرفة (۱)

فبینما نراه من جهة:

لا يـذكر أحـدا من الخلفاء، ولا غيرهم من الصحابة بسوء، بل هو يتحرج من المساس بغير الصحابة، وحتى بأولئك الذين كان حالهم فى الخروج على الـدين، وتعاليم الشريعة، معروفا ومشـهورا " كالحجاج ابن يوسف! " وذلك من أجل أن لا يثير عواطف أولئك الذين يلتقى معهم فكريا وسياسيا، ومصلحيا، والذين سوف يكونون له فى المستقبل الدرع الواقى، والحصن الحصين..

فاستمع إليه يقول - كما يروى لنا التغلبى المعاصر له. ": وظنوا أنه لا يجوز تفضيل على إلا بانتقاص غيره من السلف! والله، ما أستجيز أن أنتقص الحجاج بن يوسف، فكيف بالسلف الطيب ("؟! ١).

وكـذلك نراه يركن إلى رأى يحيى بن أكثم، الـذى قال له - عنـدما أراد الإعلان بسب معاوية على المنابر " -: والرأى أن تدع الناس كلهم على ما هم عليه، ولا تظهر أنك تميل إلى فرقة من الفرق، فإن ذلك أصلح فى السياسة، وأحرى فى التدبير، ".. ثم يدخل عليه ثمامة، فيقول له المأمون ": يا ثمامة، قد علمت ما كنا دبرناه فى معاوية، وقد عارضنا رأى هو أصلح فى تدبير المملكة، وأبقى ذكرا فى العامة الخ (". ٢).

وأيضا.. نرى شعره الذى يرويه لنا غير واحد:

أصبح دينى الـذى أدين به * ولست منه الغداة معتذرا حب على بعد النبى ولا * أشتم صديقا ولا عمرا (١) عصر المأمون ج ١ ص ٣٦٩، نقلا عن: تاريخ بغداد، لابن طيفور ج ۶ ص ٧۵، (٢) المحاسن والمساوى ص ١۴١، وضحى الإسلام ج ٢ ص ۵٨، و ج ٣ ص ١۵٢، و ١۵۶، وعصر المأمون ج ١ ص ٣٧١، والموفقيات ص ۴١، وكتاب بغداد ص ۵۴. (١٩٧) صفحهمفاتيح البحث: يحيى بن أكثم (١)، الجواز (١)، كتاب تاريخ بغداد للخطيب البغدادى (١)، مدينة بغداد (١)

ثم ابن عفان فى الجنان مع * الأبرار ذاك القتيل مصطبرا ألا ولا أشتم الزبير ولا * طلحة إن قال قائل غدرا وعائش الأم لست أشتمها * من يفتريها فنحن منه برا (١) ونراه أيضا يتجسس على عبد الله بن طاهر، ليعلم: هل له ميل إلى آل أبى طالب أولا (٢).

ونراه يقـدم على قتل الرضا (ع)، وإخوته، وآلاف من العلويين غيرهم، ويصدر أمرا لأمرائه، وقواده بالقضاء عليهم، وفض جمعهم، كما سيأتى.

ونراه كـذلك.. يرسـل إلى عـامله على مصـر، يأمره بغسل المنابر، التى دعى عليها لعلوى (هو الإمام الرضا (ع)).. إلى غير ذلك مما لا مجال لنا هنا لاستقصائه..

بينما نراه كذلك..

نراه من جهـة ثانيـة يقـدم على الإعلاـن ببراءة الذمـة ممن يـذكر معاويـة بن أبى سـفيان بخير أى أنه أراد أن يجعل تفضـيل على (ع)، والبراءة من معاوية دينا رسميا، يحمل الناس كلهم عليه، كما كان الحال بالنسبة لقضية خلق القرآن..

وقضية الإعلان بسب معاوية، وإن كان الإقدام عليه فى سنة ٢١٢ ه.

لكن تفضيله عليا، على جميع الخلق، وتقربه لولده، وإظهاره التشيع (١) البداية والنهاية ج ١٠ ص ٢٧٧، وفوات الوفيات ج ١ ص ٢۴١، ما عدا البيت الرابع.

(٢) الطبرى ج ١١ ص ١٠٩۴، طبع ليدن، والعقد الفريد للملك السعيد ص ٨۴، ٨۵ وتجارب الأمم ج ۶ المطبوع مع العيون والحدائق ص ۴۶١. (١٩٨) صـفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (٢)، الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (١)، معاويـة بن أبى سـفيان لعنهما الله (١)، عبـد الله بن طاهر (١)، القرآن الكريـم (١)، القتل (١)، الطهارة (١)، كتاب البداية والنهاية (١)

والحب لهم (١) إنمـا كـان من أول أيامه. يـدلنا على ذلك أمور كثيرة، ويكفى هجاء ابن شـكلة له، وهجاؤه لابن شـكلة شاهـدا على ذلك.

فضلا عن الكثير من الأمور الأخرى غيره.

ثم نراه بعد ذلک يبيح المتعة، ويصف الخليفة الثانی، عمر بن (۱) قال فی النجوم الزاهرة ج ۲ ص ۲۰۱، ۲۰۲،، ومثله فی تاريخ الخلفاء للسيوطی ص ۳۰۸، وغيرهما ": أن المأمون کان يبالغ فی التشيع، ويقول: إن أفضل الخلق بعد النبی علی بن أبی طالب. وأمر أن ينادی ببراءة الذمة ممن يذکر معاوية بخير، لکنه لم يتکلم فی الشيخين بسوء بل کان يترضی عنهما، ويعتقد إمامتهما.".

وهذا بعينه هو مذهب المعتزلة فی بغداد ابتداء من بشر بن المعتمر، وبشر بن غياث المريسی وغيرهم من معتزلة بغداد، حتی لقد قال بشر المريسی المعتزلی المعروف علی ما فی البداية والنهاية ج ۱۰ ص ۲۷۹:

قد قال مأموننا وسيدنا * قولا له فی الکتب تصديق إن عليا أعنی أبا حسن * خير من قد أقلت النوق بعد نبی الهدی، وإن لنا * أعمالنا والقرآن مخلوق وصرح بأنه يذهب مذهب المعتزلة کثيرون، منهم: البداية والنهاية ج ۱۰ ص ۲۷۵، وضحی الإسلام ج ۳ ص ۲۹۵، وإمبراطورية العرب ص ۶۰۰، وغيرهم، بل لقد قال خيری حماد، فی تعليقته علی ص ۶۰۱، من إمبراطورية العرب بقوله:

"أجمعت کتب التاريخ العربی علی أن المأمون مال إلی الأخذ بمذهب المعتزلة، فقرب أتباع هذا المذهب إليه إلخ، ". ويدل علی ذلک أيضا أقوال. وأشعار المأمون المتقدمة.. ولعل وصف بعض المؤرخين بالتشيع هو الذی أوهم البعض بأن المأمون کان يتشيع بالمعنی المعروف للتشيع، فجزم بذلک، وبدأ يحشد الدلائل، والشواهد، التی لا ـ تسمن، ولا ـ تغنی من جوع، وقد غفل عن أنهم يقصدون بکلمة " التشيع " المعنی اللغوی، لا المعنی الخاص المعروف الآن...

وبعد. فإن من الواضح: أن عقيدة المأمون تلک، لم تکن تثمر علی الصعيد العملی العام، فإنه کان من السياسيين. الذين لا ينطلقون فی سلوکهم، ومواقفهم الخارجية من منطلقات عقائدية، ومفاهيم إنسانية. وإنما يکون المنطلق لهم فی مواقفهم، وتصرفاتهم، هو – فقط – مصالحهم الشخصية، وما له مساس فی استمرار فرض سلطتهم، وتأکيد سيطرتهم.. (۱۹۹) صفحهمفاتيح البحث: الخليفة عمر بن الخطاب (۱)، الشهادة (۱)، کتاب البداية والنهاية (۲)، جلال الدين السيوطی الشافعی (۱)، مدرسة المعتزلة (۴)، علی بن أبی طالب (۱)، مدينة بغداد (۲)، القرآن الکريم (۱)

الخطاب ب " جعل (" ۱)، أو نحو ذلک.

ونراه أيضا أنه عندما سأل أصحابه عن: أنبل من يعلمون نبلا، وأعفهم عفة، فقال له علی بن صالح ": أعرف القصة فی عمر بن الخطاب، فأشاح بوجهه، وأعرض، وذکر کلاما ليس من جنس هذا الکتاب، فنذکره، إلخ (".. ۲) علی حد تعبير البيهقی.. وذکر طيفور: أن أبا عمر الخطابی دخل علی المأمون: فتذاکروا عمر بن الخطاب فقال المأمون: إلا ـ أنه غصبنا، فقال له أبو عمر يا أمير المؤمنين، يکون الغصب إلا بحق يد فهل کانت لکم يد، قال فسکت المأمون عن ه، واحتملها له (۳).

ولکن اعتراض الخطابی اعتراض بارد وتوجيه فاسد فهل الخلافة من الأموال أم هی حق جعله الله لهم..

بل إن الأهم من ذلک کله.. أننا نراه يصف الخلفاء الثلاثة، وغيرهم من الصحابة بأنهم ": ملحدين " ناسيا، أو متناسيا کل أقواله السابقة، وخصوصا شعره، وقوله: إنه يتحرج حتی من تنقص (۱) وفيات الأعيان ترجمة يحيی بن أکثم ج ۲ / ۲۱۸ ط سنة ۱۳۱۰ ه والسيرة الحلبية ج ۳ / ۴۶ والنص والاجتهاد ص ۱۹۳، وفی قاموس الرجال ۹ / ۳۹۷، نقلا عن الخطيب فی تاريخ بغداد: أنه کان يقول: "ومن أنت يا أحول الخ ".. ولا يخفی أنهم أرادوا تلطيف العبارة بقدر المستطاع، فحرفوها إلی ما تری.

هذا. وقد يری البعض: أن تفضيله عليا، وإعلانه بسب معاوية، وإباحته المتعة، وقوله بخلق القرآن، ليس إلا لإشغال الناس بعضهم ببعض، وصرف الناس عن التفکير بالخلافة، التی هی أعز ما فی الوجود عليه، والتی ضحی من أجلها بأخيه، وأشياعه، ووزرائه، وقواده. وکذلک من أجل صرف الناس عن أهل البيت عليهم السلام، وإبعادهم عنهم.. ولعل هذا الرأی لا يعدم بعض الشواهد التاريخية، التی تؤيده، وتدعمه، (۲) المحاسن والمساوی ص ۱۵۰.

(۳) کتاب بغداد ص ۵۱. (۲۰۰) صفحهمفاتيح البحث: علی بن صالح (۱)، النسيان (۱)، أهل بيت النبی صلی الله عليه وآله (۱)، کتاب تاريخ بغداد للخطيب البغدادی (۱)، يحيی بن أکثم (۱)، مدينة بغداد (۱)، القرآن الکريم (۱)، العزّة (۱)

الحجاج، كيف بالسلف الطيب، فاستمع إليه يقول، على ما يرويه لنا البيهقى:

ومن غاو يغص على غيظا * إذا أدنيت أولاد الوصى يحاول أن نور الله يطفى * ونور الله فى حصن أبى فقلت: أليس قد أوتيت علما * وبان لك الرشيد من الغوى وعرفت احتجاجى بالمثانى * وبالمعقول والأثر الجلى (١) بأية خلة، وبأى معنى * تفضل " ملحدين" على " على " على أعظم الثقلين حقا * وأفضلهم سوى حق النبى (٢) بل وزاد على ذلك وضرب العقيدة التى تقدم أن العباسيين قد أتوا بها لمقابلة العلويين وروجوا لها من أن الحق كان للعباس وأنه أجاز عليا فصحت خلافته وذلك بأن أظهر تقديم على على العباس فقد قال السندى بن شاهك للفضل بن الربيع يوما عن المأمون:

"سمعته اليوم قدم على بن أبى طالب على العباس بن عبد المطلب، وما ظننت أنى أعيش حتى أسمع عباسيا يقول هذا، فقال الفضل له:

تعجب من هذا؟ هذا والله كان قول أبيه قبله (" ٣) ولكن الظاهر:

أن أباه كان يكتم ذلك حتى خفى على مثل السندى المقرب، لكن الآن قد اضطرت السياسة المأمون إلى الجهر بذلك، وإظهاره.

وهكذا.. فإن المأمون لم يكن يرى أن بين كل تصرفاته المتقدمة أى تناقض، أو منافاة، بل كانت كلها فى نظره صحيحة، ومنطقية، لأنها كانت فى ظروف مختلفة، وكان لا بد له من مسايرة تلك (١) القوى خ ل.

(٢) المحاسن والمساوى، طبع دار صادر ص ۶۸، وطبع مصر ج ١ / ١٠۵.

(٣) كتاب بغداد ص ٧. (٢٠١) صفحهمفاتيح البحث: الجهر والإخفات (١)، يوم عرفة (١)، العباس بن عبد المطلب (١)، على بن أبى طالب (١)، مدينة بغداد (١)

الظروف، والانسجام معها، فلا مانع عنده، من أن يقرب العلويين إليه، ويتظاهر بإكرامهم، وتقديرهم. فى يوم. ثم منعهم من الدخول عليه، واضطهدهم، وقتلهم بالسم تارة، وبالسيف أخرى فى يوم آخر.. وهكذا.

وأيضا. لا بد من خطوة أخرى.

ولكن ذلك وحده لم يكن كافيا لإخماد ثورات العلويين، ولا لتحقيق كافة الأهداف، التى قدمنا، وسيأتى شطر منها.

فكانت خطوته التالية غريبة ومثيرة فى نفس الوقت، لكنها إذا ما أخذت الظروف آنذاك بنظر الاعتبار يتضح أنها كانت طبيعية للغاية.

ألجأته إليها الظروف والأحداث. وتلك الخطوة هى:

"أخذ البيعة للإمام على الرضا عليه السلام بولاية العهد بعده ".. وجعله أمير بنى هاشم طرا، عباسيهم، وطالبيهم (١)، ولبس الخضرة.

لم يبق إلا خيار واحد:

ومن نافلة القول هنا: أن نقول: إن ذلك يدل على فهم المأمون للداء، مما ساعده على معرفة الدواء، الذى تجرعه المأمون - رغم مرارته القاسية، التى لم تكن لتقاس أبدا بما سوف يعقبها من راحة وطمأنينة وهناء - تجرعه - بكل رضا، ورجولة، وشجاعة.

إن المأمون - على ما أعتقد - وإن كان قد ثقل عليه أمر البيعة لرجل غريب، ومن أسرة هى أقوى وأخطر المنافسين للحكم العباسى فى (١) غاية الاختصار ص ۶٨. (٢٠٢) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (١)، بنو هاشم (١)، القتل (١)، المنع (١)، الإختيار، الخيار (١)، الدواء، التداوى (١)

تلك الفترة.. ولكن ما الحيلة له بعد أن لم يعد أمامه أى خيار فى ذلك.

إلا إذا أراد أن يتغابى أو يتعامى عن ذلك الواقع المزرى الذى وصلت إليه خلافته، التى أصبحت ظلا لا يلبث أن تلتهمه أشعة الشمس المشرقة، فتحوله إلى سراب.

ما الحيلة له.. بعد أن رأى أنه لن تنقاد له الرعية والقواد، ولن تستقيم له الأمور إلا إذا أقدم على مثل تلك اللعبة الجريئة.

ولقد صرح المأمون نفسه للريان، بعد أن أخبره الريان بأن الناس يقولون: بأن البيعة للإمام كانت من تدبير الفضل بن سهل - صرح

بقوله. ": ويحك يا ريان، أيجسر أحد أن يجئ إلى خليفة، قد استقامت له الرعية، والقواد، واستوت له الخلافة، فيقول له: إدفع الخلافة من يدك إلى غيرك؟ أيجوز هذا فى العقل؟! (۱.").

مع رسالة الفضل بن سهل للإمام:

وكاتب الإمام، وألح عليه، وكاتبه الفضل بن سهل أيضا.. وبما أن فى رسالة الفضل مواضع جديرة بالملاحظة، فقد أحببت أن أشير – باختصار – إلى بعض ما يمكن استخلاصه من هذه الرسالة.

كما أننى أوردت نص هذه الرسالة بتمامه مع الوثائق الهامة، ليطلع القارئ عليها بنفسه، ويستخلص منها ما يراه مناسبا وضروريا..

أما الملاحظات التى رأيت أن من الضرورى الإشارة إليها هنا، فتتلخص بما يلى: (۱) أعيان الشيعة ج ۴ قسم ۲ ص ۱۱۳، والبحار ج ۴۹ / ۱۳۷، وعيون أخبار الرضا ج ۲ / ۱۵۱، ومسند الإمام الرضا ج ۱ / ۷۵. (۲۰۳) صفحهمفاتيح البحث: الفضل بن سهل (۳)، الإختيار، الخيار (۱)، كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام (۱)، كتاب أعيان الشيعة للأمين (۱)

ملاحظات لا بد منها:

أول ما يطالعنا فى هذه الرسالة هو استعمال الفضل لكلمة ": الرضا، " التى تنص وثيقة العهد، وغيرها: على أن المأمون هو الذى جعلها لقبا للإمام (ع) – كما سيأتى –.. فإطلاق الفضل بن سهل لكلمة " الرضا " عليه (ع) يجعلنا نقول – إن لم نقل أنه كان لقبا مشهورا ومعروفا له –: إن جعل المأمون هذا اللفظ لقبا رسميا للإمام (ع) كان بوحى من ذى الرياستين نفسه. وإن كان يمكن أن يقال عكس ذلك تماما: أى أن استعمال الفضل لهذه الكلمة كان بإيحاء من المأمون.

وثانيا: إننا بينما نرى الرسالة تشتمل على تطمين الإمام (ع): بأن قضية ولاية العهد ليست لعبة من المأمون، وإنما هى من آثار سعى ذى الرئاستين، الأمر الذى لا داعى معه للخوف والوجل على الاطلاق – بينما الرسالة تشتمل على ذلك – نراها تنص على أن قضية ولاية العهد أمر قد قضى بليل. وعلى أن هناك تصميم من ذى الرئاستين والمأمون على إمضاء هذا الأمر، وهذا يعنى: أن الممانعة والمقاومة لا تجدى ولا تفيد، ولذا فإن من الأفضل له (ع) أن يكف عن ذلك، ويمتنع عنه.

وهذا ما أشار إليه الفضل بقوله.. ": وإن كتابى هذا عن إزماع من أمير المؤمنين، عبد الله الإمام المأمون ومنى الخ."..

وثالثا: يلاحظ: أن الرسالة تتناسب فى صياغتها، وانتقاء جملها وألفاظها مع ذوق الإمام (ع) ومذهبه العقائدى، ومذهب شيعته.

وتنسجم مع ما يدعيه هو، ويدعيه آباؤه، وكان قد اشتهر وشعاع بين الناس: من أن الحق فى خلافة النبى (ص) لهم دون غيرهم. وأن الغير – أيا كانوا – ظالمون لهم، ومعتدون عليهم فى هذا الحق.

ثم يحاول الفضل أن يفهم الإمام: أنه وإن كان هو والمأمون (۲۰۴) صفحهمفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (۱)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (۱)، الفضل بن سهل (۱)

قد صمما على توليته العهد، لكنه يقول له، لكن السر فى ذلك مختلف بينى وبين المأمون، فأنا أقول فيك: أنك ابن رسول الله، وأنك المهتدى، والمقتدى، وأرى أن ذلك إرجاع لحقك إليك، ورد لمظلمتك عليك.

أما المأمون: فهو يراك شريكا فى أمره، وشقيقا فى نسبه، وأولى الناس بما تحت يده.

فالفضل يحاول بهذا أن يتقرب من الإمام، ويكتسب محبته وثقته.

ولعل إظهار هذا الاختلاف، مما اتفق عليه كل من المأمون والفضل.

وهكذا كان السياسيون، وما زالوا يتكلمون مع أندادهم باللغة، التى يرون أنها توصلهم إلى أهدافهم. وتحقق لهم مأربهم.

ورابعا: وأخيرا.. إنه بعد أن يطلب منه أن لا يضع الرسالة من يده، حتى يصير إلى باب المأمون!. نراه يضمن الرسالة إشارة واضحة: إلى أن ذلك منه (ع) يوجب صلاح الأمة به.. وما ذلك إلا لأنه كان يعلم، كما كان الكل يعلم: أنه إذا تأكد لدى الإمام (ع): أن صلاح الأمة متوقف على عمل ما من جهته، فإنه لا يتوانى، ولا يألو جهدا فى العمل بوظيفته، والقيام بواجبه.. هذا بالإضافة إلى أن فى

ذلک إشارة للحالة العامة، التی وصفناها فی بعض فصول هذا الکتاب.

ملاحظات هامة:

هذا.. وقبل الخوض فی تفصیل أسباب البیعة، لا بد من ملاحظة:

أ -: إن من الطبیعی أن یثیر تصرفه هذا حفیظة العباسیین، الذین ناصبوه العداء، وشجعوا أخاه الأمین علیه، ولسوف یزید من حنقهم، وغضبهم: حتی إنهم رضوا بإبراهیم بن شکلة المغنی خلیفة علیهم، عندما سمعوا بهذا النبأ الذی کان له وقع الصاعقة علیهم.

کما أن من الطبیعی أن یثیر دهشتهم، ویذهلهم.. بعد أن لم یکن (۲۰۵) صفحهمفاتیح البحث: الوجوب (۱)

بینهم رجالات کفاة، یدرکون ألاعیب السیاسة، ودهاء ومکر الرجال.

وقد عبر عن دهشتهم هذه نفس الخلیفة الذی اختاروه، واستعاضوا به عن المأمون. فلقد قال ابن شکلة معاتبا العباسیین:

فلا جزیت بنو العباس خیرا * علی رغمی ولا اغتبطت بری أتونی مهطعین، وقد أتاهم * بوار الدهر بالخبر الجلی وقد ذهل الحواضن عن بنیها * وصد الثدی عن فمه الصبی وحل عصائب الاملاک منها * فشدت فی رقاب بنی علی فضجت أن تشد علی رؤوس * تطالبها بمیراث النبی (۱) ب - ولکن دهشتهم وغضبهم لا قیمة لهما، فی جانب ذهاب الخلافة عنهم بالکلیة، وسفک دمائهم.. وقد أوضح لهم ذلک فی رسالة منه إلیهم، حیث قال.. ": وأما ما کنت أردته من البیعة لعلی بن موسی، بعد استحقاق منه لها فی نفسه، فما کان ذلک منی إلا أن أکون الحاقن لدمائکم، والذائد عنکم، باستدامة المودة بیننا وبینهم. ". والرسالة مذکورة فی أواخر هذا الکتاب. وقریب من ذلک ما جاء فی وثیقة العهد، مخاطبا " أهل بیت أمیر المؤمنین " حیث قال لهم.. ": راجین عائدته فی ذلک (أی فی البیعة للرضا علیه السلام) فی جمع ألفتکم، وحقن دمائکم، ولم شعثکم، وسد ثغورکم ". فلیغضبوا إذن قلیلا، فإنهم سوف یفرحون فی نهایة الأمر کثیرا، وذلک عندما یعرفون الأهداف الحقیقیة، التی کانت تکمن وراء تلک اللعبة، وأنها لم تکن إلا من أجل الابقاء علیهم، واستمرار وجودهم (۱) التنبیه والإشراف ص ۳۰۳، والولاة والقضاة للکندی ص ۱۶۸. (۲۰۶) صفحهمفاتیح البحث: الإمام علی بن موسی الرضا علیهما السلام (۱)، بنو عباس (۱)

فی الحکم، والقضاء علی أخطر خصومهم، الذین لن یکون الصدام المسلح معهم فی صالحهم، إنهم دون شک عندما تؤتی تلک اللعبة ثمارها سوف یشکرونه، ویعترفون له بالجمیل، ویعتبرون أنفسهم مدینین له مدی الحیاة، ولسوف یذکرون دائما قوله لهم فی رسالته المشار إلیها آنفا. ": فإن تزعموا أنی أردت أن یؤول إلیهم (یعنی للعلویین) عاقبة ومنفعة، فإنی فی تدبیرکم، والنظر لکم، ولعقبکم، ولأبنائکم من بعدکم.".

ومضمون هذه العبارة بعینه - تقریبا - قد جاء فی وثیقة العهد، حیث قال فیها، موجها کلامه للعباسیین، رجاء أن یلتفتوا لما یرمی إلیه من لعبته تلک.. فبعد أن طلب منهم بیعة منشرحة لها صدورهم - قال.. " -: عالمین بما أراد أمیر المؤمنین بها، وآثر طاعة الله، والنظر لنفسه، ولکم فیها، شاکرین الله علی ما ألهم أمیر المؤمنین، من قضاء حقه فی رعایتکم، وحرصه علی رشدکم، وصلاحکم، راجین عائدته فی ذلک فی جمع ألفتکم، وحقن دمائکم إلخ. ما قومناه."..

لا شک أنه إذا غضب علیه العباسیون، فإنه یقدر علی إرضائهم فی المستقبل "، وقد حدث ذلک بالفعل " عندما یطلعهم علی حقیقة نوایاه، ومخططاته، وأهدافه، ولکنه إذا خسر مرکزه، وخلافته، فإنه لا یستطیع - فیما بعد - أن یستعیدها بسهولة، أو أن یعتاض عنها بشئ ذی بال.

ج -: إن من الإنصاف هنا أن نقول: إن اختیار المأمون للرضا (ع) ولیا للعهد، کان اختیارا موفقا للغایة، کما سیتضح، وإنه لخیر دلیل علی حنکته ودهائه، وإدراکه للأسباب الحقیقیة للمشاکل التی کان یواجهها المأمون، ویعانی منها ما یعانی.

د -: إن من الأمور الجدیرة بالملاحظة هنا هو أن اختیار المأمون (۲۰۷) صفحهمفاتیح البحث: الإمام علی بن موسی الرضا علیهما السلام (۱)، الإختیار، الخیار (۲)، الخسران (۱)، البول (۱)

لولى عهده، الذى لم يقبل إلا بعد التهديد بالقتل.. كان ينطوى فى بادئ الرأى على مغامرة لا تنسجم مع ما هو معروف عن المأمون من الدهاء والسياسة، إذا ما أخذت مكانة الإمام (ع)، ونفوذه بنظر الاعتبار، سيما مع ملاحظة: أنه هو الذى كان يشكل أكبر مصدر للخطر على المأمون، ونظام حكمه، حيث إنه كان يحظى بالاحترام والتقدير، والتأييد الواسع فى مختلف الفئات والطبقات فى الأمة الإسلامية.

ولكننا إذا دققنا الملاحظة نجد أن المأمون لم يقدم على اختيار الإمام وليا للعهد، إلا وهو على ثقة من استمرار الخلافة فى بنى أبيه، حيث كان الإمام (ع) يكبره ب " ۲۲ " سنة، وعليه فجعل ولاية العهد لرجل بينه، وبين الخليفة الفعلى هذا الفارق الكبير بالسن، لم يكن يشكل خطرا على الخلافة، إذ لم يكن من المعروف، ولا المألوف أن يعيش ولى العهد – وهو بهذه السن المتقدمة – لو فرض سلامته من الدسائس والمؤامرات!.. إلى ما بعد الخليفة الفعلى، فإن ذلك من الأمور التى يبعد احتمالها جدا.

ه –: ولهذا.. ولأن ما أقدم عليه لم يكن منتظرا من مثله، وهو الذى قتل أخاه من أجل الخلافة والملك، ولأنه من تلك السلالة المعادية لأهل البيت عليهم السلام.. احتاج المأمون إلى أن يثبت صدقه، وإخلاصه فيما أقدم عليه، وأن يقنع الناس بصفاء نيته، وسلامة طويته.. فأقدم لذلك. على عدة أعمال:

فأولا: أقدم على نزع السواد شعار العباسيين، ولبس الخضرة شعار العلويين وكان يقول: إنه لباس أهل الجنة (۱). حتى إذا ما انتهى دور هذه الظاهرة بوفاة الإمام الرضا (ع) وتمكنه هو من دخول بغداد (۱) الإمام الرضا ولى عهد المأمون ص ۶۲ عن ابن الأثير. (۲۰۸) صفحهمفاتيح البحث: أهل بيت النبى صلى الله عليه وآله (۱)، الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (۱)، مدينة بغداد (۱)، الوسعة (۱)، اللبس (۱)، القتل (۲)، الإختيار، الخيار (۱)، إبن الأثير (۱)

عاد إلى لبس السواد شعار العباسيين، بعد ثمانية أيام فقط من وصوله، على حد قول أكثر المؤرخين، وقيل: بل بقى ثلاثة أشهر. نزع الخضرة رغم أن العباسيين، تابعوه، وأطاعوه فى لبسها، وجعلوا يحرقون كل ملبوس يرونه من السواد، على ما صرح به فى مآثر الإنافة، والبداية والنهاية، وغير ذلك.

وثانيا: ولنفس السبب (۱) أيضا نراه قد ضرب النقود باسم الإمام الرضا (ع).

وثالثا: أقدم للسبب نفسه على تزويج الإمام الرضا (ع) ابنته، رغم أنها كانت بمثابة حفيدة له، حيث كان يكبرها الإمام (ع) بحوالى أربعين سنة. كما أنه زوج ابنته الأخرى للإمام الجواد (ع) الذى كان لا يزال صغيرا، أى ابن سبع سنين (۲).

ومن يدرى: فلعله كان يهدف من تزويجهما أيضا إلى أن يجعل عليهما رقابة داخلية. وأن يمهد السبيل، لكى تكون الأداة الفعالة، التى

(۱) التربية الدينية ص ۱۰۰.

(۲) راجع مروج الذهب ج ۳ / ۴۴۱، وغيره من كتب التاريخ. وفى الطبرى ج ۱۱ / ۱۱۰۳، طبع ليدن، والبداية والنهاية ج ۱۰ / ۲۶۹: أنه (ع) لم يدخل بها إلا فى سنة ۲۱۵ للهجرة، ولكن يظهر من اليعقوبى ج ۲ / ۴۵۴ ط صادر: أنه زوج الجواد ابنته بعد وصوله إلى بغداد، وأمر له بألفى ألف درهم، وقال: إنى أحببت أن أكون جدا لامرئ ولده رسول الله، وعلى بن أبى طالب، فلم تلد منه انتهى. وهذا يدل على أنه قد بادر إلى تزويج الجواد بعد قتل أبيه الرضا (ع) ليبرئ نفسه من الاتهام بقتل الرضا (ع)، حيث إن الناس كانوا مقتنعين تقريبا بذلك ومطمئنين إليه، وسيأتى فى أواخر الكتاب البحث عن ظروف وملابسات وفاته (ع) ويلاحظ: أن كلمة المأمون هذه تشبه إلى حد بعيد كلمة عمر بن الخطاب حينما أراد أن يبرر إصراره غير الطبيعى على الزواج بأم كلثوم بنت على (ع) حتى لقد استعمل أسلوبا غير مألوف فى التهديد والوعيد من أجل الوصول إلى ما يريد. (۲۰۹) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (۴)، الإمام محمد بن على الجواد عليهما السلام (۱)، كتاب البداية والنهاية (۲)، اللبس (۱)، الضرب (۱)، الهدف (۱)، الزوج، الزواج (۴)، السب (۱)، تزويج أم كلثوم من عمر (۱)، كتاب مروج الذهب للمسعودى (۱)، الخليفة عمر بن الخطاب (۱)، على بن أبى طالب (۱)، مدينة بغداد (۱)، القتل (۲)، الجود (۲)

يستعملها فى القضاء على الإمام (ع)، كما كان الحال بالنسبة لولده الإمام الجواد، الذى قتل بالسم الذى دسته إليه ابنة المأمون، بأمر من عمها المعتصم (۱)، فيكون بذلك قد أصاب عدة عصافير بحجر واحد.

كما يقولون.. ويجب أن نتذكر هنا: أن المأمون كان قد حاول أن يلعب نفس هذه اللعبة مع وزيره الفضل بن سهل، فألح عليه أن يزوجه ابنته فرفض، وكان الرأى العام معه، فلم يستطع المأمون أن يفعل شيئا، كما سنشير إليه.. لكن الإمام (ع) لم يكن له إلى الرفض سبيل، ولم يكن يستطيع أن يصرح بمجبوريته على مثل هكذا زواج. لأن الرأى العام لا يقبل ذلك منه بسهولة.. بل ربما كان ذلك الرفض سببا فى تقليل ثقة الناس بالإمام، حيث يرون حينئذ أنه لا مبرر لشكوكه تلك، التى تجاوزت - بنظرهم حينئذ - كل الحدود المألوفة والمعروفة..

وعلى كل حال: فإن كل الشواهد والدلائل تشير إلى أن زواج الإمام من ابنة المأمون كان سياسيا، مفروضا إلى حد ما.. كما أننا لا نستبعد أن يكون زواج المأمون من بوران بنت الحسن بن سهل سياسيا أيضا، حيث أراد بذلك أن يوثق علاقاته مع الإيرانيين، ويجعلهم يطمئنون إليه، خصوصا بعد عودته إلى بغداد، وتركه مروا، وليبرئ نفسه من دم الفضل بن سهل، ويكتسب ثقة أخيه الحسن بن سهل، المعرف بثرائه ونفوذه.

ورابعا: وللسبب نفسه أيضا كان يظهر الاحترام والتبجيل للإمام (ع) - وإن كان يضيق عليه فى الباطن (۲) - وكذلك كانت الحال بالنسبة لإكرامه (۱) ولعله قد استفاد ذلك من سلفه معاوية، وما جرى له مع الإمام الحسن السبط عليه السلام، (۲) وقد سبقه إلى مثل ذلك سليمان عم الرشيد، عندما أرسل غلمانه، فأخذوا جنازة الكاظم عليه السلام من غلمان الرشيد، وطردوهم. ثم نادوا عليه بذلك النداء المعروف، اللائق بشأنه، فمدحه الرشيد، واعتذر إليه، ولام نفسه، حيث لم يأخذ فى اعتباره ما يترتب على ما أقدم عليه من ردة فعل لدى الشيعة، ومحبى أهل البيت عليهم السلام، والذين قد لا يكون للرشيد القدرة على مواجهتهم.

وتبعه أيضا المتوكل، حيث جاء بالإمام الهادى عليه السلام إلى سامراء، فكان يكرمه فى ظاهر الحال، ويبغى له الغوائل فى باطن الأمر، فلم يقدره الله عليه.. على ما صرح به ابن الصباغ المالكى فى الفصول المهمة ص ۲۲۶، والمجلسى فى البحار ج ۵۰ / ۲۰۳، والمفيد فى الإرشاد ص ۳۱۴. (۲۱۰) صفحجهمفاتيح البحث: مدينة بغداد (۱)، الحسن بن سهل (۲)، الفضل بن سهل (۲)، القتل (۱)، الزوج، الزواج (۲)، الجود (۱)، أهل بيت النبى صلى الله عليه وآله (۱)، الإمام الحسين بن على سيد الشهداء (عليهما السلام) (۱)، الإمام على بن محمد الهادى عليه السلام (۱)، كتاب الإرشاد للشيخ المفيد (۱)، كتاب الفصول المهمة لإبن صباغ المالكى (۱)، مدينة سامراء المقدسة (۱)، العلامة المجلسى (۱)

للعلويين، حيث قد صرح هو نفسه بأن إكرامه لهم ما كان إلا سياسة منه ودهاء، ومن أجل الوصول إلى أهداف سياسية معينة، فقد قال فى رسالته للعباسيين، المذكورة فى أواخر هذا الكتاب.. ": وأما ما كنت أردته من البيعة لعلى بن موسى ... فما كان ذلك منى، إلا أن أكون الحاقن لدمائكم، والذائد عنكم، باستدامة المودة بيننا وبينهم. وهى الطريق أسلكها فى إكرام آل أبى طالب، ومواساتهم فى الفئ، بيسير ما يصيبهم منه.".

ويذكرنى قول المأمون ": ومواساتهم فى الفئ إلخ ".. بقول إبراهيم بن العباس الصولى - وهو كاتب القوم وعاملهم - فى الرضا عندما قربه المأمون:

يمن عليكم بأموالكم * وتعطون من مئة واحدا و -: إن المأمون - ولا شك - كان يعلم: أن ذلك كله - حتى البيعة للإمام - لا يضره ما دام مصمما على التخلص من ولى عهده هذا بأساليبه الخاصة. بعد أن ينفذ ما تبقى من خطته الطويلة الأجل، للحط من الإمام قليلا قليلا، حتى يصوره للرعية بصورة من لا يستحق لهذا الأمر - كما صرح هو نفسه (۱)، وكما صرح بذلك أيضا عبد الله بن موسى فى رسالته إلى المأمون، والتى سوف نوردها فى أواخر هذا (۱) سنتكلم فى القسم الرابع من هذا الكتاب، حول تصريحات المأمون، وخططه بنوع من التفصيل إن شاء الله تعالى. (۲۱۱) صفحجهمفاتيح البحث: الهدف (۱)، الضرر (۱)

الکتاب إن شاء الله، حیث یقول له فیها.. ": وکنت ألطف حیلة منهم. بما استعملته من الرضا بنا، والتستر لمحننا، تختل واحدا فواحدا منا إلخ (". ۱).

إلی غیر ذلک من الشواهد والدلائل، التی لا تکاد تخفی علی أی باحث، أو متتبع..

أهداف المأمون من البیعة:

هذا.. وبعد کل الذی قدمناه، فإننا نستطیع فی نهایة المطاف: أن نجمل أهداف المأمون، وما کان یتوخاه من أخذ البیعة للرضا (ع) بولایة العهد بعده.. علی النحو التالی:

الهدف الأول:

أن یأمن الخطر الذی کان یتهدده من قبل تلک الشخصیة الفذة، شخصیة الإمام الرضا (ع) الذی کانت کتبه تنفذ فی المشرق والمغرب، وکان الأرضی فی الخاصة والعامة – باعتراف نفس المأمون –، حیث لا یعود باستطاعة الإمام (ع) أن یدعو الناس إلی الثورة ولا أن یأتی بأیة حرکة ضد الحکم، بعد أن أصبح هو ولی العهد فیه. ولسوف لا ینظر الناس إلی أیة بادرة عدائیة منه لنظام الحکم القائم إلا علی أنها نکران للجمیل، لا مبرر لها، ولا منطق یدعمها.

وقد أشار المأمون إلی ذلک، عندما صرح بأنه: خشی إن ترک الإمام علی حاله: أن ینفتق علیه منه ما لا یسده، ویأتی منه علیه ما لا یطیقه (۱) مقاتل الطالبیین ص ۶۲۹. (۲۱۲) صفحهمفاتیح البحث: الإمام علی بن موسی الرضا علیهما السلام (۲)، یوم عاشوراء (۱)، الهدف (۱)، الطواف، الطوف، الطائفة (۱)، کتاب مقاتل الطالبیین لأبو الفرج الأصفهانی (۱)

فأراد أن یجعله ولی عهده لیکون دعاؤه له. کما سیأتی بیانه فی فصل:

مع بعض خطط المأمون إن شاء الله تعالی.

الهدف الثانی:

أن یجعل هذه الشخصیة تحت المراقبة الدقیقة، والواعیة من قرب، من الداخل والخارج، ولیمهد الطریق من ثم إلی القضاء علیها بأسالیبه الخاصة. وقد أشرنا فیما سبق، إلی أننا لا نستبعد أن یکون من جملة ما کان یهدف إلیه من وراء تزویجه الإمام بابنته، هو: أن یجعل علیه رقیبا داخلیا موثوقا عنده هو، ویطمئن إلیه الإمام نفسه.

وإذا ما لاحظنا أیضا، أن ": المأمون کان یدس الوصائف هدیة لیطلعنه علی أخبار من شاء (۱، ").. وأنه کان: للمأمون علی کل واحد صاحب خبر (۲. "). فإننا نعرف السر فی إرساله بعض جواریه إلی الإمام الرضا (ع) بعنوان: هدیة.. وقد أرجعها الإمام (ع) إلیه مع عدة أبیات من الشعر، عندما رآها اشمأزت من شیبه (۳).

ولم یکتف بذلک، بل وضع علی الإمام (ع) عیونا آخرین، یخبرونه بکل حرکة من حرکاته، وکل تصرف من تصرفاته.

فقد کان ": هشام بن إبراهیم الراشدی من أخص الناس عند الرضا (ع)، وکانت أمور الرضا تجری من عنده، وعلی یده، ولکنه لما حمل إلی مرو اتصل هشام بن إبراهیم بذی الرئاستین، والمأمون، (۱) تاریخ التمدن الإسلامی ج ۵ جلد ۲ ص ۵۴۹، نقلا عن: العقد الفرید ج ۱ / ۱۴۸.

(۲) تاریخ التمدن الإسلامی ج ۴ جلد ۲ ص ۴۴۱، نقلا عن: المسعودی ج ۲ / ۲۲۵، وطبقات الأطباء ج ۱ / ۱۷۱، (۳) البحار ج ۴۹ / ۱۶۴، وعیون أخبار الرضا ج ۲ / ۱۷۸. (۲۱۳) صفحهمفاتیح البحث: الإمام علی بن موسی الرضا علیهما السلام (۲)، هشام بن إبراهیم الراشدی (۱)، هشام بن إبراهیم (۱)، الهدف (۱)، کتاب عیون أخبار الرضا علیه السلام (۱)، الطب، الطبابة (۱)

فحظی بذلک عندهما. وکان لا یخفی علیهما شیئا من أخباره، فولاه المأمون حجابة الرضا. وکان لا یصل إلی الرضا إلا من أحب، وضیق علی الرضا، فکان من یقصده من موالیه، لا یصل إلیه. وکان لا یتکلم الرضا فی داره بشیء إلا أورده هشام علی المأمون، وذی الرئاستین (".. ۱) وعن أبی الصلت: أن الرضا " کان یناظر العلماء، فیغلبهم، فکان الناس یقولون: والله، إنه أولی بالخلافة من المأمون،

فكان أهل الأخبار يرفعون ذلك إليه (".. ٢) وأخيرا.. فإننا نلاحظ: أن جعفر بن محمد بن الأشعث، يطلب من الإمام (ع): أن يحرق كتبه إذا قرأها، مخافة أن تقع فى يد غيره، ويقول الإمام (ع) مطمئنا له ": إنى إذا قرأت كتبه إلى أحرقتها (". ٣) إلى غير ذلك من الدلائل والشواهد الكثيرة، التى لا نرى أننا بحاجة إلى تتبعها واستقصائها.

الهدف الثالث:

أن يجعل الإمام (ع) قريبا منه، ليتمكن من عزله عن الحياة الاجتماعية، وإبعاده عن الناس، وإبعاد الناس عنه، حتى لا يؤثر عليهم بما يمتلكه من قوة الشخصية، وبما منحه الله إياه من العلم، (١) البحار ج ۴۹ / ١٣٩، ومسند الإمام الرضا ج ١ / ٧٧، ٧٨، وعيون أخبار الرضا ج ٢ / ١۵٣.

(٢) شرح ميمية أبى فراس ص ٢٠۴، والبحار ج ۴۹ / ٢٩٠، وعيون أخبار الرضا ج ٢ / ٢٣٩.

(٣) كشف الغمة ج ٣ / ٩٢، ومسند الإمام الرضا ج ١ / ١٨٧، وعيون أخبار الرضا ج ٢ / ٢١٩. (٢١۴) صفحهمفاتيح البحث: جعفر بن محمد بن الأشعث (١)، المنح (١)، كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام (٣)، كتاب كشف الغمة للإربلى (١)

والعقل، والحكمة. ويريد أن يحد من ذلك النفوذ له، الذى كان يتزايد باستمرار، سواء فى خراسان، أو فى غيرها.

وأيضا.. أن لا ـ يمارس الإمام أى نشاط لا يكون له هو دور رئيس فيه، وخصوصا بالنسبة لرجال الدولة، إذ قد يتمكن الإمام (ع) من قلوبهم، ومن ثم من تدبير شئ ضد النظام القائم. دون أن يشعر أحد.

والأهم من ذلك كله: أنه كان يريد عزل الإمام (ع) عن شيعته، ومواليه، وقطع صلاتهم به، وليقطع بذلك آمالهم، ويشتت شملهم، ويمنع الإمام من أن يصدر إليهم من أوامره، ما قد يكون له أثر كبير على مستقبل المأمون، وخلافته.

وبذلك يكون أيضا قد مهد الطريق للقضاء على الإمام (ع) نهائيا، والتخلص منه بالطريقة المناسبة، وفى الوقت المناسب.

وقد قال المأمون إنه ": يحتاج لأن يضع من الإمام قليلا قليلا، حتى يصوره أمام الرعية بصورة من لا يستحق لهذا الأمر. ثم يدبر فيه بما يحسم عنه مواد بلائه ". كما سيأتى.

وقد قرأنا آنفا أنه ": كان لا يصل إلى الرضا إلا من أحب (أى هشام بن إبراهيم) وضيق على الرضا، فكان من يقصده من مواليه، لا يصل إليه."

كما أن الرضا نفسه قد كتب فى رسالته منه إلى أحمد بن محمد البيزنطى، يقول ": وأما ما طلبت من الإذن على، فإن الدخول إلى صعب، وهؤلاء قد ضيقوا على فى ذلك الآن، فلست تقدر الآن، وسيكون إن شاء الله (". ١) (١) رجال المامقانى ج ١ / ٧٩، وعيون أخبار الرضا ج ٢ / ٢١٢. (٢١۵) صفحهمفاتيح البحث: هشام بن إبراهيم (١)، أحمد بن محمد (١)، خراسان (١)، كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام (١)

كما أننا نرى أنه عندما وصل إلى القادسية، وهو فى طريقه إلى مرو، يقول لأحمد بن محمد بن أبى نصر ": إكتر لى حجرة لها بابان: باب إلى الخان، وباب إلى خارج، فإنه أستر عليك (".. ١).

ولعل ذلك هو السبب فى طلبه من الإمام (ع)، ومن رجاء بن أبى الضحاك: أن يمرا عن طريق البصرة، فالأهواز إلخ.. كما سيأتى:

ولا نستبعد أيضا أن يكون عزل الإمام عن الناس، هو أحد أسباب إرجاع الإمام الرضا عن صلاة العيد مرتين (٢). وللسبب نفسه أيضا فرق عنه تلامذته، عندما أخبر أنه يقوم بمهمة التدريس، وحتى لا يظهر علم الإمام، وفضله.. إلى آخر ما هنالك من صفحات تاريخ المأمون السوداء.

الهدف الرابع:

إن المأمون فى نفس الوقت الذى يريد فيه أن يتخذ من الإمام مجنا يتقى به سخط الناس على بنى العباس، ويحوط نفسه من نقمة الجمهور.

يريـد أيضـا، أن يسـتغل عاطفـة الناس ومحبتهم لأهل البيت - والتى زادت (۱) بصائر الـدرجات ص ۲۴۶، ومسـند الإمام الرضا ج ۱ / ۱۵۵.

(۲) هذه القضـية معروفة ومشـهورة، فراجع: الفصول المهمة لابن الصـباغ المالكى ص ۲۴۶، ۲۴۷، ومطالب السؤول، لمحمـد بن طلحة الشافعى، طبعة حجرية ص ۸۵، وإثبات الوصية للمسعودى ص ۲۰۵، ومعادن الحكمة ص، ۱۸۰، ۱۸۱، ونور الأبصار ص ۱۴۳، وشرح ميمية أبى فراس ص ۱۶۵، وإعلام الورى ص ۳۲۲، ۳۲۳، وروضـة الواعظين ج ۱ / ۲۷۱، ۲۷۲، وأصول الكـافى ج ۱ / ۴۸۹، ۴۹۰، والبحار ج ۴۹ / ۱۳۵، ۱۳۶، ۱۷۱، ۱۷۲، وعيون أخبار الرضا، وإرشاد المفيد، وأعيان الشيعة، وكشف الغمة، وغير ذلك.

ولسوف يـأتى فصـل: خطـة الإمام، وغيره من الفصول، ما يتعلق بـذلك إن شاء الله تعالى. (۲۱۶) صـفحهمفاتيح البحث: علم المعصوم (۱)، بنو عباس (۱)، أحمد بن محمد بن أبى نصر (۱)، مدينة البصرة (۱)، الصّلاة (۱)، السب (۱)، كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام (۱)، كتاب الفصول المهمة لإبن صباغ المالكى (۱)، كتاب نور الأبصار للشبلنجى (۱)، كتاب إعلام الورى بأعلام الهدى (۱)، كتاب أصول الكافى للشيخ الكلينى (۱)، كتاب كشف الغمة للإربلى (۱)، كتاب أعيان الشيعة للأمين (۱)، محمد بن طلحة (۱)

ونمت بعد الحالة التى خلفتها الحرب بينه وبين أخيه - ويوظف ذلك فى صالحه هو، وصالح الحكم العباسى بشكل عام.

أى أنه. كان يهدف من وراء لعبته تلك، والتى كان يحسب أنها سوف تكون رابحة جدا - إلى أن يحصل على قاعدة شـعبية، واسـعة، وقويـة. حيث كان يعتقـد ويقـدر: أن نظام حكمه سوف ينال من التأييـد، والقوة، والنفوذ، بمقـدار ما كان لتلك الشخصـية من التأييد، والنفوذ والقوة. وإذا ما اسـتطاع فى نهايـة الأمر أن يقضـى عليها، فإنه يكون قد أمن خطرا عظيما، كان يتهدده من قبلها. بمقدار ما كان لها من العظمة والخطر.

إن المأمون قـد اختار لولاية عهده رجلا يحظى بالاحترام والتقدير من جميع الفئات والطبقات، وله من النفوذ، والكلمة المسـموعة، لما لم يكن لكل أحد سواه فى ذلك الحين. بل لقد كان الكثيرون يرون: أن الخلافة حق له، وينظرون إلى الهيئة الحاكمة على أنها ظالمة له وغاصبة لذلك الحق:

يقول الـدكتور الشـيبى، وهو يتحـدث عن الرضا (ع "): إن المأمون جعله ولى عهده، لمحاولة تألف قلوب الناس ضد قومه العباسـيين، الذين حاربوه، ونصروا أخاه (۱.").

ويقول:. وقد كان الرضا من قوة الشخصية، وسمو المكانة:

أن التف حوله المرجئـة، وأهل الحديث، والزيدية، ثم عادوا إلى مذاهبهم بعد موته (". ۲). (۱) الصلة بين التصوف والتشيع ص ۲۲۳، ۲۲۴.. ونحن لا نوافق الدكتور الشيبى على أنه كان يريد التقوى بذلك على العباسيين، كما اتضح، وسيتضح إن شاء الله.

(۲) المصدر السابق ص ۲۱۴. (۲۱۷) صـفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (۱)، الموت (۱)، الهدف (۱)، الحرب (۱)، الوسعة (۱)

وكذلك هو يقول - وهو مهم فيما نحن بصدده.. " -: إن الرضا لم يكن بعد توليته العهد إمام الشيعة وحدهم، وإنما مر بنا:

أن الناس، حتى أهل السنة، والزيدية، وسائر الطوائف الشيعية المتناحرة.. قد اجتمعت على إمامته، واتباعه، والالتفاف حوله (". ۱).

وهذا كما ترى تصريح واضح منه بهدف المأمون، الذى نحن بصدد بيانه.

ويقول محمـد بن طلحـة الشـافعى مشـيرا إلى ذلك، فى معرض حـديثه عن الإمام الرضا (ع.. "): نما إيمانه، وعلا شأنه، وارتفع مكانه، وكثر أعوانه، وظهر برهانه، حتى أدخله الخليفة المأمون محل مهجته، وأشركه فى مملكته (". ۲).

وتقدم أنه (ع) كان - باعتراف المأمون " - الأرضى فى الخاصة، والعامة ". وأن كتبه كانت تنفذ فى المشرق والمغرب، حتى إن البيعة له بولايـة العهـد، لم تزده فى النعمـة شـيئا.. وأنه كان له من قوة الشخصـية ما دفع أحد أعدائه لأن يقول فى حقه للمأمون ": هذا الذى بجنبك والله صنم يعبد دون الله " إلى آخر ما هنالك، مما قدمنا " غيضا من فيض منه."

كما وتقدم أيضا قول المأمون في رسالته للعباسيين.. ": وإن تزعموا:

أني أردت أن يؤول إليهم عاقبة ومنفعة (يعني للعلويين)، فإني في تدبيركم، والنظر لكم. ولعقبكم، وأبنائكم من بعدكم، ".. وأيضا عبارته التي كتبها المأمون بخط يده في وثيقة العهد، فلا نعيد.

وهكذا.. فما على العباسيين إلا أن ينعموا بالا، ويقروا عينا، فإن المأمون كان يدبر الأمر لصالحهم ومن أجلهم.. وليس كما يقوله (١) المصدر السابق ص ٢٥۶.

(٢) مطالب السؤول ص ٨۴، ٨۵. وقريب منه ما في: الإتحاف بحب الأشراف ص ۵٨. (٢١٨) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (١)، محمد بن طلحة (١)، كتاب الأشراف للشيخ المفيد (١)

الدكتور الشيبي، وغيره من أنه أراد أن يحصل على التأييد الواسع، ليقابل العباسيين، ويقف في وجههم.

إشارة هامة لا بد منها:

هذا. ويحسن بنا أن نشير هنا: إلى ما قاله ابن المعتز في الروافض.

وإلقاء نظرة فاحصة على السبب الذي جعلهم مستحقين لهذه الحملة الشعواء منه.. فهو يقول:

لقد قال الروافض في على * مقالا ـ جامعا كفرا وموقا زنادقة أرادت كسب مال * من الجهال فاتخذته سوقا وأشهد أنه منهم برى * وكان بأن يقتلهم خليقا كما كذبوا عليه وهو حى * فأطعم ناره منهم فريقا وكانوا بالرضا شغفوا زمانا * وقد نفخوا به في الناس بوقا وقالوا: إنه رب قدير * فكم لصق السواد به لصوقا (١) وهذه الأبيات تعبر عن مدى صدمة ابن المعتز، وخيبة أمله في الروافض، الذين ضايقه جدا امتداد دعوتهم في طول البلاد الإسلامية، وعرضها. وخصوصا في زمن الرضا. والذي لم يجد شيئا يستطيع أن ينتقص به إمامهم الرضا (ع) سوى أنه كان أسود اللون، وأن الروافض قالوا: إنه رب قدير.. وسر حنقه هذا على الروافض ليس هو إلا عقيدتهم في على (ع) – التي كان يراها خطرا حقيقيا على القضية العباسية – والتي تتخلص بأنه (ع): يستحق الخلافة بالنص. وهذه العقيدة والمقالة هي التي جعلتهم يستحقون من ابن المعتز أن يجمع لهم بين (١) ديوان ابن المعتز ص ٣٠٠، ٣٠١، والأدب في ظل التشيع ص ٢٠۶. (٢١٩) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (١)، الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (١)، الوسعة (١)، الكسب (١)، السب (١)

وصفي الكفر والزندقة، واتهامه لهم، بأنهم يقصدون بذلك كسب المال من الجهال. ثم يتهمهم بأنهم قد قالوا بنفس هذه المقالة في على الرضا (ع)، فقالوا: إنه الإمام الثابت إمامته بالنص، وشهروا بذلك، حتى علم به عامة الناس، ونفخوا به في الناس بوقا.. وحتى لقد التف حوله أهل الحديث، والزيدية. بل والمرجئة، وأهل السنة، على حد تعبير الشيبي، وقالوا: بإمامة أبيه، ثم بإمامته.

وبديهي.. أن لا يرتاح ابن المعتز، الذي كان في صميم الأسرة العباسية لهذا الامتداد للتشيع، ولمقالة الروافض، حيث إن ذلك يعني أن الأئمة الذين هم بين الرضا، وعلى أمير المؤمنين عليهما السلام، كلهم تثبت إمامتهم بالنص.

ولقد بلغ من حقنه عليهم، بسبب ذلك الامتداد الواسع لعقيدتهم – وخصوصا في زمان الرضا – أن دفعه إلى أن يخلط عن عمد، أو عن غير عمد بين عقيدة الروافض هذه، وبين عقيدة الغلاة، حيث أضاف إلى مقالة الروافض تلك مقالة أخرى، هي: القول بألوهية على (ع).

وإذا كنا واثقين من أن الفرق الشاسع بين عقيدة الروافض، وعقيدة الغلاة، لم يكن ليخفى على مثل ابن المعتز، بل على من هو أقل منه بمراتب، فإننا سوف ندرك بما لا مجال معه للشك:

أن يقصد بهذا الخلط المتعمد: التشنيع على الروافض، وتهجين عقيدتهم، إذ أنه يقصد ب " الروافض، – " حسبما هو صريح كلامه – خصوص القائلين بإمامة الرضا، وإمامة على أمير المؤمنين، ومن بينهما. وهو يعلم وكل أحد يعلم: أنه ليس فيهم من يقول بألوهية أحدهما، أو ألوهيتهما، أو ألوهية غيرهما من أئمة أهل البيت عليهم السلام.

وأخيرا.. فإن قول واعتراف ابن المعتز هذا – وهو من نعلم – (۲۲۰) صفحهمفاتيح البحث: أهل بيت النبى صلى الله عليه وآله (۱)، الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (۲)، الوسعة (۱)، الكسب (۱)
لخير دليل على مدى تحرر الشيعة فى زمن الرضا، واتساع نفوذهم، وعلى أن شخصية الرضا (ع)، كانت قد استقطبت قطاعا واسعا، إن لم نقل: أنه القطاع الأكبر من الأمة الإسلامية، فى طول البلاد وعرضها، فى تلك الفترة من الزمن، وقد تقدم بعض ما يدل على ذلك، فلا نعيد.

الهدف الخامس:

هذا.. ونستطيع أن نقول أيضا: إنه كان يريد أن يقوى من دعائم حكمه، حيث قد أصبح الحكم يمتلك شخصية تعنو لها الجباه بالرضا والتسليم، ولقد كان الحكم بأمس الحاجة إلى شخصية من هذا القبيل.

فى مقابل أولئك المتزلفين القاصرين، الذين كانوا يتجمعون حول الحكم العباسى، طلبا للشهرة، وطمعا بالمال، والذين لم يعد يخفى على أحد حالهم ومآلهم.. وعلى الأخص بعد أن رأى فشلهم فى صد حملات علماء الملل الأخرى، والذين كانوا قد ضاعفوا نشاطاتهم، عندما رأوا ضعف الدولة، وتمزقها، وتفرقها إلى جماعات وأحزاب.

نعم. لقد كان الحكم يحتاج إلى العلماء الأكفاء، والأحرار فى تفكيرهم، وفى نظرتهم الواعية للإنسان والحياة، ولم يعد بحاجة إلى المتزلفين، والجامدين، والانهزاميين، ولهذا نراه يستبعد أصحاب الحديث الجامدين، الذين كان أكثرهم فى الجهة المناوئة له، يشدون من أزرها، ويقيمون أودها.. ويقرب المعتزلة: كبشر المريسى، وأبى الهذيل العلاف وأضرابهما. ولكن الشخصية العلمية، التى لا يشك أحد فى تفوقها على جميع أهل الأرض علما وزهدا، وورعا وفضلا الخ. كانت منحصرة فى الإمام الرضا (ع)، باعتراف من نفس المأمون، كما قدمنا، ولهذا فقد كان الحكم يحتاج إليها أكثر من احتياجه لأية شخصية أخرى، مهما بلغت. (۲۲۱) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (۲)، مدرسة المعتزلة (۱)، الحاجة، الإحتياج (۱)

الهدف السادس:

ولعل من الأهمية بمكان بالنسبة إليه، أنه يكون فى تلك الفترة المليئة بالقلاقل والثورات، قد أتى الأمة بمفاجئة مثيرة، من شأنها أن تصرف أنظار الناس عن حقيقة ما يجرى، وما يحدث، وعن واقع المشاكل التى كان يعانى الحكم والأمة منها، وما أكثرها.

وقد عبر إبراهيم بن المهدى، عن دهشة بنى العباس فى أبياته المتقدمة.

حتى لقد ذهل – على حد قوله – الحواضن عن بنيها! وصد الثدى عن فمه الصبى "! وبعد هذا. فلسنا بحاجة إلى كبير عناء، لإدراك مدى دهشة غيرهم:

ممن رأوا وسمعوا بمعاملة العباسيين لأبناء عمهم. ولسوف ندرك مدى عظمة دهشتهم تلك إذا ما لاحظنا: أنهم كانوا سياسيا أقل وعيا وتجربة من مثل إبراهيم بن المهدى، الذى عاش فى أحضان الخلافة. وكان بمرأى ومسمع من ألاعيب السياسة، ومكر الرجال.

الهدف السابع:

هذا.. طبيعى بعد هذا: أنه قد أصبح يستطيع أن يدعى، بل لقد ادعى بالفعل – على ما فى وثيقة العهد -: أن جميع تصرفاته، وأعماله، لم يكن يهدف من ورائها، إلا الخير للأمة، ومصلحة المسلمين، وحتى قتله أخاه، لم يكن من أجل الحكم، والرياسة، بقدر ما كان من أجل خير المسلمين، والمصلحة العامة، يدل على ذلك: أنه عندما رأى أن خير الأمة، إنما هو فى إخراج الخلافة من بنى العباس كلية، وهم الذين ضحوا الكثير فى سبيلها، وقدموا من أجلها ما يعلمه كل أحد – عندما رأى ذلك – وأن ذلك لا يكون إلا بإخراجها إلى ألد أعدائهم، (۲۲۲) صفحهمفاتيح البحث: بنو عباس (۲)، الهدف (۲)
سارع إلى ذلك، بكل رضى نفس، وطيبة خاطر.. وليكون بذلك قد كفر عن جريمته النكراء، والتى كانت أحد أسباب زعزعة ثقة الناس به، ألا وهى: قتله أخاه الأمين، العزيز على العباسيين والعرب.

وليكون بذلك، قد ربط الأمة بالخلافة، وكسب ثقتها فيها، وشد قلوب الناس، وأنظارهم إليها، حيث أصبح باستطاعتهم أن ينتظروا منها أن تقيم العدل، وترفع الظلم، وأن تكون معهم، وفى خدمتهم، وتعيش قضاياهم. وليكون لها من ثم من المكانة والتقدير، وما يجعلها فى منأى ومأمن من كل من يتحينون بها الفرص، ويبغون لها الغوائل.

ويدل على ذلك – عدا عما ورد فى وثيقة العهد – ما ورد من أن المأمون كتب إلى عبد الجبار بن سعد المساحقى، عامله على المدينة: أن اخطب الناس، وادعهم إلى بيعة الرضا، فقام خطيبا، فقال:

"يا أيها الناس، هذا الأمر الذى كنتم فيه ترغبون، والعدل الذى كنتم تنتظرون، والخير الذى كنتم ترجون، هذا على بن موسى، بن جعفر، بن محمد، بن على، بن الحسين، بن على بن أبى طالب:

ستة آباؤهم ما هم * من أفضل من يشرب صوب الغمام (۱) وقد أكد ذلك بحسن اختياره، إذ قد اختار هذه الشخصية، التى تمثل – فى الحقيقة – أمل الأمة، ورجاءها، فى حاضرها، ومستقبلها، وتكون النتيجة – بعد ذلك – أنه يكون قد حصل على حماية لكل تصرف يقدم عليه فى المستقبل، وكل عمل يقوم به.. مهما كان غريبا، ومهما كان غير معقول، فإن على الأمة أن تعتبره صحيحا وسليما، (۱) العقد الفريد ج ۳ / ۳۹۲، طبع مصطفى محمد بمصر سنة ۱۹۳۵ و " ما " فى البيت زائدة.. ولا يخفى ما فى البيت، وقد أثبتناه، كما وجدناه. (۲۲۳) صفحهمفاتيح البحث: على بن الحسين بن على (۱)، جعفر بن محمد (۱)، الظلم (۱)، القتل (۱)، العزّة (۱) لا بد منه، ولا غنى عنه، وإن لم تعرف ظروفه، ودوافعه الحقيقية.

بل وحتى مع علمها بها، فإن عليها أن تؤول ما يقبل التأويل، وإلا.

فإن عليها أن تدفن رأسها فى التراب، وتتناسى ما تعلم. أو أن تعتبر نفسها قاصرة عن إدراك المصالح الحقيقية الكامنة فى تلك التصرفات الغريبة، وأن ما أدركته – ولو كان حقا – لا واقع له، ولا حقيقة وراءه.

وعلى كل حال، فإنه يتفرع على ما ذكرناه:

أولا: إنه بعد أن أقدم على ما أقدم عليه، فليس من المنطقى بعد للعرب أن يسخطوا عليه، بسبب معاملة أبيه، أو أخيه، وسائر أسلافه لهم، فإن المرء بما كسب هو، لا بما كسب أهله، ولا تزر وازرة وزر أخرى.

وكيف يجوز لهم أن يغضبوا بعد، وهو قد أرجع الخلافة إليهم، بل وإلى أعرق بيت فيهم. وعرفهم عملا: أنه لا يريد لهم، ولغيرهم، إلا الصلاح والخير..

وليس لهم بعد حق فى أن ينقموا عليه معاملته القاسية لهم، ولا قتله أخاه، ولا أن يزعجهم، ويخيفهم تقريبه للإيرانيين، ولا جعله مقر حكمه مروا إلى آخر ما هنالك.. ما دام أن الخلافة قد عادت إليهم، على حسب ما يشتهون، وعلى وفق ما يريدون.

ومن هنا.. فلا يجب أن نعجب كثيرا، حين نراهم: قد تلقوا بيعة الرضا بنفوس طيبة، وقلوب رضية. حتى أهل بغداد نرى أنهم قد تقبلوها إلى حد كبير، فقد نص المؤرخون – ومنهم الطبرى، وابن مسكويه – على أن بعضهم وافق، والبعض الآخر – وهم أنصار بنى العباس – رفض. وهذا يدل دلالة واضحة: على أن بغداد، معقل العباسيين الأول، كانت تتعاطف مع العلويين إلى درجة كبيرة.. (۲۲۴) صفحهمفاتيح البحث: مدينة بغداد (۲)، الكسب (۲)، الغنى (۱)، الدفن (۱)، الجواز (۱)، الرفض (۱)

بل ونص المؤرخون، على أن: إبراهيم بن المهدى، المعروف بابن شكلة، الذى بويع له فى بغداد غضبا من تولية الرضا للعهد: لم يستطع أن يسيطر إلا على بغداد، والكوفة والسواد (۱)، بل وحتى الكوفة قد استمرت الحرب قائمة فيها على ساق وقدم أشهرا عديدة بين أنصار المأمون، وعليهم الخضرة، وأنصار العباسيين وعليهم السواد (۲).

وثانيا: وأما الإيرانيون عامة، والخراسانيون خاصة، والمعروفون بتشيعهم للعلويين، فقد ضمن المأمون استمرار تأييدهم له، وثقتهم به، بعد أن حقق لهم غاية أمانيهم. وأغلى أحلامهم، وأثبت لهم عملا، حبه لمن يحبون، ووده لمن يودون.. وأن لا ميزة عنده لعباسى على غيره، ولا لعربى على غيره، وأن الذى يسعى إليه، هو – فقط خير الأمة، ومصلحتها، بجميع فئاتها، ومختلف طبقاتها، وأجناسها.

ملاحظة هامة:

إن من الجدير بالملاحظة هنا: أن الرضا (ع) كان قد قدم إلي إيران قبل ذلك. والظاهر أنه قدمها في حدود سنة ۱۹۳ ه. أي في الوقت المناسب لوفاة الرشيد، فقد ذكر الرضي المعاصر للمجلسي في كتابه: ضيافة الإخوان: أن عليا الرضا (ع) كان مستخفيا في قزوين في دار داوود بن سليمان الغازي أبي عبد الله، ولداوود نسخة يرويها عن الرضا (ع)، وأهل قزوين يروونها عن داوود، كإسحاق بن محمد، وعلي بن مهرويه (۳). (۱) راجع البداية والنهاية ج ۱۰ / ۲۴۸، وغيره من كتب التاريخ. وزاد أحمد شلبي في كتابه: التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ج ۳ / ۱۰۵ – زاد علي ذلك: المدائن أيضا.

(۲) راجع: الكامل لابن الأثير ج ۵ / ۱۹۰، والبداية والنهاية ج ۱۰ / ۲۴۸، وغير ذلك.

(۳) راجع كتاب: ضيافة الإخوان مخطوط في مكتبة المدرسة الفيضية في قم، في ترجمة أبي عبد الله القزويني، وعلي بن مهرويه القزويني. (۲۲۵) صفحهمفاتيح البحث: الإمام علي بن موسي الرضا عليهما السلام (۳)، دولة ايران (۱)، مدينة الكوفة (۲)، علي بن مهرويه (۲)، إسحاق بن محمد (۱)، مدينة بغداد (۲)، الحرب (۱)، كتاب الكامل لإبن الأثير (۱)، كتاب البداية والنهاية (۲)

وقال الرافعي في التدوين ": وقد اشتهر اجتياز علي بن موسي الرضا بقزوين. ويقال: إنه كان مستخفيا في دار داوود بن سليمان الغازي، روي عنه النسخة المعروفة، وروي عنه إسحاق بن محمد، وعلي بن مهرويه، وغيرهما.

قال الخليل: وابنه المدفون في مقبرة قزوين، يقال: إنه كان ابن سنتين، أو أصغر (". ۱) انتهي كلام الرافعي.

والمراد بالخليل في كلامه، هو الخليل بن عبد الله بن أحمد بن إبراهيم الخليلي، القزويني، وهو الحافظ المشهور، مصنف كتاب الإرشاد، وكتاب تاريخ قزوين، الذي فرغ من تأليفه حوالي سنة أربعمائة هجرية، وكانت وفاته سنة ۴۴۶ ه.

الهدف الثامن:

لقد كان من نتائج اختياره الإمام، والبيعة له بولاية العهد – التي كان يتوقعها –: أن أخمد ثورات العلويين في جميع الولايات والأمصار. ولعله لم تقم أية ثورة علوية ضد المأمون – بعد البيعة للرضا، سوي ثورة عبد الرحمان بن أحمد في اليمن. وكان سببها – باتفاق المؤرخين – هو فقط: ظلم الولاة وجورهم، وقد رجع إلي الطاعة بمجرد الوعد بتلبية مطالبه.

بل لا بد لنا أن نضيف إلي ذلك:

أ –: إنه ليس فقط أخمد ثوراتهم. بل لقد حصل علي ثقة (۱) التدوين قسم ۲ ورقة ۲۳۵ مخطوط في مكتبة دار التبليغ الإسلامي في قم، ترجمة علي الرضا.. (۲۲۶) صفحهمفاتيح البحث: عبد الرحمان بن أحمد (۱)، أحمد بن إبراهيم (۱)، علي بن مهرويه (۱)، إسحاق بن محمد (۱)

الكثيرين منهم، ومن والاهم، وشايعهم. والخراسانيون منهم، ويشير المأمون إلي هذا المعني في رسالته، التي أرسلها إلي عبد الله بن موسي، حيث يقول:

.. "ما ظننت أحدا من آل أبي طالب يخافني، بعد ما عملته بالرضا " والرسالة مذكورة في أواخر هذا الكتاب.. كما أنه كتب للعباسيين في بغداد في رسالته، التي أشرنا إليها غير مرة، يقول لهم:

إنه يريد بذلك أن يحقن دماءهم، ويذود عنهم، باستدامة المودة بنيهم، وبين العلويين.

ب: بل ونزيد هنا علي ما تقدم: أنه قد بايعه منهم ومن أشياعهم من لم يكن بعد قد بايعه، وهم قسم كبير جدا، بل لقد بايعه أكثر المسلمين، ودانوا له بالطاعة، بعد أن كانوا مخالفين له ممتنعين عن بيعته، حسبما قدمناه.

وهذه دون شك هي إحدي أمنيات المأمون، بل هي أجل أمنياته وأغلاها.

ج: قال ابن القفطي في معرض حديثه عن عبد الله بن سهل ابن نوبخت:

.. "هذا منجم مأموني، كبير القدر في صناعته، يعلم المأمون قدره في ذلك. وكان لا يقدم إلا عالما مشهودا له، بعد الاختيار..

وكـان المأمون قـد رأى آل أمير المؤمنين، على بن أبى طالب متخشـين، متخفين، من خوف المنصور، ومن جاء بعـده من بنى العباس. ورأى العوام قد خفيت عنهم أمورهم بالاختفاء، فظنوا ما يظنونه بالأنبياء، ويتفوهون بما يخرجهم عن الشريعة، من التغالى.

فأراد معاقبة العامة على هذا الفعل. (٢٢٧) صـفحهمفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (١)، بنو عباس (١)، عبد الله بن موسى (١)، مدينة بغداد (١)، الإخفاء (١)، الخوف (١)

ثم فكر: أنه إذا فعل هذا بالعوام زادهم إغراء به، فنظر نظرا دقيقا، وقال: لو ظهروا للناس، ورأوا فسق الفاسق منهم، وظلم الظالم، لسقطوا من أعينهم، ولانقلب شكرهم لهم ذما.

ثم قـال: إذا أمرنـاهم بالظهور خافوا، واسـتتروا، وظنوا بنا سوءا، وإنما الرأى: أن نقـدم أحـدهم، ويظهر لهم إماما، فإذا رأوا هـذا أنسوا، وظهروا، وأظهروا مـا عنـدهم من الحركـات الموجودة فى الآدميين، فيحقق للعوام حالهم، وما هم عليه، مما خفى بالاختفاء، فإذا تحقق ذلك أزلت من أقمته، ورددت الأمر إلى حالته الأولى.

وقوى هذا الرأى عنده، وكتم باطنه عن خواصه.. وأظهر للفضل ابن سهل: أنه يريد أن يقيم إماما من آل أمير المؤمنين على صلوات الله عليه.

وفكر هو وهو: فيمن يصلح، فوقع إجماعهما على الرضا، فأخذ الفضل بن سهل فى تقرير ذلك. وترتيبه وهو لا يعلم باطن الأمر.

وأخذ فى اختيار وقت لبيعة الرضا، فاختار طالع السرطان، وفيه المشترى الخ (" ١).

ثم ذكر أن عبـد الله بن سـهل أراد اختبار المأمون، فأخبره أن البيعة لا تتم إذا وقعت فى ذلك الوقت، فهدده المأمون بالقتل إن لم تقع البيعة فى ذلك الوقت بالذات، لأنه سوف يعتبر أنه هو الذى أفسد عليه ما كان دبره الخ..

وابن القفطى هنا، لا يبـدو أنه يعتبر الإمام الرضا (ع) من أولئك الذين يريد المأمون إظهار تفاهاتهم للناس، ولكنه يوجه نظره إلى بقية (١) تاريخ الحكماء ص ٢٢١، ٢٢٢. (٢٢٨) صـفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (١)، الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (١)، الفضل بن سهل (١)، القتل (١)، الإختيار، الخيار (١)

العلويين فى ذلـك.. ونحن إن كنـا لا نسـتبعد من المأمون ما ذكره ابن القفطى هنا لكننا لا نسـتطيع أن نعتبر أن هـذا كان من الأسـباب الرئيسـية لـدى المأمون، إذ لا نعتقد أن المأمون كان من السذاجة بحيث يجهل أن بقية العلويين لم يكونوا - إجمالا - على الحال التى كان يريد أن يظهرهم عليها للناس، وأنهم كانوا أكثر تدينا والتزاما من أى فئة أخرى على الاطلاق..

هذا.. ولسوف نرى أن أحمد أمين المصـرى يأخذ برأى ابن القفطى هذا. لكنه ينظر فيه إلى خصوص أئمة أهل البيت (ع)، كما سيأتى بيانه، وبيان مدى خلطه وفساده فى الفصل التالى.

د -: إنه لاـ بـد لنا من الإشارة هنا إلى أن أكثر ثورات العلويين، التى قامت ضـد المأمون - قبل البيعـة للرضا (ع) طبعا - كانت من بنى الحسن، وبالتحديـد من أولئك الـذين يتخذون نحلة الزيديـة، فأراد المأمون أن يقف فى وجههم، ويقضـى عليهم، وعلى نحلتهم تلك نهائيا، وإلى الأبد، فأقدم على ما أقدم عليه من البيعة للرضا (ع) بولاية العهد.

هـذا. وقـد كـانت نحلـة الزيديـة هـذه - شائعـة فى تلـك الفترة، وكانت تزداد قوة يوما عن يوم، وكان للقائمين بها نفوذ واسع، وكلمة مسموعة، حتى إن المهدى قد استوزر يعقوب بن داوود، وهو زيدى، وآخاه، وفوضه جمع أمور الخلافة (١) وعلى حد تعبير الشبراوى: .. "فولاـه الوزارة، وصـارت الأوامر كلها بيـديه، واسـتقل يعقوب حتى حسـده جميع أقرانه (".. ٢). (١) البدايـة والنهاية ج ١٠ / ١٤٧، وغيره من كتب التاريـخ، فراجع فصـل: مصـدر الخطر على العباسـيين، (٢) الإتحـاف بحب الأشـراف ص ١١٢. (٢٢٩) صفحهمفاتيح البحث: أهل بيت النبى صلى الله عليه وآله (١)، الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (٢)، الوسعة (١)، الجهل (١)، كتاب البداية والنهاية (١)، كتاب الأشراف للشيخ المفيد (١)

بل كان ": لا ينفذ للمهدى كتاب إلى عامل، فيجوز، حتى يكتب يعقوب إلى أمينه وثقته بإنفاذه (". ١).

وقد بلغ من نفوذ يعقوب هذا.. أن قال فيه بشار بن برد أبياته المشهورة، التى قدمناها، والتى يقول فيها ": إن الخليفة يعقوب ابن داوود ".

وقد سعى بيعقوب هذا إلى المهدى: وقيل له.. ": إن الشرق والغرب فى يد يعقوب، وأصحابه، وإنما يكفيه أن يكتب إليهم.

فيثوروا، فى يوم واحد، فيأخذوا الدنيا (". ۲).

وذلك لأنه قد ": أرسل يعقوب هذا إلى الزيدية، وأتى بهم من كل أوب، وولاهم من أمور الخلافة فى المشرق والمغرب كل جليل، وعمل نفيس، والدنيا كلها فى يديه (".. ۳).

وإذا ما عرفنا أن معاونى يعقوب إنما كانوا هم: متفقهة الكوفة، والبصرة، وأهل الشام (۴).. فإننا نعرف أن الاتجاه الزيدى سوف يؤثر كثيرا، وكثيرا جدا على الثقافة العامة، والاتجاهات الفكرية فى ذلك العصر - كما حدث ذلك فعلا.. حتى لقد صرح ابن النديم بأن:

"أكثر علماء المحدثين إلا قليلا منهم، وكذلك قوم من الفقهاء، مثل:

سفيان الثورى، وسفيان بن عيينة كانوا من الشيعة الزيدية (". ۵) وقد صرح المؤرخون أيضا: بأن أصحاب الحديث جميعهم، قد (۱) الطبرى ج ۱۰ / ۴۸۶، والكامل لابن الأثير ج ۵ / ۶۰، ومرآة الجنان ج ۱ / ۴۱۸، (۲) الكامل لابن الأثير ج ۵ / ۶۶، ۶۷، (۳) الطبرى ج ۱۰ / ۵۰۸، طبع ليدن، والوزراء والكتاب للجهشيارى ص ۱۵۸، والكامل لابن الأثير ج ۵ / ۶۶، (۴) الطبرى، طبع ليدن ج ۱۰ / ۴۸۶.

(۵) الفهرست لابن النديم ص ۲۵۳. (۲۳۰) صفحهمفاتيح البحث: مدينة الكوفة (۱)، سفيان بن عيينة (۱)، سفيان الثورى (۱)، ابن النديم (۲)، الشام (۱)، كتاب الكامل لإبن الأثير (۳)

خرجوا مع إبراهيم بن عبد الله بن الحسن، أو أفتوا بالخروج معه (۱).

وعلى كل حال.. فإن ما يهمنا بيانه هنا: هو أن المأمون كان يريد (۱) مقاتل الطالبيين ص ۳۷۷، وغيرها من الصفحات، وغيرها من الكتب. ويرى بعض أهل التحقيق: أن المقصود هو جميع أصحاب الحديث فى الكوفة. ولكن الظاهر أن المراد: الجميع مطلقا، كما يظهر من مراجعة مقاتل الطالبيين وغيره.

والأمر الذى تجدر الإشارة إليه هنا: هو أن فرقة من الزيدية، وفرقة من أصحاب الحديث، قد قالوا بالإمامة على النحو الذى يقول به الشيعة الإمامية، عندما جعل المأمون " الرضا عليه السلام " وليا لعهده. لكنهم بعد وفاة الرضا عليه السلام رجعوا عن ذلك:

قال النوبختى فى فرق الشيعة ص ۸۶:

. "وفرقة منهم تسمى " المحدثة " كانوا من أهل الإرجاء، وأصحاب الحديث، فدخلوا فى القول بإمامة موسى بن جعفر، وبعده بإمامة على بن موسى، وصاروا شيعة، رغبة فى الدنيا وتصنعا. فلما توفى على بن موسى عليه السلام رجعوا إلى ما كانوا عليه.

وفرقة كانت من الزيدية الأقوياء، والبصراء، فدخلوا فى إمامة على بن موسى (ع)، عندما أظهر المأمون فضله، وعقد بيعته، تصنعا للدنيا، واستكانوا الناس بذلك دهرا.

فلما توفى على بن موسى (ع) رجعوا إلى قومهم من الزيدية ". وقد تقدم قول الشيبى: إنه قد التف حول الرضا (ع ") المرجئة، وأهل الحديث، والزيدية، ثم عادوا إلى مذاهبهم بعد موته ".. وغير ذلك.

والذى نريد أن نقوله هنا هو: أن " الإرجاء دين الملوك " على حد تعبير المأمون (على ما نقله عنه فى ضحى الإسلام ج ۳ / ۳۲۶)، نقلا عن طيفور فى تاريخ بغداد.

وفى البداية والنهاية ج ۱۰ / ۲۷۶: أن المأمون قال للنضر بن شميل: ما الإرجاء؟.

قال ": دين يوافق الملوك، يصيبون به من دنياهم، وينقصون به من دينهم " قال:

صدقت الخ. وليراجع كتاب بغداد ص ۵۱، وعمدة القول بالإرجاء (القديم) هو: المغالاة فى الشيخين، والتوقف فى الصهرين، فالإرجاء والتشيع، وخصوصا القول بإمامة موسى بن جعفر، وولده على الرضا على طرفى نقيض ومن هنا كانت المساجلة الشعرية بين المأمون

المظهر لحب علی وولده، وابن شكلة المرجی، یقول المأمون معرضا بابن شكلة:

إذا المرجی سرک أن تراه * یموت لحینه من قبل موته فجدد عنده ذكری علی * وصل علی النبی وآل بیته أما ابن شكلة فیقول معرضا بالمأمون:

إذا الشیعی جمجم فی مقال * فسرک أن یبوح بذات نفسه فصل علی النبی وصاحبیه * وزیریه وجاریه برمسه راجع: مروج الذهب ج ۳ / ۴۱۷، والكنی والألقاب ج ۱ / ۳۳۱، وبعد هذا. فإنه لمن غرائب الأمور حقا، الانتقال دفعة واحدة من القول بالإرجاء إلی التشیع، بل إلی الرفض (وهو الغلو فی التشیع حسب مصطلحهم، والذی یتمثل بالقول بإمامة الأئمة الاثنی عشر علیهم السلام (وأغرب من ذلک العودة إلی الإرجاء بعد موت علی الرضا علیه السلام.

وهذا إن دل علی شئ، فإنما یدل علی مدی تأثیر السیاسة والمال فی هؤلاء الذین أخذوا علی عاتقهم - بادعائهم - مسؤولیة الحفاظ علی الدین والذود عن العقیدة، فإنهم كانوا فی غایة الانحطاط الدینی، یتلونون - طمعا بالمال والشهرة - ألوانا، حتی إن ذلک یحملهم علی القول بعقیدة، ثم القول بضدها، ثم الرجوع إلی المقالة الأولی، إذا رأوا أن الحاكم یرغب فی ذلک، ویمیل إلیه، ولهذا أسموا ب "الحشویة " یعنی: أتباع وحشو الملوک، وأذناب كل من غلب، ویقال لهم أیضا (وهم فی الحقیقة أهل الحدیث "): الحشویة، والنابتة، والغثاء، والغثر ". علی ما فی كتاب: تأویل مختلف الحدیث لابن قتیبة ص ۸۰.

وراجع أیضا فرق الشیعة، ورسالة الجاحظ فی بنی أمیة، وغیر ذلک.

بل لقد أطلق علیهم المأمون نفسه لفظ " الحشویة " فی مناقشته المشهورة للفقهاء والعلماء المذكور فی العقد الفرید والبحار، وعیون أخبار الرضا وغیر ذلک.

وقال عنهم الزمخشری فی مقام استعراضه للمذاهب والنحل، ومعتنقیها:

وإن قلت من أهل الحدیث وحزبه * یقولون تیس لیس یدی ویفهم ویقابل كلمة " الحشویة " كلمة " الرافضة " التی شاع إطلاقها علی الشیعة الإمامیة.

ومعناها فی الأصل: جند تركوا قائدهم. فحیث إن الشیعة لم یكونوا قائلین بإمامة أولئک المتغلبین، سموهم ب " الرافضة " ولذا جاء فی تاریخ الیعقوبی ج ۲ ص ۱۶۱:

أن معاویة كتب إلی عمرو بن العاص:

"أما بعد. فإنه قد كان من أمر علی وطلحة والزبیر ما قد بلغک، فقد سقط إلینا مروان فی رافضة أهل البصرة الخ. ".. ومثل ذلک ما فی وقعة صفین لنصر بن مزاحم ص ۳۴، فالمراد بكلمة رافضة هنا هو ذلک المعنی اللغوی الذی أشرنا إلیه، فسمی الشیعة بالرافضة، لأنهم - كما قلنا - رفضوا الانقیاد لأولئک الحكام المتغلبین.

یقول السید الحمیری علی ما جاء فی دیوانه وغیره - یهجو البعض:

أبوک ابن سارق عنز النبی * وأمک بنت أبی جحدر ونحن علی رغمک الرافضون * لأهل الضلالة والمنكر ولكن قد جاء فی الطبری، مطبعة الاستقامة ج ۶ ص ۴۹۸، والبدایة والنهایة ج ۹ ص ۳۳۰، ومقدمة ابن خلدون ص ۱۹۸، ومقالات الإسلامیین ج ۱ ص ۱۳۰، وغایة الاختصار ص ۱۳۴: أن سبب تسمیة الشیعة ب " الرافضة " هو أنهم عندما تركوا نصرة زید بن علی فی سنة ۱۲۲ ه‍. قال لهم زید: رفضتمونی، رفضكم الله، وهذا كذب راج علی بعض الشیعة أیضا حیث ذكروا وذكر الطبری فی نفس الصفحة المشار إلیها آنفا: أن التسمیة كانت من المغیرة بن سعید، لما رفضته الشیعة.. وكانت قضیته سنة ۱۱۹ ه‍.

ولكن الحقیقة هی أن التسمیة بالرافضة كانت قبل سنتی ۱۲۲ ه‍ و ۱۱۹ ه‍. فقد جاء فی المحاسن للبرقی ص ۱۱۹ طبع النجف، باب الرافضة: أن الشیعة كانوا یشكون إلی الباقر المتوفی سنة ۱۱۴ أن الولاة قد استحلوا دماءهم وأموالهم باسم ": الرافضة " الخ.

وجاء فی میزان الاعتدال طبع سنة ۱۹۶۳ م. ج ۲ ص ۵۸۴ بعد ذكره لإسناد طویل أن الشعبی المتوفی سنة ۱۰۴ ه‍. قال لأحدهم ": ائتنی

بشیعی صغیر، أخرج لک منه رافضیا کبیرا."

وفی کتاب: روض الأخبار المنتخب من ربیع الأبرار ص ۴۰، أن الشعبی قال:

"أحبب آل محمد ولا تکن رافضیا، وأثبت وعید الله، ولا تکن مرجئیا.".

بل لدینا ما یدل علی أن تسمیة الشیعة ب " الرافضة " کان قبل سنة المئة، فقد جاء فی المحاسن والمساوی للبیهقی ص ۲۱۲، طبع دار صادر وأمالی السید المرتضی ج ۱ ص ۶۸ هامش: أن لما أنشد الفرزدق أبیاته المشهورة فی الإمام زین العابدین، المتوفی سنة ۹۵ ه قال عبد الملک بن مروان المتوفی سنة ۸۶ ه للفرزدق ": أرافضی أنت یا فرزدق. "؟! وعلی کل حال: فإن ذلک کله قد کان قبل قضیتی زید والمغیرة ابن سعید بزمان بعید. (۲۳۱) صفحهمفاتیح البحث: عبد الله بن الحسن (ع) (۱)، الإمام علی بن الحسین السجاد زین العابدین علیهما السلام (۱)، شیعة أهل البیت علیهم السلام (۲)، کتاب عیون أخبار الرضا علیه السلام (۱)، الإمام علی بن موسی الرضا علیهما السلام (۶)، کتاب تاریخ بغداد للخطیب البغدادی (۱)، کتاب أمالی الصدوق (۱)، کتاب مقاتل الطالبیین لأبو الفرج الأصفهانی (۲)، کتاب مروج الذهب للمسعودی (۱)، کتاب تأویل مختلف الحدیث لابن قتیبة (۱)، کتاب البدایة والنهایة (۲)، مدینة الکوفة (۱)، مدینة النجف الأشرف (۱)، الزمخشری (۱)، الشاعر الفرزدق (۳)، المغیرة بن سعید (۱)، بنو أمیة (۱)، مدینة البصرة (۱)، عمرو بن العاص (۱)، مدینة بغداد (۱)، موسی بن جعفر (۲)، زید بن علی (۱)، نصر بن مزاحم (۱)، الموت (۲)، الغلّ (۱)، الوفاة (۴)

أن یقضی علی الزیدیة، ویکسر شوکتهم بالبیعة للإمام الرضا (ع) بولایة العهد، ولهذا نری أنه قد طبق اللقب، الذی طالما دعا إلیه الزیدیة، واعترف به العباسیون، بل ودعوا إلیه فی بدء دعوتهم ودولتهم، ألا وهو لقب ": الرضا من آل محمد، " طبقه علی علی ابن موسی (ع)، فسماه ": الرضا من آل محمد (" ۱). فأصبحت بذلک حجته قویة علی الزیدیة، بل لم یعد لهم حجة أصلا. وأصبح یستطیع أن ینام قریر العین، إذ قد أصبح " الرضا من آل محمد " موجودا، فالدعوة إلی غیره ستکون لا معنی لها البتة. ولسوف تکون مرفوضة من الناس جملة وتفصیلا. وکان ذلک بطبیعة الحال السبب الرئیسی فی إضعاف الزیدیة، وکسر شوکتهم، وشل حرکتهم.

والذی ساهم إلی حد کبیر فی إضعافهم، وشل حرکتهم، هو اختیاره الإمام (ع) بالذات، حیث إنه الرجل الذی لا یمکن لأحد کائنا من کان أن ینکر فضله، وعلمه، وتقواه، وسائر صفاته ومزایاه، التی لم تکن لأحد فی زمانه علی الاطلاق، فلیس لهم بعد طریق للاعتراض علیه: بأن الذی اختاره لولایة عهده، والخلافة من بعده، لیس أهلا (۱) راجع: الفخری فی الآداب السلطانیة، ص ۲۱۷، وضحی الإسلام ج ۳ ص ۲۹۴، والبدایة والنهایة ج ۱۰ ص ۲۴۷، والطبری، وابن الأثیر، والقلقشندی وأبو الفرج. والمفید وکل من تعرض من المؤرخین لولایة العهد. بل لقد صرح نفس المأمون بذلک فی وثیقة ولایة العهد، وهذا یکفی فی المقام.. ولقد قال دعبل:

أیا عجبا منهم یسمونک الرضا * ویلقاک منهم کلحة وغضون وهناک نصوص أخری مفادها: أنه سمی الرضا، لرضا أعدائه، وأولیائه به، وعزی الشیبی فی کتابه: الصلة بین التصوف والتشیع ص ۱۳۸: عزا رضا أعدائه به إلی قوة شخصیته علیه السلام.. أما نحن فنقول: إنه لیس من الیسیر أبدا، أن تنال شخصیة رضا کل أحد، حتی أعدائها. اللهم إلا إذا کان هناک سر إلهی، اختصت به تلک الشخصیة، دون غیرها من سائر بنی الإنسان.. (۲۳۴) صفحهمفاتیح البحث: الإمام علی بن موسی الرضا علیهما السلام (۱)، الإمام موسی بن جعفر الکاظم علیهما السلام (۱)، الحج (۱)، کتاب البدایة والنهایة (۱)، إبن الأثیر (۱)، الفرج (۱)

لما أهله له. ولو أنهم ادعوا ذلک لما صدقهم أحد، ولکانت الدائرة حینئذ فی ذلک علیهم، والخسران لهم دون غیرهم.

فذلکة لا بد منها:

هذا.. ولا یسعنا هنا إلا أن نشیر إلی أن المأمون، لم یخترع أسلوبا جدیدا للتصدی للزیدیة، والحد من نفوذهم، وکسر شوکتهم، ببیعته للرضا (ع)، إذ أنه کان قد استوحی هذه الفکرة من سلفة المهدی، الذی کان قد استوزر یعقوب بن داوود الزیدی، لیحد من نشاط الزیدیة، ویکسر شوکتهم. وکان قد نجح فی ذلک إلی حد ما: إذ لا یحدثنا التاریخ عن تحرکات زیدیة خطیرة ضد المهدی، بعد استیزاره لیعقوب، وتقریبه للزیدیة، کتلک الأحداث التی حدثت ضد المنصور، وخصوصا ثورة محمد وإبراهیم ابنی عبد الله.

کما یلاحظ أن تقریب العباسیین للزیدیة فی عصر المهدی، وتسلیطهم علی شؤون الدولة وإداراتها، لم یؤثر فی الوضع العام أثرا یخشاه العباسیون، وذلک بلا شک مما یشجع المأمون علی الإقدام علی ما کان قد عقد العزم علیه، بجنان ثابت وإرادة راسخة.
یضاف إلی ذلک: أن سهولة إبعاد العباسیین لهم عن مراکز القوة، ومناصب الحکم علی ید المهدی نفسه، الذی نکب یعقوب بن داوود، الوزیر الزیدی، حیث لم تصاحبه ردة فعل، ولا نتج عنه أیة حادثة تذکر ضد العباسیین، لا حقیرة، ولا خطیرة.. هو الذی شجع المأمون علی أن یستوحی نفس الفکرة، ویلعب نفس اللعبة، ویتبع نفس طریقة المهدی. فی مواجهتهم، وکسر شوکتهم، بالبیعة للرضا (ع) بولایة العهد بعده. (۲۳۵) صفحهمفاتیح البحث: الإمام علی بن موسی الرضا علیهما السلام (۲)
وعلی کل حال، فإن هذا أسلوب قدیم اتبعه العباسیون فی دعوتهم الأولی أیضا، حیث بایعوا للعلویین، وأظهروا أن الدعوة لهم وباسمهم..
ثم کانت النتیجة هی ما یعلمه کل أحد، حیث انقلبوا علیهم یوسعونهم قتلا وعسفا، وتشریدا عندما خافوهم. فلم یعودوا بحاجة إلیهم.
ه -: أضف إلی ذلک ما تقدم أن المأمون کان یعلم قبل أی شخص آخر بطبیعة العلاقات التی کانت قائمة بین الأئمة (ع)، وبین الزیدیة، حیث إنها کانت علی درجة من السوء والتدهور. وکان عدم التفاهم، والانسجام فیما بینهم واضحا للعیان.. حتی لقد شکی الأئمة (ع) منهم، وصرحوا: بأن الناس قد نصبوا العداوة لشیعتهم، أما الزیدیة فقد نصبوا العداوة لهم أنفسهم (۱)، وفی الکافی روایة مفادها: إنه (ع) قال إنهم قبل أن یصلوا إلی الحکم کانوا لا یطیعونهم فکیف تکون حالهم معهم لو أنهم وصلوا إلی الحکم وتبوءوا کرسی الرئاسة. (۱) راجع: الوافی للفیض ج ۱ ص ۱۴۳، باب: الناصب ومجالسته.
هذا. ولا یمنع ذلک ما ورد عنهم علیهم السلام من أن خروج الزیدیة وغیرهم علی الحکام یدرؤا به عنهم، وعن شیعتهم: فقد جاء فی السرائر قسم المستطرفات ص ۴۷۶ أنه ": ذکر بین یدی أبی عبد الله من خرج من آل محمد صلی الله علیه وآله، فقال علیه السلام:
لا أزال أنا وشیعتی بخیر ما خرج الخارجی من آل محمد إلخ ".. وذلک لأن اصطدامهم مع الحکام کان یصرف أنظار الحکام إلیهم، ویفسح المجال أمام أهل البیت وشیعتهم إلی حد ما. ولم یکن هناک مجال لاتهام الأئمة وشیعتهم بالتواطؤ معهم، مع ما کان یراه الحکام من عدم الانسجام الظاهر بین الأئمة وبین الزیدیة، وغیرهم من الثائرین وسلبیة کل فریق منهما تجاه الآخر..
وأخیرا.. فلا بد لنا هنا من الإشارة إلی أن ثورات العلویین، سواء علی الحکم الأموی، أو الحکم العباسی، قد ساهمت فی أن یبقی حق العلویین فی الحکم متحفظا بقوته وحیویته فی ضمیر الأمة، ووجدانها. ولم تؤثر علیه حملات القمع والتضلیل، التی کان الحکم القائم آنذاک یمارسها ضدهم، وضد هذا الحق الثابت لأهل البیت علیهم السلام بالنص. (۲۳۶) صفحهمفاتیح البحث: أهل بیت النبی صلی الله علیه وآله (۱)، کتاب السرائر لابن إدریس الحلی (۱)، المنع (۱)
وقد رأینا: أن عبد الله بن الحسن، عندما جاء یعرض علی الإمام الصادق (ع) کتاب أبی سلمة، الذی یدعوه فیه للقدوم إلی الکوفة، لتکون الدعوة له، وباسمه، فنهاه الإمام (ع) عن ذلک - رأیناه - ینازع الإمام الصادع الکلام، حتی قال له:
"والله، ما یمنعک من ذلک إلا الحسد إلخ ". وقد انصرف عبد الله آخر الأمر مغضبا (۱).
ورأینا أیضا أنه فی موقف آخر له مع الإمام الصادق (ع) یتهمه بنفس هذه التهمة، ویصمه بعین هذه الوصمة، وذلک عندما أرادوا البیعة لولده محمد، وأبدی الإمام (ع) رأیه فی ذلک. ذلک الرأی الذی کشفت الأیام عن صحته وسداده (۲).
بل لقد کان عیسی بن زید یقول لمحمد بن عبد الله.. ": من خالفک من آل أبی طالب، فأمکنی أضرب عنقه (". ۳) وقد تجرأ عیسی هذا أیضا علی الإمام الصادق بکلام لا نحب ذکره.
وأما موقف محمد بن عبد الله نفسه مع الإمام الصادق (ع)، فأشهر من أن یذکر، حیث إنه سجن الإمام (ع)، واستصفی أمواله، وأسمعه کلاما قاسیا، لا یلیق بمقام الإمام وسنه (۴). (۱) راجع: مروج الذهب ج ۳ ص ۳۵۴، ۳۵۵، وغیره من المصادر.
(۲) الصواعق المحرقة ص ۱۲۱، وینابیع المودة للحنفی ص ۳۳۲، ۳۶۱، ومقاتل الطالبیین ص ۲۵۵، ۲۵۶، ۲۷۰، وغیر ذلک.. وفی هذا

الأخير: أن عبد الله ابن الحسن لم يرض باستدعاء الإمام، ولا وافق عليه، عندما أرادوا البيعة لولده محمد، وبعد أن أقنعوه، وحضر الإمام، جرى بينهما ما جرى.

(٣) قاموس الرجال ج ٧ ص ٢٧٠.

(۴) قاموس الرجال ج ٧ ص ٢٧٠، و ج ٨ ص ٢۴٢، ٢۴٣ والبحار ج ۴٧ ص ٢٨۴، ٢٥٨. (٢٣٧) صفحهمفاتيح البحث: الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام (٣)، عبد الله بن الحسن (ع) (١)، مدينة الكوفة (١)، محمد بن عبد الله (٢)، عيسى بن زيد (١)، الصدق (١)، المنع (١)، كتاب مروج الذهب للمسعودى (١)، كتاب ينابيع المودة (١)، كتاب الصواعق المحرقة (١)

إلى آخر ما هنالك مما يدل على كرههم، وحقدهم على الأئمة (ع).

أو بالأحرى حسدهم لهم..

والمأمون.. كان يعلم بذلك كله، ويدركه كل الادراك، ولهذا فإننا لا نستبعد أنه – وهو الداهية الدهياء – قد أراد أيضا فى جملة ما أراد: أن يوقع الفتنة بين آل على أنفسهم. أى: بين الأئمة، والمتشيعين لهم، وبين الزيدية، ويقف هو فى موقف المتفرج المتربص حتى إذا أضعف كل واحد من الفريقين الفريق الآخر، ولم يعد فيهما بقية.. انقض هو عليهما، وقضى عليهما بأهون سبيل.

بل إن بعض الباحثين يرى: أنه أراد من لعبته هذه.. ": ضربا للثائرين العلويين من إخوة على بن موسى بأخيهم (١.").

ولو أننا استبعدنا كل ذلك، فلا أقل – كما قلنا – من أن حجته أصبحت قوية على الزيدية، وعلى كل من يدعو إلى " الرضا من آل محمد، " ولم يعد يخشى أحدا منهم، بعد أن أصبح " الرضا من آل محمد موجودا.

الهدف التاسع:

كما أنه ببيعته للإمام الرضا (ع) بولاية العهد، وقبول الإمام (ع) بذلك.. يكون قد حصل على اعتراف من العلويين، على أعلى مستوى بشرعية الخلافة العباسية، ولقد صرح المأمون بأن ذلك، كان من جملة أهدافه، حيث قال.. ": فأردنا أن نجعله ولى عهدنا، ليكون دعاؤه لنا، وليعترف بالملك والخلافة لنا ".. وسنتكلم حول تصريحات المأمون (١) هو الدكتور كامل مصطفى الشيبى فى كتابه: الصلاة بين التصوف والتشيع ص ٢١٩. (٢٣٨) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (١)، الصّلاة (١)

هذه بنوع من التفصيل فى فصل: مع بعض خطط المأمون، وغيره إن شاء الله تعالى.

نعود إلى القول: إن تصريح المأمون هذا يعطينا: أن قبول الإمام بأن يكون ولى عهد المأمون، إنما يعنى بالنسبة للمأمون: أن الإمام يكون قد أقر بأن الخلافة ليست له دون غيره، ولا فى العلويين دون غيرهم، وأنه كما يمكن أن يكون هو جديرا بها، وأهلا لها، وكذلك غيره يمكن أن يكون كذلك. وليتمكن المأمون بذلك من محاربة العلويين بنفس السلاح الذى بأيديهم، وليصير – من ثم – من الصعب استجابة الناس لهم، إذا دعوا لأية ثورة ضد حكم اعترفوا هم بشرعيته، وأيدوه، وتعاونوا معه من قبل، وعلى أعلى مستوى ومن أعظم شخصية فيهم.

بل لقد كان يريد أن يحصل من العلويين على اعتراف بأن الحكم حق للعباسيين فقط. أما هم، فليس لهم فيه أدنى نصيب، وما فعله المأمون – من إسناد ولاية العهد لواحد منهم، ما كان إلا تفضلا وكرما، ومن أجل أن يجمع شمل البيتين العلوى والعباسى، وتصفو القلوب ويمحو ما كان من أمر الرشيد وغيره من أسلافه مع العلويين.

ولقد حاول المأمون أن ينتزع من الإمام اعترافا بأن الخلافة حق للعباسيين، شفاها أيضا فكانت النتيجة عكس ما أراد المأمون، وذلك عندما عرض بالمن على الإمام بأن جعله ولى عهده، فأجابه الإمام (ع):

بأن هذا الأمر لم يزده فى النعمة شيئا، وأنه وهو فى المدينة كانت كتبه تنفذ فى المشرق والمغرب.

كما أن المأمون قد قال لحميد بن مهران، وجمع من العباسيين:

. "وليعتقد فيه المفتونون به، بأنه ليس مما ادعى فى قليل، ولا

صفحه(۲۳۹)

کثیر، وأن هذا الأمر لنا دونه ". ولسوف یأتی الکلام عن هذه التصریحات إن شاء الله کما قلنا.

وبعـد.. فإنه لا یکون من المبالغـة فی شـئ لو قلنا: إن حصول المأمون علی اعتراف من العلویین، ومن الإمام الرضا (ع) خاصة، بشـرعیة خلافته، وخلافة، بنی أبیه أخطر علی العلویین من الأسـلوب الذی انتهجه أسـلافه من أمویین وعباسیین ضدهـم،: من قتلهم، وتشریدهـم، وسلب أموالهم، إلی غیر ذلک مما هو معروف ومشهور.

الهدف العاشر:

یضاف إلی ذلک، أنه یکون قد حصل علی اعتراف ضـمنی من الإمام بشرعیة تصرفاته، طیلة فترة ولایة العهد، ولیعطی الناس - من ثم - الصورة التی یریـدها عن الحکم والحـاکم، ولیؤکـد للملأ أجمع: أن الحاکم هـذا هو سـلوکه، وهـذه هی تصـرفاته: من کان، ومهما کان، وإذن فلیس لهم بعـد حق فی أن یتطلعوا إلی حکومـة أحـد علی أن بها شـیئا جدیدا، ولا أن ینظروا إلی جهة علی أنها یمکن أن یکون بهـا المنقـذ لهم، والمخرج من الظلمـات إلی النور، حـتی ولو کـانت تلـک الجهـة هی آل بیت نـبیهم، فـإنه من الطبیعی أن یتبع السیاسـیون أسالیب، ویتکلموا بأشـیاء کثیرة، ینسـبونها بمجرد وصولهم إلی الحکم، وتسـلمهم لازمـة السـلطة، فإن تلک لا تعدو کونها تکتیکات، ووعودا انتخابیـة، یحتاجون إلیها فی ظروف معینة، ثم یسـتغنون عنها.. کما کانت الحال فی وعود المأمون، التی أشـرنا إلیها فیما تقدم.

وهکـذا. فیکون سـکوت الإمام فی فترة ولایـة العهـد، عن تصـرفات الهیئـة الحاکمة، دالا علی رضاه بها، ویعتبر إمضاء لها.. وبعد هذا.

(۲۴۰) صفحهمفاتیح البحث: الإمام علی بن موسی الرضا علیهما السلام (۱)، القتل (۱)

فلا یجب أن یکون من العسیر علی الناس أن یتصوروا طبیعـة وماهیـة حکم الإمام، وکل من یقدر له أن یصل الحکم والسـلطان، سواء من العلویین، أو من غیرهـم.

وإذا کانت الصورة واحـدة، والجوهر واحـد، والاختلاف إنما هو فقط فی الاسم والعنوان، فلیس لهم بعد حق، أو علی الأقل ما الداعی لهم، لأن یطلبوا حکما أفضل، أو حکاما أعدل، فإنه طلب لغیر موجود، وسعی وراء مفقود.

الهدف الحادی عشر:

هـذا.. وبعـد أن یکون المأمون قـد حصل علی کل ما قدمناه، وحقن دماء العباسـیین، واسـتوثقت له الممالک، ولم یعد هناک ما یعکر صفو حیاته (۱)، وقوی مرکزه، وارتفع بالخلافة من الحضـیض بالمهین، الذی أوصـلها إلیه أسلافه إلی أوج العظمة، والتمکن والمجد. وأعطاها من القوة والمنعـة، ووهبها من الحیاة فی ضـمیر الأمـة ووجـدانها ما هی بأمس الحاجـة إلیه.. ولتتمکن من ثم من الصـمود فی وجه أیـة عاصـفة، وإخماد أیـة ثورة، ومقاومة کل الأنواء، وذلک هو حلمه الکبیر، الذی طالما جهد فی تحقیقه - إنه بعد أن یکون قد حصـل علی کل ذلک وسواه مما قـدمناه: (۱) لقـد صـرح الـذهبی فی الجزء الأـول من کتابه " العبر " بأنه فی سـنة ۲۰۰ ه. استوثقت الممالک للمأمون. وهـذه هی نفس السـنة التی أتی فیها بالإمام علیه السـلام من المدینـة إلی مرو.. ولکن الیافعی فی مرآة الجنان ج ۲ ص ۸: قد جعل ذلک فی سنة ۲۰۳: أی فی السـنة التی تخلص فیها المأمون من الإمام الرضا علیه السلام بواسطة السم الذی دسه إلیه.. وفی الیعقوبی ج ۲ ص ۴۵۲ طبع صـادر: أنه فی السـنة التی غـادر فیهـا المـأمون خراسـان ": لم تبق ناحیـة من نواحی خراسان یخاف خلافها. (" ۲۴۱) صفحهمفاتیح البحث: الإمام علی بن موسی الرضا علیهما السلام (۱)، خراسان (۲)، الخوف (۱)

یکون قـد أفسـح لنظـام حکمه المجـال - تلقائیـا - لتصـفیة حسابـاته مع خصومه، أیا کانوا. وبأی وسـیلة کانت، وبهـدوء، وراحـة فکر واطمئنان إن اقتضی الأمر ذلک.

کمـا أنه یکون قـد مهـد الطریق لتنفیـذ الجزء الثانی - ولعله الأهـم - من خطته الجهنمیـة، بعیـدا عن الشـبهات، ودون أن یتعرض لتهمة أحد، أو شک من أحد.. ألا وهو: القضاء علی العلویین بالقضاء علی أعظم شخصـیة فیهم. ولیکون بذلک قد قضـی نهائیا، وإلی الأبد،

على أكبر مصدر للخطر، يمكن أن يتهدده، ويتهدد خلافته ومركزه.

إنه يريد زعزعة ثقة الناس بهم، واستئصال تعاطفهم معهم، وليحوله – إن استطاع – إلى كره ومقت، بالطرق التى لا تمس العواطف والمشاعر، ولا تثير الكثير من الشكوك والشبهات.

يظهر ذلك فى محاولاته إسقاط الإمام اجتماعيا، والوضع منه قليلا قليلا، حتى يصوره أمام الرعية بصورة من لا يستحق لهذا الأمر، وليدبر فيه فى نهاية الأمر بما يحسم عنه مواد بلائه.. كما صرح لحميد بن مهران، وجمع من العباسيين، وسنتكلم بنوع من التفصيل عن محاولات المأمون هذه، التى باءت كلها بالفشل الذريع، وعادت عليه بالخسران، لأن الإمام (ع) كان قد أحبطها عليه، بل لقد كان لها من النتائج العكسية بالنسبة إليه ما جعله يتعجل بتصفية الإمام جسديا، بعد أن أشرف هو منه (ع) على الهلاك.. بالطريقة التى حسب أنها سوف لا تثير الكثير من الشكوك والشبهات.

ملاحظة لا بد منها:

ومن الأمور الجديرة بالملاحظة هنا: أن المأمون كان يقدر أن مجرد (۲۴۲) صفحهمفاتيح البحث: الهلاك (۱)

جعل ولاية العهد للإمام، سوف يكون كافيا لتحطيمه اجتماعيا، وإسقاطه نهائيا من أعين الناس، حيث يظهر لهم بالعمل – لا بالقول: أن الإمام رجل دنيا فقط، وأن تظاهره بالزهد والتقوى ما هو إلا طلاء زائف، لا واقع له، ولا حقيقة وراءه. ولسوف تكون النتيجة هى تشويه سمعة الإمام (ع)، وزعزعة ثقة الناس به، وذلك بسبب الفارق الكبير بالسن، بين الخليفة الفعلى، وبين ولى عهده، إذ أن ولى العهد لا يكبر الخليفة الفعلى بسنتين، أو ثلاثة، أو خمسة، لا.. بل أكثر من ذلك بكثير، إنه يكبره ب " ۲۲ " سنة، وإنه لمن الأمور غير الطبيعية أبدا: أن يقبل ولاية العهد، وهو يكبر الخليفة الفعلى بهذا المقدار الكبير من السنين، ولسوف يكون قبوله لها – مع هذا الفارق بينهما – موجبا لجعله عرضة لشكوك الناس، وظنونهم، ولسوف يتسبب بوضع علامات استفهام كبيرة حوله.. كما كان الحال، بالنسبة لسؤال محمد بن عرفة، وكلام الريان المتقدم.. ولسوف يفسر (۱) ذلك من أولئك الذين لا يدركون حقيقة ما يجرى، وما يحدث، – وما أكثرهم – بتفسيرات تنسجم مع رغائب المأمون، وأهدافه. لأنهم سوف يرون أن زهده (ع) بالدنيا، ليس إلا ستارا تختفى وراءه مطامعه فيها، وحبه المستميت لها، حتى إنه ليطمع أن يعيش إلى ما بعد الخليفة الفعلى، الذى هو أصغر من ولده، ويصل إلى الحكم.. وباختصار نقول: (۱) ولكنا، مع ذلك نجد: أن قسما من أصحاب الرضا عليه السلام، ممن كانوا يراقبون الأحداث بوعى ودراية، كانوا يدركون نوايا المأمون وأهدافه هذه ففى البحار.

ج ۴۹ ص ۲۹۰، وعيون أخبار الرضا ج ۲ ص ۲۳۹: أنه قد سئل أبو الصلت:

"كيف طابت نفس المأمون بقتل الرضا مع إكرامه ومحبته له، وما جعل له من ولاية العهد بعده؟! فقال: إن المأمون كان يكرمه ويحبه لمعرفته بفضله، وجعل له ولاية العهد من بعده، ليرى الناس أنه راغب فى الدنيا، فلما لم يظهر منه إلا ما ازداد به فضلا عندهم، ومحلا فى نفوسهم، جلب عليه إلخ. (". ۲۴۳) صفحهمفاتيح البحث: يوم عرفة (۱)، كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام (۱)، أصحاب الإمام الرضا عليه السلام (۱)، القتل (۱)

إنه يريد أن.. ": يعتقد فيه المفتونون به بأنه: ليس ما ادعى فى قليل ولا كثير ". حسبما صرح به هو نفسه.. وعلى حد قول الإمام نفسه، الذى كان يدرك خطة المأمون هذه.. ": أن يقول الناس:

إن على بن موسى، لم يزهد فى الدنيا، بل زهدت الدنيا فيه، ألا ترون كيف قبل ولاية العهد طمعا بالخلافة."؟!.

كما سيأتى.

وعن الريان قال ": دخلت على الرضا، فقلت: يا ابن رسول الله، إن الناس يقولون: إنك قبلت ولاية العهد، مع إظهارك الزهد فى الدنيا؟!، فقال (ع): قد علم الله كراهتى (".. ۱) وقد أشرنا إلى سؤال محمد بن عرفة، وكلام الريان فيما تقدم.

وعلى أى شئ يبكى المأمون، ومن أجل أى شئ يشقى ويتعب، ويسهر الليالى، ويتحمل المشاق.. إلا على هذا.. إن هذا هو أجل

أمنیاته وأغلاها.

سؤال وجوابه:

قـد یدور بخلد القارئ أن ما ذکرناه هنا: فیما یتعلق بالفارق الکبیر بالسن، ینافی ما تقدم من أن المأمون کان یرید الحصول علی قاعدة شعبیة، والارتفاع بالخلافة من الحضیض الخ.

ولکن الحقیقـة هی: أنه لاـ منافـاة هنـاک.. ویمکن للمـأمون أن یقصـد کل ذلک من البیعـة، لأن مقـدار التفاوت بالسن بین الإمام (ع) والمـأمون، لم یکن ممـا یعرفه الکثیرون، ولا مما یلتفت إلیه عوام الناس فی بادئ (۱) علل الشرایع ص ۲۳۸، والبحار ج ۴۹ ص ۱۳۰، وأمالی الصدوق ص ۴۴، ۴۵. (۲۴۴) صفحهمفاتیح البحث: یوم عرفة (۱)، کتاب علل الشرایع للصدوق (۱)، کتاب أمالی الصدوق (۱) الأـمر، لأـنهم یأخـذون الأمور علی ظواهرها، ولا یتنبهون إلی مثل ذلک، إلا بعـد تنبیه وتـذکیر، فللوهلـة الأولی تجوز علیهم الخدعـة، ویقـدرون خطوة المـأمون هـذه، وتنتعش الآمـال فی نفوسـهم بالحیـاة الهنیئـة السـعیدة، تحت ظلم حکم بـدا أنه یتخـذ العـدل دیـدنا، والإنصاف طریقة..

ثم.. وبعد أن یجند المأمون أجهزة إعلامه، من أجل تسـمیم الأفکار، یجد أن نفوس الناس مهیأة ومسـتعدة لتقبل ما یلقی إلیها. ویکون لدیه – باعتقاده – من الحجج ما یکفی لإسقاط الإمام، وزعزعة ثقة الناس به. ولا یؤثر ذلک بعد ذلک علی الحکم، فإن الحکم یکون قد استنفذ أغراضه من البیعة. وحصل علی ما یرید الحصول علیه منها.. هذا ولا بد لنا هنا من ملاحظة أن المأمون وأجهزة إعلامه کانوا فی مقابل وصم الإمام بالرغبة بالدنیا والتفانی فی سبیلها.. یشـیعون بین الناس عن المأمون عکس ذلک تمام، فیطلب المأمون من وزیره أن یشیع عنه الزهد، والورع والتقوی (۱).. وأنه لا یرید مما أقدم علیه الأخیر الأمة ومصـلحتها، حیث قد اختار لولایة عهده أفضل رجل قدر علیه، رغم أن ذلک الرجل هو من ذلک البیت الذی لا یجهل أحد موقفه من حکم العباسـیین، وموقف العباسـیین منه کما یتضـح ذلک من وثیقة ولایة العهد، وغیرها.

رأی الناس فیمن یتصدی للحکم:

لعل من الواضـح أن کثیرا من الناس کانوا یرون – فی تلک الفترة من الزمن – لقصـر نظرهم، وقلة معرفتهم: أن هناک منافاة بین الزهد والورع، والتقوی، وبین المنصب، وأنهمـا لاـ یتفقـان، ولا یجتمعان. (۱) تاریخ التمدن الإسـلامی ج ۴ ص ۲۶۱. (۲۴۵) صفحهمفاتیح البحث: الدولة العباسیة (العباسیون) (۱)، الزهد (۱)، الجهل (۱)، الجواز (۱)

وقد رأینا الکثیرین یمتنعون علی تولی المناصب للحکام، لما یرونه من المنافاة المشار إلیها.

ولعل سـر فهمهم هـذا: هو أنهم کانوا قـد اعتادوا من الحکام التجاوز علی الحقوق، والدماء، والأموال، وعلی أحکام الدین، والنوامیس الإنسانیة، بشکل عام. والزهد والورع لا یتلائم مع ذلک کله، ولا ینسجم معه.

ولکن الحقیقـة هی: أن لا منافاة بینهما أبدا، فإن الحکم إذا کان وسـیلة لا یصال الخیر إلی الآخرین، ورفع الظلم عنهم، وإشاعة العدل، وإقامـة شـریعة الله تعـالی، فیجب السـعی إلیه، والعمل من أجله، وفی سبیله.. بل إذا لزم من ترک السـعی إلیه، تضـییع الحقوق، وانهیار صرح العدل، والخروج علی أحکام الدین، فإن ترک السعی هذا، یکون هو المنافی للزهد والورع والتقوی..

ولقد قاد النبی (ع) الأمة، وقبله قادها سلیمان بن داوود، وغیره، وبعده الإمام علی بن أبی طالب، وولده الحسن، ثم الحسین، وهکذا..

وحال هؤلاء فی الزهـد والورع، لا یحتاج إلی مزیـد بیان، وإقامـة برهان، بل لـم یکن علی ظهرها أزهد، ولا أتقی، ولا أفضل، ولا أورع منهم، عدوهم یعرف منهم ذلک تماما کما یعرفه منهم صدیقهم.

فعـدا عن الأنبیاء الـذین کانوا القمة فی الورع والزهد والتقوی، نری الإمام علی (ع) قمة فی ذلک أیضا، وقد رقع مدرعته حتی اسـتحیا مـن راقعهـا، وکـان راقعهـا هـو ولـده " الإمـام الحسـن (ع ") ۱). وکـان (۱) راجـع: الـدرة النجفیـة ص ۳۰۳، طبعـة حجریـة. (۲۴۶) صفحهمفاتیـح البحث: الإمام أمیر المؤمنین علی بن ابی طالب علیهما السـلام (۱)، الإمام الحسن بن علی المجتبی علیهما السلام (۱)،

على بن أبى طالب (١)، الظلم (١)، الزهد (٣)
يصلى فى بيت المال ركعتين شكرا لله، بعد فراغ المال منه. وكان يقول ": إليك عنى يا دنيا غرى غيرى، أبى تعرضت؟! الخ ".. وهو الذى قال فيه عدوه معاوية ": لو كان له بيتان: بيت من تبر، وآخر من تبن، لأنفق تبره قبل تبنه. ". إلى غير ذلك مما لا مجال لنا لتتبعه واستقصائه..

العلويون يدركون نوايا المأمون:

إن نوايا المأمون تجاه العلويين، ومحاولاته لإسقاطهم اجتماعيا، وابتزازهم سياسيا.. حتى إذا أخفق فى ذلك راح يختلهم واحدا فواحدا، كلما واتاه الظرف، وسنحت له الفرصة.. لم يكن العلويون يجهلونها، بل كانوا يدركونها كل الادراك، ولم تكن تخدعهم تلك الشعارات والأساليب المبهرجة. وحسبنا هنا أن نذكر فى مقام التدليل على هذا: أن المأمون كتب لعبد الله بن موسى، بعد وفاة الرضا، يعده بأنه يجعله ولى عهده، ويقول له ": ما ظننت أن أحدا من آل أبى طالب يخافنى بعد ما عملته بالرضا."

فأجابه عبد الله يقول ": وصل إلى كتابك، وفهمته، تختلنى فيه عن نفسى مثل القانص، وتحتال على حيلة المغتال، القاصد لسفك دمى.

وعجبت من بذلك العهد، ولايته لى بعدك، كأنك تظن: أنه لم يبلغنى ما فعلته بالرضا؟! ففى أى شئ ظننت أنى أرغب من ذلك؟ أفى الملك الذى غرتك حلاوته؟!. إلى أن يقول: أم فى العنب المسموم الذى قتلت به الرضا. "؟! ويقول له أيضا – والظاهر أنه نص آخر للرسالة " -: هبنى لا ثأر لى عندك، وعند آبائك المستحلين لدمائنا الآخذين حقنا، الذين جاهروا فى أمرنا، فحذرناهم. وكنت ألطف حيلة منهم، بما استعملته من الرضا بنا، والتستر لمحننا، تختل واحدا، (٢٤٧) صفحهمفاتيح البحث: يوم عاشوراء (١)، عبد الله بن موسى (١)، الركوع، الركعة (١)، الوفاة (١)
فواحدا منا الخ (".. ١).

ولا بد من ملاحظة: منافاة وعده هذا لعبد الله بن موسى بأن يجعل له ولاية العهد.. للرسالة التى أرسلها إلى العباسيين فى بغداد، فور وفاة الرضا (ع)، ويعدهم فيها بأن يجعل ولاية العهد فيهم، وسنشير إلى رسالته لهم فى فصل: مع بعض خطط المأمون إن شاء الله وعلى كل حال ... فإننا نستطيع أن نفهم من هذه الرسالة التى لعبد الله بن موسى أمورا، نشير إلى بعضها:

أولا: إن المأمون كان قد جعل ولاية العهد وسيلة لختل الشخصيات التى كان يخشاها، والغدر بها، إذ أن من المقبول والطبيعى – كما يرى البعض – أن يكون ولى العهد هو الذى يتآمر، ويدبر للتخلص من الخليفة الفعلى، ليختصر المسافة، ويصل إلى الحكم، الذى ينتظر الوصول إليه، والحصول عليه بفارغ الصبر. وليس من الطبيعى، ولا ـ من المقبول أن يتآمر الخليفة على ولى عهده، إلا ـ إذا كان يريد أن يجعل الخلافة لمن هو أعز عليه منه، وهذا ما نفاه المأمون عن نفسه فى أكثر من مناسبة.

وهكذا.. فإن النتيجة تكون: أن الخليفة الفعلى يكون آخر من يتهم فى ولى العهد، إذا ما راح ضحية التآمر والاغتيال، وعرف الناس ذلك. وهذا بلا شك من جملة ما كان يريده المأمون، ويسعى إليه.

ثانيا: إن المأمون رغم الصعوبات التى واجهها فى فترة تولية الرضا (ع) العهد.. يبدو أنه كان يعتبر نفسه منتصرا وناجحا فى لعبته تلك، ولذلك نرى أنه قد حاول تكرار نفس اللعبة مع عبد الله بن (١) مقاتل الطالبيين للأصفهانى ص ٦٢٨، إلى ص ٦٣١، وسنورد الرسالة فى أواخر هذا الكتاب إن شاء الله. (٢٤٨) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (٢)، عبد الله بن موسى (٢)، مدينة بغداد (١)، العزّة (١)، الصبر (١)، كتاب مقاتل الطالبيين لأبو الفرج الأصفهانى (١)
موسى. ولكن يقظة هذا الأخير، الذى كانت ظروفه تختلف عن ظروف الإمام (ع) قد فوتت عليه الفرصة، وأعادته. بخفى حنين.
كما أننا لا نستبعد أن المأمون قد أراد بالإضافة إلى ذلك التستر على غدره بالرضا (ع)، بعد أن كان قد افتضح واشتهر، رغم محاولاته الجادة للتستر والكتمان.

ثالثا: ما تقدمت الإشارة إليه من أن إكرامه للعلويين، والرضا بهم، والتستر لمحنهم، ما كان منه إلا ضمن خطة مرسومة، وإلا سياسة منه ودهاء، من أجل أن يأمن العلويون جانبه، ويطمئنوا إليه، كما يدل عليه قوله لعبد الله بن موسى ": ما ظننت أحدا من آل أبی طالب يخافنی بعد ما عملته بالرضا " وقد قدمنا أنه أشار إلى ذلک أيضا فی كتابه للعباسيين، فلا نعيد..

رابعا: أنه لم يستطع أن يخفی عن العلويين - كما لم يستطع أن يخفی عن غيرهم - غدره بالإمام الرضا (ع)، وسمه له بالعنب، وكذلک غدره بغيره من العلويين. وسر ذلک واضح، فإن جميع الدلائل والشواهد كانت متوفرة على ذلک، كما سيأتی بيان جانب من ذلک فی فصول هذا الكتاب بنوع من التفصيل.

موقف الإمام فی مواجهة مؤامرات المأمون:

لقد رأينا كيف أن المأمون أراد من لعبته تلک، التغلب على المشاكل التی كان يواجهها، والاستفادة فی تقوية دعائم خلافته، وخلافة العباسيين بشكل عام.. والسؤال الذی يطرح نفسه هنا هو: ما هو موقف الإمام (ع) نفسه من لعبة المأمون تلک، وخططه، وأهدافه؟، وهل أفسح المجال للمأمون ليحقق كل ما يريد تحقيقه، ويصل إلى ما (۲۴۹) صفحهمفاتيح البحث: الإمام علی بن موسى الرضا عليهما السلام (۲)، عبد الله بن موسى (۱)، الغلّ (۱)، الكتمان (۱)

كان يريد الوصول إليه؟.. وهل كانت لديه خطط من نوع معين، وأهداف معينة كان يسعى من أجل الوصول إليها، والحصول عليها؟!.

الحقيقة هی: أن الإمام (ع) قد استطاع، بما اتبعه من خطة حكيمة، وسلوک مثالی: أن يضيع على المأمون كافة الفرص، ويجعله يبوء بالخيبة والخسران، ويمنى بالفشل الذريع، حتى لقد أشرف المأمون منه على الهلاک، وبدا الارتباک واضحا فی كل تصرفاته، وأقواله، وأفعاله.. وسيأتی فی الفصول الآتية فی القسمين: الثالث، والرابع بيان بعض ما يتعلق بذلک إن شاء الله، المأمون فی قفص الاتهام:

وهكذا.. وبعد أن اتضحت الأسباب الحقيقية للبيعة، وبعد أن عرفنا بعض الظروف والملابسات، التی أحاطت بهذا الحدث الهام، فإننا نستطيع أن نضع المأمون، ونواياه، وأهدافه، فی قفص الاتهام، ولا يمكن أن نصدق - بعد هذا - أبدا، أی ادعاء سطحی، يحاول أن يصور لنا حسن نية المأمون من البيعة، وسلامة طويته، سيما ونحن نرى كتابه للعباسيين فی بغداد فور وفاة الرضا، وكذلک سلوكه المشبوه مع الرضا (ع) من أول يوم طلب منه فيه الدخول فی هذا الأمر، وحتى إلى ما بعد وفاته، كما سيأتی بيانه فی الفصول الآتية. وكذلک كتابه لعبد الله بن موسى المتقدم.

والأدهى من ذلک كله رسالته للسری، عامله على مصر، التی " يخبره فيها بوفاة الرضا، ويأمره بأن تغسل المنابر، التی دعی عليها لعلی بن موسى، فغسلت (". ۱). (۱) الولاة والقضاة للكندی ص ۱۷۰. (۲۵۰) صفحهمفاتيح البحث: مدينة بغداد (۱)، الهلاک (۱)، الوفاة (۱)

وكذلک لا يمكن أن نصدق بحسن نيته بالنسبة لأی واحد من العلويين، الآخرين.. كما أشرنا إليه فی رسالته لعبد الله بن موسى، التی يذكر فيها: أنه راح يختلهم واحدا فواحدا.. وأيضا عندما نرى أنه يمنعهم من الدخول عليه، بعد وفاة الرضا، ويأخذهم بلبس السواد (۱).. بل ويأمر ولاته وأمراءه بملاحقتهم، والقضاء عليهم، كما سيأتی.

مع المأمون فی وثيقة العهد:

ويحسن بنا هنا: أن نقف قليلا مع وثيقة العهد، التی كتبها المأمون للإمام (ع) بخط يده، فلقد ضمنها المأمون إشارات هامة، رأى أنها تخدم أهدافه السياسية من البيعة وحيث إننا قد تحدثنا، ولسوف نتحدث فی مطاوی هذا الكتاب عن بعض فقراتها.. فلسوف نقتصر هنا على:

أولا: إننا نلاحظ: أنه يؤكد كثيرا على نقطتين: الأولى: أنه منطلق فی هذه البيعة من طاعة الله، وإيثاره لمرضاته، الثانية: أنه لا يريد بذلک إلا مصلحة الأمة، والخير لها.

وسر ذلک واضح: فهو يريد أن يذهب باستغراب واستهجان الناس، الذين يرون الرجل الذی قتل حتى أخاه من أجل الحكم - يرونه

الآن - يتخلى عن هذا الحكم لرجل غريب، ولمن يعتبر زعيما لأخطر المنافسين للعباسيين.. كما أنه يريد بذلك أن يكتسب ثقة الناس به، وبنظام حكمه.

وعدا من ذلك فهو يريد أن يطمئن العلويين والناس إلى أن ذلك لا ينطوى على لعبة من أى نوع، بل هو أمر طبيعى فرضته طاعة الله ومرضاته، ومصلحة الأمة، والصالح العام. (۱) الكامل لابن الأثير، طبع دار الكتاب العربى ج ۵ ص ۲۰۴. (۲۵۱) صفحهمفاتيح البحث: عبد الله بن موسى (۱)، القتل (۱)، الوفاة (۱)، كتاب الكامل لإبن الأثير (۱)

وثانيا: نراه يجعل العباسيين والعلويين فى مرتبة واحدة، وذلك لكى يضمن لأهل بيته حقا فى الخلافة كآل على.

وثالثا: يلاحظ: أنه يعطى خلافته صفة الشرعية، حيث يربطها بالمصدر الأعلى (الله) وعلى حسب منطق الناس هذا تام وصحيح، لأنهم بمجرد أن يعمل أحد عملا يؤدى إلى المناداة بواحد على أنه خليفة، ويصير مقبولا لدى الناس.. إنهم بمجرد ذلك يصيرون يعتبرونه خليفة الله فى أرضه، وحجته على عباده..

وهو أيضا تام وصحيح حسب منطق العباسيين، الذين يدعون الخلافة بالإرث عن طريق العباس بن عبد المطلب، حسبما تقدم بيانه..

ولهذا نلاحظ أنه يقدم عبد الله بن العباس على على بن أبى طالب!

مع أن عبد الله تلميذ على. وليس ذلك إلا من أجل إثبات هذه النقطة، وجعل حق له بالخلافة، بل وجعل نفسه الأحق بها. هذه الخلافة التى هى منصب إلهى، وصل إليه بالطريق الشرعى، سواء على حسب منطق الناس فى تلك الفترة، أو على حسب منطق العباسيين.

وفى هذا إرضاء للعباسيين، وتطمين لهم، كما أنه فى نفس الوقت تطمين لسائر الناس، الذين كانوا غالبا - يرون الخلافة بالكيفية التى أشرنا إليها وقد أكد لهم هذا التطمين باستشهاده بقول عمر، حيث أثبت لهم: أنه لا يزال على مذهبه، وعلى نفس الخط الذى هم عليه.

ورابعا: إننا نراه فى نفس الوقت الذى يؤكد فيه مذهبه، ووجهة نظره بتلك الأساليب المتعددة والمختلفة المشار إليها آنفا - نراه فى نفس الوقت - يدعى: أنه إنما يجعل الخلافة للرضا (ع) لا من جهة أنها حق له، ولا من جهة النص عليه، حسبما يدعيه الرضا، بل من جهة أنه أفضل من قدر عليه. وهذا أمر طبيعى جدا، وليس إقرارا بمقالة (۲۵۲) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (۱)، عبد الله بن عباس (۱)، العباس بن عبد المطلب (۱)، على بن أبى طالب (۱)

الرضا.. وكما ينطبق الآن على الرضا، يمكن أن ينطبق غدا على غيره، عندما يوجد من له فضل، وأهلية.. وهذا دون شك ضربة لما يدعيه الرضا ويدعيه آباؤه من الحق فى الخلافة، ومن النص، وغير ذلك..

هذا.

ولسوف يأتى فى فصل: خطة الإمام، شرح ما كتبه الإمام (ع) على ظهر الوثيقة، ولنرى من ثم كيف نسف الإمام كل ما بناه المأمون، وصيره هباء اشتدت به الريح فى يوم عاصف.

كلمة أخيرة:

وأخيرا: فإننا مهما شككنا فى شئ، فلسنا نشك فى أن المأمون كان قد درس الوضع دراسة دقيقة، وقبل أن يقدم على ما أقدم عليه.

وأخذ فى اعتباره كافة الاحتمالات، ومختلف النتائج، سواء مما قدمناه، أو من غيره، مما أخفته عنا الأيدى الأثيمة، والأهواء الرخيصة..

وإن كانت لعبته تلك لم تؤت كل ثمارها، التى كان يرجوها منها، وذلك بسبب الخطة الحكيمة التى كان الإمام (ع) قد اتبعها.

ولعمرى.. ": إن بيعته للإمام لم تكن بيعة محاباة، إذ لو كانت كذلك لكان العباس ابنه، وسائر ولده، أحب إلى قلبه، وأجلى فى عينه.

"على حد تعبير المأمون فى رسالته للعباسيين، التى سوف نوردها فى أواخر هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

صفحه(۲۵۳)

أسباب البيعة لدى الآخرين

أسباب البیعة لدی الآخرین:

أحمد أمین المصری، وأسباب البیعة:

وعلی ضوء ما تقدم، نستطیع أن نلقی نظرة علی ما ذکره بعض المؤرخین، والباحثین، مما جعلوه أسبابا لأخذ البیعة للإمام (ع) بولایة العهد، ولنری - من ثم - أنها لا تقوی علی الصمود أمام النقد التاریخی الواعی والدقیق، إذ أنها علی الغالب: إما أنها لا تعتمد علی سند تاریخی أصلا، أو أنها تعتمد علی ما لا یصلح للاعتماد علیه.

ولعل الدکتور أحمد أمین المصری، قد جمع کلا الناحیتین فیما جعله - بنظره - أسبابا للبیعة، حیث نلاحظ: أن بعض ما ذکره لیس له أی سند تاریخی، بل التاریخ علی اختلاف أهوائه، واتجاهاته یدحضه، ویکذبه. والبعض الآخر قد اعتمد فیه علی ما لا یصح الاعتماد علیه، ولذا فلا یکون من التجنی علیه القول: إن ما ذکره کان سطحیا، أو بوحی من تعصب مذهبی رخیص..

وما ذکره یرجع إلی أسباب أربعة، رأی أنها صالحة، کلا أو بعضا، لأن تکون سببا لأخذ البیعة للرضا بولایة العهد.. ونلخصها بما یلی:
صفحه(۲۵۴)

۱ - إن المأمون قد أراد بذلک: أن یصلح بین البیتین، العلوی، والعباسی، ویجمع شملهما، لیتعاونا علی ما فیه خیر الأمة، وصلاحها. وتنقطع الفتن، وتصفو القلوب.

۲ - إنه کان معتزلیا، علی مذهب معتزلة بغداد، یری أحقیة علی (ع) وذریته بالخلافة، فأراد أن یحقق مذهبه.

۳ - إنه کان تحت تأثیر الفضل والحسن بنی سهل الفارسیین. والفرس یجری فی عروقهم التشیع، فما زالا یلقنانه آراءهما، حتی أقرها، ونفذها.

۴ " - إنه رأی أن عدم تولی العلویین للخلافة، یکسب أئمتهم شیئا من التقدیس، فإذا ولوا الحکم ظهروا للناس، وبان خطؤهم، وصوابهم، فزال عنهم هذا التقدیس (". ۱).

هذا.. وقد ادعی فی کتابه ": المهدی والمهدویة: " أن هؤلاء الأئمة کانوا یرتکبون الآثام فی الخفاء، فأراد المأمون: أن یظهرهم، لیعرفهم الناس علی حقیقتهم..

کان ذلک ما یراه أحمد أمین یصلح - کلا أو بعضا - سببا للبیعة..

آراء أحمد أمین فی المیزان:

ونحن بدورنا، وإن کنا نعتقد أن فیما قدمناه، وما سیأتی کفایة فی تفنید هذه المزاعم وإسقاطها، إلا أننا نری لزاما علینا أن نشیر بإیجاز إلی بعض ما یشیر إلی ضعفها ووهنها، معتمدین فی بقیة ما یرد علیها علی ذکاء القارئ، وتنبهه، ووعیه. فنقول: (۱) ضحی الإسلام ج ۳ ص ۲۹۵. (۲۵۵) صفحهمفاتیح البحث: الإمام أمیر المؤمنین علی بن ابی طالب علیهما السلام (۱)، مدرسة المعتزلة (۱)، مدینة بغداد (۱)، الإخفاء (۱)

أما ما ذکر أولا: فقد کفانا هو نفسه مؤونة الکلام فیه، حیث قد اعترف بأن المأمون لو کان یرمی إلیه لکان فی منتهی السطحیة والسذاجة.

وأما ما جعله سببا ثانیا: فلعله لا یقل عن سابقه فی الضعف والوهن، سیما بملاحظة ما قدمناه فی الفصلین السابقین، من الظروف التی کان المأمون یعانی منها، وأیضا ملاحظة ما سیأتی من سلوک المأمون المشبوه، مع الإمام (ع)، ومعاملته السیئة للعلویین، وکل من یتشیع معهم، ویتعاطف معهم. وعلی الأخص إذا لاحظنا: أن المأمون لم تکن عقیدته هی المنطلق له فی موافقه السیاسیة، بل کان ینطلق مما یراه یخدم مصالحه الخاصة، ویؤکد وجوده فی الحکم. وقد قدمنا أنه کان تارة یتحرج من تنقص الحجاج بن یوسف، وتارة یصف الصحابة، ما عدا الإمام علی (ع) ب " الملحدین، " ویصف الخلیفة الثانی عمر بن الخطاب ب " جعل " إلی آخر ما هنالک من الشواهد والأدلة، مما لا نری ضرورة لإعادته، ولعل الأهم من ذلک کله: أن تفضیل المعتزلة - معتزلة بغداد - علیا (ع) علی جمیع

الصحابة، لم یکن واضحا بعد فی تلک الفترة، وإنما بدأه بشر بن المعتمر حسبما سیأتی بیانه فی فصل خطة الإمام.

وعلیه فهذا الوجه لا یستقیم، علی جمیع الوجوه والتقادیر.

وأما ما جعله سببا ثالثا، فسیأتی الکلام علیه بنوع من التفصیل..

ولکننا نستغرب منه جدا، بل ونأسف کل الأسف، لما طلع به علینا، بما جعله سببا رابعا: من أن عدم تولی الأئمة للحکم یکسبهم شیئا من التقدیس، فأراد أن یولی الإمام الرضا العهد، لیزول عنهم ذلک التقدیس – وقد أشرنا سابقا إلی أنه استوحی هذه الفکرة من ابن القفطی فی تاریخ الحکماء. (۲۵۶) صفحهمفاتیح البحث: الإمام أمیر المؤمنین علی بن ابی طالب علیهما السلام (۱)، الخلیفة عمر بن الخطاب (۱)، مدرسة المعتزلة (۲)، مدینة بغداد (۱)

ولیس واضحا تماما من هم " الأئمة " الذین یقصدهم أحمد أمین فی عبارته تلک. وإذا ما کان یقصد الأئمة الاثنی عشر، حیث إنه فی معرض الحدیث عن أحدهم، وهو الإمام الرضا.. بل أعلن ذلک صراحة فی عبارته الأخری، التی أوردها فی کتابه ": المهدی والمهدویة – " إذا کان کذلک –، فإننا نری: أن لنا کل الحق فی أن نتسأل:

هل عثر أحمد أمین لهؤلاء الأئمة، أو لواحد منهم علی ما یتنافی مع التقدیس، علی مدی تاریخهم الطویل؟!

وهل یستطیع أن یثبت علیهم أدنی شئ یمس کرامتهم، ویتنافی مع مروءتهم، ویخالف دینهم ورسالتهم؟!.

ولماذا تظهر تفاهات غیرهم، وأخطاؤهم، رغم اجتهادهم وتفانیهم فی سترها، وإخفائها.. ولا تظهر أخطاء هؤلاء الأئمة، رغم اجتهاد الناس فی الافتراء علیهم، والتعرف علی أیة نقیصة أو خطأ منهم إن کان؟!.

ومتی کان هؤلاء الأئمة مستورین عن الناس، منفصلین عنهم، حتی استطاعوا أن یحصلوا علی هذا التقدیس؟!.

وهل کل شخصیة لا تصل إلی الحکم یقدسها الناس؟!.

وهل کل شخصیة تصل إلی الحکم لا یقدسها الناس؟!.

وهل التقدیس مقصور علی الشخصیة المستورة، ولاحظ للشخصیة الظاهرة منه؟!.

وهل أثر وصول الإمام علی (ع) للحکم طیلة أکثر من أربعة أعوام علی تقدیس الناس له؟!. (۲۵۷) صفحهمفاتیح البحث: الإمام أمیر المؤمنین علی بن ابی طالب علیهما السلام (۱)

وهل یستطیع أحمد أمین أن یذکر لنا خطأ واحدا، ارتکبه الإمام علی (ع)، طیلة فترة حکمه؟! رغم أن معاویة وسواه، ممن کانوا معادین للإمام (ع)، ما کانوا یألون جهدا فی الصاق التهم به، والافتراء علیه؟!.

وأما عن الإمام الرضا (ع):

فمتی کان مستورا عن الناس، بعیدا عنهم؟!.

وهل تتفق دعواه باستتار الأئمة – والرضا منهم – عن الناس، مع ما اعترف به المأمون نفسه للإمام الرضا (ع)، فیما کتبه بخط یده فی وثیقة العهد، حیث یقول.. ": وقد استبان له [أی للمأمون] ما لم تزل الأخبار علیه متواطیة، والألسن علیه متفقة، والکلمة فیه جامعة، ولما لم یزل یعرفه به من الفضل: یافعا، وناشئا، وحدثا، ومکتهلا الخ.".

فهل یعقل: أن إنسانا من هذا النوع یکون مستترا عن الناس، بعیدا عنهم، ولا یعیش فیما بینهم، منذ حداثة سنه إلی أوان اکتهاله؟!.

ومع ذلک.. فأی خطأ یستطیع أحمد أمین، أن یسجله علی الإمام الرضا (ع) طیلة الفترة التی عاشها مع المأمون، رغم محاولاته الجادة – وهو الحاکم المطلق – من أجل أن یضع من الإمام (ع) قلیلا قلیلا، ویصوره أمام الرعیة بصورة من لا یستحق لهذا الأمر، علی حد تعبیر نفس المأمون؟!.

وهل لم یقرأ أحمد أمین أقوال کبار علماء أهل السنة. وأئمتهم، وتصریحاتهم الکثیرة جدا حول أئمة أهل البیت (ع)، والإمام الرضا منهم بالذات، لیعرف مقدار عظمتهم، وطهارتهم، ونزاهتهم التی لا ـ یشک، ولا یرتاب، ولا یناقش فیها أحد؟!. (۲۵۸) صفحهمفاتیح

البحث: أهل بیت النبی صلی الله علیه وآله (۱)، الإمام علی بن موسی الرضا علیهما السلام (۳)، الإمام أمیر المؤمنین علی بن ابی طالب علیهما السلام (۱)

وأخیرا.. هل زال ذلک التقدیس عن الإمام الرضا، عندما ظهر للناس؟! أم أن الأمر کان علی عکس ذلک تماما؟!.

هذه بعض الأسئلة التی نوجهها للأستاذ ": أحمد أمین، " ولکل من یری رأیه، ویذهب مذهبه. وإننا لعلی یقین من أنها سوف لن تجد لـدی هؤلاء الجواب المقنع والمفیـد.. وإنما سـتواجه عنتا وعنادا صاعقین، یبتزان منهم کل غریبـة، ویظهران الکثیر من الترهات العجیبة.. ولکن لیطمئن بالهم، وتهدأ ثائرتهم، فإننا سوف لن نسـتغرب علیهم مثل هذه الترهات، ولن نعجب لمثل تلک الافتراءات، فما تلک إلا ": شنشنة أعرفها من أخزم."

رأی غریب آخر فی البیعة:

هذا.. ویری بعض المؤلفین: أن المأمون کان فی بیعته للرضا (ع) واقعا تحت تأثیر القوات المسلحة، وأنها هی التی أجبرته علی ذلک، حیث کان القسم الکبیر من قوادها، وزعماء فرقها یمیلون إلی العلویین، وقد شرطوا علیه: أنهم لا یفتحون نار الحرب ضد الأمین إلا إذا جعل الرضا ولی عهده، فأجابهم إلی ذلک (۱).

وأقـول: لیت هـذا المؤلف ذکر لنـا اسم ذلـک المؤرخ، الـذی نقـل له هـذا الاـشتراط من أولئـک القواد علی المـأمون، والـذی تنـافیه تصـریحات المـأمون نفسه، وسـلوکه مع الإمـام (ع)، حتی قبل أن یصل إلی مرو، وکـذلک سائر مواقفه معه، والتی تکشف عن حقیقة دوافعه ونوایاه إلی آخر ما هنالک مما قدمنا وسیأتی شطر منه. (۱) هذا ما ذکره الشـیخ القرشی فی کتابه: حیاه الإمام موسی بن جعفر ج ۲ ص ۳۸۷. (۲۵۹) صفحهمفاتیح البحث: الإمام علی بن موسی الرضا علیهما السلام (۱)، السلاح (۱)، الحرب (۱)، موسی بن جعفر (۱)

وأحسب أن هـذا المؤلف یشـیر بما ذکره هنا إلی ما ذکره جرجی زیدان فی روایته ": الأمین والمأمون " ص ۲۰۳، طبع دار الأندلس، فقـد ذکر أن الفضل بن سـهل قـد اشترط علی المأمون ذلک. واحتمل ذلک أیضا فی کتابه: تاریـخ التمـدن الإسـلامی، المجلد الثانی جزء ۴ ص ۴۳۹. وکأن مؤلفنا یریـد أن یقول: إن المأمون کان مضـطرا إلی إجابتهم: إما خوفا من انتفاضـتهم علیه، أو رغبة فی القضاء علی أخیه الأـمین، أو للسببین معا.. ولکن هـذا الاشتراط کما قلنا، لیس له أی سـند تاریخی یـدعمه، بل الشواهـد التاریخیـة کلها علی خلافه، سیما ونحن نری الفضل بن سـهل وأخوه یمانعان فی عقـد البیعة للرضا. وما ذکره " زیدان " لا یصـلح شاهدا تاریخیا، بعد أن کان روائیا، لا یلتزم بالحقائق التاریخیة. وبعد أن لاحظنا: أنه یعتمد التضلیل فی کتابه:

تاریخ التمدن الإسلامی.

وأحسب أن هذا هو عین الاتهام الموجه للفضل بن سـهل فی أمر البیعة، بأنه هو المدبر لها، والقائم بها. لکنه صـیغ بنحو آخر فیه الکثیر من الایهام والإبهام.

وفریق آخر یری:

وهنـاک بعض البـاحثین یری: أن مـن جملـة الأسـباب الهامـة للبیعـة: هـو أن المـأمون أراد أن یحـذر العباسـیین من مغبـة المخالفـة له، والاسـتمرار فی ذلـک. وأن یرغمهـم، ویـدفعهم إلی الوقـوف إلی جـانبه، بـدافع من خـوفهم من انتقـال الخلافـة عنهم إلی خصـومهم العلویین. وأن ینتقم منهم بسـبب خلعهم له من ولایـة العهـد، وتأییـدهم أخاه الأمین علیه، وتشـجیعهم له (۲۶۰) صفحهمفاتیح البحث: الفضل بن سهل (۲)، الإنتقام،النقمة (۱)، الشهادة (۱)

ضده. کما أنه یکون بذلک قد جمع المزید من المؤیدین له، لیستطیع مقابلتهم، والوقوف فی وجههم، وینتقم منهم (۱).

ولکنه رأی لا تمکن المساعدة علیه:

لأن منطق الأحـداث، وواقع ظروف المأمون یأبیان کل الإباء أن یکون هـذا سـببا منطقیا للبیعـة.. وقد قدمنا فی الفصـلین السابقین البیان

الکافی والوافی لما یتعلق بهـذا الموضوع. هـذا بالإضافـة إلی أن ذلک لا یتلائم مع ما هو معروف عن المأمون، من الـدهاء والسـیاسة، وهـل یمکن أن یقـدم المأمون علی خلق وإثارة مشاکل هو فی غنی عنها؟ وعلی الأخص فی تلک الفترة من الزمن، التی کانت طافحة بالمشاکل، وکان العصیان فیها معلنا فی أکثر مناطق الدولة، ومهددا به من کل جانب ومکان؟!.

إن الحقیقة هی: أن المأمون فی تلک الفترة بالذات، وکان بحاجة إلی أن یکتسب ثقة وحب أی إنسان کان. فضلا عن ثقة وحب أهل بیته، وعشیرته: العباسیین.

ثم.. وهل یمکن أن یلجأ المأمون للانتقام منهم، إلی هذا الأسلوب بالعاجز، بعد أن خضعوا له وانقادوا لأمره، وسلموا بالأمر الواقع، بعد مقتل الأمین؟!

ولماذا لا یقدر: أنهم سوف یقابلونه بالمثل، ویقومون فی وجهه، ثأرا لکرامتهم، ودفاعا عن وجودهم؟!.

ولمـاذا یعطیهـم الفرصـة لإـبراز عضـلاتهم ضـده، ویجعلهم یفکرون فی (۱) الصـلة بیـن التصـوف والتشـیع ص ۲۱۹، والإمـام الصادق والمذاهب الأربعة ج ۲ جزء ۴ ص ۴۹۲، والتربیة الدینیة للفضلی ص ۱۰۰، الطبعة الخامسة، وغیر ذلک. (۲۶۱) صفحهمفاتیح البحث: الوقوف (۱)، الغنی (۱)، القتل (۱)، الصدق (۱)

تحدی سـلطته، وهتک حرمته؟!. حیث رأیناهم قد خلعوا المأمون، بسـبب بیعته للإمام (ع)، وبایعوا لإبراهیم بن المهدی، فی أواخر ذی الحجة، من نفس السنة التی بویع فیها للإمام (ع) بولایة العهد.

وأخیرا.. ألم یکن باسـتطاعة المأمون أن یصـفی حساباته مع خصومه الضـعفاء جـدا، الـذین کاد یلتهمهم المد العلوی ویقضـی علیهم، بأسالیب أخری، أقل إثارة، وأشد نکایة؟!.

ولقـد أشـرنا، ولسوف نشیر إلی مـا قـاله المـأمون لحمیـد بن مهران، وجمع من العباسـیین. بـل ویکفینـا هنا: أن نلقی نظرة علی ما قاله المـأمون للعباسـیین فی کتـابه المعروف لهم، یقول المـأمون. ": فإن تزعموا أنی أردت أن یؤول إلیهم (یعنی للعلویین) عاقبـة ومنفعـة، فإنی فی تدبیرکم، والنظر لکم، ولعقبکم، وأبنائکم من بعدکم ".. وکذلک ما کتبه بخط یده فی وثیقة العهد.. إلی آخر ما هنالک مما لا مجال لنا هنا لتتبعه..

فتلخص أن ما ذکر هنا، لا یمکن أن ینسجم مع ما یقال عن حنکة المأمون، ودهائه السیاسی.

الفضل فی قفص الاتهام:

وأخیرا.. فـإن بعض المؤلفین، کأحمـد أمین فی کلاـمه المتقـدم، وجرجی زیـدان (۱) وأحمد شـلبی (۲)، وغیرهم. وبعض المـؤرخین کابن الأثیر فی الکامل، طبعة ثالثة ج ۵ ص ۱۲۳، وابن الطقطقی فی: (۱) تاریخ التمدن الإسلامی، المجلد الثانی جزء ۴ ص ۴۳۹.

(۲) التاریخ الإسلامی والحضارة الإسلامیة ج ۳ ص ۳۲۰. (۲۶۲) صفحهمفاتیح البحث: شهر ذی الحجة (۱)

الفخری فی الآداب السـلطانیة ص ۲۱۷، وغیرهما.. یرون أن الفضل بن سـهل کان العامل الرئیسـی فی لعبـة " ولایـة العهد " هذه، وأن المأمون کان فی ذلک واقعا تحت تأثیر الفضل، الذی کان یتشیع.

ویری آخر: أن سبب إشارة الفضل علی المأمون بذلک، هو أنه أراد أن یمحو ما کان من أمر الرشید فی العلویین (۱).

الفضل برئ من کل ما نسب إلیه:

أما نحن فإننا بدورنا نستطیع أن نؤکد علی ما یلی:

إن ما بأیدینا من النصوص التاریخیة یأبی عن نسـبة التشـیع للفضل، بل وحتی عن نسبة إشارته علی المأمون بهذا الأمر، فضلا عن کونه المـدبر له، والقـائم به.. اللهم إلاـ أن تکون مؤامرة اشترک الرجلاـن معـا فی وضع خطوطها العریضـة، آخـذان فی اعتبارهما ظروفهما، ومصالحهما الشخصیة، لیس إلا..

بل إن بعض النصوص تفیـد أن الفضل کان عـدوا للإمام (ع)، حیث إنه کان من صـنائع البرامکـة (۲)، أعـداء أهل البیت (ع). وأنه لم

يكن حتى راغبا فى البيعة للرضا (ع)، وأنه وأخاه قد مانعا فى عقد العهد للرضا (۳)، فكيف يكون هو المشير على المأمون بالبيعة له.. بل لم يكن (۱) البحار ۴۹ ص ۱۳۲، وعيون أخبار الرضا ص ۱۴۷، نقلا عن: البيهقى عن الصولى.

(۲) البحار ج ۴۹ ص ۱۴۳، ۱۱۳، وعيون أخبار الرضا ج ۲ ص ۱۶۶، و ص ۲۲۶ (۳) مقاتل الطالبيين ص ۵۶۲، والفصول المهمة لابن الصباغ المالكى ص ۲۷۰، ونور الأبصار للشبلنجي ص ۱۴۲، وكشف الغمة ج ۳ ص ۶۶، وروضة الواعظين ج ۱ ص ۲۶۹، والبحار ج ۴۹، ص ۱۴۵، وإرشاد المفيد ص ۳۱۰، ۳۱۱، وغير ذلك. (۲۶۳) صفحهمفاتيح البحث: أهل بيت النبى صلى الله عليه وآله (۱)، الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (۱)، كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام (۲)، كتاب الإرشاد للشيخ المفيد (۱)، كتاب الفصول المهمة لإبن صباغ المالكى (۱)، كتاب مقاتل الطالبيين لأبو الفرج الأصفهانى (۱)، كتاب كشف الغمة للإربلى (۱)

يعلم أن المأمون يريد عقد البيعة له إلا بعد وصوله إلى خراسان وإحضار المأمون له، وإعلامه بأنه يريد عقد البيعة له على ما فى مقاتل الطالبيين ص ۵۶۲ والطبرى وغيرهما. وإن كان ربما يناقش فى ذلك بمنافاته لرسالة الفضل التى أرسلها إلى الإمام وهو فى المدينة والتى أوردها الرافعى فى التدوين.

وذلك ما يقوى أنه كان متآمرا على الإمام مع المأمون كما نصت عليه تلك الرسالة بأن ذلك عن اتفاق بينه وبين المأمون فراجعها.

ولو أنه كان ممن يتشيع للإمام (ع)، فكيف يمكن أن يتآمر عليه، ويحاول أن يجعل للمأمون ذريعة للإقدام على التخلص منه (ع)، وذلك عندما ذهب إلى الرضا، وحلف له بأغلظ الأيمان، ثم عرض عليه قتل المأمون، وجعل الأمر إليه. (۱) لكن الإمام بسبب وعيه وتيقظه قد ضيع عليه وعلى سيده هذه الفرصة، حيث أدرك للتو أنها دسيسة ومؤامرة، فزجر الفضل وطرده، ثم دخل من فوره على المأمون، وأخبره بما كان من الفضل، وأوصاه أن لا يأمن له.

وبذلك يكون الإمام (ع) قد ضيع على المأمون والفضل فرصة تنظيم اتهام له بما لم يكن.

وعاد الفضل من مهمته تلك بخفى حنين، يجر هو وسيده أذيال الخيبة، والخزى، والخسران.

أما إذا كان الفضل قد أقدم على ذلك من دون علم المأمون - كما (۱) وإن كنا لا نستبعد أن يكون قد أقدم على ذلك من دون علم المأمون، وبدافع من حقده الدفين على الإمام عليه السلام، وحسده له، يريد بذلك تمهيد السبيل لقتله ليخلو له الجو، وليفعل من ثم ما يشاء وحسبما يريد. (۲۶۴) صفحهمفاتيح البحث: كتاب مقاتل الطالبيين لأبو الفرج الأصفهانى (۱)، خراسان (۱)

هو غير بعيد - فليس ذلك إلا بدافع من حقده الدفين على الإمام (ع)، وحسده له، يريد بذلك تمهيد الطريق لمقتله، ليخلو له الجو، وليفعل من ثم ما يشاء، وحسبما يريد.

وأيا ما كانت الحقيقة، فإن النتيجة ليست سوى الخزى والعار، والخيبة القاتلة بالنسبة للفضل فى هذه القضية.

ويا ليته كان قد قنع بذلك.. ولكنه استمر فى تحريض المأمون على التخلص من الإمام (ع) حتى إن بعض المؤرخين يرى: أن المأمون لم يقتل الإمام إلا بتحريض من الفضل بن سهل!!.

وبعد.. فهل يمكن أن تنسجم دعوى تشيعه مع إشارته على المأمون بإرجاع الإمام عن صلاة العيد، وذلك حتى لا تخرج الخلافة منه؟!.

كما سنشير إليه إن شاء الله.

وأيضا. مع إظهاره العداوة الشديدة للإمام (ع) وحسده له على ما كان المأمون يفضله به، على حد تعبير الريان بن الصلت؟! (۱).

وكذلك مع اصطناعه هشام بن إبراهيم الراشدى. وجعله عينا للمأمون على الإمام، ينقل إليه حركاته وسكناته، ويمنع الناس من الوصول إليه حسبما تقدم؟!.

ولو أن الفضل كان ممن يتشيع للإمام، لكان يجب أن يعد من أعظم البلهاء، إذ كيف لا يلتفت لأمر المأمون المؤكد لرسله: أن لا يمروا بالإمام عن طريق الكوفة وقم، لئلا يفتتن به الناس. ثم إلى تهديداته له بالقتل، إن لم يقبل ما يعرضه عليه، ثم إلى جلبه العلماء

والمتكلمين (۱) مسند الإمام الرضا ج ۱ ص ۷۸، والبحار ج ۴۹ ص ۱۳۹. وعيون أخبار الرضا ج ۲ ص ۱۵۳. (۲۶۵) صفحهمفاتيح البحث: مدينة الكوفة (۱)، هشام بن إبراهيم الراشدى (۱)، الريان بن الصلت (۱)، الفضل بن سهل (۱)، القتل (۲)، الصّلاة (۱)، كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام (۱)

من أقاصى البلاد، من أجل إفحام الإمام. وإظهار جهله وعجزه، إلى آخر ما هنالك، من صفحات تاريخ المأمون السوداء.

ثم نرى أنه هو بنفسه يشارك فى ذلك كله، وسواه، ويعمل من أجله حتى لقد شارك فى التهديد للإمام، إن لم يقبل ما يعرضه عليه المأمون..

وإذا كان نفوذه قد بلغ حدا يجعل المأمون ينازل عن عرشه - الذى قتل من أجله أخاه - لرجل غريب، فلماذا لا يعمل هذا النفوذ من أجل أن يمنع المأمون عن ذلك السلوك اللاإنسانى، الذى انتهجه مع الإمام، ابتداء من حين وجود الإمام فى المدينة، وإلى آخر لحظة عاشها معه، وبعد ذلك إلى ما شاء الله.

هذا كله من جهة.

موقف الإمام من الفضل ينفى نسبة التشيع له:

ومن جهة ثانية.. لو كان للفضل فضل فى مسألة البيعة للإمام (ع)، أو كان ممن يتشيع له، لم يكن من اللائق من الرضا (ع) أن يخبر المأمون بما عرضه عليه الفضل من قتل المأمون، وجعل الأمر إليه. ولا من المناسب أن يوصيه بأن لا يأمن له، ويخبره بغشه وكذبه، وأنه يخفى عنه حقيقة ما يجرى فى بغداد، وغيرها (۱).

ولا من اللائق منه أيضا: أن يعامله تلك المعاملة، التى لا يعامل بها المحبون المخلصون. والتى كان فيها الكثير من الخشونة، والاحتقار والامتهان، فقد قدمنا أنه عندما ذهب إليه الفضل يطلب منه كتاب (۱) تاريخ الطبرى، طبع ليدن ج ۱۱ ص ۱۰۲۵. (۲۶۶) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (۱)، مدينة بغداد (۱)، الجهل (۱)، القتل (۱)، المنع (۱)، كتاب تاريخ الطبرى (۱)

الأمان، لم يسأله عن حاجته إلا بعد ساعة من وقوفه، ثم أمره بقراءة الكتاب، فقرأه - وكان كتابا فى أكبر جلد - وهو واقف، لم يأذن له بالجلوس.

وكذلك لم يكن من اللائق منه: أن يزرى عليه عند المأمون، فقد ذكر المؤرخون: أنه.. " كان يذكر ابنى سهل عند المأمون، ويزرى عليهما، مما دفعهما إلى السعاية به، وكان يوصيه أن لا يأمن لهما (" ۱).

إلى آخر ما هنالك مما لا يصدر فى حق أى إنسان عادى آخر فى حق من يتشيع له، فضلا عمن يتسبب فى جعله وليا لعهد الخلافة الإسلامية للأمة بأسرها.

والمأمون نفسه يستنكر ذلك:

ومن جهة ثالثة.. فقد كفانا المأمون نفسه مؤونة الحديث عن دور الفضل بن سهل فى هذه القضية.. ولا شك أن " عند جهينة الخبر اليقين."

فقد قدمنا فى الفصل السابق: أن الريان بن الصلت - وكان من رجال الحسن بن سهل (۲)! - عندما رأى أن القواد والعامة قد أكثروا فى بيعة الرضا، وأنهم يقولون ": إن هذا من تدبير الفضل. " قال للمأمون ذلك، فأجابه المأمون.. ": ويحك يا ريان! أيجسر أحد أن يجئ إلى خليفة قد استقامت له الرعية، والقواد، واستوت الخلافة، فيقول (۱) مقاتل الطالبيين ص ۵۶۵، ۵۶۶، وإعلام الورى ص ۳۲۵، وكشف الغمة ج ۳ ص ۷۱، وروضة الواعظين ج ۱ ص ۲۷۶، والبحار ج ۴۹، وإرشاد المفيد، وأعيان الشيعة، وغير ذلك.

(۲) صرح بأنه من رجاله فى كتاب: البحار ج ۴۹ ص ۱۳۳، وعيون أخبار الرضا ج ۲ ص ۱۴۹. (۲۶۷) صفحهمفاتيح البحث: الريان بن الصلت (۱)، الحسن بن سهل (۱)، الفضل بن سهل (۱)، كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام (۱)، كتاب الإرشاد للشيخ المفيد (۱)،

كتاب إعلام الورى بأعلام الهدى (١)، كتاب مقاتل الطالبيين لأبو الفرج الأصفهانى (١)، كتاب كشف الغمة للإربلى (١)، كتاب أعيان الشيعة للأمين (١)

له: إدفع الخلافة من يدك إلي غيرك؟! أيجوز هذا فى العقل؟!.. الخ " لا.. أبدا.. لا يمكن أن نتصور، ولا يجوز فى العقل: أن يأتى وزير ملك إليه، ويطلب منه التنازل عن عرشه، ويسلمه إلي رجل غريب، وهو يعلم أن ذلك الملك، قد قتل أخاه، وغيره، وهدم البلاد، وأهلك العباد، من أجل ذلك العرش.. هذا مع علمه أنه سوف لا يكون له هو فى دولة ذلك الرجل الجديد الغريب، أى شأن، أو دور يذكر. أو على الأقل لن يكون له من النفوذ، والسلطة والطول، ما كان له مع ذلك الملك الأول. بل سوف يكون كأى فرد عادى آخر، محكوما لا حاكما، بكل ما لهذه الكلمة من معنى.. اللهم إلا أن يكون قد تآمر مع ذلك الملك الأول، لتنفيذ خطة معينة. قد رسماها معا من قبل، وعملا على أن تكون الأمور فى نهاية الأمر فى صالحهما، ومن أجل تعزيز نفوذهما وسلطتهما.

أما حصيلة هذه الجولة:

وهكذا.. تأبى الأحداث، ويأبى المنطق أن يكون للفضل فى هذه القضية شئ، إلا على طريق التآمر والتواطؤ مع سيده المأمون، أفعى الدهاء والسياسة، بعد دراسة دقيقة مشتركة للوضع، وتقييم عام له.

اتفقا على أثره على خطة للتخلص من المشاكل التى كانت تعترض سبيلهما، وتشكل - إلي حد ما - خطرا على وجودهما فى الحكم، وتفردهما بالسلطة.. وبذلك فقط نستطيع أن نفسر قول إبراهيم بن العباس فى مدح الفضل فى جملة أبيات له:

وإذا الحروب غلت بعثت لها * رأيا نقل به كتائبها رأيا إذا نبت السيوف مضى * عزم به فشفى مضاربها (٢٦٨) صفحهمفاتيح البحث: القتل (١)، الجواز (١)

أجرى إلي فئة بدولتها * وأقام فى أخرى نواد بها (١) ولعل الفضل كان مخدوعا!.

ولكن ألا يحتمل قريبا: أن يكون الفضل مخدوعا فى هذه المرة على الأقل؟ وأنه هو أيضا راح ضحية تآمر وتضليل من نفس سيده: المأمون؟!.

الحقيقة أن ذلك أمر محتمل جدا، لأننا نرى فى النصوص التاريخية، ما يشير لنا بوضوح إلي أن الفضل لم يكن سوى لعبة بيد المأمون، وأنه قد جازت عليه حيلة فى بادئ الأمر، بادعائه: أنه إنما يوليه العهد، لأنه يريد خير الأمة ومصلحتها. أو لأنه يريد أن يفى بنذره (أى أنه نذر إن ظفر بأخيه الأمين، فلسوف يسلم الخلافة لرجل غريب!)..

وقد تقدم أن ابن القفطى يرى أن الفضل لم يكن عارفا بسر القضية، ولا عالما بواقع الأمر.. ولعلنا نستطيع: أن نستدل على ذلك بقوة بممانعة الفضل وأخيه الحسن فى هذا الأمر.

كما أننا رأينا المأمون: يرفض أن يطلب من الإمام (ع) كتاب الأمان للفضل، بحجة أن الإمام كان قد اشترط: أن لا يتدخل فى شئ من أمور الدولة وشؤونها (٢).

ثم نرى المأمون نفسه يطلب من الإمام: أن يولى فلانا، أو أن يكتب إلي فلان بكذا، أو أن يساعده فى إدارة شؤون الخلافة، أو أن (١) الأغانى ط ساسى ج ٩ ص ٣١ - ٣٢.

(٢) أعيان الشيعة ج ۴ قسم ٢ ص ١٣٩، وعيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١۶٢.

والبحار ج ۴٩ ص ١۶٨. ومسند الإمام الرضا ج ١ ص ٨٨. (٢۶٩) صفحهمفاتيح البحث: الحج (١)، كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام (١)، كتاب أعيان الشيعة للأمين (١)

يصلى بالناس، إلي غير ذلك من الأمور.. مع أن ما كان يريده الفضل من الإمام، لم يكن له من الأهمية مثل ما كان يطلبه منه المأمون. وعلى كل فقد يجوز للمأمون - حتى مع الشرط - ما لا يجوز لغيره بدونه.

الفضل يقع فى الشرك:

وأخيرا.. فلا يسعنا فى ختام هذا الفصل إلا أن نقول:

مسكين الفضل بن سهل، لقد استطاع المأمون أن يبرئ ساحة نفسه، من كل الذنوب العظيمة والخطيرة التى ارتكبها، وأن يجعل هذا الوزير المسكين، الذى كان عدوا للإمام، والذى لم يشعر إلا وهو فى الفخ، هو المسؤول عن أكثر جرائمه وموبقاته، بل وعنها جميعا، حتى البيعة للرضا (ع) بل وحتى عن قتل أخيه الأمين!

ولقد أدرك الفضل أنه قد وقع فى الشرك، ولكن.. بعد فوات الأوان، ولذا نراه يمتنع عن الذهاب إلى بغداد، لأنه يعرف ما سوف يواجهه من مشاكل وأخطار، وما سوف يتعرض له من مؤامرات، وحاول بكل وسيلة أن يقنع المأمون بالعدول عن رأيه، وبين له صراحة أنه هو المتهم بالبيعة للرضا، وبقتل الأمين، فلقد قال له:

.. "يا أمير المؤمنين، إن ذنبى عظيم عند أهل بيتك، وعند العامة، والناس يلوموننى بقتل أخيك المخلوع، وبيعة الرضا، ولا آمن السعاة والحساد، وأهل البغى أن يسعوا بى، فدعنى أخلفك بخراسان الخ (". ۱). (۱) أعيان الشيعة ج ۴ قسم ۲ ص ۱۳۹، وعيون أخبار الرضا ج ۲ ص ۱۶۲، ومسند الإمام الرضا ج ۱ ص ۸۷، والبحار ج ۴۹ ص ۱۶۷. (۲۷۰) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (۱)، مدينة بغداد (۱)، الفضل بن سهل (۱)، خراسان (۱)، القتل (۲)، الجواز (۱)، كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام (۱)، كتاب أعيان الشيعة للأمين (۱)

ولكن أنى له أن يتركه المأمون، الذى كان يريد التخلص منه، من أجل أن ترضى عنه بغداد، مضافا إلى أنه هو أيضا كان يخشاه ويخافه.

فلقد كان قد أعد العدة، وأحكم الخطة فى أمره، ولم يبق إلا التنفيذ (كما سيأتى بيانه).

وبعد أن يئس الفضل من إقناع المأمون، حاول أن يحتاط لنفسه ما أمكنه ذلك. فطلب منه أن يكتب له كتاب ضمان وأمان. فاستجاب المأمون لهذا الطلب، وكتب له كتابا (۱)، يسمى كتاب الحباء والشرط يظهر بوضوح الدور الذى لعبه الفضل فى تشييد صرح خلافة المأمون، وتوطيد سلطانه.

ونلاحظ: أن المأمون قد كتب للفضل كل ما يريد، بل وزاد على ما كان يتوقعه الفضل الشئ الكثير، إذ لم يكن يرى فى ذلك أى ضرر عليه، ما دام أنه قد أحكم الخطة، ودبر له النهاية.

وكما رسم ودبر. كانت النهاية!.

لماذا الاصرار على اتهام الفضل:

وهكذا. فإننا بعد كل ما تقدم، لا نرى مجالا للإصرار على نسبة التشيع للفضل، أو القول: بأن المأمون كان واقعا فى أمر البيعة تحت تأثيره، وخاضعا لإرادته، فقد يكون الفضل قد أعطى أكثر مما يستحقه من النفوذ والقدرة.. ولعل إصرار أولئك أو هؤلاء على اتهام الفضل بذلك، حتى وإن أنكره المأمون نفسه، وكذبته جميع الوقائع والأحداث – لعله – يرجع إلى حرصهم على أن لا يتهم المأمون – السلطة – بما (۱) الكتاب موجود فى: البحار ج ۴۹ ص ۱۶۰، ۱۶۲، وعيون أخبار الرضا ج ۲ ص ۱۵۷، ۱۵۹، وأوعز إليه اليعقوبى فى تاريخه ج ۲ ص ۴۵۱ طبع صادر (۲۷۱) صفحهمفاتيح البحث: مدينة بغداد (۱)، كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام (۱)

لا يحبون اتهامه به، كالتشيع، والحب لآل على (ع)، أو ليبرءوا ساحته من هذه التهمة، لو فرض وجودها فعلا.. أو لعل لأنهم لم يكونوا على درجة من الوعى تؤهلهم لإدراك حقيقة ظروف المأمون، وأهدافه من البيعة..

هذا.. وقد رأينا: أن العباسيين فى بغداد، بمجرد وصول نبأ البيعة لهم، يتهمون الفضل بن سهل بتدبيرها (۱).. مع أنهم لم يكونوا قد اطلعوا بعد على حقيقة الأمر وواقع القضية، وما ذلك إلا ـ لما قلناه، وليبقوا على علاقاتهم مع المأمون، وليبقى باب الصلح معه فى المستقبل مفتوحا. وكذلك ليحافظوا على شخصية المأمون، حتى لا تلصق بها تهمة، يعلمون هم أكثر من غيرهم – وأهل البيت أدرى بما فيه – ببراءته منها، ألا وهى تهمة: الحب لعلى، وآل بيته.

ولعله أيضا لهذه الأسباب نفسها جعلوا المأمون لعبة في يد الفضل، وأنه لا يملك معه من الأمر شيئا، حتى لقد قالوا عنه: إنه مسجون ومسحور (۲). وإن كان لا شاهد لهذه الدعوى أصلا إلا البيعة للرضا (ع) ولولاها لكان العكس عندهم هو الصحيح فعلا..

جميل.. وجميل جدا.. فلقد أصبح المأمون لعبة بيد الفضل، وإن كانت جميع الدلائل والشواهد متظافرة على العكس من ذلك.. ولو لم يكن ذلك يكفي لتبرئة المأمون، فهم على استعداد لاتهامه بعقله، كما قد حدث ذلك بالفعل، فذلك عندهم خير من اتهامه بالحب لآل على والتشيع لهم.. (۱) فقد اتهموا الفضل بذلك بمجرد وصول رسالة الحسن بن سهل إليهم، يخبرهم فيها بأمر البيعة.

راجع: الطبرى ج ۱۱ ص ۱۰۱۳، طبع ليدن وتجارب الأمم ج ۶ ص ۴۳۶ وغير ذلك من كتب التاريخ.

(۲) راجع: البداية والنهاية ج ۱۰ ص ۲۴۸، والطبرى ج ۱۱، وغير ذلك.. (۲۷۲) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (۱)، الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (۱)، صلح (يوم) الحديبية (۱)، مدينة بغداد (۱)، الفضل بن سهل (۱)، الشهادة (۱)، كتاب البداية والنهاية (۱)، الحسن بن سهل (۱)

احتمال وجيه جدا:

على أننا لا نستبعد كثيرا.. أن يكون المأمون نفسه قد شجع وغذى هذه التبريرات والتمويهات، وخصوصا بعد مقتل الفضل، ليبرئ نفسه أمام العباسيين، وليشوه الفضل.. كما أننا لا نشك أبدا في أن كثيرا مما يذكر عن الأمين هو في عداد الخرافات والأساطير التى شجعها المأمون وحزبه، لأن الأمين كان هو المغلوب، والمأمون كان هو الغالب.. وللغالب القدرة، بل والحق أيضا – في نظر قاصرى النظر – في أن يشوه المغلوب، ويصوره بالصورة التي يريد.

ويدلنا على أن المأمون هو المسؤول عن ذلك، ما رواه الحصرى في زهر الآداب من ": أنه لما خلع المأمون أخاه أمين، ووجه بطاهر ابن الحسين لمحاربته. كان يعمل كتبا بعيوب أخيه، تقرأ على المنابر بخراسان الخ (".. ۱). وطبيعى بعد ذلك: أن على الكتاب والمؤرخين الذين ما كانوا أحرارا، ولا يعتمدون النزاهة في كتاباتهم: أن يؤرخوا كما يريد المأمون، وأن يكتبوا ما يمليه عليهم، لا ما هو حق وواقع.

يرونه بأم أعينهم. أو تحكم به – إن كانت – ضمائرهم.

وأخيرا.. وإذا تحقق أن الفضل برئ من تهمة التشيع، وتهمة تدبير أمر البيعة، فلا يعنى ذلك أنه برئ مما هو أشنع من ذلك وأقبح " فكل إناء بالذى فيه ينضح. (" ۱) راجع: أمراء الشعر العربى في العصر العباسى ص ۸۶، نقلا عن: زهر الآداب ج ۲ ص ۱۱۱، تحقيق زكى مبارك، وطبع دار الجيل ج ۲ ص ۴۶۴. (۲۷۳) صفحهمفاتيح البحث: خراسان (۱)، القتل (۱)، العصر (بعد الظهر) (۱)

"القسم الثالث: أضواء على الموقف"..

القسم الثالث أضواء على الموقف:

۱ – عرض الخلافة، ورفض الإمام.

۲ – قبول ولاية العهد بعد التهديد.

۳ – مدى جدية عرض الخلافة.

۴ – موقف الإمام.

۵ – خطة الإمام..

صفحه(۲۷۵)

عرض الخلافة ورفض الإمام

عرض الخلافة، ورفض الإمام (ع):

نصوص تاريخية:

تحدثنا كتب التاريخ: أن المأمون كان قد عرض الخلافة على الإمام أولا.. (١) لكنه (ع) رفض قبولها أشد الرفض، وبقى مدة يحاول إقناعه بالقبول، فلم يفلح. وقد ورد أن محاولاته هذه، استمرت فى مرو وحدها أكثر من شهرين والإمام عليه السلام يأبى عليه ذلك (٢).

بل لقد ورد أنه (ع) كان قد أجاب المأمون بما يكره، فقد:

قال المأمون للإمام.. ": يا ابن رسول الله، قد عرفت فضلك، وعلمك، وزهدك، وورعك، وعبادتك، وأراك أحق بالخلافة منى."..

(١) كما نص عليه فى البداية والنهاية ج ١٠ ص ٢٥٠، والفخرى فى الآداب السلطانية ص ٢١٧، وغاية الاختصار ص ۶۷، وينابيع المودة للحنفى ص ٣٨۴، ومقاتل الطالبيين، وغير هؤلاء كثير.. وسنشير فى آخر هذا الفصل إلى طائفة منهم أيضا..

لكن السيوطى قال فى تاريخ الخلفاء.. " حتى قيل: أنه هم أن يخلع نفسه، ويفوض الأمر إليه ".. أما رفضه لذلك، فهو أشهر من أن يذكر كما سيأتى..

(٢) عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١۴٩، والبحار ج ۴٩ ص ١٣۴، وينابيع المودة وغير ذلك. (٢٧٧) صفحهمفاتيح البحث: يوم عرفة (١)، الكراهية، المكروه (١)، الرفض (١)، كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام (١)، كتاب البداية والنهاية (١)، جلال الدين السيوطى الشافعى (١)، كتاب ينابيع المودة (٢)

فقال الإمام (ع.. "): بالزهد بالدنيا أرجو النجاة من شر الدنيا، وبالورع عن المحارم أرجو الفوز بالمغانم، وبالتواضع فى الدنيا أرجو الرفعة عند الله..

قال المأمون: فإنى قد رأيت أن أعزل نفسى عن الخلافة، وأجعلها لك، وأبايعك؟!.

فقال الإمام (ع): إن كانت هذه الخلافة لك، فلا يجوز أن تخلع لباسا ألبسكه الله، وتجعله لغيرك، وإن كانت الخلافة ليست لك، فلا يجوز أن تجعل لى ما ليس لك (١).

قال المأمون: لا بد لك من قبول هذا الأمر!!

فقال الإمام (ع): لست أفعل ذلك طائعا أبدا..

فما زال يجهد به أياما، والفضل والحسن (٢) يأتيانه، حتى يئس من قبوله..

وخرج ذو الرئاستين مرة على الناس قائلا: واعجبا! وقد رأيت عجبا! رأيت المأمون أمير المؤمنين يفوض أمر الخلافة إلى الرضا. (١) عبارة تاريخ الشيعة ص ٥١، ٥٢ هكذا. ": إن كانت الخلافة حقا لك من الله، فليس لك أن تخلعها عنك، وتوليها غيرك. وإن لم تكن لك، فكيف تهب ما ليس لك ". وهذه أوضح وأدل.

(٢) لا ندرى ما الذى أوصل الحسن بن سهل إلى مرو، مع أنه كان آنئذ فى العراق، ولعل ذكر الحسن اشتباه من الراوى، واحتمل السيد الأمين فى أعيان الشيعة ج ۴ قسم ٢ ص ١٢٠: أن يكون المأمون قد استدعى الحسن بهذه المناسبة إلى خراسان، فلما تم أمر البيعة عاد إلى بغداد. (٢٧٨) صفحهمفاتيح البحث: ذو الرياستين (١)، الجواز (١)، دولة العراق (١)، كتاب أعيان الشيعة للأمين (١)، مدينة بغداد (١)، الحسن بن سهل (١)، خراسان (١)

ورأيت الرضا يقول: لا طاقة لى بذلك، ولا قدرة لى عليه. فما رأيت خلافة قط كانت أضيع منها (١). (١) راجع فى جميع هذه النصوص بالإضافة إلى ما تقدم: روضة الواعظين ج ١ ص ٢۶٧، ٢۶٨، ٢۶٩، وإعلام الورى ص ٣٢٠، وعلل الشرايع ج ١ ص ٢٣۶، وينابيع المودة ص ٣٨۴، وأمالى الصدوق ص ۴٢، ۴٣، والإرشاد ص ٣١٠، وكشف الغمة ج ٣ ص ۶۵، ۶۶، ۶۶، ٨٧، وعيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١۴٩، ١۴٠. والمناقب ج ۴ ص ٣۶٣، والكافى ج ١ ص ۴٨٩، والبحار ج ۴٩ ص ١٢٩، ١٣۴، ١٣۶. ومعادن الحكمة،

وتاریخ الشیعة، ومثیر الأحزان ص ۲۶۱، وشرح میمیة أبی فراس ص ۱۶۴، ۱۶۵، وغایة الاختصار ص ۶۸. (۲۷۹) صفحهمفاتیح البحث: کتاب عیون أخبار الرضا علیه السلام (۱)، کتاب علل الشرایع للصدوق (۱)، کتاب روضة الواعظین (۱)، کتاب أمالی الصدوق (۱)، کتاب إعلام الوری بأعلام الهدی (۱)، کتاب کشف الغمة للإربلی (۱)، کتاب ینابیع المودة (۱)، کتاب مثیر الأحزان (۱)

قبول ولایة العهد بعد التهدید

قبول ولایة العهد بعد التهدید مع محاولات المأمون لإقناع الإمام:

الـذی یبـدو من ملاحظـة کتب التاریخ والروایة، هو: أن محاولات المأمون لإقناع الإمام بما یرید، کانت متعددة، ومتنوعة، وأنها بدأت من حین کان الإمام (ع) لا یزال فی المدینة. حیث کان المأمون یکاتبه، محاولا إقناعه بذلک، فلم ینجح، وعلم الإمام أنه لا یکف عنه. ثم أرسل رجاء بن أبی الضحـاک، وهو قرابة الفضل والحسن ابنی سـهل (۱)، فأتی بالإمام (ع) من المدینـة إلی مرو رغما عنه.. وبـذل المأمون فی مرو أیضا محاولات عدیـدة، استمرت أکثر من شـهرین. وکان یتهدد الإمام بالقتل، تلویحا تارة، وتصـریحا أخری، والإمام (ع) یـأبی قبول مـا یعرضه علیه.. إلی أن علم أنه لا یمکن أن یکف عنه، وأنه لا محیص له عن القبول، فقبل ولایـة العهـد مکرها، وهو بـاک حزین – علی حـد تعبیر الکثیرین –، وکـانت البیعـة له فی السابع من شـهر رمضان، سـنة (۲۰۱ ه.)، کما یتضـح من تاریـخ ولایة العهد.. (۱) وقیل: أنه عممها، وقـد کان رجاء هـذا من قواد المأمون، وقـد ولاه المأمون خراسان مدة، لکنه أساء السیرة، فعزله. (۲۸۰) صفحهمفاتیح البحث: علم المعصوم (۱)، شهر رمضان المبارک (۱)، القتل (۱)، خراسان (۱)

بعض ما یدل علی عدم رضا الإمام (ع):

والنصوص الدالـة علی عـدم رضا الإمام (ع) بهـذا الأمر کثیرة، ومتواترة، فقـد قال أبو الفرج.. ": فأرسـلهما (یعنی الفضل والحسن ابنی سهـل) إلی علی بن موسـی، فعرضـا ذلـک (یعنی ولایـة العهـد) علیه، فـأبی، فلم یزالا ـ به، وهو یأبی ذلک، ویمتنع منه.. إلی أن قال له أحدهما: إن فعلت ذلک، وإلا فعلنا بک وصنعنا، وتهدده، ثم قال له أحدهما ": والله، أمرنی بضرب عنقک، إذا خالفت ما یرید!. " ثم دعا به المأمون، وتهدده، فامتنع، فقال له قولا شبیها بالتهدید، ثم قال له ": إن عمر جعل الشوری فی ستة، أحدهم:

جدک وقال: من خالف فاضربوا عنقه، ولا بد من قبول ذلک (".. ۱)!

ویروی آخرون: أن المـأمون قـال لـه.. ": یـا ابن رسـول الله، إنمـا تریـد بـذلک (یعنی بمـا أخـبره به عن آبـائه من مـوته قبله مسـموما) التخفیف عن نفسک، ودفع هذا الأمر عنک، لیقول الناس: إنک زاهد فی الدنیا..

فقال الرضا: والله، ما کذبت منذ خلقنی ربی عز وجل، وما زهدت فی الدنیا للدنیا، وإنی لأعلم ما ترید؟!.

فقال المأمون: وما أرید؟!

قال: الأمان علی الصدق؟

قال: لک الأمان.

قال: تریـد بذلک أن یقول الناس: إن علی بن موسـی لم یزهد فی (۱) مقاتل الطالبیین ص ۵۶۲، ۵۶۳، وقریب منه ما فی إرشاد المفید ص ۳۱۰ وغیر ذلک. (۲۸۱) صفحهمفاتیح البحث: الفرج (۱)، الکذب، التکذیب (۱)، الصدق (۱)، الموت (۱)، کتاب الإرشاد للشیخ المفید (۱)، کتاب مقاتل الطالبیین لأبو الفرج الأصفهانی (۱)

الدنیا، بل زهدت الدنیا فیه: ألا ترون: کیف قبل ولایة العهد طمعا فی الخلافة؟!

فغضب المأمون، وقال له ": إنک تتلقانی أبـدا بما أکرهه، وقـد آمنت سـطوتی، فبالله أقسم: لئن قبلت ولایـة العهد. وإلا أجبرتک علی ذلک، فإن فعلت، وإلا ضربت عنقک (".. ۱).

وقال الإمام الرضا (ع) فی جواب الریان له، عن سر قبوله لولایة العهد:

.. "قد علم الله كراهتى لذلك، فلما خيرت بين قبول ذلك وبين القتل، اخترت القبول على القتل، ويحهم. إلى أن قال: ودفعتنى الضرورة إلى قبول ذلك، على إجبار وإكراه، بعد الإشراف على الهلاك إلخ (".. ٢).

وقال فى دعاء له.. ": وقد أكرهت واضطررت، كما أشرفت من عبد الله المأمون على القتل، متى لم أقبل ولاية العهد."..

وقال فى جواب أبى الصلت ": وأنا رجل من ولد رسول الله (ص) (١) راجع فى ذلك. مناقب آل أبى طالب ج ۴ ص ٣۶٣، وأمالى الصدوق ص ۴٣، وعيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١۴٠، وعلل الشرايع ج ١ ص ٢٣٨، ومثير الأحزان ص ٢۶١، ٢۶٢، وروضة الواعظين ج ١ ص ٢۶٧، والبحار ج ۴٩ ص ١٢٩، وغير ذلك.

وفى تاريخ الشيعة ص ۵٢: أنه بعد أن عرض عليه الخلافة، وأجابه بالجواب المتقدم فى الفصل السابق، قال له.. ": إذن، تقبل ولاية العهد. فأبى عليه الإمام أشد الإباء، فقال له المأمون.. ": ما استقدمناك باختيارك، فلا نعهد إليك باختيارك.

والله، إن لم تفعل ضربت عنقك."..

(٢) علل الشرايع ج ١ ص ٢٣٩، وروضة الواعظين ج ١ ص ٢۶٨، وأمالى الصدوق.

ص ٧٢، والبحار ج ۴٩ ص ١٣٠، وعيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١٣٩. (٢٨٢) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، كتاب الأشراف للشيخ المفيد (١)، الضرب (٢)، القتل (٢)، كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام (٢)، كتاب علل الشرايع للصدوق (٢)، كتاب أمالى الصدوق (٢)، كتاب مناقب آل أبى طالب عليه السلام (١)، كتاب مثير الأحزان (١)

أجبرنى على هذا الأمر وأكرهنى عليه."..

بل لقد أعرب عن عدم رضاه فى نفس ما كتبه على ظهر وثيقة العهد، وأنه يعلم بعدم تمامية هذا الأمر، وإنما يفعل ذلك امتثالا لأمر المأمون، وإيثارا لرضاه..

أما الباحثون وغيرهم فيقولون:

أما الباحثون، فلعلنا لا نكاد نعثر على باحث يتعرض لهذا الأمر ينسى أن يؤكد على رفض الإمام (ع) لهذا الأمر، واستيائه منه.

يقول أحمد أمين.. ": والزم الرضا بذلك، فامتنع، ثم أجاب (".. ۴).

وقال القندوزى: إنه قبل ولاية العهد، وهو باك حزين (٢).

وقال المسعودى.. ": فألح عليه، فامتنع، فأقسم، فأبر قسمه الخ (". ٣).

وعلى كل حال: فإن النصوص التاريخية الدالة على عدم رضاه (ع) بهذا الأمر، وأنه مكره مجبر عليه كثيرة جدا (۴). وتضارعها كثرة

(١) ضحى الإسلام ج ٣ ص ٢٩۴.

(٢) ينابيع المودة ص ٢٨۴.

(٣) إثبات الوصية ص ٢٠۵.

(۴) وإنه وإن كان سيمر معنا نصوص أخرى تدل على ذلك.. إلا أننا نحيل القارئ على بعض مظان وجودها، فراجع: ينابيع المودة ص ٣٨۴، ومثير الأحزان ص ٢۶١، ٢۶٢، ٢۶٣، وكشف الغمة ج ٣ ص ۶۵، وأمالى الصدوق ص ۶٨، ٧٢، والبحار ج ۴٩ ص ١٢٩، ١٣١، ١۴٩، وعلل الشرايع ج ١ ص ٢٣٧، ٢٣٨، وإرشاد المفيد ص ١٩١، وعيون أخبار الرضا ج ١ ص ١٩، و ج ٢ ص ١٣٩، ١۴٠، ١۴١، ١۴٩، وإعلام الورى ٣٢٠، والخرائج والجرائح، وغير ذلك.. (٢٨٣) صفحهمفاتيح البحث: الشيخ سلمان البلخى القندوزى (١)، الرفض (١)، كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام (١)، كتاب الإرشاد للشيخ المفيد (١)، كتاب علل الشرايع للصدوق (١)، كتاب الخرائج والجرائح للقطب الراوندى (١)، كتاب أمالى الصدوق (١)، كتاب إعلام الورى بأعلام الهدى (١)، كتاب إثبات الوصية للمسعودى (١)، كتاب كشف الغمة للإربلى (١)، كتاب ينابيع المودة (٢)، كتاب مثير الأحزان (١)

أقوال الباحثين، الذين تعرضوا لهذا الموضوع. ولذا فليس من اليسير الإحاطة بها واستقصاؤها فى مثل هذه العجالة.

ولهذا.. فإننا نكتفى هنا بهذا القدر، حيث إن المجال لا يتسع لأكثر من ذلك..

صفحه(۲۸۴)

مدى جدية عرض الخلافة

مدى جدية عرض الخلافة:

عرض الخلافة ليس جديا..:

مر معنا أن المأمون كان قد عرض أولا الخلافة على الإمام، وأنه ألح عليه بقبولها كثيرا، سواء وهو فى المدينة، أو بعد استقدامه إلى مرو، وأنه تهدده فلم يقبلها، فلما يئس من قبوله الخلافة، عرض عليه ولاية العهد، فامتنع أيضا. ولم يقبل إلا بعد أن تهدده بالقتل، وعرف الجد فى ذلك التهديد!!

وهنا سؤال لا بد من الإجابة عليه، وهو:

هل كان المأمون جادا فى عرضه الخلافة على الإمام؟!.

ويتفرع على الإجابة على هذا السؤال سؤال آخر، وهو:

إذا لم يكن المأمون جادا فى عرضه ذاك، فماذا ترى سوف يكون موقف المأمون، لو أن الإمام قبل أن يتقلد الخلافة، ويضطلع بشؤونها؟!.

ومن أجل استيفاء الجواب عن هذين السؤالين، لا- بد لنا من الاسهاب فى المقال، بالقدر الذى يتسع لنا به المجال فنقول: (۲۸۵)

صفحهمفاتيح البحث: القتل (۱)

الإجابة على السؤال الأول:

أما عن السؤال الأول، فإن الحقيقة هى: أن جميع الشواهد والدلائل تدل على أنه لم يكن جادا فى عرضه للخلافة:

وقد قدمنا أننا لا- يمكن أن نتصور المأمون الحريص على الخلافة حرصه على نفسه، والذى قتل من أجلها أخاه. وأتباعه، بل وحتى وزراءه هو وقواده، وغيرهم. وأهلك العباد، وخرب البلاد، حتى لقد خرب بغداد بلد آبائه، وأزال كل محاسنها – لا يمكن أن نتصور – المأمون، الذى فعل كل ذلك وسواه من أجل الحصول على الخلافة.. أن يتنازل عنها بهذه السهولة، بل ومع هذا الالحاح والإصرار منه، لرجل غريب، ليس له من القربى منه ما لأخيه، ولا من الثقة به ماله بقواده، ووزرائه!.

أم يعقل أن تكون الخلافة أعز من هؤلاء جميعا، والرضا فقط هو الأعز منها؟!.

وهل يمكن أن نصدق، أو يصدق أحد: أن كل ذلك، حتى قتله أخاه، كان فى سبيل مصلحة الأمة ومن أجلها، ولكى يفسح المجال أمام من هو أجدر بالخلافة، وأحق بها من أخيه، ومنه؟!.

وكيف يمكن أن نعتبر إصراره الشديد على الإمام، والذى استمر أشهرا عديدة، قبل استقدامه إلى مرو وبعده، والذى انتهى به إلى حد تهديده إياه بالقتل – كيف يمكن أن نعتبره رفقا منه بالأمة، وحبا لها، وغيرة على صالحها.. مع أننا نسمعه من جهة ثانية هو نفسه يصرح:

بأن نفسه لم تسنح بالخلافة، عندما عرضها على الإمام؟! (۱).

وإذا لم تسنح نفسه بالخلافة، فلماذا يهدده بالقتل إن لم يقبلها؟!. (۱) قاموس الرجال ج ۱۰ ص ۳۷۱، وغيبة الشيخ الطوسى ص ۴۹.

(۲۸۶) صفحهمفاتيح البحث: مدينة بغداد (۱)، العزّة (۱)، القتل (۳)، الشيخ الطوسى (۱)

وكيف يمكن أن نوفق بين تهديداته تلك، وجدية عرضه للخلافة..

وبين قوله: إنه لم يقصد إلا أن يوليه العهد، ليكون دعاء الإمام له، وليعتقد فيه المفتونون به الخ. ما سيأتى؟!.

وإذا كان قد نذر أن يوليه " الخلافة، " لو ظفر بأخيه الأمين، حسبما ورد فى بعض النصوص التاريخية، فلماذا، وكيف جاز له الاكتفاء بتوليته العهد؟!.

وكيف استطاع إجباره على قبول ولاية العهد، ولم يستطع إجباره على قبول الخلافة؟!

وأيضا.. ولماذا بعد أن رفض الإمام (ع) العرض، لا يتركه وشأنه؟

وأين هى أنفة الملوك، وعزة السلطان؟!.

وإذا كان يأتى به المدينة ليجعله خليفة المسلمين، ويرفع من شأنه، فلماذا يأمره ويؤكد عليه فى أن لا يمر عن طريق الكوفة وقم، وحتى لا يفتتن به الناس؟!.

وأيضا. هل يتفق ذلك مع إرجاعه للإمام (ع) عن صلاة العيد مرتين، لمجرد أنه جاءه من ينذره بأن الخلافة سوف تكون فى خطر، لو أن الإمام (ع) وصل إلى المصلى؟!.. حتى لقد خرج هو بنفسه مسرعا، وصلى بالناس، رغم تظاهره بالمرض، ورغم زعمه، أنه:

كان يريد من الإمام أن يصلى بالناس، من أجل أن تطمئن قلوبهم على دولته المباركة - على حد تعبيره - بسبب مشاركة الإمام (ع) فى ذلك..

وأيضا.. هل يتفق عرضه الخلافة على الإمام، وتنازله عنها له، ثم توليته العهد، وبكاؤه عليه حين وفاته، وبقاؤه على قبره ثلاثة أيام، حسبما سيأتى بيانه.. هل يتفق كل ذلك، مع كتابته لعامله على (۲۸۷) صفحهمفاتيح البحث: مدينة الكوفة (۱)، القبر (۱)، الصّلاة (۲)، الرفض (۱)

مصر: يأمره بغسل المنابر التى دعى عليها للإمام (ع)، فغسلت؟! (۱).

وبعد.. وإذا كان الإمام (ع) حجة الله على خلقه، وأعلم أهل الأرض على حد تعبير المأمون، فلماذا يفرض عليه نظرية لا يراها مناسبة، ويتهدده، ويتوعده على عدم قبولها، والأخذ بها؟!.

وأخيرا.. هل يتفق ذلك كله، مع ما أشرنا، ولسوف نشير إليه، من ذلك السلوك اللاإنسانى مع الإمام (ع)، قبل البيعة، وبعدها، فى حياة الإمام، وحين وفاته، وبعدها.. وكذلك سلوكه مع العلويين.

وإخوة الإمام الرضا (ع) بالذات، ذلك السلوك الذى يترفع حتى الأعداء عن انتهاجه، والالتزام به، إلى آخر ما هنالك مما عرفت، وستعرف جانبا منه فى هذا الكتاب إن شاء الله تعالى..

المأمون يرتبك فى تبريراته:

ولعل من الأمور الجديرة بالملاحظة هنا: هو أن المأمون لم يكن قد حسب حسابا للأسئلة التى سوف تواجهه فى هذا الصدد، ولذا نرى أنه كان مرتبكا جدا فى تبريراته لما أقدم عليه، فهو تارة يعلل ذلك بأنه: (۱) ولا منافاة بينهما فى نظر المأمون، فإنه لم يكن يخشى من ردة الفعل فى مصر، لأنها بالإضافة إلى بعدها، لم تكن من المناطق الحساسة فى الدولة، ولم تكن أيضا شديدة التعاطف مع العلويين، فهى إذن مأمونة الجانب.. وما كان يخشى منه قد أمنه، بتظاهره أمام الملأ بالحزن الشديد على الإمام عليه السلام، حيث يكون بذلك قد طمأنهم، وأبعد التهمة عن نفسه فى المنطقة التى يخشى منها فى الوقت الحاضر.. وإلى أن تصل أخبار مصر إلى هذه المناطق الحساسة، فإنه يكون قد تجاوز المرحلة الخطيرة، ولم يعد يخشى شيئا على الاطلاق.. (۲۸۸) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (۱)، يوم عرفة (۱)، الحج (۱)

أراد مكافأة على بن أبى طالب فى ولده! (۱).

وأخرى: بأن ذلك كان منه حرصا على طاعة الله، وطلب مرضاته، ولما يعلمه من فضل الرضا، وعلمه، وتقاه. وأنه أراد بذلك الخير للأمة. ومصلحة المسلمين! (۲).

وثالثة: بأنه أراد أن يفى بنذره: أنه إن أظفره الله بالمخلوع – يعنى أخاه الأمين الذى قتله – أن يجعل ولاية العهد فى أفضل آل أبى طالب! (۳).

بل ورابعة: بأنه أراد أن يجعله ولى عهده، ليكون دعاؤه له، وليعتقد فيه المفتونون به إلخ (۴).. ما سيأتى تفصيله.

مع تبريرات المأمون تلك:

ومن الواضح أن تلك العلل والتبريرات وسواها، مما كان يتعلل (۱) الفخرى فى الآداب السلطانية ص ۲۱۹، والبحار ج ۴۹ ص ۳۱۲، وتاريخ الخلفاء للسيوطى ص ۳۰۸، والتذكرة لابن الجوزى ص ۳۵۶، ونقل أيضا: عن شذرات الذهب، لابن العماد، وغير ذلك..

(۲) صرح بذلك وفى وثيقة العهد، وفى الفخرى فى الآداب السلطانية ص ۲۱۷، قال:

"كان المأمون قد فكر فى حال الخلافة بعده، وأراد أن يجعلها فى رجل يصلح لها، كذا زعم."..

وفى البداية والنهاية ج ۱۰ ص ۲۴۷ قال ": إن المأمون رأى عليا الرضا خير أهل البيت، وليس فى بنى العباس مثله، فى علمه، ودينه، فجعله ولى عهده من بعده."

ومثل ذلك كثير..

(۳) الفصول المهمة لابن الصباغ المالكى ص ۲۴۱، ومقاتل الطالبيين ص ۵۶۳، وإعلام الورى ص ۳۲۰، والبحار ج ۴۹، ص ۱۴۳، ۱۴۵، وأعيان الشيعة ج ۴ قسم ۲ ص ۱۱۲، وعيون أخبار الرضا، وإرشاد المفيد، وغير ذلك.

(۴) لكن هذا الكلام لم يكن إلا لخصوص العباسيين، كما عرفت وستعرف!!. (۲۸۹) صفحهمفاتيح البحث: على بن أبى طالب (۱)، القتل (۲)، كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام (۱)، كتاب الإرشاد للشيخ المفيد (۱)، كتاب الفصول المهمة لإبن صباغ المالكى (۱)، كتاب البداية والنهاية (۱)، جلال الدين السيوطى الشافعى (۱)، كتاب أعيان الشيعة للأمين (۱)، بنو عباس (۱)، يوم عرفة (۱)

به المأمون، كانت مفتعلة قبل أوان نضجها، ولعله لما أشرنا إليه من أنه لم يكن قد حسب حسابا لهذه الأسئلة التى واجهته، فكانت أجوبته متناقضة، متضادة، من موقف لآخر، ومن وقت لآخر.. حتى إن التناقض يبدو فى التبرير الواحد، إذ تراه مرة يقول ": إنه نذر أن يجعل الخلافة فى ولد على. " وأخرى يقول ": إنه نذر أن يجعل ولاية العهد فيهم. " وثالثة: يضيف إليهم آل العباس. وهكذا.

ولولا ـ خوف الناس منه، ومن بطشه لوجدنا الكثيرين يسألونه: إنه إذا صح: أنه نذر الخلافة لولد على، فلماذا قبل منه واكتفى بولاية العهد؟!، إذ قد كان عليه أن يجبره على قبول الخلافة، كما أجبره على قبول ولاية العهد.. وإذا صح أنه نذر له ولاية العهد، فلماذا عرض عليه الخلافة، وأصر عليه بقبولها.

وإننا وإن لم نجد لهذه الأسئلة، وسواها أثرا فيما بأيدينا من كتب التاريخ. إلا أننا رأينا الشواهد الكثيرة الدالة على أن الناس كانوا يشكون كثيرا فى نوايا المأمون وأهدافه مما أقدم عليه. وحسبنا هنا: ما رواه لنا الصولى، والقفطى، وغيرهما من قضية عبد الله بن أبى سهل النوبختى المنجم، حيث أراد اختبار ما فى نفس المأمون، فأخبره أن وقت البيعة للإمام (ع) كان غير صالح، فأصر المأمون على إيقاع البيعة فى ذلك الوقت، وتهدده بالقتل إن حدث تغيير فى الوقت والموعد، وقد تقدمت القصة بكاملها تقريبا فى فصل سابق، وقد ذهب إلى ذكره غير واحد من المؤلفين (۱). (۱) تاريخ الحكماء ۲۲۲، ۲۲۳، وفرج المهموم فى تاريخ علماء النجوم ص ۱۴۲، وأعيان الشيعة ج ۴ قسم ۲ ص ۱۱۴. والبحار ج ۴۹، ص ۱۳۲، ۱۳۳، وعيون أخبار الرضا ج ۲ ص ۱۴۷، ۱۴۸، وغير ذلك.. (۲۹۰) صفحهمفاتيح البحث: عبد الله بن أبى سهل (۱)، القتل (۱)، الخوف (۱)، كتاب أعيان الشيعة للأمين (۱)

الإمام يدرك أهداف المأمون من عرض الخلافة:

ولعلنا نستطيع أن نجد فيما قدمناه فى هذا الكتاب ما يفسر لنا موقف الإمام (ع) من المأمون.. ذلك الموقف الذى لم يكن يتسم بالمهادنة، أو الموافقة أصلا. بل كان قاسيا وعنيفا فى مقابل عرض المأمون للخلافة عليه، كما ألمحنا إليه فى باب ": عرض الخلافة، ورفض الإمام."

ومـا ذلك.. إلا لأنه كان يعلم أنها لعبـة خطيرة، تحمل فى طياتها الكثير من المشاكل والأخطار، سواء بالنسـبة إليه (ع)، أو بالنسـبة إلى العلويين، أو بالنسبة إلى الأمة بأسرها..

ولقد كان (ع) يدرك: أن المأمون كان يرمى من وراء هذا العرض إلى أن يعرض حقيقة نوايا الإمام (ع)، ويسـتظهر دخيلة نفسه، حتى إذا ما رآه راغبا فيها رغبة حقيقية، سقاه الكأس، التى سقاها من قبل لمحمد بن محمد بن يحيى بن زيد، صاحب أبى السرايا، ومن بعد لمحمـد بن جعفر، وطاهر بن الحسـين، وغيرهم، وغيرهم.. وإنه كان يريـد أن يجعل ذلك ذريعـة لفرض ولاية العهد، وتمهيدا لإجباره على قبولهـا، لأـن مـا يحقق له مآربه، ويوصـله إلى غاياته، التى تحـدثنا عن جانب منها فى فصل: ظروف البيعـة.. هو قبول الإمام لولاية العهـد، لا الخلافـة.. كما أن هـذا هو الـذى يمكن أن يكون ممهدا لتنفيذ الجزء التالى من خطته، ألا وهو القضاء على العلويين بالقضاء على أعظم شخصية فيهم.

ومن ثم.. وبعـد كل ما تقـدم.. تكون النتيجـة هى: أن المأمون لم يكن جادا فى عرضه للخلافـة، وإنما فقط كان جادا فى عرضه لولاية العهد. (۲۹۱) صفحهمفاتيح البحث: محمد بن محمد بن يحيى (۱)، طاهر بن الحسين (۱)، محمد بن جعفر (۱)، الهدف (۱)

ويبقى هنا سؤال:

"لو أن الإمام قبل عرض الخلافة، فماذا ترى سوف يكون موقف المأمون."؟!

أولا: وقد يمكن الاقتناع بالجواب هنا لو قيل:

بديهى أن المأمون كان قد أعد العدة لأى احتمال من هذا النوع..

وقد كان يعلم أنه يستحيل على الإمام، خصوصا فى تلك الظروف:

أن يقبل عرض الخلافـة، من دون إعداد مسبق لها، وتعبئة شاملة لجميع القوى، وفى مختلف المجالات، ولسوف يكون قبوله لها بدون ذلك عملا انتحاريا، لا مبرر له، ولا منطق يساعده.

إذ من البـديهى أن الإمـام الـذى كان يعلم كم كان للقائـد الحقيقى، والمصـلح الواعى، من أثر فى حياة الأمـة، وفى مستقبلها، وكيف يمكن أن تتحد فى ظلة قدرات الأمة - أفرادا وجماعات - وإمكاناتها المادية، والفكرية وغيرها فى طريق صلاحها، وإصلاحها.. ويعلم أيضا: كيف يكون الحال، لو كان القائد فاسدا، حتى بالنسبة لما يبدو من تصرفاته فى ظاهره صحيحا وسليما..

إن الإمام الـذى كان يعلم ذلك وسواه - وبصـفته القائد الحقيقى للأمة، لو حكم، فلا بد له أن يقيم دولة الحق والعدل، ويحمل الناس على المحجـة، ويحكم بمـا أنزل الله، كما حكم جـده محمـد صـلى الله عليه وآله، وأبوه على (ع) من قبل.. وحكمه هـذا سوف يكون مرفوضا جملـة وتفصـيلا، لأن الناس، وإن كانوا عاطفيا مع أهل البيت عليهم السـلام، إلا أنهم حيث لم يتربوا تربيـة إسـلامية صـحيحة، وصالحـة، إذا أراد العلويـون، أو غيرهـم حملهم على المحجـة، فلسـوف لاـ ينقـادون لهم بسـهولة، ولاـ يطيعونهم بيسـر، ولسوف يكون الحكم بما أنزل الله غريبا على أمـة اعتادت (۲۹۲) صـفحهمفاتيح البحث: أهل بيت النبى صلى الله عليه وآله (۱)، الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (۱)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (۱)

على حياة خلفاء بنى العباس، ومن قبلهم بنى أمية المليئة بالانحرافات والموبقات.

أولئك الخلفاء الـذين كانوا فى طليعة المسـتهترين، والمتحللين من كل قيود الدين والإنسانية، والذين كانوا يتساهلون فى كل شـئ، ما دام لا يضـر بوجودهم فى الحكم.. نعم.. فى كل شـئ على الاطلاق، حتى فى الـدين وأحكامه، والأخلاق، والمثل العليا، وما ذلك إلا لأـنهم لم يكن همهم إلاـ الحكم، والتسـلط، وامتصاص دماء الشـعوب، ولا يهمهم - بعـد - أن يفعل الناس ما شاءوا. ليتستروا بالـدين، ليكفروا بالله، ليتحللوا من الأخلاق والفضائل الإنسانية، ليأكل بعضهم بعضا، ليكونوا أنعاما سائمة، أو ليكونوا وحوشا ضارية، فإن ذلك كله لا يضر.

والذى يضر فقط هو: أن يتعرضوا للحكم، ويفكروا بالسلطان، كيفما كان التعرض، وأيا كان التفكير.

وإذا كـان الإمام على (ع) عنـدما أراد أن يحكم بما أنزل الله تعالى، قـد لاقى ما لاقى مما لا يجهله أحـد.. رغم ما سـمعته الأمـة من فم النبى صلى الله عليه وآله مباشرة فى حقه، وقرب عهدها به. فكيف بعد أن مرت عشرات السنين، وأصبح الانحراف عادة جارية، وسنة متبعة، واتخذ نحوا من الأصالة فى حياة الأمة، وروحها، وأصبح – للأسف – جزءا لا يتجزأ من كيانها وواقعها..

وأيضا.. إذا كان أبو مسلم قد قتل ست مئة ألف نفس صبرا، عدا مئات الألوف الأخرى، التى ذهبت طعمة للسيوف فى المعارك.

وإذا كانت ثورة أبى السرايا قد كلفت المأمون " ۲۰۰ " ألف جندى، من جنوده هو..

وإذا كان العصيان ما انفك يظهر من كل جانب ومكان، رغم أن (۲۹۳) صفحهمفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (۱)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (۱)، بنو عباس (۱)، بنو أمية (۱)، القتل (۱)

الحكم كان أولا وآخرا مع أهواء الناس، ومصالحهم الشخصية..

فهل يمكن مع هـذا.. أن لا يتعرض الإمام (ع) لعصيان أصحاب الأهواء – وما أكثرهم – والكيـد من قبل الأعـداء، الـذين سوف يزيد عددهم، وتتضاعف قوتهم. عندما يحاول الإمام (ع) أن يفرض عليهم حكما ما اعتادوه، وسلوكا ما ألفوه؟!..

إن من الواضـح: أن النـاس وإن كانت قلوبهم معه، إلا أن سـيوفهم سوف تنقلب لتصير عليه، كما انقلبت على آبائه وأجـداده من قبل، وذلك عنـدما لا ينسـجم مع رغائبهم. وأهوائهم، وانحرافاتهم. حيث إن الإمام (ع) إذا أراد أن يحكم، فلسوف يواجه – بطبيعة الحال – تلك العناصر القويـة، ذات النفوذ، وأولئك المستأثرين بكـل الأموال والأقطاع، من أصحاب الأطماع، والمصالـح الشخصـية، وجها لوجه.. إذ أننا لا يمكن أن ننتظر من حكومة الإمام، التى هى على الفرض حكومة الحق، والعدل: أن تقرهم على ما هم عليه، فضلا عن أن توفر لهم الحماية لتصرفاتهم المشبوهة، وغير المنطقية، بل حتى ولا الأخلاقية أيضا.

إن حكومـة الإمام (ع)، إذا أرادت أن تقوم بعمل أساسـى فى سبيل استئصال كل جـذور الانحراف والفساد.. فإن عليها أولا، وقبل كل شئ، أن تقوم بقطع أيـدى أولئك الغاصبين لأموال الأمة، والمتحكمين بمقدراتها. وإبعاد كل أولئك الذين كانوا يستغلون مناصبهم، التى وصلوا إليها عن طريق الظلم، والغطرسة، والابتزاز – يستغلونها – لمآربهم الشخصية، وانحرافاتهم اللاأخلاقية.

ثم. قطع أعطيات ذلك الفريق من الناس، الـذين كانوا يعيشون على حساب الأمة، ويأكلون خيراتها. ثم لا يقومون فى مقابل ذلك بأى عمل، أو نشاط يذكر. (۲۹۴) صفحهمفاتيح البحث: الظلم (۱)

وأيضا. منع المحسوبيات، والوساطات، من أصحاب الوجاهات، الذين كانت تسيرهم الروح القبلية، ويهيمن عليهم الشعور الطبقى فى دولة الأطماع والمزايدات، أو دولة التهديد، والعسف، والإرهاب.

يضاف إلى ذلك كله.. أنه إذا أراد الإمام (ع) أن ينطلق فى كل نصب وعزل من مصلحة الأمة، لا من مصلحة الحاكم والقبيلة، فطبيعى أن يؤدى ذلـك إلى إثـارة القبائـل ضـده، ويؤلبهم عليه.. فزعماء القبائل سواء كانوا عربا أو فرسا كانوا يلعبون دورا هاما فى إنجاح أية ثورة وقيام أية دعوة واستمرار ونجاح أى حكم.

وبعـد كل ذلك، فإن من الطبيعى إذن: أن يستفحل الصـراع بينه، وبين العناصـر القويـة، ذات النفوذ، من أصحاب الأهواء، والمصالح الشخصـية، وأولئك الـذين يعتمل فى نفوسـهم طموح كبير، نحو زبارج الـدنيا، وبهارجها. وذلك عنـدما يعطى القيمة الحقيقية لهؤلاء جميعا، ويجعلهم فى المستوى الذى يجب أن يكونوا فيه، ويحدد ويقيم لهم واقعهم الذى لن يرضوا أبدا بتحديده وتقييمه. وعلى الأقل لن تساعـده تلك العناصـر على تصـحيح الوضع، وإقرار النظام.. هذا إن لم تكن هى العقبة الكأداء، التى تحول بينه وبين ما يصـبو إليه، وتمنعه من تحقيق ما يريد..

يضـاف إلى ذلـك كله: أن القيادة القبليـة كانت قـد فسـدت آنـذاك، واعتاد رؤساء القبائل على نكث العهود والمواثيق التى يعطونها، فكانوا يؤيدون هذه الدعوة، وهذا القائم بها، إلى أن يجدوا من يستفيدون منه، ويغدق عليهم أكثر من الأموال، ويخصهم بما يفضل ما يخصهم به ذاك من المناصب. وكان للقيادات القبلية دور كبير فى إنجاح أية دعوة، وانتصار أية ثورة..

وبعد.. فإنه إذا كان الإمام (ع) لن يحابى أحدا على حساب دينه ورسالته.. وإذا كان – من الجهة الأخرى – مركزه ضعيفا فى الحكم.

وإذا كان ليس لديه القوة والقدرة الكافية لمواجهة مسؤولياته كاملة. (۲۹۵) صفحهمفاتيح البحث: كتاب الكافئة للشيخ المفيد (۱)، المنع (۱)

فلسوف ينهار حكمه وسلطانه أمام أول عاصفة تواجهه، ولن يستطيع أن يبقى محتفظا بوجوده فى الحكم، أو على الأقل بمركز يخوله أن يفرض الحكم الذى يريد على المجتمع، بجميع فئاته، ومختلف طبقاته.

إلا أن يكون حاكما مطلقا، لا تحد سلطته حدود، ولا تقيدها قيود، وأنى له بذلك.

وبعد كل ما تقدم، فإن النتيجة تكون، أن الإمام (ع)، وإن كان يمتلك القدرة على الاصلاح، لكن الأمة لم تكن لتتحمل مثل هذا الاصلاح، خصوصا وأن الحكام – بوحى من مصالحهم الخاصة – كانوا قد أدخلوا فى أذهان الناس صورا خاطئة عن الحكم، وعن الحكام، الذين يفترض فيهم أن يقودوا الأمة فى مسيرها إلى مصيرها.

هذا كله. لو فرض – جدلا – سكوت العباسيين والمأمون عنه، مع أن من المؤكد أنهم سوف يعملون بكل ما لديهم من قوة وحول، من أجل تقويض حكمه، وزعزعة سلطانه.

وإذا كان يستحيل على الإمام (ع)، فى تلك الفترة على الأقل:

أن يتسلم زمام السلطة إلا أن يكون حاكما مطلقا كما قدمنا. فمن الواضح أن سؤالا من هذا النوع لا مجال له بعد. ولن يكون فى تجشم الإجابة عليه كبير فائدة، أو جليل أثر.

ولكن.. مع ذلك، وحتى لا نفرض على القارئ وجهة نظر معينة، إذ قد يرى أن من حقه أن يفترض – وإن أبى واقع الأحداث مثل هذا الافتراض – أنه كان على الإمام (ع): أن يجارى، ويدارى فى بادئ الأمر، من أجل الوصول إلى أهداف فيها خير الأمة ومصلحتها، من أجل ذلك.. نرى لزاما علينا أن نجاريه فى هذا الافتراض، ونتجه إلى الإجابة على ذلك السؤال بنحو آخر، فنقول:

وثانيا: إنه إذا كان المأمون فى تلك الفترة هو الذى يمتلك القدرة والسلطان.. وإذا كانت كل أسباب القوة والمنعة متوفرة لديه بالفعل، (۲۹۶) صفحهمفاتيح البحث: الهدف (۱)

فإنه سوف يسهل عليه – إذا لم يكن حكم الإمام (ع) على وفق ما يشتهى، وحسبما يريد -: أن يأخذ على ذلك الحكم: (الذى يرى نفسه، ويرى الناس أنه مدين للمأمون) أقطار الأرض، وآفاق السماء. ولن يصعب عليه تصفيته، والتخلص منه من أهون سبيل، حيث إنه حكم لا يزال، ولسوف يسعى المأمون لأن يبقيه فى المهد، يستطيع المأمون أن ينزل به الضربة القاصمة القاضية متى شاء، دون أن تعطى له الفرصة لحشد قدراته، وتجميع قواه فى أى من الظروف والأحوال.

وهكذا.. فإن النتيجة تكون: أن الإمام (ع) سوف يكون بين خيارين لا ثالث لهما: فإما أن يحاول تحمل المسؤولية الحقيقية، بكل أبعادها، وتبعاتها، باعتباره القائد الحقيقى للأمة، ويقدم على كل ما تقدمت الإشارة إليه من إصلاحات جذرية فى جميع المجالات، وعلى مختلف المستويات، مما سوف يكون من نتائجه أن يعرض نفسه للهلاك، حيث لا يستطيع الناس، والمأمون وأشياعه تحمل ذلك، والصبر عليه، ويكون له ولهم كل العذر فى تصفيته، والتخلص منه.

وإما أن لا يتحمل مسؤولية الحكم، ولا يأخذ على عاتقه قيادة الأمة، وإنما تكون مهمته، وما يأخذه على عاتقه هو فقط تنفيذ إرادات المأمون، وأشياعه من المنحرفين. ويكون هو الواجهة التى يختفى وراءها الحكام الحقيقيون، المأمون ومن لف لفه..

وواضح أن نتيجة ذلك سوف تكون أعظم خطرا على الإمام، وعلى العلويين، وعلى الأمة بأسرها، وأشد فداحة من نتيجة الخيار السابق، حيث يكون قد قضى بذلك على كل آمال الأمة، وكل توقعاتها.

وذلك هو كل ما يريده المأمون، ويسعى من أجل الحصول عليه، بكل ما أوتى من قوة وحول.

وثالثا: إن من الواضح: أن عرض المأمون التنازل عن الخلافة للإمام (ع)، لا يعنى أبدا أن المأمون سوف لا يحتفظ لنفسه بأى من

(۲۹۷) صفحهمفاتيح البحث: الصبر (۱)، النفاذ، التنفيذ (۱)

الامتيازات، التی تضمن له - فی نظره - نصيبا من الأمر (۱). ولسوف يری الناس كلهم أن له كل الحق فی ذلك.

كما أن ذلك لا يعنی أنه سوف لا يعود له نفوذ فی الأوساط ذات النفوذ والقوة. بل إننی أعتقد أنه سوف يكون فی تلك الحال أقوی بكثير منه فی غيرها، حتی أن المنصب للإمام (ع)، قد يكون شكليا، ومركزه صوريا، لا حول له فيه ولا قوة.

وحينئذ.. وإذا كان المأمون سوف يبقی له نفوذ وقوة، وإذا كان سوف يشترط لتنازله عن الخلافة للإمام، ما يضمن له استمرار تلك القوة، وذلك النفوذ، بل وعودة الخلافة له فی نهاية الأمر. فلسوف لا يصعب عليه كثيرا أن يدبر - وهو الداهية الدهياء - فی الإمام (ع) بما يحسم عنه مواد بلائه، علی حد تعبير المأمون.

وليطمئن - من ثم - خاطره، ويهدأ باله، حيث يكون قد حقق كل ما كان يصبو ويطمح إلی تحقيقه. كما أنه يكون قد أصبح يمتلك اعترافا من العلويين بشرعية خلافته.. بل يكون العلويون علی يد أعظم شخصية فيهم، هم الذين رفعوه علی العرش وسلموا إليه أزمة الحكم والسلطان.. إلی آخر ما هنالك مما قدمناه، ولا نری ضرورة لإعادته.

وفی النهاية:

والآن.. وبعد أن ألقينا نظرة سريعة علی مدی جدية المأمون، فی عرضه للخلافة علی الإمام (ع)، وتحدثنا عن الوضع الذی سوف ينتج لو أن الإمام قبل ذلك العرض.. فإن من الطبيعی أن نتطلع لنعرف ما هو موقف الإمام من تلك اللعبة - لعبة ولاية العهد - وما هی خطته فی مواجهة ما يعلمه من خطط المأمون، وأهدافه الشريرة.

فإلی الفصل التالی، والذی بعده.. (۱) كأن يشترط أن يكون هو الوزير، أو ولی العهد مثلا.

صفحه(۲۹۸)

موقف الإمام

موقف الإمام (ع):

سؤال يطرح نفسه:

هل يعقل أن رجلا تعرض عليه الخلافة، أو ولاية العهد، بل ما هو أقل منهما بمراتب، ويعرف جدية العرض، ثم يرفض ذلك رفضا قاطعا، ثم يهدد، فلا يقبل إلا بما هو أبعد منالا، وأقل احتمالا - بالنسبة إلی سنه - وبشروط تبعده كل البعد عن مسرح السياسة والحكم، وتجعل من كل شئ مجرد إجراءات شكلية، لا أثر لها.

هل يعقل أن رجلا من هذا القبيل - يسلم من أن ينسب إلی ما لا يرضی أحد بأن ينسب إليه؟!. اللهم إلا إذا كان هناك ما هو أعظم، وأدهی وأخطر من ذلك المنصب، وإلا إذا علم أنه سوف يدفع ثمن ذلك غاليا، وغاليا جدا، ألا وهو نفسه التی بين جنبيه!.

والإمام. الذی نعرف، ويعرف كل أحد: أنه ذلك الرجل الجامع لكن صفات الفضل والكمال: من العلم، والعقل، والحكمة، والدراية، والتقی، شهد له بذلك أعداؤه ومحبوه، علی حد سواء - هذا الإمام.

قد رفض كلا عرضی المأمون: الخلافة، وولاية العهد.. رفضهما رفضا (۲۹۹) صفحهمفاتيح البحث: الشهادة (۱)، الرفض (۱)

باتا وقاطعا، ولم يقبل ولاية العهد إلا علی كره وإجبار منه، وإلا وهو باك حزين، وعاش بعد ذلك فی ضيق شديد، ومحنة عظيمة، حتی إنه كان يدعو الله بالفرج بالموت!.

وعليه. أفلا يكفی موقف الإمام هذا، وسائر مواقفه من مختلف تصرفات المأمون، لأن يضع علامة استفهام كبيرة حول طبيعة هذا الحدث؟!.

ألم يكن من الواجب أن يكون الإمام (ع) مستبشرا مبتهجا كل الابتهاج لما سيؤول إليه أمره. ومدافعا عن المأمون، ونظام حكمه،

ومناصرا له، بكل ما أوتى من قوة وحول؟!.

ثم ألا يفهم من ذلك كله: أنه (ع) كان يدرك ما يكمن وراء قبوله لأى من العرضين من مشاكل، وما ينتظره من أخطار؟!.

وأن ذلك ليس إلا شركا يقصد إيقاعه به، ومن بعده كل العلويين، للقضاء عليه وعليهم، وإلى الأبد!!.

وإذا كـان الإمـام (ع) يعرف الحقيقـة.. فهل يمكن أن نتصور أن يكون راضيـا بأن يجعله المأمون وسـيلة لأغراضه، وآلـة لتحقيق مآربه وأهـدافه!!. سـيما إذا لاحظنـا أنه يعرف أكثر من أى إنسان آخر ما لتلك اللعبـة من عواقب سـيئة، وما تحمله فى طياتها من آثار، ليس عليه هو، وعلى العلويين، والمتشيعين لهم فحسب. وإنما على الأمة بأسرها إن حاضرا، وإن مستقبلا!؟.

هـذا كله عـدا عن أن هـذه اللعبة سوف تكون بمثابة قطع الطريق عليه فى أى تحرك يقوم به، وأى نشاط إصـلاحى يمارسه، حيث لم يعد (۳۰۰) صفحهمفاتيح البحث: الموت (۱)

يستطيع أن يكون فى المستقبل قائدا للحركة المضادة للمأمون، ونظام حكمه، القائم على غير أساس شرعى، ومنطقى سليم (۱).

لا يرضى الإمام (ع)، ولا يقتنع المأمون:

لا.. لا يمكن أن يرضـى الإمام بـذلك، وخصوصا بعـد أن تلقى العلم عن آبائه الصادقين، عن النبى صـلى الله عليه وآله الـذى لا ينطق عن الهوى: بأن ذلك شـئ لا يتم، وأوضـح ذلك بما كتبه على وثيقة العهد الآتية بخط يده، حيث قال ": والجفر والجامعة يدلان على ضد ذلك، لكننى امتثلت أمر أمير المؤمنين.".

لا. لا يمكن أن يرضـى ببيعـة يعلم أنها لا تتم له، وإنما تخـدم مصالـح آخرين. وتحقق لهم مأربهم، على حساب الـدين، والأمة، ولهذا رفض بشدة وعنف، وأصر عليه المأمون بشدة وعنف أيضا.

ولم يكن ليقنع المأمون شئ، بعد أن كان يرى أن القضية بالنسبة إليه قضية مصير ومستقبل، وهو مستعد لأن يضحى بكل شئ فى سبيل مصيره ومستقبله، كما ضحى بأخيه وأشياعه من قبل.

وإنه إذا تأكـد لـديه رفض الإمام (ع) القاطع، وتصور ما سوف تؤول إليه حاله نتيجـة لـذلك الرفض، فلسوف لا يألو جهـدا، ولا يدخر

(۱) وفى كتاب: الإمامة للشيخ محمد حسن آل ياسين ص ۸۶ قال إنه عليه السـلام وافق على فكرة ولايـة العهـد، لتكون فترة امتحان وتجربة للمأمون.

ولا يخفى ما فيه، فإن كل الـدلائل والشواهد كانت تشير إلى أن الإمام عليه السـلام كان يعلم بحقيقة نوايا المأمون وأهدافه، ولم تكن ثمة حاجة إلى امتحان وتجربة، كما اتضح وسيتضح إن شاء الله تعالى. (۳۰۱) صفحهمفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (۱)، الرفض (۲)

وسعا فى الانتقام لنفسه من الإمام (ع)، ومن كل من تصل إليه يده، ممن له به (ع) أية صلة أو رابطة.

هى قضية مصير:

وبأوضـح بيان نقول: إنه لم يكن امتناع الإمام (ع) عن قبول ولاية العهد بالذى يثنى المأمون عما كان قد عقد العزم عليه، لأن الأسـباب التى كانت تدعوه لذلك لم تكن تسـمح له أبدا بالإصغاء لهذا الرفض، فهى تحتم عليه أن يفعل ذلك، مهما كلفه الأمر، ومهما كانت النتائـج، ولم يكن لـديه مانع من تنفيـذ تهديـداته، ولو علم أنه لا سبيل إلى تنفيذ ما يصـبو إليه، والحصول على ما يريد الحصول عليه، والقضـية بالنسبة إليه هو المتعطش إلى الحكم والسلطة قضية مصير ومستقبل، لا يمكن المساومة معها، ولا مجال لغض النظر والتساهل فيها..

وإذا كـان قـد قتل أخاه من أجل الملك وفى سبيله، فأى مانع يمنعه من قتل الرضا (ع) من أجل الملك أيضا، وفى سبيله.. أم يعقل أن يكون الرضا أعز عليه من أخيه، وسائر من قتل من وزرائه هو، وقواده، وأشياعه؟!؟.

ولسوف لا نسـتغرب على المأمون - بعـد قتله أخاه - الإقـدام على أى تصـرف فى سبيل الملك، حتى الإقدام على قتل الرضا (ع)، بعد

أن كان أبوه الرشيد قد أملى عليه درس "، الملك عقيم، " وقال له:

"والله، لو نازعتنى أنت هـذا الأمر، لأخذت الذى فيه عيناك، فإن الملك عقيم (".. ۱). (۱) شرح ميمية أبى فراس ص ۷۳، والبحار ج ۴۸ ص ۱۳۱، وقاموس الرجال ج ۱۰ صرح ۳۷۰، وعيون أخبار الرضا ج ۱ ص ۹۱، وينابيع المودة ص ۳۸۳، مع بعض تحريف لها، وغير ذلك.. (۳۰۲) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (۲)، العزّة (۱)، القتل (۵)، النفاذ، التنفيذ (۱)، كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام (۱)، كتاب ينابيع المودة (۱)

ولم يكن ليخفى عليه أيضا قول موسى بن عيسى، عندما رأى عبادة الحسين بن على وأصحابه، فى وقعة فخ.. ": هم والله، أكرم عند الله، وأحق بما فى أيدينا منا، ولكن الملك عقيم. ولو أن صاحب هذا القبر (يعنى النبى صلى الله عليه وآله)، نازعنا الملك ضربنا خيشومه بالسيف (". ۱).

وهذا الدرس قد أخذه الكل عن عبد الملك بن مروان، فإنه عندما قتل مصعب بن الزبير بكى، وقال ": لقد كان أحب الناس إلى، وأشدهم مودة لى، ولكن الملك عقيم، ليس أحد يريده من ولد ولا والد إلا كان السيف (" ۲).

بل وحتى نفس أخيه الأمين، عندما لم يعد له نجاة من براثن أخيه المأمون، نراه يتذكر هذه القاعدة، فيقول ": هيهات، الملك عقيم، لا رحم له (".. ۳).

ولقد عمل المأمون بهذه القاعدة، فقتل أخاه، وأعطى الذى جاءه برأسه مليون درهم. بعد أن سجد شكرا لله، ونصب الرأس على خشبة ليلعنه الناس، إلى آخر ما مر تفصيله..

وإذا كانت القضية بالنسبة إلى المأمون قضية مصير ومستقبل وقضية ملك وسلطان، فطبيعى إذن أن نراه يخاطر بالخلافة (وإن كنا قدمنا أن ذلك كان منه سياسة ودهاء من أجل التمهيد لفرض ولاية العهد)، وأقدم على التخلى عن ولاية العهد، مع أن العباس ابنه وسائر ولده (۱) مقاتل الطالبيين ص ۴۵۳، وثمرات الأعواد ۱۹۹، ۲۰۰، وشرح ميمية أبى فراس ص ۷۴.

(۲) شرح النهج للمعتزلى ج ۳ ص ۲۹۶، وطبقات ابن سعد ج ۵ ص ۱۶۸، والبداية والنهاية ج ۸ ص ۳۱۶.

(۳) تتمة المنتهى ص ۱۸۵. (۳۰۳) صفحهمفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (۱)، موسى بن عيسى (۱)، الحسين بن على (۱)، القتل (۱)، الكرم، الكرامة (۱)، كتاب مقاتل الطالبيين لأبو الفرج الأصفهانى (۱)، كتاب ثمرات الأعواد (۱)

كانوا أحب إلى قلبه، وأجلى فى عينه من كل أحد، على حد تعبيره فى رسالته للعباسيين.

ولقد قدمنا الشرح الكافى والوافى لحقيقة الظروف والأسباب، التى دعت المأمون إلى ذلك، والتى هى دون شك كافية لأن تجعل المأمون يقدم على أى عمل - ولو كان انتحاريا - من أجل إنقاذ نفسه وخلافته، والعباسيين.. حتى ولو كان ذلك الشئ هو قتل الإمام (ع).. ولقد أخبر الإمام كرات، ومرات: أنه لم يقبل إلا بعد أن أشرف من المأمون على الهلاك.

مبررات قبول الإمام لولاية العهد:

ولقد قبل الإمام (ع) ولاية العهد. ولكن.. بعد أن عرف أن ثمن رفضه لها لن يكون غير نفسه التى بين جنبيه. هذا عدا عما سوف يتبع ذلك من تعرض العلويين، وكل من يتشيع لهم إلى أخطار هم فى غنى عنها.. ولو فرض أنه كان له هو (ع) الحق - فى مثل هذه الظروف - فى أن يعرض نفسه للهلاك، فلن يكون له حق أبدا فى أن يعرض غيره من شيعته ومحبيه، والعلويين أجمع إلى الهلاك أيضا..

هذا.. عدا عن أنه (ع) كان عليه أن يحتفظ بحياته، وحياة شيعته ومحبيه، لأن الأمة كانت بأمس الحاجة إلى وعيهم وإدراكهم، ليكونوا لها قدوة ومنارا، تهتدى، وتقتدى به، فى حالكات المشاكل، وظلم الشبهات.

نعم.. لقد كانت الأمة بأمس الحاجة إلى الإمام (ع)، وإلى من رباهم الإمام، حيث كان قد غزاها فى ذلك الوقت تيار فكرى، وثقافى غريب، من الزندقة والإلحاد، وشاعت فيها الفلسفات والتشكيكات (۳۰۴) صفحهمفاتيح البحث: الهلاك (۲)، القتل (۱)، الحاجة،

الإحتياج (٢)

بالمبادئ الإلهية الحقة، فكان على الإمام (ع) أن يقف. ويقوم بواجبه، وينقذ الأمة، ولقد كان ذلك منه بالفعل، فلقد قام بواجبه، وأدى ما عليه، على أكمل وجه، رغم قصر المدة التى عاشها بعد البيعة نسبيا، ولهذا نقرأ فى الزيارة الجوادية.. "، السلام على من كسرت له وسادة والده أمير المؤمنين، حتى خصم أهل الكتب، وثبت قواعد الدين (".. ١).

والمراد بذلك: الإمام الرضا (ع).

ولو أنه (ع) رفض ولاية العهد، وعرض نفسه، وشيعته، ومحبيه للهلاك فلسوف لا يكون لموته، وموتهم أدنى أثر فى هذا السبيل، بل كان الأثر عكسيا، وخطيرا جدا..

أضف إلى ذلك: أن قبول الإمام بولاية العهد، معناه اعتراف من العباسيين عملا، مضافا إلى القول: بأن العلويين لهم حق فى هذا الأمر، بل إنهم هم الأحق فيه، وأن الناس قد ظلموهم حقهم هذا.

وأن ظلم الناس لهم ليس معناه عدم ثبوت ذلك الحق لهم.

وقد رأينا ابن المعتز يهتم فى الاستدلال على أن جعل المأمون الرضا وليا للعهد، لا يعنى أن الحق فى الخلافة كان للرضا والعلويين، دون المأمون والعباسيين. وأنه إنما أعطاهم عن طريق التقوى والورع، وليثبت لهم أن الخلافة التى ثاروا من أجل الوصول إليها وقتلوا أنفسهم فى سبيلها لا تساوى عنده جناح بعوضه، فهو يقول:

وأعطاكم المأمون حق خلافة * لنا حقها لكنه جاد بالدنيا ليعلمكم أن الذى قد حرصتم * عليها وغودرتم على أثرها صرعى (١) البحار ج ١٠٢ ص ٥٣. (٣٠٥) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (١)، القتل (١)، الوجوب (٢)، الرفض (١)

يسير عليه فقدها غير مكثر * كما ينبغى للصالحين ذوى التقوى فمات الرضا من بعد ما قد علمتم * ولاذت بنا من بعده مرة أخرى (١)

وأيضا.. حتى لا- يتناساهم الناس، ويقطعوا آمالهم بهم، وحتى لا يصدق الناس ما يشاع عنهم من أنهم مجرد علماء فقهاء، لا يهمهم العمل لما فيه خير الأمة، ولا يفكرون فى الخروج إلى المجتمع بصفتهم رواد صلاح وإصلاح ولعل إلى ذلك كله، يشير الإمام (ع) فى قوله لمحمد ابن عرفة، عندما سأله عن قبوله بولاية العهد، فقال له ": يا ابن رسول الله، ما حملك على الدخول فى ولاية العهد.."؟! فأجابه الإمام (ع "): ما حمل جدى على الدخول فى الشورى (".. ٢).

هذا بالإضافة إلى أنه يكون فى فترة ولاية العهد قد أظهر المأمون على حقيقته أمام الملأ، وعرفهم بواقع وأهداف كل ما أقدم عليه، وأزال كل شبهة ولبس فى ذلك. كما قد حدث ذلك بالفعل.

هل الإمام راغب فى هذا الأمر:

ولكن هذا كله وسواه، لا يعنى أن الإمام (ع) كان راغبا فى أى من الخلافة، أو ولاية العهد، فإن ما ذكرناه لا يبرر ذلك، حيث إنه لا يعدو عن أن يكون من الفوائد التى كان لا يمكن الحصول على بعضها (١) مناقب ابن شهرآشوب ج ۴ ص ۳۶۵، وديوان ابن المعتز ص ٢٢ – ٢٣ وإن اهتمام ابن المعتز الواضح بقضية الرضا مع المأمون، كما يظهر من شعره هنا، والذى قدمناه مع التعليق عليه فى فصل: ظروف البيعة.. يدلنا على أن هذه القضية كان لها فى الأمة صدى واسعا، وآثارا هامة، لم يكن بوسع ابن المعتز التغاضى عنها، والسكوت عليها، (٢) راجع: مناقب آل أبى طالب ج ۴ ص ۳۶۴، ومعادن الحكمة ص ۱۹۲، وعيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١۴٠، والبحار ج ۴۹ ص ۱۴۰ ۱۴۱. (۳۰۶) صفحهمفاتيح البحث: يوم عرفة (١)، كتاب مناقب آل أبى طالب عليه السلام (١)، ابن شهرآشوب (١)

من دون الدخول فى هذا الأمر. والبعض الآخر لا يساوى فى أهميته وخطره، ما سوف يجره الدخول فى هذا الأمر من مآس ومشاكل، وما سوف يترتب عليه من آثار سيئة وخطيرة.

وقد قدمنا فى الفصل السابق البيان الكافى والوافى، لما سوف يعترض طريق الإمام (ع) من عقبات فى الحكم، لو أنه كان قبل عرض

الخلافة، وكيف ستكون النهاية له، ولنظام حكمه..

وهو يوضح لنا أيضا حقيقة حاله، ونظام حكمه لو أنه قبل ولاية العهد، إذ أنه (ع) كان يعلم: أن وصوله للخلافة، وتسلمه لازمة الحكم والسلطان تعترضه عقبات صعبة، وأهوال عظيمة، لن يكون من اليسير التغلب عليها، وتجاوزها.

فلقد كان يعلم – كما أظهرت الأحداث والوقائع بعد ذلك – أنه لن يسلم من دسائس المأمون وأشياعه، بحيث يبقى محتفظا بحياته، أو على الأقل بمركزه، إلى ما بعد وفاة المأمون، ولم يكن يشك فى أن المأمون سوف يقدم على كل غريبة، من أجل التخلص منه، وتصفيته، إن جسديا، وإن معنويا..

بل.. وحتى لو أن المأمون لم يقدم على أى عمل، فإن آماله بالبقاء على قيد الحياة إلى ما بعد وفاة المأمون، وهو بهذه السن المتقدمة، بالنسبة لسن المأمون.. كانت ضعيفة جدا، لا تبرر له الإقدام على قبول مثل هذا الأمر، إلا إذا كان يريد أن يعطى الناس انطباعا عن نفسه، بأنه لم يزهد بالدنيا، وإنما الدنيا هى التى زهدت، كما كان يريد المأمون!!

ومع غض النظر عن كل ذلك.. فإنه لو قدر له البقاء على قيد الحياة إلى ما بعد وفاة المأمون، فلسوف يصطدم بتلك العناصر القوية ذات النفوذ، والتى لن ترضى عن سلوكه فى الحكم بصورة عامة، وفوق (۳۰۷) صفحهمفاتيح البحث: الغلّ (۱)، الوفاة (۳)

ذلك كله، لسوف يصطدم بمؤامرات العباسيين، وأشياعهم، والذين كانوا على استعداد لأن يعملوا المستحيل للحيلولة بينه وبين ذلك، ولو تمكن من ذلك، فلسوف لا يدخرون وسعا، ويجندون كل ما لديهم من طاقة وقوة وحول، من أجل زعزعة حكمه، وتقويض سلطانه، وخلق المشاكل الكثيرة له، لتضاف إلى ذلك الركام الهائل من المشاكل التى كانت تواجه الحكم.

إنهم سوف لا يمكنونه من قيادة الأمة قيادة صالحة، وسليمة وحكيمة، وليمنى – من ثم – بالفشل الذريع، والخيبة؟؟ القاتلة.

ولسوف يجدون هناك مرتعا خصبا لمؤامراتهم، ودسائسهم فى تلك الدولة المترامية الأطراف، الطافحة بالمشاكل، وذلك عندما يجدون أن الإمام (ع) لن يرضى إلا أن يحكم بحكم جديه محمد صلى الله عليه وآله وعلى (ع).

وأن الناس بمختلف فئاتهم وطبقاتهم سوف لا يكونون مستعدين لتقبل حكم كهذا. ولا أن ينقادوا لحاكم يريد منهم ذلك، ويخضعوا لإرادته، بعد أن كانوا قد اعتادوا على حياة الخلفاء الأمويين، والعباسيين، المليئة بالانحرافات والموبقات.

اللهم إلا أن يقوم الإمام (ع) فى فترة ولاية العهد، أو بداية حكمه بإعداد مسبق، وتعبئة عامة وشاملة، على جميع المستويات، وفى مختلف المجالات.. وإلا.. فلسوف لا يكون قادرا على مواجهة ذلك الركام الهائل من المشاكل، ولا على النجاح والاستمرار فى الحكم.. ولن يفسح العباسيون، والمأمون، وأشياعهم له المجال للقيام بذلك الإعداد، وتلك التعبئة، مهما كلفهم ذلك من تضحيات.

فالسلبية إذن هى الموقف الصحيح:

وبعد كل ما تقدم: فإن من الطبيعى أن لا يفكر الإمام (ع) فى (۳۰۸) صفحهمفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (۱)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (۱)، الدولة الأموية (۱)

الوصول إلى الحكم عن مثل هذا الطريق الملتوى، والمحفوف بالأخطار، والذى لم يحقق له أى هدف من أهدافه. بل على العكس: سوف يكون موجبا للقضاء عليه، وعلى كل آماله، وكل العلويين، والمتشيعين لهم، ويحقق فقط آمال الآخرين، وأهدافهم.. ولسوف يكون إقدامه على عمل من هذا النوع عملا انتحاريا، لا مبرر له، ولا منطق يساعده، لا بد من خطة لمواجهة الموقف:

وأخيرا.. وإذا كان لم يكن الرضا (ع) خيار فى قبول ولاية العهد..

وإذا كان لا يمكن أن يقبل بأن يجعل وسيلة لتحقيق أهداف، وآلة يتوصل بها إلى مآرب يمقتها، ويكرهها كل الكره، لعلمه بما سوف يكون لها من آثار سيئة وخطيرة، على حاضر الأمة، ومستقبلها، وعلى مستقبل هذا الدين، وكذلك لا يمكنه أن يسكت، ويظهر بمظهر الموافق، والمؤيد، والمساعد.

فإن كل ما يمكن له أن يفعله – بعد هذا – هو أن يضع خطة، يستطيع بها مواجهة مؤامرات المأمون، وإحباط مخططاته، حتى لا يزداد

الوضع سوءا، والطين بلة..

فإلى الحديث عن خطته هذه في الفصل التالي. (۳۰۹) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (۱)، الهدف (۱)، الإختيار، الخيار (۱)

خطة الإمام

خطة الإمام (ع) انحراف الحكام:

إن أدنى مراجعة لتاريخ الحكام آنذاك - العباسيين والأمويين على حد سواء - لكفيلة بأن تظهر بجلاء مدى منافاة تصرفات أولئك الحكام، وسلوكهم، وحياتهم لمبادئ الإسلام وتعاليمه.. الإسلام، الذى كانوا يستطيلون على الناس به، ويحكمون الأمة - حسب ما يدعون - باسمه، وفى ظله. حتى لقد أصبح الناس، والناس على دين ملوكهم، يتأثرون بذلك، ويفهمون خطأ: أن الإسلام لا يبتعد كثيرا عما يرون، ويشاهدون، مما كان من نتائجه شيوع الانحراف عن الخط الإسلامى القويم. بنحو واسع النطاق، ليس من السهل بعد السيطرة عليه، أو الوقوف فى وجهه.

العلماء المزيفون وعقيدة الجبر:

ولقد ساعد على ذلك، وزاد الطين بلة، فريق من أولئك الذين اشتريت ضمائرهم، ممن يتسمون، أو بالأحرى سماهم الحكام ب " العلماء " حيث إنهم قاموا يتلاعبون بمفاهيم الإسلام، وتعاليمه، (۳۱۰) صفحهمفاتيح البحث: الوسعة (۱)

لتوافق هوى، وتخدم مصالح أولئك الحكام المنحرفين، الذين أغدقوا عليهم المال، وغمروهم بالنعمة.

حتى إن أولئك المأجورين قد جعلوا عقيدة الجبر - الواضح لكل أحد زيفها وسخفها - من العقائد الدينية الإسلامية!.، من أجل أن يسهلوا على أولئك الحكام استغلال الناس، ولكى يوفروا لهم حماية لتصرفاتهم تلك. التى يندى لها جبين الإنسان الحر ألما وخجلا، إذ أنهم يكونون بذلك قد جعلوا كل ما يصدر منهم هو بقضاء من الله وقدره، ولذا فليس لأحد الحق فى أن ينكر عليهم أى تصرف من تصرفاتهم، أو أى جناية من جناياتهم.

وكان قد مضى على ترويجهم هذه العقيدة المبتدعة - حتى زمان المأمون - أكثر من قرن ونصفا، أى من أول خلافة معاوية، بل وحتى قبل ذلك أيضا. بزمان طويل!

المزيفون وعقيدة الخروج على سلاطين الجور:

كما أنهم - أعنى هؤلاء العلماء - قد جعلوا الخروج على سلاطين الجور والفساد موبقة من الموبقات، وعظيمة من العظائم..

وقد جرحوا بذلك عدد من كبار العلماء: مثل الإمام أبى حنيفة وغيره، بحجة أنه ": يرى السيف فى أمة محمد (" ۱). (۱) راجع: نظرية الإمامة، للدكتور أحمد محمود صبحى وغيره.

وفى تاريخ بغداد ج ۵ ص ۲۷۴،: أنه قيل لأبى مسهر: كيف لم تكتب عن محمد بن راشد؟! قال ": كان يرى الخروج على الأئمة.."

وفى طبقات الحنابلة لأبى يعلى ج ۳ ص ۵۸، فى مقام ترجيح سفيان على حسن بن حى، كان من جملة ما جرحه به أنه:

"كان يرى السيف " ومثل ذلك كثير لا نرى حاجة لاستقصائه. (۳۱۱) صفحهمفاتيح البحث: الحج (۱)، كتاب تاريخ بغداد للخطيب البغدادى (۱)، المذهب الحنبلى (۱)

بل لقد جعلوا عدم جواز الخروج هذا من جملة العقائد الدينية، كما يظهر من تتبع كلماتهم (۱).

وأما عقائد التشبيه، وقضية خلق القرآن، فلعلها أشهر من أن تذكر، أو تحتاج إلى بيان.

والذى زاد الطين بلة:

يضاف إلى ذلك كله غرور الحكام، الذى لا مبرر له، وكذلك من لف لفهم، الذين كانوا يحكمون الأمة باسم الدين.

وكذلك غفلة الناس، وعدم إدراكهم لحقيقة ما يجرى وما يحدث، وللواقع المزرى، الذى كان قائما آنذاك.

وأيضا.. وهو الأهم من كل ذلك - ابتعادهم، بسعى من الهيئات الحاكمة، عن أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة.

كل ذلك. قد أدى بالفعل إلى انحلال الدولة داخليا، وتمزيق أوصالها.. كما وأنه قد أسهم إسهام كبيرا فى إبعاد الناس عن تعاليم السماء، وشريعة الله.. الأمر الذى لم يكن يعنى إلا نهاية الحكم الإسلامى، (١) حسبما صرح به أحمد بن حنبل فى رسالة " السنة" وهى عقايد أهل الحديث، والسنة.

وقد أوردها أبو يعلى فى طبقات الحنابلة ج ١ ص ٢٦. وصرح بذلك أيضا الأشعرى فى مقالات الإسلاميين ج ١ ص ٣٢٣، وفى الإبانة ص ٩. وقد علل ذلك فى نظرية الإمامة ص ٤١٧ بقوله.. ": ذلك أنها: إن كانت بلوى من الله عقابا لهم، فما ثورتهم برادة عقاب الله. وإن كانت محنة للمسلمين، فما هم برادى قضاء الله!."

وفى كتاب السنة قبل التدوين ص ٤٦٧، نقل عن ابن خزيمة، فى وصفه الطاعنين على أبى هريرة، قوله: إنهم إما معطل جهمى ".. وإما خارجى يرى السيف على أمة محمد، أو قدرى، اعتزل الإسلام، وأهله الخ. (". ٣١٢) صفحهمفاتيح البحث: القرآن الكريم (١)، الجواز (١)، أبو هريرة العجلى (١)، المذهب الحنبلى (١)، أحمد بن حنبل (١)

وردة الناس إلى الجاهلية الجهلاء.. الأمر الذى لم يكن يرهب الحكام كثيرا، لأن الإسلام الذى يريدون، والدين الذى ينشدون، هو ذلك الذى يستطيعون أن يتسلطوا على الأمة، ويستأثروا بقدراتها وإمكاناتها فى ظله. ويمهد لهم السبيل لاستمرارهم فى فرض نفوذهم وسيطرتهم، ولو كان ذلك على حساب جميع الشرائع السماوية، وكل المفاهيم الإنسانية.

إن أولئك الحكام. ما كانوا يفكرون إلا فى وسائل بقائهم واستمرارهم فى الحكم، وإلا فى شؤونهم ومصالحهم الخاصة بهم. أما الأمة المسلمة، وأما الإسلام، فلم يكن لهما لديهم أية قيمة، أو شأن يذكر، إلا فى حدود ما يستطيعون الإفادة منهما فى بقائهم ووجودهم فى الحكم والسلطة.

الأئمة فى مواجهة مسؤولياتهم:

وفى هذا الوسط الغريب: من غفلة الناس، ومن سيرة الحكام، والمتسمين بالعلماء وسلوكهم.. كان الأئمة عليهم السلام يؤدون واجبهم فى نشر تعاليم السماء، ويكافحون، وينافحون عنها، بقدر ما كانت تسمح لهم ظروفهم، التى كانت فى ظل سلطان أولئك المنحرفين قاسية إلى حد بعيد.

وأما عن الإمام الرضا بالذات:

وقد سنحت للإمام الرضا (ع) فرصة لفترة وجيزة، كان الحكام منشغلين فيها بأمور تهمهم.. للقيام بواجبه فى توعية الأمة، وتعريفها بتعاليم الإسلام. وذلك فى الفترة التى تلت وفاة الرشيد، وحتى قتل الأمين. بل نستطيع أن نقول: إنها امتدت - ولو بشكل محدود - حتى وفاة الإمام (ع) فى سنة (٢٠٣). الأمر الذى كان من نتيجته ازدياد (٣١٣) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (١)، الجهل (١)، الوجوب (١)، الوفاة (١)

نفوذه (ع)، واتساع قاعدته الشعبية، حتى لقد كانت كتبه تنفذ فى المشرق والمغرب، وكان هو الأرضى فى الخاصة والعامة، حسبما ألمحنا إليه من قبل، الخطة الحكيمة:

وعندما أراد المأمون أن ينفذ خطته فى البيعة له بولاية العهد، وعرف الرضا: أن لا مناص له من قبول ذلك، كان من الطبيعى أن يعد (ع) العدة، ويضع خطة لمواجهة خطط المأمون، وإحباط أهدافه الشريرة، والتى كان أهونها القضاء على سمعة الإمام (ع)، وتحطيمه معنويا واجتماعيا.

ولقد كانت خطة الإمام هذه فى منتهى الدقة والإحكام، وقد نجحت أيما نجاح فى إفشال المؤامرة وتضييع كثير من أهدافها، وجعل الأمور فى صالح الإمام (ع)، وفى ضرر المأمون.. حتى لقد ضاع رشد المأمون (بل ورشد أشياعه أيضا)، وهو أفعى الدهاء والسياسة،

ولم يعد يدرى ما يصنع، ولا كيف يتصرف..

مواقف لم يكن يتوقعها المأمون:

ولعلنا نستطيع أن نسجل هنا بعض المواقف للإمام (ع)، التى لم يكن المأمون قد حسب لها حسابا، والتى كانت ضمن خطة الإمام (ع) فى مواجهة مؤامرات المأمون..

الموقف الأول:

إننا نلاحظ أن الإمام (ع) قد رفض دعوة المأمون، وهو فى المدينة (۳۱۴) صفحهمفاتيح البحث: الضرر (۱)، الرفض (۱)

ولم يقبل إلا بعد أن علم أنه لا يكف عنه.. بل إن بعض النصوص تشير إلى أنه قد حمل إلى مرو بالرغم عنه، لا باختياره..

وما ذلك إلا ـ ليعلم المأمون: أن حيلته لم تكن لتجوز عليه، وأنه (ع) على علم تام بأبعاد مؤامرته وأهدافها.. كما أنه بذلك يثير شكوك الناس وظنونهم حول طبيعة هذا الحدث، وسلامة النوايا فيه، الموقف الثانى:

إنه رغم أن المأمون كان قد طلب من الإمام (ع) – وهو فى المدينة – أن يصطحب معه من أحب من أهل بيته فى سفره إلى مرو.

إنه رغم ذلك.. نلاحظ: أنه (ع) لم يصطحب معه حتى ولده الوحيد الإمام الجواد (ع)، مع علمه بطول المدة، التى سوف يقضيها فى هذا السفر، الذى سوف يتقلد فيه زعامة الأمة الإسلامية، حسب ما يقوله المأمون.. بل مع علمه بأنه سوف لن يعود من سفره ذاك، كما تؤكد عليه كثير من النصوص التاريخية.

شكوك لها مبرراتها:

ونرى أننا مضطرون للشك فى نوايا المأمون وأهدافه من وراء طلبه هذا " أن يصطحب الإمام (ع) من شاء من أهل بيته إلى مرو."

بعد أن رأينا: أنه لم يرجع أحد ممن ذهب مع محمد بن جعفر إلى مرو، ولا رجع محمد بن جعفر نفسه، ولا رجع محمد بن محمد بن زيد، ولا غير هؤلاء، كما سيأتى بيانه فى الفصل التالى وغيره..

فلعل الإمام (ع) بل إن ذلك هو المؤكد، الذى تدل عليه (۳۱۵) صفحهمفاتيح البحث: الإمام محمد بن على الجواد عليهما السلام (۱)، محمد بن محمد بن زيد (۱)، محمد بن جعفر (۲)

تصريحاته وتصرفاته حيث تأهب للسفر – لعله – قد ظن لنوايا المأمون هذه، فضيع الفرصة عليه، وأعاد كيده إليه..

الموقف الثالث:

سلوكه فى الطريق، كما وصفه رجاء بن أبى الضحاك (۱)، حتى اضطر المأمون لأن يظهر على حقيقته، ويطلب من رجاء هذا: أن لا يذكر ما شاهده منه لأحد، بحجة أنه لا يريد أن يظهر فضله إلا على لسانه (۲)، ولكننا لم نره يظهر فضله هذا، حتى ولو مرة واحدة، فلم يدع أحد أنه سمع شيئا من المأمون عن سلوك الإمام (ع)، وهو فى طريقه إلى مرو. وأما رجاء، فلعله لم يحدث بذلك إلا بعد أن لم يعد فى ذلك ضرر على المأمون، وبعد أن ارتفعت الموانع، وقضى الأمر.

الموقف الرابع:

موقفه فى نيشابور، الذى لم يكن أبدا من المصادفة. كما لم يكن ذكره للسلسلة التى يروى عنها من المصادفة أيضا، حيث أبلغ الناس فى ذلك الموقف، الذى كانت تزدحم فيه أقدام عشرات بل مئات الألوف (۳) – أبلغهم " -: كلمة لا إله إلا الله حصنى، فمن دخل

(۱) راجع: البحار ج ۴۹ من ص ۹۱ حتى ۹۵، وعيون أخبار الرضا ج ۲ ص ۱۸۱ فما بعدها: وهو كلام معروف لا نرى أننا بحاجة لتكثير مصادره هنا.

(۲) البحار ج ۴۹ ص ۹۵، وعيون أخبار الرضا ج ۲ ص ۱۸۳.

(۳) وذلك يدل على مدى تعاطف الناس مع أهل البيت، ومحبتهم لهم. الأمر الذى كان يرعب المأمون ويخيفه. حتى لقد كان يحاول كبت عواطف الناس هذه، وهذا هو السبب فى منع الإمام من المرور عن طريق الكوفة وقم، كما سيأتى. (۳۱۶) صفحهمفاتيح البحث:

الحج (۱)، الضرر (۱)، الظنّ (۱)، کتاب عیون أخبار الرضا علیه السلام (۲)، مدینة الکوفة (۱)، السب (۱)
حصنی أمن من عذابی (۱.")
هـذه الکلمـة.. التی عـد أهل المحابر والـدوی، الـذین کانوا یکتبونها، فأنافوا علی العشـرین ألفا.. هذا علی قلة من کانوا یعرفون القراءة والکتابة آنذاک، وعدا عمن سواهم ممن شهد ذلک الموقف العظیم..
. "ونلاحظ: أنه (ع) - فی هذا الظرف - لم یحدثهم عن مسألة فرعیة، ترتبط ببعض مجالات الحیاة: کالصوم، والصلاة، وما شاکل. ولم یلق علیهم موعظة تزهدهم فی الدنیا، وترغبهم فی الآخرة، کما کان شأن العلماء آنذاک.
کما أنه لم یحاول أن یستغل الموقف لأهداف شخصیة، أو سیاسیة، کما جرت عادة الآخرین فی مثل هذه المواقف.. مع أنه یتوجه إلی مرو، لیواجه أخطر محنة تحدد وجوده، وتهدد العلویین، ومن ثم الأمة بأسرها.
وإنمـا کلم النـاس باعتبـاره القائـد الحقیقی، الـذی یفـترض فیه: أن یوجه النـاس - فی ذلـک الظرف بالـذات - إلی أهم مسألـة ترتبط بحیاتهم، ووجودهم، إن حاضرا، وإن مستقبلا، ألا وهی مسألة:
التوحید.. التوحید: الذی هو فی الواقع الأساس للحیاة الفضلی، بمختلف جوانبها، وإلیه تنتهی، وعلی وبه تقوم..
التوحید: الذی ینجی کل الأمم من کل عناء وشقاء وبلاء. والذی إذا فقده الإنسان، فإنه یفقد کل شئ فی الحیاة حتی نفسه..
مدی ارتباط مسألة الولایة بمسألة التوحید:
هذا.. ولأنه قد یکون الکثیرون ممن شهدوا ذلک الموقف لم یتهیأ (۱) قد ذکرنا بعض مصادر هذه القضیة فی فصل ": شخصیة الإمام الرضا " فمن أراد فلیراجع. (۳۱۷) صفحهمفاتیح البحث: الشهادة (۲)، الصّلاة (۱)، الشقاء (۱)
لهم سـماع کلمـة الإمـام (ع)، لانشـغالهم مع بعضـهم بأحادیث خاصـة، أو لتوجههم لأمور جانبیـة أخری، کما یحـدث ذلک کثیرا فی مناسبات کهذه..
نری الإمام (ع) یتصرف بنحو آخر، حیث إنه عندما سارت به الناقة، وفی حین کانت أنظار الناس کلهم. وقلوبهم مشدودة إلیها..
نراه یخرج رأسـه من العماریـة، فیسـترعی ذلـک انتبـاه النـاس، الـذین لم یکونـوا یـترقبون ذلـک منه. ثم یملی علیهم - وهم یلتقطـون أنفاسهم، لیستمعوا إلی ما یقول - کلمته الخالدة الأخری:
"بشروطها، وأنا من شروطها."
لقد أملی الإمام (ع) کلمته هذه علیهم، وهو مفارق لهم، لتبقی الذکری الغالیة، التی لا بد وأن یبقی لها عمیق الأثر فی نفوسهم (۱).
لقد أبلغهم (ع) مسألة أساسیة أخری، ترتبط ارتباطا وثیقا بالتوحید، ألا وهی مسألة ": الولایة."
وهی مسألة بالغة الأهمیة، بالنسبة لأمة ترید أن تحیا الحیاة الفضلی، وتنعم بالعیش الکریم، إذ ما دامت مسألة القیادة الحکیمة. والعادلة، والواعیـة لکـل ظروف الحیـاة. وشؤونها، ومشاکلها - ما دامت هـذه (۱) (۱) ویلاحظ: أن هـذه الکلمـة قـد صـیغت بنحو لا بد معه من الرجوع إلی الکلمة الأولی، ومعرفتها.
وبعد.. فما أشـبه موقفه علیه السـلام هنا بموقف النبی صلی الله علیه وآله فی غدیر خم، حیث إنه صلی الله علیه وآله کان أیضا قد أبلغ المسـلمین مسألة الولایة، فی ذلک الموقف الحاشد، وفی المکان الذی لا بد فیه من تفرق الناس عنه صـلی الله علیه وآله، وذهاب کل منهم إلی بلده، ولعل إرجاع المتقدمین، وحبس المتأخرین یشبهها إخراج الإمام علیه السلام رأسه من العماریة.. یضاف إلی ذلک: أن موقفه صلی الله علیه وآله کان آخر مواقفه العامة فی حیاته إلی آخر ما هنالک من وجوه الشبه بین الواقعتین.
ولعلنـا نجـد تشابهـا بیـن هــذه الواقعـة، وبیـن قضــیة إرجـاع أبی بکر عـن تبلیـغ آیـات سـورة براءة، ثـم إرسـال علی مکـانه.. (۳۱۸) صفحهمفاتیح البحث: الکرم، الکرامة (۱)، الخلود (۱)، الرسول الأکرم محمد بن عبد الله صلی الله علیه وآله (۱)، غدیر خم (۱)
المسألـة - لم تحـل، فلسوف لا یمکن إلا أن یبقی العالم یرزح تحت حکم الظلمـة والطواغیت، والـذین یجعلون لأنفسـهم صـلاحیات

التقنین والتشریع الخاصـة بـالله، ویحکمون بغیر ما أنزل الله، ولیبقی العالم - من ثم - یعنی الشـقاء والبلاء، ویعیش فی متاهات الجهل، والحیرة، والضیاع (".. ۱).

وإننا إذا ما أدرکنا بعمق مدی ارتباط مسألة ": الولایة " بمسألة " التوحید " فلسوف نعرف: أن قوله (ع "): وأنا من شروطها " لم تمله علیه مصـلحته الخاصة، ولا قضایاه الشخصـیة.. ولسوف ندرک أیضا: الهدف الذی من أجله ذکر الإمام (ع) سلسـلة سـند الروایة، الأمر الـذی ما عهـدناه، ولا ألفناه منهم علیهم السـلام. إلا فی حالات نادرة، فإنه علیه السـلام قد أراد أن ینبه بذلک علی مدی ارتباط مسألة القیادة للأمة بالمبدأ الأعلی..

الإمام ولی الأمر من قبل الله، لا من قبل المأمون:

وعـدا عن ذلک کله.. فإننا نجـد أن الإمام (ع)، حتی فی هـذا الموقف، قـد اهتبل الفرصـة، وأبلغ ذلک الحشد الذی یضم عشـرات بل مئات الألوف: أنه الإمام للمسلمین جمیعا، والمفترض الطاعة علیهم، علی حد تعبیر القندوزی الحنفی، وغیره.. وذلک عندما قال لهم: "وأنا من شروطها."

وبـذلک یکون قـد ضیع علی المـأمون أعظم هـدف کـان یرمی إلیه من اسـتقدام الإمام (ع) إلی مرو. ألا وهو: الحصول علی اعتراف بشـرعیة خلافته، وخلافة بنی أبیه العباسیین. (۱) قـد استرشـدنا فی بعض ما ذکرناه بما ذکره الأسـتاذ علی غفوری، فی کتابه ": یاد بود هشتمین امام (" فارسی). (۳۱۹) صفحهمفاتیح البحث: الشیخ سلمان البلخی القندوزی (۱)، الجهل (۱)، الهدف (۱)

إذ أنه قد بین للملأ بقوله ": وأنا من شـروطها: " أنه هو بنفسه من شـروط کلمة التوحید، لا من جهة أنه ولی الأمر من قبل المأمون، أو سیکون ولی الأمر أو العهد من قبله، وإنما لأن الله تعالی جعله من شروطها.

وقد أکد (ع) علی هذا المعنی کثیرا، وفی مناسـبات مختلفة، حتی للمأمون نفسه فی وثیقة العهد کما سیأتی، وأیضا فی الکتاب الجامع لأصول الإسلام والأحکام، الذی طلبه منه المأمون، حیث کتب فیه أسماء الأئمة الاثنی عشر علیهم السلام، مع أن عددا منهم لم یکونوا قد ولدوا بعد، کما أنه ذکر أسماءهم فی احتجاجه علی العلماء والمأمون فی بعض مجالسهم العلمیة، وفی غیر ذلک من مواقفه الکثیرة (ع).

الإمام یبلغ عقیدته لجمیع الفئات:

وأخیرا.. لا بـد لنا فی نهایة حدیثنا عن هذا الموقف التاریخی من الإشارة إلی أنه کان من الطبیعی أن یضم ذلک الحشد العظیم، الذی یقدر بعشرات. بل بمئات الألوف:

۱ - حشـدا من أهل الحدیث واتباعهم، الذین جعلوا صـلحا جدیدا بین الخلفاء الثلاثة، وبین علی (ع) فی معتقداتهم، بشـرط أن یکون هو الرابع فی الخلافة والفضل. ولفقوا من الأحادیث فی ذلک ما شاءت لهم قرائحهم، حتی جعلوه إذا سـمع ذکرا لأبی بکر یبکی حبا، ویمسح عینیه ببرده (۱).

وجعلوه أیضا ضرابا للحدود بین یدی الثلاثة: أبی بکر، وعمر، (۱) تاریخ الخلفاء ص ۱۲۰، وغیره. (۳۲۰) صفحهمفاتیح البحث: الإمام أمیر المؤمنین علی بن ابی طالب علیهما السلام (۱)

وعثمان (۱)، کما تنبأ هو نفسه (ع) بذلک (۲). إلی غیر ذلک مما لا یکاد یخفی علی الناظر البصیر، والناقد الخبیر..

۲ - وحشدا من أهل الإرجاء، الذین ما کانوا یقیمون وزنا لعلی، وعثمان. بل کانت المرجئة الأولی لا یشهدون لهما بإیمان، ولا بکفر..

۳ - وأیضا.. أن یضم حشـدا من أهل الاعتزال، الـذین أحاطوا بالمأمون، بل ویعـد هو منهم، والذین تدرجوا فی القول بفضل علی (ع) حسبما اقتضته مذاهبهم ومشاربهم، فقد کان مؤسسا نحلة الاعتزال:

واصل بن عطاء، وعمرو بن عبیـد، لا یحکمان بتصویبه فی وقعـة الجمل مثلا، ولکن أتباعهما تدرجوا علی مر الزمان فی القول بفضـله، فقد شـکک أبو الهذیل العلاف فی أفضلیته علی أبی بکر، أو القول بتساویهما فی الفضل. ولکن رئیس معتزلة بغداد: بشر بن المعتمر،

قد جزم بأفضلیته علی الخلفاء الثلاثة، ولکنه قال بصحة خلافتهم.. وقد تبعه جمیع معتزلة بغداد، وکثیر من البصریین.
وإذا کان ذلک الحشد الهائل یضم کل هؤلاء. وغیرهم ممن لم نذکرهم.. فمن الطبیعی أن تکون کلمة الإمام هذه ": وأنا من شروطها
"ضربة موفقة ودامغة لکل هؤلاء، وإقامة للحجة علیهم جمیعا. علی اختلاف أهوائهم، ومذاهبهم..
ویکون قد بلغ بهذه الکلمة ": وأنا ".. صریح عقیدته، وعقیدة (۱) تاریخ الخلفاء ص ۱۱۹، ۱۲۰، والمحاسن والمساوی ج ۱ ص ۷۹ طبع مصر.
والفتوحات الإسلامیة لدحلان ط مصطفی محمد ج ۲ ص ۳۶۸.
(۲) فقد قال بعد أن ضرب الولید بن عقبة الحد، لشربه الخمر ": لتدعونی قریش بعد هذا جلادها. " الغدیر ج ۸ ص ۱۲۱. وقد صدقت نبوءته، صلوات الله وسلامه علیه، فقد جعلوه – کما تری – ضرابا للحدود بین یدی الثلاثة!!. (۳۲۱) صفحهمفاتیح البحث: الإمام أمیر المؤمنین علی بن ابی طالب علیهما السلام (۱)، مدرسة المعتزلة (۲)، أبو الهذیل العلاف (۱)، مدینة بغداد (۲)، الإقامة (۱)، الولید بن عقبة (۱)، الضرب (۱)، الصّلاة (۱)
آبائه الطاهرین (ع) فی أعظم مسألة دینیة، تفرقت لأجلها الفرق فی الإسلام، وسلت من أجلها السیوف. بل لقد قال الشهرستانی:
.. "وأعظم خلاف بین الأمة خلاف الإمامة، إذ ما سل سیف فی الإسلام علی قاعدة دینیة مثلما سل علی الإمامة فی کل زمان (". ۱).
وبعد کل ما قدمناه.. لا یبقی مجال للقول: إن قوله هذا:
"وأنا ".. لا ینسجم مع ما عرف عنه (ع) من التواضع البالغ، وخفض الجناح، إذ لیس ثمة من شک فی أن للتواضع وخفض الجناح موضع آخر. وأنه کان لا بد للإمام فی ذلک المقام، من بیان الحق الذی یصلح به الناس أولا وآخرا، ویفتح عیونهم وقلوبهم علی کل ما فیه الخیر والمصلحة لهم، إن حاضرا، وإن مستقبلا، وإن جزع من ذلک قوم. وحنق آخرون.
تعقیب هام وضروری:
ومما هو جدیر بالملاحظة هنا، هو أن أئمة الهدی علیهم السلام کانوا یستعملون التقیة فی کل شئ إلا فی مسألة أنهم علیهم السلام الأحق بقیادة (۱) الملل والنحل، ج ۱ ص ۲۴، وقال الخضری فی محاضراته ج ۱ ص ۱۶۷:
.. "والخلاصة: أن مسألة الخلافة الإسلامیة والاستخلاف، لم تسر مع الزمن فی طریق یؤمن فیه العثار. بل کان ترکها علی ما هی علیه، من غیر محل محدد ترضاه الأمة، وتدفع عنه سببا لأکثر الحوادث التی أصابت المسلمین، وأوجدت ما سیرد علیکم من أنواع الشقاق والحروب المتواصلة، التی قلما یخلو منها زمن، سواء کان ذلک بین بیتین، أو بین شخصین ". انتهی.
وأقول: إذن. کیف جاز للنبی صلی الله علیه وآله أن یترک الأمة هکذا هملا، ثم لا یضع حلا لأعظم مشکلة تواجهه، مع أن شریعته کاملة وشاملة، وقد بین فیها کل ما تحتاجه الأمة، حتی أرش الخدش. (۳۲۲) صفحهمفاتیح البحث: الطهارة (۱)، التقیة (۱)، التواضع (۱)، الرسول الأکرم محمد بن عبد الله صلی الله علیه وآله (۱)
الأمة، وخلافة النبی صلی الله علیه وآله. مع أنها لا شئ أخطر منها علیهم. کما تشیر إلیه عبارة الشهرستانی الآنفة، وغیرها.
وذلک یدل علی مدی ثقتهم بأنفسهم، وبأحقیتهم بهذا الأمر.
فنری الإمام موسی (ع) یواجه ذلک الطاغیة الجبار هارون بهذه الحقیقة، ویصارحه بها، أکثر من مرة، وفی أکثر من مناسبة (۱).
بل لقد رأینا الرشید نفسه یعترف بأحقیتهم تلک فی عدد من المناسبات علی ما فی کتب السیر والتاریخ.
ولقد نقل غیر واحد (۲) أنه: عندما وقف الرشید علی قبر النبی صلی الله علیه وآله، وقال مفتخرا: السلام علیک یا ابن عم. جاء الإمام موسی (ع)، وقال:
السلام علیک یا أبة. فلم یزل ذلک فی نفس الرشید إلی أن قبض علیه:
وعندما قال له الرشید: أنت الذی تبایعک الناس سرا؟!

أجابه الإمام (ع): أنا إمام القلوب، وأنت إمام الجسوم (۳).

وأما الحسن، والحسين، وأبوهما، فحالهما فى ذلک أشهر من أن يحتاج إلى بيان.

بل إن أعظم شاهد على مدى ثقتهم بأحقية دعواهم الإمامة ما قاله الإمام الرضا (ع) للقائل له: إنک قد شهرت نفسک بهذا الأمر، وجلست مجلس أبيک، وسيف هارون يقطر الدم؟!. راجع: الصواعق المحرقة، وينابيع المودة، ووفيات الأعيان، والبحار، وقاموس الرجال، وغير ذلک.

(۲) البداية والنهاية ج ۱۰ ص ۱۸۳، والكامل لابن الأثير ج ۶، ص ۱۶۴ ط صادر، والصواعق المحرقة ص ۱۲۲، والإتحاف بحب الأشراف ص ۵۵، ومرآة الجنان ج ۱ وأعيان الشيعة، وينابيع المودة، وغير ذلک.

(۳) الإتحاف بحب الأشراف ص ۵۵، والصواعق المحرقة ص ۱۲۲. (۳۲۳) صفحهمفاتيح البحث: قبر النبى (ص) (۱)، الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (۱)، الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليهما السلام (۲)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (۱)، الشهادة (۱)، كتاب الكامل لإبن الأثير (۱)، كتاب البداية والنهاية (۱)، كتاب الأشراف للشيخ المفيد (۲)، كتاب أعيان الشيعة للأمين (۱)، كتاب ينابيع المودة (۲)، كتاب الصواعق المحرقة (۳)

فأجابه الإمام (ع "): جرأنى على هذا ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

إن أخذ أبو جهل من رأسى شعرة، فأشهد أنى لست بنبى.. وأنا أقول لكم: إن أخذ هارون من رأسى شعرة، فاشهدوا أنى لست بإمام. (۱").

وفى هذا المعنى روايات عديدة (۲).

ولكنهم عليهم السلام قد انصرفوا بعد الحسين (ع) عن طلب هذا الأمر بالسيف. إلى تربية الأمة، وحماية الشريعة من الانحرافات التى كانت تتعرض لها باستمرار، ولأنهم كانوا يعلمون: أن طلب هذا الأمر من دون أن يكون له قاعدة شعبية قوية وثابتة، وواعية، لن يؤدى إلى نتيجة، ولن يقدر له النجاح، الذى يريدونه هم، ويريده الله. ولكنهم – كما قلنا – ظلوا عليهم السلام يجاهرون بأحقيتهم بهذا الأمر، حتى مع خلفاء وقتهم، كما يظهر لكل من راجع مواقفهم وأقوالهم فى المناسبات المختلفة.

الموقف الخامس:

رفضه الشديد لكلا عرضى المأمون: الخلافة، وولاية العهد، وإصراره على هذا الرفض الذى استمر أشهرا، وهو فى مرو نفسها، حتى لقد هدده المأمون أكثر من مرة بالقتل.

وبذلک يكون قد مهد الطريق ليواجه المأمون بالحقيقة، حيث قال له: إنه يريد أن يقول للناس: إن على بن موسى لم يزهد بالدنيا، وإنما الدنيا هى التى زهدت فيه، وليكون بذلک قد أفهم المأمون أن (۱) المناقب لابن شهرآشوب ج ۴ ص ۳۳۹، وعيون أخبار الرضا ج ۲ ص ۲۱۳.

(۲) راجع: البحار ج ۴۹، وروضة الكافى: وعيون أخبار الرضا، وإرشاد المفيد، وغير ذلک. (۳۲۴) صفحهمفاتيح البحث: الإمام الحسين بن على سيد الشهداء (عليهما السلام) (۱)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (۱)، القتل (۱)، الجهل (۱)، كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام (۲)، كتاب الإرشاد للشيخ المفيد (۱)، ابن شهرآشوب (۱)

حيلته لم تكن لتجوز، وأن زيفه لا ينطلى عليه، وأن عليه أن يكف فى المستقبل عن كل مؤامراته ومخططاته. وليكون المأمون بعد هذا غير مطمئن لأى عمل يقدم عليه، وضعيف الثقة بكل الحيل والمؤامرات التى يحوكها. هذا بالإضافة إلى أن الناس سوف يشكون فى طبيعة هذا الأمر، وسلامة نوايا المأمون فيه.

الموقف السادس:

ولم يكتف الإمام (ع) بذلک كله.. بل كان لا يدع فرصة تمر إلا يؤكد فيها على أن المأمون قد أكرهه على هذا الأمر، وأجبره عليه،

وهدد بالقتل إن لم يقبل.

يضاف إلى ذلك. أنه كان يخبر الناس في مختلف المناسبات: أن المأمون سوف ينكث العهد، ويغدر به.. حتى لقد قال في نفس مجلس البيعة للمستبشر ": لا تستبشر، فإنه شئ لا يتم " بل لقد كتب في نفس وثيقة العهد ما يدل على ذلك دلالة واضحة، كما سيأتي بيانه في الموقف الثامن.

هذا عدا عن أنه كان يصرح بأنه لا يقتله إلا المأمون، ولا يسمه إلا هو، حتى لقد واجه نفس المأمون بهذا الأمر.

بل إنه لم يكن يكتفي بمجرد القول، وإنما كانت حالته على وجه العموم في فترة ولاية العهد تشير إلى عدم رضاه بهذا الأمر، وإلى أنه مكره مجبر عليه.

حيث إنه كان على حد تعبير الرواة ": في ضيق شديد، ومحنة عظيمة " و " لم يزل مغموما مكروبا حتى قبض، " و " قبل البيعة، وهو باك حزين " وكان كما يقول المدائني ": إذا رجع يوم الجمعة من (۳۲۵) صفحهمفاتيح البحث: القتل (۲)

الجامع، وقد أصابه العرق والغبار، رفع يديه وقال ": اللهم إن كان فرجي مما أنا فيه بالموت، فعجل لي الساعة (۱.").

إلى آخر ما هنالك، مما لا يمكن استقصاؤه في مثل هذه العجالة..

وواضح أن كل ذلك سوف يؤدي إلى عكس النتيجة، التي كان يتوخاها المأمون من البيعة، وخصوصا إذا ما أردنا الملائمة بين مواقفه هذه، وموقفه في نيشابور، وموقفه صلاتي العيد في مرو.

الموقف السابع:

إنه كان لا يدع فرصة تمر إلا ويؤكد فيها على أن المأمون لم يجعل له إلا ما هو حق له، وأنه لم يزد بذلك على أن أرجع الحق إلى أهله، بعد أن كانوا قد اغتصبوه منهم، بل وإثبات أن خلافة المأمون ليست صحيحة ولا هي شرعية.

أما ما يتعلق به بصحة خلافة المأمون:

فنلاحظ: أنه (ع) حتى في كيفية البيعة يشير - على ما صرح به كثير من المؤرخين - إلى أن المأمون، الذي يحتل عنوة مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله، يجهل حتى كيفية ذلك العقد الذي خوله - بنظره - أن يكون في ذلك المجلس الخطير، حيث إنه (ع..") : رفع يده، فتلقى بظهرها وجه نفسه، وبطنها وجوههم، فقال له المأمون: ابسط (۱) البحار ج ۴۹ ص ۱۴۰، وعيون أخبار الرضا ج ۲ ص ۱۵. (۳۲۶) صفحهمفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (۱)، الموت (۱)، الجهل (۱)، كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام (۱)

يدك للبيعة، فقال له: إن رسول الله هكذا كان يبايع، فبايعه الناس (". ۱).

ونظير ذلك أيضا: ما روي من أن المأمون قد أمر الناس: أن يعودوا للبيعة من جديد، عندما أعلمه الإمام (ع): بأن كل من كان قد بايعه، قد بايعه بفسخ البيعة إلا الشباب الأخير.. وهاج الناس بسبب ذلك. وعابوا المأمون على عدم معرفته بالعقد الصحيح والكيفية الصحيحة للبيعة وهذه القضية مذكورة في العديد من المصادر أيضا (۲).

وأما أن الخلافة حق للإمام (ع) دون غيره:

فلعله لا يكاد يخفى على من له أدنى اطلاع على حياة الإمام (ع) ومواقفه وقد تحدثنا آنفا عن موقفه في نيشابور، وهو في طريقه إلى مرو، وكيف أنه (ع) جعل نفسه الشريفة والاعتراف بإمامته شرطا لكلمة التوحيد، والدخول في حصن الله الحصين..

وأشرنا أيضا إلى أنه قد عدد الأئمة الشرعيين، وهو أحدهم في عديد من المناسبات والمواقف حتى فيما كتبه للمأمون.

بل لقد المح إلى ذلك أيضا بل لقد ذكره صراحة فيما كتبه على حاشية وثيقة العهد بخط يده.

كما أن من الأمور الجديرة بالملاحظة هنا خطاب الإمام (ع) حينما بويع له بولاية العهد، وهو ما يلي: (۱) راجع: المناقب ج ۴ ص ۳۶۹، ۳۶۴ والبحار ج ۴۹ ص ۱۴۴. وعلل الشرايع، ومقاتل الطالبيين، ونور الأبصار، ونزهة الجليس، وعيون أخبار الرضا.

(۲) راجع: على سبيل المثال: شرح ميمية أبى فراس ص ۲۰۴. (۳۲۷) صفحهمفاتيح البحث: كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام (۱)، كتاب نور الأبصار للشبلنجى (۱)، كتاب علل الشرايع للصدوق (۱)

.. "إن لنا عليكم حقا برسول الله، ولكم علينا حق به، فإذا أنتم أديتم لنا ذلك وجب علينا الحق لكم.."

ولم يؤثر عنه فى ذلك المجلس غير ذلك.. وهو معروف ومشهور بين أرباب السير والتاريخ..

ومن الواضح أن اقتصاره على هذه الكلمة فى ذلك المجلس الذى يقتضى إيراد خطبة طويلة، يتعرض فيها لمختلف المواضيع، وعلى الأقل لشكر المأمون على ما خصه به من ولاية العهد بعده - إن اقتصاره على هذا - يعتبر أسلوبا رائعا لتركيز المفهوم الذى يريده الإمام (ع) فى أذهان الناس، وإعطائهم الانطباع الحقيقى عن البيعة، وعن موقفه منها، ومن جهاز الحكم، فى نفس مجلس البيعة، حتى لا يبقى هناك مجال للتكهن بأن: الإمام كان يرغب فى هذا الأمر، ثم حدث ما أوجب غضبه وسخطه. وقد يكون له الحق فى ذلك وقد لا يكون.

يضاف إلى كل ذلك أنه (ع) قال لحميد بن مهران، حاجب المأمون:

.. "وأما ذكرك صاحبك (يعنى المأمون، والمأمون جالس)، الذى أجلنى، فما أحلنى إلا المحل الذى أحله ملك مصر ليوسف الصديق (ع)، وكانت حالهما ما قد علمت.".

كما أنه (ع) قد قال أكثر من مرة وفى أكثر من مناسبة ": إن من أخذ برسول الله، لحقيق بأن يعطى به، " وذلك عندما عرض له بالمن عليه بأن جعله ولى عهده، وفى غير هذه المناسبة أيضا.

المأمون يعترف بأحقية آل على بالأمر:

ولعل من أعظم المواقف الجديرة بالتسجيل هنا موقفة (ع) مع المأمون،

صفحه(۳۲۸)

عندما حاول هذا أن يحصل منه (ع) على اعتراف بأن العباسيين والعلويين سواء بالنسبة لقرباهم من النبى صلى الله عليه وآله، وذلك من أجل أن يثبت - بزعمه - أن له ولبنى أبيه حقا فى الخلافة، فكانت النتيجة: أن نجح الإمام (ع) فى انتزاع اعتراف من المأمون بأن العلويين هم الأقرب..

وتكون النتيجة - على حسب منطق المأمون، ومنطق أسلافه كما قدمنا - هى: أن العلويين هم الأحق بالخلافة والرياسة، وأنه هو، وآباءه غاصبون، ومعتدون..

فبينما المأمون والرضا (ع) يسيران، إذ قال المأمون:

.. "يا أبا الحسن، إنى فكرت فى شئ، فنتج لى الفكر الصواب فيه: فكرت فى أمرنا وأمركم، ونسبنا ونسبكم، فوجدت الفضيلة فيه واحدة، ورأيت اختلاف شيعتنا فى ذلك محمولا على الهوى والعصبية.

فقال له أبو الحسن الرضا (ع): إن لهذا الكلام جوابا، إن شئت ذكرته لك، وإن شئت أمسكت..

فقال له المأمون: إنى لم أقله إلا لأعلم ما عندك فيه..

قال له الرضا (ع): أنشدك الله يا أمير المؤمنين، لو أن الله تعالى بعث نبيه محمدا صلى الله عليه وآله، فخرج علينا من وراء أكمة من هذه الآكام، يخطب إليك ابنتك، كنت مزوجه إياها؟.

فقال: يا سبحان الله، وهل أحد يرغب عن رسول الله صلى الله عليه وآله؟!.

فقال له الرضا (ع)، أفتراه كان يحل له أن يخطب إلى؟.

قال: فسكت المأمون هنيئة، ثم قال:.

"أنتم والله، أمس برسول الله رحما (". ۱). (۱) كنز الفوائد للكراجكى ص ۱۶۶، والفصول المختارة من العيون والمحاسن ص ۱۵،

۱۶، والبحار ج ۴۹ ص ۱۸۸، ومسند الإمام الرضا عليه السلام ج ۱ ص ۱۰۰. (۳۲۹) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (۵)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (۲)

وكانت هذه ضربة قاضية وقاصمة للمأمون. لم يكن قد حسب لها أى حساب. ولم يكن ليتمكن فى مقابل ذلك من أى عمل ضد الإمام (ع)، بعد أن كان هو الجانى على نفسه، ف "على نفسها جنت براقش."

وبعد كل ذلك فقد قدمنا قول ابن المعتز:

وأعطاكم المأمون حق خلافة * لنا حقها، لكنه جاد بالدنيا وخلاصة الأمر:

إنه (ع) لم يكن يدخر وسعا فى إحباط مسعى المأمون، وتضييع الفرصة عليه، وإفهام الناس أنه مكره على هذا الأمر، مجبر عليه.

والتأكيد على أن المأمون لم يجعل له إلا ما هو حق له، ولذا فلا يمكن أن يعتبر قبوله بولاية العهد اعترافا بشرعية الخلافة العباسية، أو بشرعية أى تصرف من تصرفاتها. كما أنه إذا كان ذلك حقا للإمام اغتصبه الغاصبون، واعتدى عليه فيه المعتدون، فليس المأمون حق فى أن يعرض له (ع) بالمن عليه، بما جعل له من ولاية العهد.

وكذلك ليس للمأمون بعد: أن يدعى العدل والإنصاف، فضلا عن الايثار والتضحية فى سبيل الآخرين، بعد أن فضح الإمام أهدافه من لعبته تلك، وعرف كل أحد أنها لم تكن شريفة ولا سليمة.

الأكذوبة المفضوحة:

وبعد.. فقد ذكر بعض أهل الأهواء، كابن قتيبة، وابن عبد ربه، واقعة خيالية، غير تلك التى ذكرناها آنفا وهى:

أن المأمون قال لعلى بن موسى: علام تدعون هذا الأمر؟!.

قال ": بقرابة على وفاطمة من رسول الله صلى الله عليه وآله. (".. ۳۳۰) صفحهمفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (۱)

فقال المأمون ": إن لم تكن إلا القرابة، فقد خلف رسول الله صلى الله عليه وآله من هو أقرب إليه من على، أو من هو فى قعدده. وإن ذهبت إلى قرابة فاطمة من رسول الله صلى الله عليه وآله، فإن الأمر بعدها للحسن، والحسين، فقد ابتزهما على حقهما، وهما حيان، صحيحان، فاستولى على ما لا حق له فيه.".

فلم يحر على بن موسى له جوابا (۱).. انتهى.

وهى واقعة مزيفة ومجعولة من أجل التغطية على الواقعة الحقيقية، التى جرت بينهما، والتى تنسجم مع كل الأحداث والوقائع، وجميع الدلائل والشواهد متظافرة على صحتها، ألا وهى تلك التى قدمناها آنفا..

والدليل على زيف هذه الرواية: أنها لا ـ توافق نظرة أئمة أهل البيت ورأيهم فى الخلافة ومستحقها، لأنهم يرون – كما تدل عليه تصريحاتهم المتكررة، وأقوالهم المتضافرة " –: أن منصب الإمامة لا يكون إلا بالنص.

وأما الاستدلال بالقرابة، فقد قلنا فى الفصل الأول من هذا الكتاب:

أن أول من التجأ إليه أبو بكر، ثم عمر. ثم الأمويون، فالعباسيون، ثم أكثر، إن لم يكن كل مطالب بالخلافة.. وأنه إذا كان فى كلام الأئمة وشيعتهم ما يفهم منه ذلك، فإنما اقتضاه الحجاج مع خصومهم، وبعد.. فهل يخفى على الإمام (ع) ضعف ووهن هذه الحجة، مع أننا نراه يصرح فى أكثر من مناسبة بأن القرابة لا تجدى ولا تفيد – كما سنشير إليه – وأنه لا بد فى الإمام من جدارة وأهلية فى مختلف الجهات، وعلى جميع المستويات.

ولقد كان على المأمون – لو صحت هذه الرواية – أن يغتنمها فرصة، (۱) راجع: عيون الأخبار ج ۲ ص ۱۴۰، ۱۴۱، طبع مصر سنة ۱۳۴۶، والعقد الفريد ج ۵ ص ۱۰۲، و ج ۲ ص ۳۸۶، طبع دار الكتاب العربى.. (۳۳۱) صفحهمفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (۲)، الدولة الأموية (۱)

ويعلنها على الملأ، ويشهر بالإمام (ع)، ليسقطه - ومن ثم.. يسقط العلويين كلهم من أعين الناس.. ويسلبهم وإلى الأبد السلاح الذى كانوا يحاربونه ويحاربون آباءه به.. مع أن ذلك هو ما كان يبحث عنه المأمون ليل نهار، ويدبر المكايد، ويعمل الحيل، من أجله، وفى سبيله..

وعدا عن ذلك كله. كيف يمكن أن تنسجم هذه الرواية مع مواقف الإمام، وتصريحاته المتكررة حول مسألة الإمامة، وبأى شئ تثبت، وحول أوصاف الإمام ووظائفه، والتى لو أردنا استقصاءها لاحتجنا إلى عشرات الصفحات؟!.

وكذلك.. مع احتجاج الإمام (ع) على العلماء والمأمون فى أكثر من مناسبة بالنص، وأيضا مع موقفه (ع) فى نيشابور؟!

اللهم إلا أن يكون أعلم أهل الأرض - باعتراف المأمون قد نسى حجته، وحجة آبائه، وكل من ينتسب إليهم، ويذهب مذهبهم..

تلك الحجة - التى عرفوا وكل المتشيعين لهم بها على مدى الزمان - نسيها - فى تلك اللحظة فقط، لأن المأمون هو الذى يسأل، والرضا هو الذى يجيب!!.

وبعد، فهل يستطيع أن يشك فى ذلك أحد.. وهو يرى رسالة الرضا، التى كتبها للمأمون تلبية لطلبه، وجمع له بها أصول الإسلام، والتى صرح فيها بالنص على على (ع). بل وذكر فيها الأئمة الاثنى عشر، الذين نص عليهم النبى صلى الله عليه وآله كلهم بأسمائهم، حتى من لم يكن قد ولد بعد منهم؟!. وهذه الرسالة مشهورة وقد أوردها واستشهد بها غير واحد من المؤرخين والباحثين (١). (١) وكان آخرهم الدكتور أحمد محمود صبحى فى كتابه: نظرية الإمامة ص ٣٨٨، وقال: إنها من المخطوطات الموجودة فى دار الكتب المصرية تحت رقم ١٢٥٨. (٣٣٢) صفحهمفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، الحج (١)

وفيها يصف الإمام (ع) أئمة الهدى أدق وصف، وأروعه، وأوفاه.

بل إن المأمون نفسه كان يرى وجوب نصب الإمام من قبل الله كالنبى، كما يتضح من مناظرته الشهيرة لعلماء وقته، التى أوردها غير واحد من كتب التاريخ، والأدب، والرواية، وذكرها فى العقد الفريد أيضا قبل ذكره لهذه الرواية المفتعلة. وإن كان قد تصرف فيها (أى فى المناظرة)، فحرف فيها، وحذف منها الكثير.. وأشار إليها أيضا أحمد أمين فى ضحى الإسلام ج ٢ ص ٥٧، وغيره..

فلماذا لا ـ يلزمه الإمام بمقالته التى كان يلزم نفسه بها؟!. أم يمكن أن لا ـ يكون مطلعا على مقالة المأمون هذه، التى سار ذكرها فى الآفاق؟!.

ويحسن بنا هنا أن ننبه إلى أن الاختلاف فى نقل مثل هذه القضايا، حسب أهواء الناقلين لم يكن بالأمر الذى يخفى على أحد، فقد رأينا:

أن جواب أحمد بن حنبل فى المحنة بخلق القرآن، يرويه كل من الشيعة، والمعتزلة، وأهل السنة بصور ثلاثة مختلفة، ومناظرة هشام لأبى الهذيل العلاف يروى المعتزلة أن الغلبة فيها كانت لأبى الهذيل، بينما يروى الشيعة، ويؤيدهم المسعودى (١) أن الغلبة فيها كانت لهشام. إلى غير ذلك من عشرات القضايا بل المئات..

ولكن الأمر هنا مختلف تماما، إذ أن مختلق الرواية هنا قد غفل عن أن روايته المفتعلة تتنافى كليا مع نظرة الأئمة عليهم السلام ورأيهم فى الخلافة ومستحقها.. ويبدو أنه لم يكن مطلعا على الآراء المختلفة الشائعة آنذاك فى مسألة الإمامة، ولذا نراه ينسب إلى الإمام (ع) رأيا لا يقول به، ولا يقره. وإنما هو يناسب رأى الشيعة الزيدية القائلين بإمامة ولد على (ع) من فاطمة، بشرط أن يكون بليغا، شجاعا، عادلا مجتهدا، (١) مروج الذهب ج ۴ ص ٢١. (٣٣٣) صفحهمفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (١)، مدرسة المعتزلة (٢)، أحمد بن حنبل (١)، القرآن الكريم (١)، الوجوب (١)، كتاب مروج الذهب للمسعودى (١)

يخرج بالسيف ضد كل ظلم وانحراف إلخ.. وبأن إمامة على (ع) قد ثبتت بالوصف والإشارة إليه، لا بالتصريح والنص عليه (١).

كما أنه غفل عن أن الذين كانوا يحتجون بالقرابة والإرث هم العباسيون، الذين كانوا إلى عصر المهدى - كما قدمنا - يدعون انتقال

الخلافة إليهم عن طريق على (ع)، ومحمد بن الحنفية، وفى عصر المهدى عدلوا عن ذلك، لما يتضمنه من اعتراف للعلويين، ورأوا أن يجعلوا إمامتهم عن طريق العباس وأبنائه.. وحاولوا تقوية هذه النحلة بكل وسيلة، وبذلوا من أجلها الأموال الطائلة للعلماء والفقهاء، والشعراء.

ولم يكن لتخفى على أحد أبيات مروان بن أبى حفصة المتقدمة:

هل تطمسون من السماء نجومها * أو تسترون إلخ..

ولا قوله:

أنى يكون وليس ذلك بكائن * لبنى البنات وراثة الأعمام وقد أجابه جعفر بن عفان المعاصر له. على هذا البيت بقوله:

ما للطليق وللتراث وإنما * صلى الطليق مخافة الصمصام (٢) وكيف يخفى كل ذلك على الإمام (ع)، خصوصا بعد أن كان الجدل فى هذا الموضوع قائما على قدم وساق فى زمن هارون، بل وفى زمن المأمون كما يظهر من قول ابن شكلة المتقدم:

فضجت أن نشد على رؤوس * تطالبها بميراث النبى (١) مقدمة ابن خلدون ص ١٩٧ ر ١٩٨.

(٢) مقتل الحسين للمقرم ص ١١٩، والأغانى ج ٩ ص ۴۵، طبع ساسى، والأدب فى ظل التشيع ص ٢٠١، وضحى الإسلام ج ٣ ص ٣١٣، وقاموس الرجال ج ٢ ص ٣٩٣، وغير ذلك. (٣٣۴) صفحهمفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (٢)، محمد بن الحنفية إبن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام (١)، كتاب مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمى (١)

ومن قول القاسم بن يوسف وهى قصيدة طويلة فلتراجع (١).

إلى غير ذلك مما لا مجال لتتبعه واستقصائه.. وبعد كل تلك الوقائع الشهيرة التى حدثت قبل خلافة المأمون، وأثناءها بالنسبة لدعوى العباسيين هذه، فلا يمكن أبدا أن تجرى المحاورة بين أعلم أهل الأرض (باعتراف المأمون) وبين المأمون أعلم خلفاء بنى العباس على هذا النحو من السذاجة والبساطة. اللهم إلا إذا كان أعلم أهل الأرض، لا يرى ولا يسمع، أو أنه كان يعيش فى غير هذا العالم، أو فى سرداب تحت هذا الأرض.

واللهم إلا إذا كان القائل: ما للطليق وللتراث إلخ.. أعلم بالحجة للدعوى التى يدعيها أعلم أهل الأرض من مدعى الدعوى نفسه.. وهل لم يكن يحسن أن يقول للمأمون – لو سلم أنه احتج بالقرابة –: إن قرابة العباس لا تفيده، بعد أن تخلى عنها يوم الانذار. وبعد أن كان من الظالمين، الذين حرمهم الله من عهده. حيث قال تعالى ": ولا ينال عهدى الظالمين. " وبعد أن ترك الهجرة معه صلى الله عليه وآله. وبعد أن حارب النبى صلى الله عليه وآله يوم بدر. وبعد جهله بالدين وأحكامه، ولقد قال سبحانه ": أفمن يهدى إلى الحق أحق أن يتبع، أمن لا يهدى إلا أن يهدى، فما لكم كيف تحكمون (".. ٢). إلى آخر ما هنالك.

وأخيرا.. وبعد أن لم يبق مجال للشك فى زيف هذه الرواية وافتعالها.

فإننا نرى أن لنا كل الحق فى أن نسجل هنا: أنه لم يخف علينا، ونأمل أن لا يخفى على أحد سر ذكر ابن عبد ربه هذه الرواية المزيفة المفتعلة، بعد ذكره لرواية احتجاج المأمون على علماء وقته فى أفضلية على (ع) على جميع الخلق، والتى تصرف فيها ما شاء له حقده ونصبه، (١) الأوراق للصولى ص ١٨٠، وقد تقدم شطر منها فى بعض فصول هذا الكتاب.

(٢) يونس آية ٣۵. (٣٣۵) صفحهمفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، بنو عباس (١)، الجهل (١)، الظلم (٢)

الحذف والتحريف، فإنه – على ما يبدو – ليس إلا من أجل التشويش على تلك، وإبطال كل أثر لها، ظلما للحقيقة، وتجنيا على التاريخ.

الموقف الثامن:

وأعتقد أنه أعظمها أثرا، وأعمها نفعا، وهو ما كتبه (ع) على وثيقة العهد، التى كتبها المأمون بخط يده..

فإننا إذا ما رجعنا إليه نجد: أن كل سطر فيه، بل كل كلمة لها مغزى عميق، ودلالة هامة، تلقى لنا ضوءا كاشفا على خطته (ع) فى مواجهة مؤامرات المأمون، وخططه، وأهدافه.

فلقد كان يعلم: أن هذه الوثيقة ستقرأ فى مختلف الأقطار الإسلامية، ولذلك نراه (ع) قد اتخذها وسيلة لإبلاغ الأمة الحقيقة كل الحقيقة، وتعريفها بواقع نوايا وأهداف المأمون. وأيضا تأكيد حق العلويين، وكشف المؤامرة التى تحاك ضدهم..

فبينما نراه (ع) يبدأ كلامه - فيما كتبه فى الوثيقة المشارة إليها - بداية غير طبيعية، ولا مألوفة فى مناسبات كهذه حيث قال ": الحمد لله الفعال لما يشاء، ولا معقب لحكمه، ولا راد لقضائه. ".. لا يأتى بعدها بما يناسب المقام، ويتلائم مع سياق الكلام، من تمجيد الله، والثناء عليه على أن ألهم أمير المؤمنين! هذا الأمر.. بل نراه يأتى بعبارة غريبة، وغير متوقعة، ألا وهى قوله ": يعلم خائنة الأعين، وما تخفى الصدور الخ.".

أفلا توافقنى - قارئى العزيز - على أنه (ع) يريد أن يوجه أنظار الناس إلى أن الأمر ينطوى على خيانة مبيتة، وأن هناك صدورا تخفى غير ما تظهر؟!.. ثم.. ألا توافقنى على أن هذه العبارة تعريض بالمأمون (۳۳۶) صفحهمفاتيح البحث: العزّة (۱)

نفسه، من أجل تعريف الناس بحقيقة نواياه وأهدافه؟!. هذا مع علمه (ع) بأن هذه الوثيقة سوف ترسل إلى مختلف أقطار العالم الإسلامى، لتقرأ على الملأ العام، كما حدث ذلك بالفعل.

وإذا ما وصلنا إلى فقرة أخرى، مما كتبه (ع) على وثيقة العهد، فإننا نراه يقول.. ": وصلاته على نبيه محمد خاتم النبيين، وآله الطيبين الطاهرين ".. فإننا إذا لاحظنا: أنه لم نجر العادة فى الوثائق الرسمية فى ذلك العهد بعطف " الآل " على " محمد، " ثم توصيفهم ب "الطيبين الطاهرين - " نعرف أن هذا ليس إلا ضربة أخرى للخليفة المأمون، وهجوم آخر عليه، حيث إنه يتضمن التأكيد على طهارة أصل الإمام (ع)، وسنخه، ومحتده، وعلى أن الآل قد اختصوا بهذه المزية، وليس لكل من سواهم. حتى الخليفة المأمون، مثل هذا الشرف، ولا مثل تلك المزية..

ثم نراه (ع) يعقب ذلك بقوله.. ": إن أمير المؤمنين ... عرف من حقنا ما جهله غيره."..

فما هو ذلك الحق الذى جهله الذى كلهم، حتى بنو العباس، فيما عدا المأمون؟!.

فهل يمكن أن تكون الأمة الإسلامية قد أنكرت أنهم (ع) أبناء بنت رسول الله صلى الله عليه وآله؟!. أليس ذلك منه (ع) إعلان للأمة بأسرها بأن المأمون لم يجعل له إلا ما هو حق له، وأنه لم يزد بذلك على أن أرجع الحق إلى أهله، بعد أن كان قد اغتصبه منهم الغاصبون، واعتدى عليهم به المعتدون؟!. بل أليس ذلك ضربة للمأمون نفسه، وأن خلافته ليست شرعية، ولا صحيحة، لأنه كآبائه مغتصب لحق غيره؟!.

نعم. إن الحق الذى جهله الناس هو حق الطاعة. ولم يكن (۳۳۷) صفحهمفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (۱)، بنو عباس (۱)، الجهل (۳)، الطهارة (۳)

الإمام (ع) يتقى المأمون، ولا غيره من رجال الدولة، فى إظهار هذا الحق، وبيان أن خلافة الرسول صلى الله عليه وآله إنما كانت فى على (ع)، وولده الطاهرين، وأنه يجب على الناس كلهم طاعتهم، والانقياد لهم. وقد أعلن (ع) ذلك فى نيشابور كما قدمنا.. ورأيناه يصرح به، ويطلب من الناس أن يعلم شاهدهم غائبهم به، فى محضر من رجال الدولة فى خراسان، ففى الكافى: بسنده عن محمد بن زيد الطبرى قال: كنت قائما على رأس الرضا (ع) بخراسان، وعنده عدة من بنى هاشم، وفيهم إسحاق بن موسى بن عيسى العباسى، فقال ": يا إسحاق، بلغنى أن الناس يقولون: إنا نزعم: أن الناس عبيد لنا!. لا وقرابتى من رسول الله صلى الله عليه وآله ما قلته قط، ولا سمعته من آبائى قاله، ولا بلغنى عن أحد من آبائى قاله، ولكننى أقول: الناس عبيد لنا فى الطاعة، موال لنا فى الدين، فليبلغ الشاهد الغائب (". ۱).

وستأتى الإشارة إلى هذه الرواية مرة أخرى فى الفصل الآتى.. وليتأمل فى عبارته الأخيرة، فليبلغ إلخ.. وليلاحظ أيضا أنه اختار لتوجيه

خطابه:

إسحاق بن موسى بن عيسى العباسى!!.

وفى الكافى أيضا بسنده عن معمر بن خلاد قال: سأل رجل فارسى أبا الحسن (ع)، فقال: طاعتك مفترضة؟ فقال: نعم. قال: مثل طاعة على بن أبى طالب (ع)؟. قال: نعم (۲).

والمراد بأبى الحسن هو الرضا (ع)، لأنه هو الذى كان فى خراسان، وهو الذى يروى عنه معمر بن خلاد كثيرا.. ومثل ذلك كثير لا مجال لتتبعه. (۱) الكافى ص ۱۸۷، وأمالى المفيد ص ۱۴۸ ط النجف وأمالى الطوسى ج ۱ ص ۲۱، ومسند الإمام الرضا عليه السلام ج ۱ ص ۹۶.

(۲) الكافى: ج ۱ ص ۱۸۷، والاختصاص ۲۷۸، ومسند الإمام الرضا ج ۱ ص ۱۰۳ عنه. (۳۳۸) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (۳)، الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (۲)، الإمام الحسن بن على المجتبى عليهما السلام (۱)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (۲)، محمد بن زيد الطبرى (۱)، إسحاق بن موسى (۲)، بنو هاشم (۱)، معمر بن خلاد (۲)، خراسان (۳)، كتاب أمالى الصدوق (۲)، مدينة النجف الأشرف (۱)

ويقول (ع) فى وثيقة العهد، بعد تلك العبارة مباشرة.. ": فوصل أرحاما قطعت، وآمن أنفسا فزعت، بل أحياها وقد تلفت، وأغناها إذا افتقرت."

وهو كما ترى.. فى حين يشكر المأمون، ويكتب تحت اسمه ": بل جعلت فداك (" حسب رواية الإربلى فقط)، لا ينسى أن يشوب ذلك بالازراء ضمنا على آبائه العباسيين. ويذكر بما اقترفوه فى حق العلويين، حيث كانوا يلاحقونهم تحت كل حجر ومدر، ويطلبونهم فى كل سهل وجبل، كما قدمنا..

هذا.. ولا بأس أن نقف قليلا عند قوله ": وإنه جعل إلى عهده، والإمرة الكبرى - إن بقيت - بعده.".

فإننا لا نكاد نتردد فى أنه (ع) يشير بقوله: إن بقيت بعده إلى ذلك الفارق الكبير بالسن بينه (ع)، وبين المأمون، وأنه يتعمد توجيه الأنظار إلى عدم طبيعية هذا الأمر، وإلى عدم رغبته فيه.

وإنه كان يريد أن يعرف الناس بأنه يتوقع فى أن لا يدخر المأمون وسعا من أجل التخلص منه، ولو بالاعتداء على حياته (ع)، فيما لو سنحت له الفرصة لذلك، بعد أن يكون قد حقق كل ما كان يريد تحقيقه، ووصل إلى ما كان يطمح إلى الوصول إليه، حيث لا بد حينئذ أن " يحل العقدة التى أمر الله بشدها. " ولا بد أيضا أن تنكشف خيانته للملأ، ويظهر ما يخفيه فى صدره، على حد تعبيره (ع)..

وإلا فما هو الداعى له (ع) لإقحام هذا الشرط - إن بقيت - فى أثناء مثل هذا الكلام.

وإننا إذا نظرنا بعمق إلى قوله بعد ذلك: فمن حل عقدة أمر الله بشدها، وفصم عروة أحب الله إيثاقها. ".. وتأملنا قوله السابق: (۳۳۹) صفحهمفاتيح البحث: الشكر (۱)، الفدية، الفداء (۱)

يعلم خائنة الأعين، وما تخفى الصدور. وقوله اللاحق: لكننى امتثلت أمر أمير المؤمنين، وآثرت رضاه.. فلسوف نعرف: أنه (ع) يعرض هنا بالمأمون نفسه، ويقول الناس جميعا: إنه لا يشك فى أن المأمون سوف ينقض العهد، ويحل العقدة.

ويلاحظ هنا أيضا: أنه وصف هذه العقدة بأنها مما أمر الله بشدة، وأحب إيثاقه.. وهذا لعله لا يختلف عما كان (ع) يردده، ويؤكد عليه كثيرا، ونص عليه آنفا، وهو أن المأمون لم يجعل له إلا الحق الذى جهله غيره، واغتصبه هو وآباؤه، منه (ع) ومن آبائه..

وإذا ما وصلنا إلى قوله (ع.. "): بذلك جرى السالف، فصبر منه على الفلتات، ولم يعترض بعدها على العزمات، خوفا من شتات الدين، واضطراب حبل المسلمين، ولقرب أمر الجاهلية الخ.."..

فإننا نراه كأنه يستشهد لإطاعته المأمون، وعدم إصراره على الرفض الموجب لتعريض نفسه، والعلويين، وشيعته لهلاك، والاضطهاد - يستشهد لذلك - بما جرى لسالفه: وهو أمير المؤمنين على (ع)، حيث صبر على الفلتات (۱) التى كانت من خلفاء عصره، ولم يعترض

(ع) على ما كانوا قد عقدوا العزم عليه، من المضى قدما فى مخططاتهم، التى كانت تستهدف إبعاده عن مسرح السياسة، وتكريس الأمر الواقع، وتثبيته، لأنه يخدم مصالحهم، ويرضى مطامحهم.

- لم يعترض على (ع) على ذلك - لأنه خاف من شتات الدين، (۱) ومن المحتمل جدا أنه عليه السلام: يشير إلى تعبير عمر - كانت بيعة أبى بكر فلتة إلخ - ولكنه عمم الكلام بحيث يشمل غير بيعة أبى بكر أيضا، باعتبار أن بيعة عمر وعثمان، ومعاوية وغيرها، كانت أيضا من الفلتات، أو باعتبار تفرعها على بيعة أبى بكر التى كانت فلتة.. (۳۴۰) صفحهمفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (۲)، الجهل (۲)، الشهادة (۲)، الصبر (۱)، الخوف (۱)

واضطراب حبل المسلمين، ولقرب أمر الجاهلية.. وهذا مما قد نص عليه على (ع) نفسه فى أكثر من مورد، وأكثر من مناسبة، قال (ع): .. "وأيم الله، لولا مخافة الفرقة بين المسلمين، وأن يعود الكفر، ويبور الدين، لكنا على غير ما كنا لهم عليه، ".. ويقول ": إن الله لما قبض نبيه، استأثرت علينا قريش بالأمر، ودفعتنا عن حق نحن أحق به من الناس كافة، فرأيت أن الصبر على ذلك أفضل من تفريق كلمة المسلمين، وسفك دمائهم، والناس حديثوا عهد بالإسلام، والدين يمخض مخض الوطب، يفسده أدنى وهن، ويعكسه أدنى خلف (".. ۱).

وهكذا تمام كان الحال بالنسبة للإمام الرضا (ع)، حفيد على، ووارثه، الذى كان زمانه لا يبعد حال الناس فيه على حال الجاهلية، فإنه آثر أن يصبر على هذه المحنة، خوفا من شتات الدين، واضطراب حبل المسلمين، وذلك بتعريض نفسه، وشيعته، والعلويين للهلاك، أو على الأقل للاضطهاد، الأمر الذى سوف تكون له أسوأ النتائج على الدين والأمة، كما قلنا..

وإذا ما قرأنا بعد ذلك قوله (ع.. "): وقد جعلت الله على نفسى، - إن استرعانى على المسلمين، وقلدنى خلافته - العمل فيهم عامة، وفى بنى العباس بن عبد المطلب خاصة، بطاعة الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وآله.. ".. فإن ما يسترعى انتباهنا هو تنصيصه على بنى العباس خاصة وأنه سوف يعمل فيهم بطاعة الله، ورسوله ".. فلا يسفك دما حراما، ولا يبيح فرجا ولا مالا، إلا ما سفكته حدوده، وأباحته فرائضه إلخ.".

فإن هذا التنصيص إنما هو فى مقابل " الأرحام التى قطعت، وفزعت، (۱) راجع شرح النهج للمعتزلى ج ۱ ص ۳۰۷، ۳۰۸ وغير ذلك. (۳۴۱) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (۱)، الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (۱)، بنو عباس (۲)، الصبر (۲)، الجهل (۲)

وتلفت، وافتقرت..، من العلويين، على يد بنى العباس، الذين فعلوا بهم. أكثر من فعل بنى أمية معهم، حسبما قدمنا.

وتعهده والتزامه بأن يعمل فى المسلمين عامة. وفى بنى العباس خاصة، بطاعة الله، وسنة ورسوله.. هو التزام بنفس الخط الذى التزم به على (ع)، وتعهد بانتهاجه. الأمر الذى كان سببا فى إبعاده عن الخلافة فى الشورى، واضطلاع عثمان بها. بل كان ذلك هو السبب فى إبعاده عنها، بالنسبة لما قبل ذلك أيضا، وما جرى بعده.

وعلى (ع) هو نفس ذلك الذى استشهد به آنفا، وبين أنه صبر على الفلتات، ولم يعترض على العزمات خوفا من شتات الدين إلخ..

والالتزام بخط على (ع) لن يرضى المأمون، والعباسيين، والهيئة الحاكمة، ولن يكون فى مصلحتهم، حسبما المحنا إليه فى فصل: جدية عرض الخلافة..

كما أننا لا نستبعد كثيرا: أنه (ع) يريد أن ينبه على مدى التفاوت بين المنطلقات لسياسات أهل البيت، ومنطلقات سياسات خصومهم، التى عرفت جانبا منها فى القسم الأول من هذا الكتاب.

ومن هنا نعرف السر فى قوله (ع.. "): وأن أتخير الكفاة جهدى وطاقتى ".. فإنه إشارة إلى أنه (ع) سوف ينطلق فى كل نصب وعزل - تماما كالإمام على (ع) - من مصلحة الأمة، وعلى وفق رضا الله، وتعاليم رسوله. لا من مصالح شخصية، أو اعتبارات سياسية، أو قبلية، أو غير ذلك من الاعتبارات، التى لا يعترف بها الإسلام، ولا يقيم لها وزنا.

وإذا مـا قرأنـا قوله (ع.. "): وإن أحـدثت، أو غيرت، أو بـدلت، كنت للغير مسـتحقا، وللنكـال متعرضا، وأعوذ بالله من سـخطه إلـخ.". (۳۴۲) صـفحهمفاتیح البحث: الإمام أمیر المؤمنین علی بن ابی طالب علیهما السلام (۴)، بنو عباس (۲)، یوم عرفة (۱)، بنو أمیة (۱)، الشهادة (۱)، السب (۱)

فإننا نـدرك للتو أنه (ع) يريد ضـرب العقيدة، التی كان قد شـجعها الحكام، وروج لها علماء السوء.. من أن الخليفة، بل مطلق الحاكم فی منـأى ومأمن من أی مؤاخـذة، أو عقاب، مهما اقترف من جرائم، وأتاه من موبقات، فهو فوق القانون، ولا يجوز لأحـد الخروج، أو الاعتراض عليه، فی أی ظرف من الظروف والأحوال، حتى ولو رمى القرآن بالنبل، وقتل ابن بنت رسول الله، فضـلا عما عـدا ذلك من الجرائم والموبقات..

والإمام.. الـذی يعرف كيف كانت سـيرة المأمون، وسائر خلفاء بنی العباس، ومن لف لفهم، والتی عرفت فيما تقـدم طرفا منها، والذين كـانوا يتمتعون بهـذه الحصانـة الزائفـة.. قـد أراد أن يوجه ضـربة قاضـية لهم جميعا، حتى للمأمون. وأشـياعه، وكل من كان الطواغيت والظلمـة على شـاكلتهم، ويبين لهم. وللملأـ أجمع: أن الحاكم حارس للنظام والقانون، ولا يمكن أن يكون فوق النظام والقانون، ولـذا فلا يمكن أن يكون فی منأى عن العقاب والقصاص، لو ارتكب أی جريمة، أو اقترف أية عظيمة.

فالمأمون، وآباؤه، وأشـياعهم، كانوا يضحون بكل شئ فی سبيل أنفسهم، ومصالحهم الشخصية، ويقترفون كل عظيمة فی سبيل تدعيم حكمهم، وتقويـة سـلطانهم.. أما الإمام (ع) فهو مسـتعد لأن يقـدم نفسه - إن اقتضـى الأمر - للعقاب والنكال، عند صدور أية مخالفة، وحصول أی تجاوز عما يرضى الله تعالى، وعن سنة رسوله.

وبعـد كل ما تقـدم.. نراه يعبر عن عـدم رضاه بهـذا الأمر، وعـدم تهالكه عليه، لعلمه بعدم تماميته له، ويقول بصـريح العبارة: إنه أمر لا يتم، لأن.. " الجفر والجامعـة يـدلان على ضـد ذلك. ". كما أن فی هـذا تنويه مهم منه (ع) بـذكر الركن الثانی من أركان إمامـة أئمة (۳۴۳) صفحهمفاتیح البحث: یوم عرفة (۱)، القرآن الکریم (۱)، الضرب (۱)، القتل (۱)، الجواز (۱)

أهـل الـبيت عليهم السـلام، وهو أن الله تعـالى اختصـهم بـأمور غيبيـة، وعلوم لدنيـة، منعهـا عن سـائر النـاس، وهـذان الكتابـان: الجفر، والجامعـة، همـا من الكتب التی أملاها رسول الله صـلى الله عليه وآله على علی أمير المؤمنين (ع)، وكتبها بخط يـده، وقـد أظهر الأئمة عليهم السـلام بعض هـذه الكتب التی بخط علی (ع)، وبإملاء الرسول صـلى الله عليه وآله لعـدة من كبار شـيعتهم، واستشـهدوا بها فی موارد عديدة فی الأحكام (۱).

وفی الحقيقـة.. إن الإمام (ع)، وإن قبل ولاية العهد مكرها من المأمون.. ولكنه يريد بكلامه هذا، واستشـهاده بالجفر والجامعة أن يقول له، ولكل من كان على شاكلته بصريح العبارة.. ": قد أنبأنا الله بأخباركم، وسيرى الله عملكم. ورسوله، والمؤمنون، وستردون إلى عالم الغيب والشـهادة فينبؤكم بمـا كنتم تعملون، ويجزيكم على ظلمكم وبغيكم علينا، وانتهاككم الحرمات منا، ولعبكم بـدمائنا وأعراضـنا، وأموالنا.".

ثم نراه يترقى فی صـراحته، حيث يقول.. ": لكننی امتثلت أمر أمير المؤمنين، وآثرت رضـاه ".. أی أنه لو لم يقبـل بهـذا الأـمر لتعرض لسـخط المـأمون.. والكـل يعلم مـاذا كـان يعنی سـخط أولئـك الحكـام، الـذين كانوا لا يحتاجون إلى أی مبرر لاقترافهم أی جريمـة. وإقدامهم على أی عظيمة.

وأخيرا.. ورغم أن المأمون قد تقدم منه (ع) وطلب منه أن يشـهد الله، والحاضـرين على نفسه.. نراه يأبى أن يكون المأمون، ولا أی من الحاضرين شاهدا على نفسه، ولا جعل لهم على نفسه سبيلا، لأنه (۱) راجع: كتاب مكاتيب الرسول ج ۱ من ص ۵۹ حتى ص ۸۹، فقد أسـهب القول حول هذه الكتب، واستشهادات الأئمة بها، وغير ذلك. (۳۴۴) صـفحهمفاتیح البحث: أهل بیت النبی صلی الله علیه وآله (۱)، الإمام أمیر المؤمنین علی بن ابی طالب علیهما السلام (۲)، الرسول الأکرم محمد بن عبد الله صلی الله علیه وآله (۲)، الشهادة (۲)، کتاب مکاتیب الرسول للأحمدی المیانجی (۱)

كان يعلم بما كانت تكنه صدورهم. وتضطرم به قلوبهم عليه. بل جعل الله فقط شهيدا عليه، واستعان بالآية الكريمة، التى تقطع الطريق على كل أحد، وتكتفى بالله شهيدا، حيث قال ": وأشهدت الله على نفسى (وكفى بالله شهيدا.").

وإذا كان لا بد من كلمة:

وإذا كان لا بد فى نهاية المطاف من كلمة، فإننا نقول: إن أولئك الذين عاشوا فى تلك الفترة، ووقفوا على الظروف والملابسات التى اكتنفت هـذا الحدث التاريخى الهام – إن هؤلاء ولا شك – كانوا أقدر منا على فهم جميع ما كان يرمى إليه الإمام (ع) من كل كلمة، كلمة، مما كتبه على وثيقة العهد..

وإذا كان هناك من يرى: أن بعض الفقرات تحتمل غير ما قلناه..

فإننا نرى: أن كون بعض الفقرات الأخرى لا يحتمل غير ما قلنا، وأيضا بما أن ما ذكرناه هو الـذى يساعـد على الجو العام. الذى توحى به النصوص التاريخيـة الكثيرة جـدا، والتى قـدمنا وسـيأتى شـطر منهـا – إن ذلك – وهو ما يجعلنا نجزم بأن ما فهمناه هو بعض ما كان يرمى إليه (ع) مما كتبه على وثيقة العهد.

ملاحظات هامة:

إن من الأمور الغريبـة حقا أن نرى نفس الخليفـة يكتب وثيقـة العهد – الطويلة جدا! – بخط يده.. وأغرب منه أنه تقدم إلى الإمام (ع)، وقال له ": اكتب خطك بقبول هذا العهد. وأشـهد الله والحاضرين عليك، (۳۴۵) صفحهمفاتيح البحث: الكرم، الكرامة (۱)، الطواف، الطوف، الطائفة (۱)

بما تعده فى حق الله ورعاية المسلمين (۱.").

وهـذا إن دل على شـئ، فإنما يـدل على مـدى أهمية هذا الأمر بالنسـبة إلى المأمون، وأنه يريد تطويق هذا الموضوع من جميع جهاته، وإن اسـتلزم ذلك كل تلك الأمور، وإلا.. فما هو الـداعى لأن يكتب له العهـد بخط يـده!! ثم أن يتقدم إليه بنفسه!!. ثم ما الداعى لأن يطلب من الإمام ذلك!!.

هـذا.. ولا بأس أيضا بملاحظة تعبير المأمون ب " قبول!!. " ثم ملاحظة أنه طلب منه أن يكتب هذا القبول ب " خط يده!!. " ثم طلب منه أن يشهد الله والحاضرين على نفسه!!.

حقا.. إنها للعبقرية السياسية:

وعلى كل حال.. فلا شك أن المحاورات السياسـية تعتبر من الصـنايع المستظرفة،، وذلك لما تتضمنه من تعريضات، وكنايات، حسبما تفرضه الاتجاهات السياسية، التى يلتزم بها المتحاورون..

ولـذا.. نلاحظ أنه (ع).. وإن كان يضـمن كلامه الشـكر للمأمون، بل ويكتب تحت اسـمه – حسب روايـة الإربلى فقط " -: بل جعلت فداك.

ولكنه يبطن كلامه، ويضـمنه تعريضات عميقـة، بلهجة معتدلة، لا عنف فيها، وذلك يعنى: أن الإمام (ع) لم يتنازل عن مبدئه، ولا حاد عن نهجه، الذى اختطه لنفسه، بوحى من رسالة الله، وتعاليم محمد (ص)، وخطى جده على (ع).. لم يحد عنه قيد شعرة، ولا هاون فيه، ولا حابى أحـدا، حتى فى هذا الموقف. (۱) مآثر الإنافة ج ۲ ص ۳۳۲. (۳۴۶) صـفحهمفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (۱)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (۱)، الشكر (۱)، الفدية، الفداء (۱)، الشهادة (۱)

ولعمرى.. لو كان ما كتبه الإمام الرضا (ع) على وثيقة العهد من شـخص عادى آخر، لكان يقال عنه الشئ الكثير تعظيما وتبجيلا، حيث إنه لم يضل عن خطته التى اختطها لنفسه، ولا حاد عن نهجه قيـد أنملـة.. مع أن المأمون كان قـد فاجأه بطلب الكتابة على الوثيقة، ولم يكن هو مستعدا، ولا متوقعا لذلك، لأن العادة لم تكن قد جرت على ذلك..

وهذا ولا شك مما يزيد من عظمة الإمام، ويعلى من شأنه، ويستدعى المزيد من التعظيم والتبجيل له.

ولکن الحقیقة هی: أنه – وهو الإمام المعصوم – غنی عن کل تلکم التقریظات، وعن ذلکم التعظیم والتبجیل..

الموقف التاسع:

شروطه (ع) علی المأمون لقبول ولایة العهد، وهی:

"أن لا یولی أحدا، ولا یعزل أحدا، ولا ینقض رسما، ولا یغیر شیئا مما هو قائم، ویکون فی الأمر مشیرا من بعید (۱، ") فأجابه المأمون إلی ذلک کله!!!.

وفی ذلک تضییع لجملة من أهداف المأمون.. إذ أن: (۱) الفصول المهمة، لابن الصباغ المالکی ص ۲۴۱، ونور الأبصار من ص ۱۴۳، وعیون أخبار الرضا ج ۱ ص ۲۰، و ج ۲ ص ۱۸۳، ومواضع أخری، ومناقب آل أبی طالب ج ۴ ص ۳۶۳، وعلل الشرایع ج ۱، ص ۲۳۸، وإعلام الوری ص ۳۲۰، والبحار ج ۴۹.

ص ۳۴ و ۳۵، وغیرها، وکشف الغمة ج ۳ ص ۶۹، وإرشاد المفید ص ۳۱۰، وأمالی الصدوق ص ۴۳، وأصول الکافی ص ۴۸۹، وروضة الواعظین ج ۱ ص ۲۶۸، ۲۶۹، ومعادن الحکمة ص ۱۸۰، وشرح میمیة أبی فراس ص ۱۶۵. (۳۴۷) صفحهمفاتیح البحث: الإمام علی بن موسی الرضا علیهما السلام (۱)، الهدف (۱)، الضلال (۱)، کتاب الإرشاد للشیخ المفید (۱)، کتاب الفصول المهمة لإبن صباغ المالکی (۱)، کتاب نور الأبصار للشبلنجی (۱)، کتاب علل الشرایع للصدوق (۱)، کتاب أمالی الصدوق (۱)، کتاب إعلام الوری بأعلام الهدی (۱)، کتاب أصول الکافی للشیخ الکلینی (۱)، کتاب کشف الغمة للإربلی (۱)، کتاب مناقب آل أبی طالب علیه السلام (۱)

السلبیة تعنی الاتهام:

فإن من الطبیعی أن تثیر سلبیته هذه الکثیر من التساؤلات لدی الناس، ولسوف تکون سببا فی وضع علامات استفهام کبیرة، حول الحکم، والحکام. وکل أعمالهم وتصرفاتهم، إذ أن السلبیة إنما تعنی: أن نظام الحکم لا یصلح حتی للتعاون معه، بأی نحو من أنحاء التعاون، وإلا فلماذا یرفض – حتی ولی العهد – التعاون مع نظام هو ولی العهد فیه، ویأبی التأیید لأی من تصرفاته وأعماله؟!.

رفض الاعتراف بشرعیة ذلک النظام:

ولقد قدمنا: أن من جملة أهداف المأمون هو أن یحصل من الإمام (ع) علی اعتراف ضمنی بشرعیة حکمه وخلافته، کما صرح هو نفسه بذلک " ولیعترف بالملک، والخلافة لنا."

والإمام.. بشروطه تلک یکون قد رفض الاعتراف بشرعیة النظام القائم. بأی نحو من أنحاء الاعتراف، ولم یعد قبوله بولایة العهد یمثل اعترافا بذلک، ولا یدل علی أن ذلک الحکم یمثل الحکم الإسلامی الأصیل.

هذا.. وقد عضد شروطه هذه، بسلوکه السلبی مع المأمون، والهیئة الحاکمة، طیلة فترة ولایة العهد، یضاف إلی ذلک تصریحاته المتکررة، التی تحدثنا عنها فیما سبق.

النظام القائم لا یمثل وجهة نظره فی الحکم:

والأهم من کل ذلک: أن شروطه هذه کانت بمثابة الرفض القاطع لتحمل المسؤولیة عن أی تصرف یصدر من الهیئة الحاکمة. ولیس (۳۴۸) صفحهمفاتیح البحث: الهدف (۱)، الرفض (۱)

للناس – بعد هذا – أن ینظروا إلی تصرفات وإعمال المأمون وحزبه، علی أنه تحظی برضی الإمام (ع) وموافقته. ولا یمکن لها – من ثم – أن تعکس وجهة نظره (ع) فی الحکم ورأیه فی أسالیبه، التی هی فی الحقیقة وجهة نظر الإسلام الصحیح فیه. الإسلام. الذی یعتبر الأئمة (ع) الممثلین الحقیقیین له، فی سائر الظروف، ومختلف المجالات..

وانطلاقا مما تقدم: نراه (ع) یرفض ما کان یعرضه علیه المأمون، من: کتابة بتولیة أو عزل إلی أی إنسان.. ویرفض أیضا: أن یؤم الناس فی الصلاة مرتین.. إلی آخر ما سیأتی بیانه.

وفی کل مرة کان یرفض فیها مطالب المأمون هـذه نراه یحتج علیه بشـروطه تلک، فلا یجد المأمون الحیلة لما یریده، وتضیع الفرصـة من یده، ولا بد من ملاحظة: أنه عندما أصـر علیه المأمون بأن یؤم الناس فی الصـلاة، ورأی علیه السـلام: أنه لا بد له من قبول ذلک – نلاحظ -: أنه اشترط علیه أن یخرج کما کان یخرج جده رسول الله (ص)، لا کما یخرج الآخرون..

ولم یکن المأمون یـدرک مدی أهمیة هذا الشـرط، ولا عرف أهداف الإمام من وراء اشتراطه هذا، فقال له ولعله بدون اکتراث: أخرج کیف شئت.. وکانت نتیجة ذلک.. أنه (ع) قد أفهم الناس جمیعا:

أن سلوکه وأسلوبه، وحتی مفاهیمه، تختلف عن کل أسالیب ومفاهیم وسلوک الآخرین. وأن خطه هو خط محمد صلی الله علیه وآله، ومنهاجه هو منهاج علی (ع)، ربیب الوحی، وغـذی النبوة، ولیس هو خط المأمون وسواه من الحکام، الـذین اعتاد الناس علیهم، وعلی تصرفاتهم وأعمالهم.

ولم یعد یستطیع المأمون، أن یفهم الناس: أن الحاکم: من کان، ومهما کان، هذا هو سلوکه، وهذه هی تصرفاته. وأن کل شخصیة: من ومهمـا کـانت، وإن کانت قبل أن تصل إلی الحکم تتخـذ العـدل، (۳۴۹) صـفحهمفاتیح البحث: الإمـام أمیر المؤمنین علی بن ابی طالب علیهما السلام (۱)، الرسول الأکرم محمد بن عبد الله صلی الله علیه وآله (۱)، الصّلاة (۲)

والحریة: والمساواة، وغیر ذلک شـعارات لها، إلا أنها عندما تصل إلی الحکم، لا یمکن إلا أن تکون قاسـیة ظالمة، مستأثرة بکل شئ، ومستهترة بکل شـئ، ولذا فلیس من مصـلحة الناس أن یتطلعوا إلی حکم أفضل مما هو قائم، حتی ولو کان ذلک هو حکم الإمام (ع) المعروف بعلمه وتقواه وفضله الخ.. فضـلا عن غیره من العلویین أو من غیرهم – لم یعد یستطیع أن یقول ذلک – لأن الواقع الخارجی قـد أثبت عکس ذلـک تماما، إذ قـد رأینا: کیف أن الإمام (ع) بشـروطه تلک، وبسائر مواقفه من المأمون ونظام حکمه.. یضـیع علی المأمون هذه الفرصة، ولم تجده محاولاته فیما بعد شیئا، بل إن کثیرا منها کان سوءا ووبالا علیه، کما سیأتی.

لا مجال بعد للمأمون لتنفیذ مخططاته:

ولعل من الواضـح: أن شـروطه تلک قـد مکنته من أن یقطع الطریق علی المأمون، ولا یمکنه من اسـتغلال الظروف لتنفیـذ بقیة حلقات مؤامرته، إذ لم یعـد بإمکـانه أن یصـر علی الإمـام أن یقوم بأعمـال تنافی وتضـر بقضـیته هو، وقضـیة العلویین، ومن ثم تؤثر علی الأمة بأسـرها.. وعدا عن ذلک فإن هذه الشروط، قد حفظت له (ع) حیاته فی حمام سرخس، حیث کان المأمون قد حاک مؤامرته للتخلص من وزیره وولی عهده مرة واحدة، کما سـیأتی بیانه.. مما یعنی أن سلبیته (ع) مع النظام کانت أمرا لابد منه، إذا أراد أن لا یعرض نفسه إلی مشاکل، وأخطار هو فی غنی عنها.. والـذی أمن له هذه السـلبیة لیس إلا شـروطه تلک، التی جعلت من لعبة ولایة العهد لعبة باهتة مملة لا حیاة فیها، ولا رجاء.. (۳۵۰) صفحهمفاتیح البحث: الغنی (۱)

ولعل الأهم من کل ذلک.. أنها ضیعت علی المأمون الکثیر من أهدافه من البیعة، التی صرح الإمام (ع) أنه کان عارفا بها، ولم یکن له خیار فی تحملها، والصبر علیها، إلی أن یقضی الله أمرا کان مفعولا.

وعـدا عن ذلـک کله أن تعـاونه مع النظام إنما یعنی أن یحاول تصـحیح السـلوک، وتلافی الأخطاء، التی کان یقع فیها الحکم، والهیئة الحاکمة.

وذلک معناه أن ینقلب جهاز الحکم کله ضد الإمام، ویجد المأمون – من ثم – العذر، والفرصة لتصـفیته (ع) من أهون سبیل، فشروطه تلـک أبعـدت عنه الخطر – إلی حـد مـا – الـذی کان یتهـدده من قبل المأمون وأشـیاعه، وجعلته – کما قلنا – فی منأی ومأمن من کل مؤامراتهم ومخططاتهم.

الإمام.. لا ینفذ إرادات الحکم:

ولعـل من الأهمیـة بمکـان ... أن نشیر إلی أنه (ع) کان یریـد بشـروطه تلک أن یفهم المأمون: أنه لیس علی اسـتعداد لتنفیـذ إرادات الحکم، والحاکم، ولا علی اسـتعداد لأن یقتنع بالتشـریفات، والأمور الشـکلیة، فإنه.. بصـفته القائد والمنقذ الحقیقی للأمة، لا یمکن أن

یرضی بدیلا عن أن ینقذ الأمة، ویرتفع بها من مستواها الذی أوصلها إلیه الطواغیت والظلمة، الذین جلسوا فی مکان رسول الله صلی الله علیه وآله، وأوصیائه علیهم السلام، وحکموا بغیر ما أنزل الله.

إنه یرید أن یخدم الأمة، ویحقق لها مکاسب تضمن لها الحیاة الفضلی، والعیش الکریم، ولا یرید أن یخدم نفسه، ویحقق مکاسب شخصیته علی حساب الآخرین، ولذلک فهو لا یستطیع أن یقتنع بالسطحیات والشکلیات التی لا تسمن، ولا تغنی من جوع.. (۳۵۱)

صفحهمفاتیح البحث: الرسول الأکرم محمد بن عبد الله صلی الله علیه وآله (۱)، الکرم، الکرامة (۱)، الصبر (۱)

لا زهد أکثر من هذا:

إنه مضافا إلی أن مجرد رفض الإمام کلا عرضی المأمون: الخلافة، وولایة العهد، دلیل قاطع علی زهده فیه. فإن هذه الشروط کان لها عظیم الفائدة، وجلیل الأثر فی الإظهار لکل أحد أن الإمام لیس رجل دنیا، ولا طالب جاه ومقام. وما أراده المأمون من إظهار الإمام علی أنه لم یزهد بالدنیا، وإنما الدنیا هی التی زهدت فیه.. لم یکن إلا هباء اشتدت به الریح فی یوم عاصف.. ولم تفلح بعد محاولات المأمون وعمله الدائب، من أجل تشویه الإمام والنیل من کرامته.

ولقد قدمنا: أن الإمام (ع) قد واجه نفس المأمون بحقیقة نوایاه، وأفهمه أن خداعه لن ینطلی علیه، ولن تخفی علیه مقاصده، ولذا فإن من الأفضل والأسلم له أن یکف عن کل مؤامراته ومخططاته.. وإلا فإنه إذا ما أراد إجبار الإمام علی التعاون معه، فلسوف یجد أنه (ع) علی استعداد لفضحه، وکشف حقیقته وواقعه أمام الملأ وإفهام الناس السبب الذی من أجله یجهد المأمون لیزج بالإمام (ع) فی مجالات لا یرغب، بل واشترط علیه أن لا یزج فیها - کما فعل فی مناسبات عدیدة - الأمر الذی لن یکون أبدا فی صالح المأمون، ونظام حکمه..

ومن هنا رأیناه (ع) یجیب الریان عندما سأله عن سر قبوله بولایة العهد، وإظهاره الزهد بالدنیا - یجیبه -: ببیان أنه مجبر علی هذا الأمر، ویذکره بالشروط هذه، التی یعنی أنه قد دخل فیه دخول خارج منه، کما تقدم..

وهکذا.. وبعد أن کان (ع) سلبیا مع النظام، وبعد رفضه لکلا عرضی المأمون، وبعد أن اشترط هذه الشروط للدخول فی ولایة العهد، فلیس من السهل علی المأمون، ولا علی أی إنسان آخر أن ینسب (۳۵۲) صفحهمفاتیح البحث: الزهد (۲)، الرفض (۱)

إلیه (ع): أنه رجل دنیا فقط، وأنه لیس زاهدا فی الدنیا، وإنما هی التی زهدت فیه.

وعلی کل حال: ورغم کل محاولات المأمون تلک.. فقد استطاع الإمام (ع)، بفضل وعیه، ویقظته، وإحکام خطته: أن یبقی القمة الشامخة للزهد، والورع، والنزاهة، والطهر، وکل الفضائل الإنسانیة، وإلی الأبد.

الموقف العاشر:

موقفه (ع) فی صلاتی العید.. ففی إحداهما:

"بعث المأمون له یسأله: أن یصلی بالناس صلاة العید، ویخطب، لتطمئن قلوب الناس، ویعرفوا فضله، وتقر قلوبهم علی هذه الدولة المبارکة، فبعث إلیه الرضا صلی الله علیه وآله، وقال: قد علمت ما کان بینی وبینک من الشرط فی دخولی فی هذا الأمر، فاعفنی من الصلاة بالناس، فقال المأمون: إنما أرید بهذا أن یرسخ فی قلوب العامة، والجند، والشاکریة هذا الأمر، فتطمئن قلوبهم، ویقروا بما فضلک الله تعالی به..

ولم یزل یراده الکلام فی ذلک. فلما ألح علیه قال: یا أمیر المؤمنین، إن أعفیتنی من ذلک، فهو أحب إلی، وإن لم تعفنی خرجت کما کان یخرج رسول الله صلی الله علیه وآله وکما خرج أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب (ع) قال المأمون: أخرج کیف شئت..

وأمر المأمون القواد، والحجاب، والناس: أن یبکروا إلی باب أبی الحسن (ع)، فقعد الناس لأبی الحسن فی الطرقات، والسطوح: من الرجال، والنساء، والصبیان، وصار جمیع القواد، والجند إلی بابه (ع)، فوقفوا علی دوابهم حتی طلعت الشمس. (۳۵۳)

صفحهمفاتیح البحث: الإمام أمیر المؤمنین علی بن ابی طالب علیهما السلام (۱)، الإمام الحسن بن علی المجتبی علیهما السلام (۱)،

الرسول الأکرم محمد بن عبد الله صلی الله علیه وآله (۱)، الصّلاة (۲)

فلما طلعت الشـمس قام الرضا (ع) فاغتسل، وتعمم بعمامـة بیضاء من قطن، وألقی طرفا منها علی صدره، وطرفا بین کتفیه، ومس شـیئا من الطیب، وتشمر. ثم قال لجمیع موالیه: افعلوا مثل ما فعلت.

ثم أخذ بیده عکازة، وخرج، ونحن بین یدیه، وهو حاف قد شمر سراویله إلی نصف الساق، وعلیه ثیاب مشمرة..

فلما قـام، ومشـینا بین یـدیه، رفع رأسه إلی السـماء، وکبر أربع تکبیرات، فخیـل إلینا: أن الهواء والحیطان تجاوبه، والقواد والناس علی الباب، قد تزینوا، ولبسوا السلاح، وتهیأوا بأحسن هیئة..

فلمـا طلعنـا علیهم بهـذه الصورة: حفاة، قـد تشـمرنا. وطلع الرضا وقف وقفـة علی الباب، وقال.. ": الله أکبر، الله أکبر علی ما هـدانا، الله أکبر علی ما رزقنا من بهیمة الأنعام، والحمد لله علی ما أبلانا. " ورفع بذلک صوته، ورفعنا أصواتنا.

فتزعزعت مرو بالبکـاء، فقالها: ثلاث مرات، فلما رآه القواد والجنـد علی تلک الصورة، وسـمعوا تکبیره سـقطوا کلهم من الـدواب إلی الأرض، ورموا بخفافهم، وکان أحسـنهم حالا من کان معه سکین قطع بها شرابة جاجیلته ونزعها، وتحفی.. وصارت مرو ضجة واحدة، ولم یتمالک الناس من البکاء والضجة.

فکان أبو الحسن یمشی، ویقف فی کل عشر خطوات وقفة یکبر الله أربع مرات: فیتخیل إلینا: أن السماء، والأرض، والحیطان تجاوبه.

وبلغ المـأمون ذلـک، فقـال له الفضل بن سـهل ذو الرئاستین: یا أمیر المؤمنین: إن بلغ الرضا المصـلی علی هـذا السبیل افتتن به الناس، وخفنا کلنا علی دمائنا، فالرأی أن تسأله أن یرجع..

فبعث المأمون إلی الإمام یقول له: إنه قد کلفه شططا، وأنه مما (۳۵۴) صفحهمفاتیح البحث: الإمام علی بن موسی الرضا علیهما السلام (۱)، ذو الریاستین (۱)، الفضل بن سهل (۱)، البکاء (۱)

کان یحب أن یتعبه، ویطلب منه: أن یصلی بالناس من کان یصلی بهم..

فدعا أبو الحسن بخفه، فلبسه، ورجع.

واختلف أمر الناس فی ذلک الیوم، ولم ینتظم فی صلاتهم إلخ (".. ۱).

ولقد قال البحری یصف هذه الحادثة والظاهر أنه یمین بن معاویة العائشی الشاعر علی ما فی تاج العروس:

ذکروا بطلعتـک النبـی، فهللوا * لمـا طلعت من الصـفوف وکـبروا حـتی انتهیت إلی المصـلی لابسـا * نور الهـدی یبـدو علیـک فیظهر ومشـیت مشـیة خاشع متواضع * لله، ولا یزهی، ولا یتکبر ولوان مشـتاقا تکلف غیر ما * فی وسـعه لمشی إلیک المنبر (۲) ومما یلاحظ هنـا: أنـه فی هـذه المرة أرسـل إلیـه مـن یطلب منه أن یرجع. ولکننـا فی مرة أخری نراه یسـارع بنفسه، ویصـلی بالنـاس، رغم تظاهره بالمرض..

وعلی کـل حـال. فإننـا وإن کنـا قـد تحـدثنا فی هـذا الفصل، وفی فصل: ظروف البیعـة وسـنتحدث فیما یأتی عن بعض ما یتعلق بهـذه الروایة، إلا أننا سوف نشیر هنا إلی نقطتین فقط.. وهما: (۱) قد ذکرنا بعض مصادر هذه الروایة فی فصل: ظروف البیعة.. فراجع..

(۲) منـاقب آل أبی طـالب. لابن شـهرآشوب ج ۴ ص ۳۷۲، ولکن هـذا الشـعر ینسب أیضا للبحتری فی المتوکل عنـدما خرج لصـلاة العید.. وانتحال الشـعر، وکذلک الاستشـهاد بشـعر الآخرین، فی المواضع المناسـبة ظاهرة شائعة فی تلک الفترة ومن یدری فلعل الشعر للبحـتری ونسب للبحری أو لعله للبحری وانتحله أو نسب للبحتری، ولعـل البحتری قـد صـحف وصـار: البحری.. (۳۵۵) صفحهمفاتیح البحث: الصّلاة (۱)، کتاب مناقب آل أبی طالب علیه السلام (۱)، ابن شهرآشوب (۱)

۱ – الأثر العاطفی، والقاعدة الشعبیة:

فنلاحظ: أننا حتی بعـد مرور اثنی عشـر قرنا علی هذه الواقعة، لا نملک أنفسـنا ونحن نقرأ وقائعها، من الانفعال والتأثر بها، فکیف إذن کانت حال أولئک الذین قدر لهم أن یشهدوا ذلک الموقف العظیم؟!.

وغنى عن البيان هنا: أن شأن هذه الواقعة هو شأن واقعة نيشابور، من حيث دلالتها دلالة قاطعة على كل ما كان للرضا من عظمة وتقدير فى نفوس الناس وقلوبهم، وعلى مدى اتساع القاعدة الشعبية له (ع)..

۲ – لماذا يجازف المأمون بإرجاعه (ع):

وإذا كان هدف المأمون من الاصرار على الإمام بأن يصلى بالناس هو أن يخدع الخراسانيين والجند والشاكرية، ويجعلهم يطمئنون على دولته المباركة فإنه من الواضح أيضا أن إرجاع المأمون للإمام (ع) فى مثل تلك الحالة، وذلك التجمع الهائل، وتلك الثورة العاطفية فى النفوس، كان ينطوى على مجازفة ومخاطرة لم تكن لتخفى على المأمون، وأشياعه، حيث لا بد وأن يثير تصرفه هذا حنق تلك الجماهير التى كانت فى قمة الهيجان العاطفى، ويؤكد كراهيتها له.. وعلى الأقل لن تكون مرتاحة لتصرفه هذا على كل حال.

وبعد هذا.. فإنه إذا كان المأمون يخشى من مجرد إقامة الإمام للصلاة.. فلا معنى لأن يلح عليه هو بقبولها.. وكذلك لا معنى لأن يخشى ذلك الهيجان العاطفى، وتلك الحالة الروحية، التى أثارها فعل الإمام (ع) وتصرفه فى هذا الموقف.. فذلك إذن ما لم يكن يخافه ويخشاه..

فمن أى شئ خاف المأمون إذن؟! إنه كان يخشى ما هو أعظم (۳۵۶) صفحهمفاتيح البحث: الخوف (۱)

وأبعد أثرا، وأشد خطرا.. إنه خشى من أن الرضا إذا ما صعد المنبر، وخطب الناس، بعد أن هيأهم نفسيا، وأثارهم عاطفيا إلى هذا الحد – خشى – أن يأتى بمتمم لكلامه الذى أورده فى نيشابور ": وأنا من شروطها ".. وأنه ظهر إليهم على الهيئة التى كان يخرج عليها النبى محمد صلى الله عليه وآله، ووصيه على (ع).. ما من شأنه أن يجعل المأمون وأشياعه لا يأمنون بعد على أنفسهم، كما ذكر الفضل بن سهل.. ولسوف يحول الإمام مروا من معقل للعباسيين والمأمون، وعاصمة، وحصن قوى لهم ضد أعدائهم – من العرب وغيرهم – سوف يحولها إلى حصن لأعداء العباسيين والمأمون، حصن لأئمة أهل البيت. ففضل المأمون: أن يختار إرجاعه (ع) عن الصلاة، لأنه رأى أن ذلك هو أهون الشرين، وأقل الضررين..

ولقد جرب المأمون الرضا أكثر من مرة، وأصبح يعرف أنه مستعد لأن يعلن رأيه صراحة فى أى موقف تؤاتيه فيه الفرصة، ويقتضى الأمر فيه ذلك. ولم ينس بعد موقفه فى نيشابور، ولا ما كتبه فى وثيقة العهد، ولا غير ذلك من مواقفه (ع) وتصريحاته فى مختلف الأحوال والظروف..

الموقف الحادى عشر:

وأخيرا. فقد كان سلوك الإمام (ع) العام، سواء بعد عقد ولاية العهد له، أو قبلها. يمثل ضربة لكل خطط المأمون ومؤامراته، ذلك السلوك المثالى، الذى لم يتأثر بزبارج الحكم وبهارجه..

ويكفى أن نذكر هنا ما وضعه به إبراهيم بن العباس، كاتب القوم وعاملهم، حيث قال:

"ما رأيت أبا الحسن جفا أحدا بكلامه قط، وما رأيته قطع على (۳۵۷) صفحهمفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (۱)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (۱)، الفضل بن سهل (۱)، النسيان (۱)، الصّلاة (۱)

أحد كلامه حتى يفرغ منه. وما رد أحدا عن حاجة يقدر عليها، ولا مد رجليه بين يدى جليس له قط. ولا اتكأ بن يدى جليس له قط، ولا شتم أحدا من مواليه ومماليكه قط، ولا رأيته تفل قط، ولا رأيته يقهقه فى ضحكه قط، بل كان ضحكه التبسم. وكان إذا خلا، ونصبت مائدته أجلس معه على مائدته مماليكه، حتى البواب والسائس.

وكان قليل النوم بالليل، يحيى أكثر لياليه من أولها إلى الصبح. وكان كثير الصيام، فلا يفوته صيام ثلاثة أيام فى الشهر، ويقول: ذلك صوم الدهر. وكان كثير المعروف والصدقة فى السر، وأكثر ذلك يكون منه فى الليالى المظلمة، فمن زعم أنه رأى مثله فى فضله، فلا تصدقوه (".. ۱).

وهذه الصفات بلا شك قد أسهمت إسهاما كبيرا فى أن يكون الإمام (ع) هو الأرضى فى الخاصة والعامة، وأن تنفذ كتبه فى المشرق

والمغرب، إلى غير ذلك مما تقدم..

الحكم ليس امتيازا وإنما هو مسؤولية:

وقد اعترض عليه بعض أصحابه، عندما رآه يأكل مع خدمه وغلمانه، حتى البواب والسائس، فأجابه (ع "): مه، إن الرب تبارك وتعالى واحد، والأم واحدة، والأب واحد، والجزاء بالأعمال (".. ۲).

وقال له أحدهم: أنت والله خير الناس، فقال له الإمام ": لا تحلف يا هذا، خير منى من كان أتقى لله تعالى. وأطوع له، والله ما (۱) كلام إبراهيم بن العباس هذا معروف ومشهور، تجده في كثير من كتب التاريخ والرواية، ولذا فلا نرى أننا بحاجة إلى تعداد مصادره.

(۲) البحار ج ۴۹ ص ۱۰۱، والكافى الكلينى، ومسند الإمام الرضا ج ۱ قسم ۱ ص ۴۶. (۳۵۸) صفحهمفاتيح البحث: الصيام، الصوم (۱)، الأكل (۱)، النوم (۱)

نسخت هذه الآية ": وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم (".. ۱).

وقال لإبراهيم العباسي: إنه لا يرى أن قرابته من رسول الله صلى الله عليه وآله تجعله خيرا من عبد أسود، إلا أن يكون له عمل صالح فيفضله به (۲).

وقال رجل له: ما على وجه الأرض أشرف منك آباء. فقال:

التقوى شرفهم، وطاعة الله أحظتهم (۳).

وما نريد أن نشير إليه ونؤكد عليه هنا، هو أنه (ع) يريد بذلك أن يفهم الملأ: أن الحكم لا يعطى للشخص - من كان، ومهما كان - امتيازا، ولا يجعل له من الحقوق ما ليس لغيره، وإنما الامتياز - فقط - بالتقوى والفضائل الأخلاقية.. وكل شخص حتى الحاكم سوف يلقى جزاء أعماله: إن خيرا فخير، وإن شرا فشر، وعليه فما يراه الناس من سلوك الحكام، ليس هو السلوك الذى يريده الله، وتحكم به النواميس الأخلاقية، والإنسانية. والامتيازات التى يجعلونها لأنفسهم، ويستبيحون بها ما ليس من حقهم لا يقرها شرع، ولا يحكم بها قانون..

وبكلمة مختصرة: إن الإمام (ع) يرى: أن الحكم ليس امتيازا، وإنما هو مسؤولية.

وعلى كل حال.. فإن سلوك الإمام (ع)، لخير دليل على ما كان يتمتع به من المزايا الأخلاقية، والفضائل النفسية.. ويكفى أنه لم يظهر منه (ع) طيلة الفترة التى عاشها فى الحكم إلا ما ازداد به فضلا بينهم، ومحلا فى نفوسهم، على حد تعبير أبى الصلت. وعلى حد تعبير شخص (۱) عيون أخبار الرضا ج ۲ ص ۲۳۶، ومسند الإمام الرضا ج ۱ قسم ۱ ص ۴۶.

(۲) عيون أخبار الرضا ج ۲ ص ۲۳۷.

(۳) عيون أخبار الرضا ج ۲ ص ۲۳۶. ومسند الإمام الرضا ج ۱ قسم ۱ ص ۴۶. (۳۵۹) صفحهمفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (۱)، كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام (۳)

آخر: أقام بينهم لا يشركهم فى مأثم من مآثم الحكم.. بل لقد كان لوجوده أثر كبير فى تصحيح جملة من الأخطاء والانحرافات التى اعتادها الحكام آنئذ.. حتى لقد استطاع أن يؤثر على نفس المأمون، ويمنعه من الشراب والغناء، طيلة الفترة التى عاشها معه، إلى آخر ما هنالك، مما لسنا هنا فى صدد تتبعه واستقصائه.

وفى نهاية المطاف نقول:

وحسبنا هنا ما ذكرنا من الأمثلة، التى نحسب أنها تكفى لأن تلقى ضوءا كاشفا على الخطة التى اتبعها الإمام (ع) فى مواجهة خطط المأمون ومؤامراته.. تلك الخطة التى كانت تكفى لأن لا تبقى الصورة التى أرادها المأمون فى أذهان الناس، ولا مبرر للشكوك لأن تبقى تراود نفوسهم.

ولقد نجحت تلك الخطة نجاحا أذهل المأمون، وأعوانه، وجعلهم يتصرفون بلا روية، ويقعون بالمتناقضات ... حتى لقد أشرف

المأمون منه على الهلاك. حسبما صرح به المأمون نفسه. وكانت النتيجة أن دبر فيه المأمون بما يحسم عنه مواد بلائه، كما وعد حميد بن مهران، وجماعة من العباسيين. (۳۶۰) صفحهمفاتيح البحث: الهلاك (۱)، الطواف، الطوف، الطائفة (۱)، الغناء (۱)

القسم الرابع من خلال الأحداث ۱ - مع بعض خطط المأمون..

۲ - كاد المريب أن يقول خذونى ۳ - ما يقال حول وفاة الإمام..

۴ - دعبل والمأمون.

۵ - كلمة ختامية. (۳۶۱) صفحهمفاتيح البحث: الوفاة (۱)

مع بعض خطط المأمون

مع بعض خطط المأمون التوجيهات الراضية غير مقبولة:

كل ما تقدم يلقى لنا ضوءا على بعض نوايا المأمون مع الإمام (ع)، وعلى كثير من الأحداث التى اكتنفت ذلك الحدث التاريخى الهام.

وإننا حتى لو سلمنا جدلا، وغضضنا النظر عن كل تلك الأسئلة، وعلامات الاستفهام التى يمكن استخلاصها مما تقدم.. فإننا لا نستطيع - مع ذلك - أن نعتبر البيعة صادرة عن حسن نية، وسلامة طوية.

ولا أن نقبل بالتوجيهات الراضية عن تصرفاته، طيلة فترة ولاية العهد، وبعدها تجاه الإمام، الذى كان يكبر المأمون ب " ۲۲ " سنة، والذى كان مجبرا على قبول هذا الأمر، ومهددا بالقتل إن لم يقبل. ولم يتركه وشأنه ما دام أنه لا يريد أن يتقلد هذا الشرف الذى تتهافت النفوس عليه، وتزهق الأرواح من أجله.

نعم.. إننا لا نستطيع أن نسلم بذلك، ونحن نرى منه تلك التصرفات والمواقف المشبوهة، بل والمفضوحة تجاه الإمام (ع)، والتى لا تبقى مجالا للشك فى حقيقة نواياه وأهدافه من كل ما أقدم وما كان عاقدا العزم عليه.. (۳۶۳) صفحهمفاتيح البحث: القتل (۱)

وهذا الفصل معقود للحديث عن بعض تلك التصرفات، ومن أجل بيان تلك الخطط.

المأمون يفضح نفسه:

وقد تعجب إذا قلنا لك: إن المأمون نفسه يصرح ببعض خططه، التى كانت تصرفاته تدور فى فلكها، ويعلن بعض الدوافع، ويبوح ببعض النوايا تجاه الإمام، وبالنسبة لقضية ولاية العهد فإليك ما أجاب به حميد بن مهران، وجمعا من العباسيين، عندما عاتبوه ولاموه على ما أقدم عليه، من البيعة للرضا (ع) يقول المأمون:

.. "قد كان هذا الرجل مستترا عنا، يدعو إلى نفسه، فأردنا أن نجعله ولى عهدنا، ليكون دعاؤه لنا، وليعترف بالملك والخلافة لنا، وليعتقد فيه المفتونون به بأنه ليس مما ادعى فى قليل ولا كثير، وأن هذا الأمر لنا دونه.

وقد خشينا إن تركناه على تلك الحال: أن ينفتق علينا منه ما لا نسده، ويأتى علينا ما لا نطيقه..

والآن.. فإذ قد فعلنا به ما فعلنا، وأخطأنا فى أمره بما أخطأنا.

وأشرفنا من الهلاك بالتنويه باسمه على ما أشرفنا، فليس يجوز التهاون فى أمره. ولكننا نحتاج إلى أن نضع منه قليلا، قليلا، حتى نصوره عند الرعية بصورة من لا يستحق هذا الأمر، ثم ندبر فيه بما يحسم عنا مواد بلائه."..

ثم طلب منه حميد بن مهران: أن يسمح له بمجادلة الإمام (ع)، ليفحمه، وينزله منزلته، ويبين للناس قصوره، وعجزه، فقال المأمون ": لا شئ أحب إلى من هذا. (" ۳۶۴) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (۱)، الهلاك (۱)، الجواز (۱)

ثم كانت النتيجة عكس ما كان يتوقعه المأمون والعباسيون، وأشياعهم وباءوا كلهم بالفشل الذريع، والخيبة القاتلة (۱).

والذى يعنينا الحديث عنه هنا:

هو قوله: وقد خشينا إن تركناه على تلك الحال.. إلى آخر ما نقلناه عنه آنفا، فإنها أوضحت أن المأمون الذى كان يخشى الإمام خشية شديدة، كان يخطط أولا إلى أخذ زمام المبادرة من الإمام، وتحاشى الاصطدام معه ثم كان يخطط بعد ذلك إلى الوضع منه (ع) قليلا قليلا إلى آخر ما تقدم..

ولا يرد: أن كلام المأمون مع حميـد بن مهران ظاهره: أنه لم يكن يريد فى بادئ الأمر الحط من الإمام عليه السـلام، وإنما بدا له ذلك حين قوى مركز الإمام عليه السلام، واستحكم أمره.. لا يرد ذلك..

لأن كلامه هـذا لا ينفى أنه كان يريـد من أول الأمر ذلك. بل هو يؤكـد ذلك. لأنه يصـرح فيه: أنه إنما قدم على ما أقدم عليه، عندما رأى افتتان الناس به عليه السـلام، فأراد أن يعمل عملا يفقـد الإمام عليه السـلام مركزه، ويقضـى على كل نشاطاته، ويـذهب بماله من القدرة والنفوذ نهائيا، وإلى الأبد.

ولقد تحدثنا فيما سبق عن بعض تصرفاته التى تدور فى فلك خطط تلك مثل: فرضه للرقابة على الإمام (ع)، والتضييق عليه، فلا يصل إليه إلا من أحب، وعزله عن شيعته ومواليه، وأيضا تفريقه الناس عنه، عنـدما أخبر أنه يقوم بمهمـة التـدريس، وكـذلك قضـية صـلاة العيد، وغير ذلك ما تقدم. (۱) راجع: شرح ميمية أبى فراس ص ۱۹۶، وعيون أخبار الرضا ج ۲ ص ۱۷۰.

والبحار ج ۴۹ ص ۱۸۳، ومسـند الإمام الرضا ج ۲ ص ۹۶.. (۳۶۵) صـفحهمفاتيح البحث: الصّلاة (۱)، كتـاب عيون أخبار الرضا عليه السلام (۱)

نزيد هنا بعض الأمور الأخرى، التى وإن كان قد سبق الحديث عن بعضها، ولكنه كان حديثا من زاوية أخرى، ومن أجل استفادة أمور غير الأمور التى نحاول استفادتها منها هنا. وذلك أمر طبيعى، ولا يكون تكرارا ما دام أن الواقعة الواحدة قد يكون لها دلالات متعددة، وإفادات مختلفة.. ولذا فإننا نقول:

لماذا على البصرة فالأهواز:

إن من جملـة الأمور التى كانت من جملـة خطط المأمون للتأثير على مكانـة الإمام (ع) وحتى على معنوياته النفسـية.. الطريق الذى أمر رجاء ابن أبى الضحاك (۱) قرابة الفضل بن سـهل، والذى كان من قواد المأمون، وولاته - أمره - بسلوكه، عندما أرسله ليأتى بالإمام (ع) من المدينة إلى مرو مهما كلفه الأمر..

فقـد أمره: أن يجعل طريقه بالإمام " على البصـرة، والأهواز، ففارس. وحذره كثيرا من المرور على طريق الكوفة، والجبل، وقم (". ۲).

(۱) وذكر أبو الفرج، والمفيد: أن المرسل هو الجلودى، ولكن الصحيح هو الذى ذكرناه..

إذ من الخطأ أن يرسـله المأمون لإحضار الرضا عليه السـلام، لأن ذلك يضـر بقضـيته، ويفسـد عليه ما كان دبره، لأنه موجب لسوء ظن الرضا عليه السلام، والعلويين، وسائر الناس، وتنبههم مبكرا لحقيقة الأمر، وواقع القضية.

وذلك لأن الجلودى هو الذى أمره الرشيد: أن يغير على دور آل أبى طالب، ويسلب نساءهم إلخ ما تقدم.. كما أنه كان عدوا متجاهرا للأمم، وقـد سـجنه المأمون بسـبب معارضـته للبيعـة للرضا عليه السـلام بولايـة العهد! ولعل سـر خطأهم هو أن الجلودى كان واليا على المدينة من قبل المأمون، حين استقدام المأمون للإمام إلى مرو، حسبما جاء فى كتاب:

الإمام الرضا ولى عهد المأمون ص ۳۵.

(۲) تهـذيب التهذيب ج ۷ ص ۳۸۷، وتاريـخ اليعقوبى ج ۳ ص ۱۷۶، وينـابيع المودة ص ۳۸۴، والخرائـج والجرائح طبعة حجرية ص ۲۳۶. وإثبات الوصية ص ۲۰۵.

وإعلام الورى ص ۳۲۰، وعيون أخبار الرضا ج ۲ ص ۱۴۹، ۱۸۰، والكافى ج ۱ ص ۴۸۶، ومسند الإمام الرضا ج ۱ ص ۴۰ والبحار ج ۴۹ ص ۹۱، ۹۲ ۱۱۸ و ۱۳۴، وكشف الغمـة ج ۳ ص ۶۵، وغير ذلـك كثير. (۳۶۶) صـفحهمفاتيح البحث: مدينة الكوفة (۱)، مدينة البصرة (۲)، الفضل بن سـهل (۱)، كتـاب عيون أخبار الرضا عليه السـلام (۱)، الإمام على بن موسـى الرضا عليهما السـلام (۳)، كتاب

الخرائج والجرائح للقطب الراوندى (۱)، كتاب إعلام الورى بأعلام الهدى (۱)، كتاب إثبات الوصية للمسعودى (۱)، كتاب كشف الغمة للإربلى (۱)، كتاب ينابيع المودة (۱)، الفرج (۱)، الظنّ (۱)

بل لقد ورد: أن المأمون قد كتب إلى الرضا نفسه، يقول له:

"لا تأخذ على طريق الجبل وقم. وخذ على طريق البصرة، فالأهواز، ففارس (".. ۱).

وسر ذلك واضح، فإن أهل الكوفة، وقم، كانوا معروفين بالتشيع للعلويين (۲) وأهل البيت، ومرور الإمام (ع) من هذين البلدين، وخصوصا الكوفة، التى كانت تعتبر من المراكز الحساسة جدا فى الدولة.. سوف (۱) أصول الكافى ج ۱ ص ۴۸۹، وعيون أخبار الرضا ج ۲ ص ۱۴۹ و ۱۸۰، وشرح ميمية أبى فراس ص ۱۶۵، ومعادن الحكمة ص ۱۸۰، وإثبات الوصية للمسعودى ص ۲۰۴، ومسند الإمام الرضا ج ۱ ص ۷۳، والبحار ج ۴۹ ص ۱۳۴.

(۲) تشيع أهل الكوفة وقم أشهر من أن يحتاج إلى بيان، أو إقامة برهان ... لكننا نورد – مع ذلك – بعض الشواهد، تبصرة للقارئ، فنقول:

أما الكوفة: فقد تقدم قول محمد بن على العباسى أنها وسوادها شيعة على وولده.. وفى الطبرى، وابن الأثير، وغيرهما تجد قول عبد الله بن على للمنصور، عندما استشاره فى أمر محمد بن عبد الله بن الحسن.. ": ارتحل الساعة حتى تأتى الكوفة، فاجثم على أكتافهم، فإنهم شيعة أهل هذا البيت، وأنصاره الخ، ". وفى قضية وفاة السيد الحميرى، التى ذكرها المرزبانى فى كتابه أخبار السيد الحميرى دلالة واضحة على تشيع الكوفيين، وانحراف البصريين..

ولأجل ذلك نرى المأمون يستقبل وفدا من أهل الكوفة فى منتهى الغلظة والجفاء، فراجع مروج الذهب ج ۳ ص ۴۲۱. وفى البداية والنهاية ج ۱۰ ص ۹۳: أن المنصور قد اعترف بأن لإبراهيم بن عبد الله بن الحسن فى الكوفة مئة ألف سيف مغمدة، وأعرب عن مخاوفه من تشيع أهل الكوفة للعلويين، وولائهم لهم.. بل إننا لا نستبعد أن يكون بناء المنصور لبغداد هو من أجل أن يبتعد عن الكوفة، وأهلها، ويأمن على نفسه، قال البلاذرى فى فتوح البلدان ص ۴۰۵ ": أخذ المنصور أهل الكوفة بحفر خندقها. وألزم كل امرئ للنفقة عليه أربعين درهما. وكان ذاما لهم. لميلهم إلى الطالبيين، وإرجافهم بالسلطان ".. وقد تقدم أنه عندما ذهب إليهم العباس بن موسى، أخو الإمام الرضا عليه السلام يدعوهم للبيعة، لم يجبه إلا البعض منهم، وقال له آخرون ": إن كنت تدعو للمأمون، ثم من بعده لأخيك، فلا حاجة لنا فى دعوتك. وإن كنت تدعو إلى أخيك، أو بعض أهل بيتك، أو إلى نفسك أجبناك."..

وعلى كل حال.. فقد كانت الكوفة مصدرا لثورات كثيرة على الأمويين والعباسيين على حد سواء، تلك الثورات التى كانت كلها تقريبا بقيادة علوى، أو داعية إلى علوى..

ولم ينس المأمون بعد ثورة أبى السرايا التى كادت تغير الموازين، وتقلب مجريات الأحداث.. إلى غير ذلك مما لا ـ مجال لتتبعه واستقصائه.

وأما تشيع القميين، فذلك أعرف وأشهر. وقضيتهم مع جبة دعبل التى أهداه إياه الإمام لا يكاد يجهلها أحد. وعندما طلب المأمون من الريان أن يحدث بفضائل على عليه السلام، وأجاب بأنه لا يحسن شيئا، قال المأمون ": سبحان الله! ما أجد أحدا يعيننى على هذا الأمر لقد هممت أن أجعل أهل قم شعارى ودثارى.".

ولعل تشيع أهل قم هذا هو الذى دفع بالمأمون لأن يوجه إليهم عامله على بن هشام، لينكل بهم، ويحاربهم حتى يهزمهم، ويدخل البلد، ويهدم سورها، ويجعل على أهلها مبلغ سبعة ملايين درهم، بدلا من مليونين، وهو ما لم يكن يدفعه أى بلد آخر يضاهى بلدهم فى عدد السكان وغير ذلك من المميزات، فكيف بالسبعة.. ومع أنه كان قد خفض الخراج عن السواد، وبعد البلدان الأخرى، فلما سمعوا بذلك طالبوا بتخفيض الخراج عنهم أيضا، ففعل ذلك.. وكان تخفيضه عنهم بزيادة المليونين إلى سبعة، كما قلنا.. راجع فى تفصيل ذلك: الطبرى ج ۱۱ ص ۱۰۹۳، والكامل لابن الأثير ج ۵ ص ۲۱۲، وتاريخ ابن خلدون ج ۳ ص ۲۵۵، والنجوم الزاهرة ج ۲

ص، ۱۹۰ وتاریخ التمدن الإسلامی مجلد ۱ جزء ۲ ص ۳۳۷، وفتوح البلدان للبلاذری ص ۴۴۰، وتجارب الأمم ج ۶ ص ۴۶۰. (۳۶۷) صفحهمفاتیح البحث: مدینة الکوفة (۱۱)، مدینة البصرة (۱)، کتاب عیون أخبار الرضا علیه السلام (۱)، الإمام أمیر المؤمنین علی بن ابی طالب علیهما السلام (۱)، کتاب الکامل لإبن الأثیر (۱)، الدولة الأمویة (۱)، کتاب إثبات الوصیة للمسعودی (۱)، کتاب أصول الکافی للشیخ الکلینی (۱)، کتاب أخبار السید الحمیری للمرزبانی الخراسانی (۱)، عبد الله بن الحسن (ع) (۲)، کتاب مروج الذهب للمسعودی (۱)، کتاب البدایة والنهایة (۱)، إبن الأثیر (۱)، عبد الله بن علی (۱)، العباس بن موسی (۱)، محمد بن علی (۱)، النسیان (۱)، الوفاة (۱)

یکون من نتیجته: أن یستقبله أهلها بما یلیق بشأنه: من الإجلال، والإعزاز والتکریم.

ولا شک أن الإمام (ع) سوف یستطیع أن یستقطب المزید من الناس،

صفحه(۳۶۸)

ویؤثر علیهم بما حباه الله من الفضائل والکمالات الأخلاقیة، وبما آتاه الله من العلم والحکمة، والورع والتقوی، الذی سار ذکره فی الآفاق، حتی لا یکاد یجهله أحد.. وإذا کان أهل نیشابور، بل وحتی أهل مرو، معقل العباسیین والمأمون، قد کان منهم تجاه الإمام ما لا یجهله أحد.

حتی إنهم کانوا بین صارخ، وباک ومتمرغ فی التراب إلخ.. وحتی لقد خاف المأمون وأشیاعه علی دمائهم - إذا کان هؤلاء هکذا - فکیف تری سوف تکون حالة أهل الکوفة وقم، معقلی العلویین، والمحبین لأهل البیت، والمتفانین فیهم، لو أنهم رأوا الإمام (ع) بینهم، وبالقرب منهم.. یقول الراوندی فی ذلک ": إن المأمون أمر رجاء بن أبی الضحاک: أن لا یمر بالإمام عن طریق الکوفة، لئلا یفتتن به أهلها (".. ۱)!.

والمأمون لا یرید أن یفتتن الناس بالإمام، وإنما الذی یریده هو عکس ذلک تماما.. إنه یرید أن یضع من الإمام لا أن یرفع.

أما أهل البصرة: بعثمانیة، یدینون بالکف، ویقولون: کن عبد الله المقتول، ولا تکن عبد الله القاتل.. بل لقد کانت البصرة معقلا مهما للعباسیین، الذین حرق دورهم زید النار، ابن الإمام الکاظم، کما قدمنا، ولهذا نلاحظ: أن دور البصریین فی التشیع لم یکن یضارع دور غیرهم، لا روائیا، ولا کلامیا..

وأما ما ربما یحتمله البعض: من أن المأمون کان یأمل أن یخرج من البصرة، أو غیرها من یخلصه من الإمام (ع) نهائیا.. فلا أری أنه یتفق مع أهداف وأغراض المأمون، التی کان یرمی إلیها من وراء لعبته تلک.. (۱) الخرائج والجرائح، طبعة حجریة ص ۲۳۶. (۳۶۹) صفحهمفاتیح البحث: مدینة الکوفة (۲)، مدینة البصرة (۳)، القتل (۱)، الهدف (۱)، الخوف (۱)، کتاب الخرائج والجرائح للقطب الراوندی (۱)

الإمام یرفض کل مشارکة تعرض علیه:

إنه برغم شروط الإمام علی المأمون، والتی أشرنا إلیها فیما سبق، فإننا نری المأمون کل مدة یحاول أن یجری اختبارا للإمام، لیعرف حقیقة نوایاه، وأنه هل أصبح له طمع بالخلافة، وطموح لها (۱)، لیعجل علیه بما یحسم عنه مواد بلائه.. أم لا.

فکان یأتی کل مدة إلیه، یطلب منه أن یولی فلانا، أو أن یعزل فلانا، أو أن یصلی بالناس.. بل لقد طلب منه بعد مقتل الفضل أن یساعده فی إدارة شؤون الخلافة (۲) بحجة أنه یعجز وحده أن یقوم بأعباء الحکم. ویدیر دفة السلطان!

هذا. إن لم نقل: أنه کان یرید من وراء ذلک: أن یجعل ذلک ذریعة للقضاء علی الإمام، بحجة أنه نقض الشرط، ولیکون بذلک قد قضی علی العلویین جمیعا، وإلی الأبد.

أو علی الأقل کان یرید بذلک: أن یوجد للإمام أعداء فی الأوساط ذات القوة والنفوذ..

وأیا ما کانت نوایا المأمون وأهدافه، فإن الإمام (ع) کان یرفض ذلک کله بکل عزم وإصرار، ویذکره بالشروط تلک، ویقول له:

"إن وفيت لى وفيت لك. ". وهذا تهديد صريح له من الإمام (ع). ولا نعجب كثيرا - بعد أن اتضحت لنا نوايا المأمون وأهدافه - إذا رأينا المأمون يتحمل هـذا التهديد، بل ويخضع له، ويقول ": بل أفى لك!. (" ۱) وما أشبه الليلة بالبارحة، فقد رأينا الخليفة الثانى عمر بن الخطاب، يسأل ابن عباس عن على عليه السلام: إن كان لا يزال يطمح إلى الخلافة، ويأمل فيها.. أم لا!.
(۲) الكافى ج ۸ ص ۱۵۱، وكشف الغمة ج ۳ ص ۶۸ و ۸۷، وعيون أخبار الرضا ج ۲ ص ۱۶۴ و ۱۶۶ و ۱۶۷ والبحار ج ۴۹ ص ۱۴۴ و ۱۵۵ و ۱۷۱، وغير ذلك. (۳۷۰) صفحهمفاتيح البحث: الحج (۲)، القتل (۱)، كتاب عيون أخبار الرضا عليه السـلام (۱)، الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (۱)، عبد الله بن عباس (۱)، كتاب كشف الغمة للإربلى (۱)، الخليفة عمر بن الخطاب (۱)
وهكذا.. فقد كان الإمام (ع) يضيع على المأمون ما كان يحسب أنه فرصة مؤاتية له، ولا يمكنه من معرفة ما يريد معرفته، ولا من تنفيذ ما يريد تنفيذه.

الاختبار لشعبية الإمام (ع):

كما أنه كان كل مـدة يقوم بعملية اختبار لشـعبية الإمام (ع)، ولمدى ما يتمتع به من تأييد فى الأوساط الشـعبية، ليعرف إن كان أصبح (ع) يشـكل خطرا حقيقيـا، ليعجل بالقضاء عليه أم لا.. فكان كل مـدة يكلفه بأن يؤم الناس بالصـلاة للعيـد. أو ما شاكل.. وهـذا إن دل على شـئ، فإنما يـدل على مدى ما يعتمر قلب المأمون من الخوف والخشـية منه (ع). (راجع: السـبب الثالث من فصل البيعة، والموقف العاشر فى فصل: خطة الإمام "ع)."

سؤال.. وجوابه:

ولعلك تقول: إذا كان المأمون يخشـى الإمام (ع) إلى هـذا الحد، لما يعلمه من نفوذه ومكانته، فلماذا لا يتخلص منه بذلك الأسـلوب التقليدى الذى انتهجه أسـلافه من الأمويين، والعباسـيين، وتبعهم عليه هو فيما بعد، وكذلك من أتى بعده.. وذلك بأن يدس إليه شربة من السم، وهو فى المدينة، من دون أن يحتاج إلى إشـخاصه إلى مرو، والبيعة له بولاية العهد، وتزويجه ابنته، إلى غير ذلك من الأمور التى من شأنهـا أن تعزز من مركز الإمـام، وترفع من شـأنه، وتوجه إليه الأنظـار والقلوب، حتى يضـطر فى نهايـة الأـمر لأـن يعود إلى ما جرت عليه عادة أسلافه، وأتباعه.. (۳۷۱) صفحهمفاتيح البحث: الدولة الأموية (۱)، الخوف (۱)، السب (۱)
ولكن الجواب على هذا قد اتضح مما قدمناه، فإن المأمون لم يكن يريد فى بادئ الأمر موت الإمام، ولا كان يستطيع أن يفعل ذلك. ولو أن ذلك كان قد حدث لوقع المأمون فى ورطة، لها أول وليس لها آخر، حيث إنه كان بأمس الحاجة إلى حياة الإمام (ع)، وذلك لما قـدمناه من الأسـباب والظروف التى كانت تحتم على المأمون أن يلعب لعبته تلك، التى وإن كانت تنطوى على مخاطرة جريئة، إلا أنه كان - كما قـدمنا - قـد رسم الخطـة، وأحكم التدبير للتخلص من الإمام (ع) بمجرد أن يحقق مآربه، وأهدافه، بالطريقة التى لا تثير شك أحد، ولا توجب تهمة أحد، وقد حدث ذلك بالفعل، كما سيمر علينا..

وأما كتمه لفضائل الإمام (ع):

ومن جملة الأمور التى كانت تدور فى فلك خطة المأمون، التى لخصـها بأنه يريد الوضع من الإمام قليلا قليلا، حتى يصوره أمام الرعية بصورة من لا يسـتحق لهذا الأمر - محاولاته كتم فضائل الإمام (ع) ومزاياه عن الناس ما استطاع إلى ذلك سبيلا.. وقد تقدم: أنه عندما سأل رجاء بن أبى الضـحاك، الذى تولى إشخاص الرضا (ع) من المدينة إلى مرو، عن حال الرضا (ع) فى الطريق، فأخبره عما شاهده من عبادته (ع)، وزهده وتقواه، وما ظهر له من الدلائل والبراهين، قال له المأمون.. ": بلى يا ابن أبى الضـحاك، هذا خير أهل الأرض، وأعلمهم، وأعبدهم، فلا تخبر أحدا بما شهدت منه، لئلا يظهر فضله إلا على لسانى!."..
وهكذا: فإن المأمون وإن اسـتطاع أن يمرر الكثير، إلا أنه لم يكن يجد بدا فى كثير من الأحيان من أن يظهر على حقيقته وواقعه. وهذا هو أحـد تلـك المواقف التى مرت وسـيمر معنا بعضـها، والتى اضـطر فيها (۳۷۲) صـفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسـى الرضـا عليهما السلام (۲)، الحاجة، الإحتياج (۱)

المأمون لأن يكشف عن وجهه الحقيقى،.. وإن كان قد حاول – مع ذلك – أن يتستر بما لا يسمن ولا يغنى من جوع.

ولا أعتقد أن المأمون كان يجهل: أن ما يأتى به لم يكن لينطلى كله على أعين الناس، بل كان يعلم ذلك حق العلم، ولكن كما يقولون:

"الغريق يتشبث بالطحلب."

– ولكن.. بالرغم من محاولات المأمون تلك.. فإننا نرى أن فضائل الإمام ومزاياه كانت كالعرف الطيب، لم تزل تظهر، وتنتشر وتذاع.. بل ولعل محاولات المأمون تلك التى كانت ترمى للحط من الإمام وإسقاطه، قد أسهمت كثيرا وساعدت على إظهار فضائله، وشيوعها، كما سيتضح.

الشائعات الكاذبة!

وكان بالإضافة إلى ما تقدم يحاول ترويج شائعات كاذبة، من شأنها أن تنفر الناس من العلويين عامة، ومن الإمام (ع)، وسائر الأئمة عليهم السلام خاصة.

فهذا أبو الصلت يسأل الإمام (ع) فيقول ": يا ابن رسول الله، ما شئ يحكيه الناس عنكم؟!.

قال (ع): ما هو؟!.

قال: يقولون: إنكم تدعون: أن الناس لكم عبيدا!.

قال (ع): يا عبد السلام، إذا كان الناس كلهم عبيدنا – على ما حكوه – فممن نبيعهم "؟! إلخ (۱). (۱) مسند الإمام الرضا ج ۱ قسم ۱ ص ۴۵، والبحار ج ۴۹ ص ۱۷۰، وعيون أخبار الرضا ج ۲ ص ۱۸۴. (۳۷۳) صفحهمفاتيح البحث: الجهل (۱)

ونرى أنه (ع) يقول – وعنده جماعة من بنى هاشم، فيهم إسحاق ابن عيسى العباسى " -: يا إسحاق بلغنى أن الناس يقولون: إنا نزعم: أن الناس عبيد لنا. لا.. وقرابتى من رسول الله ما قلته قط، ولا سمعته من آبائى قاله، ولا بلغنى عن أحد من آبائى قاله الخ.."..

وقد تقدمت هذه الرواية فى فصل: خطة الإمام.

كما أن هشام بن إبراهيم العباسى، الذى وضعه الفضل بن سهل ليراقب الرضا (ع)، ويضيق عليه، كان يشيع عن الرضا (ع): أنه أحل له الغناء، فلما سئل (ع) عن ذلك قال ": كذب الزنديق الخ (۱.")..

بهذه الشائعات الكاذبة، وأمثالها أراد المأمون الحط من كرامة الإمام وتضعيف مركزه، وزعزعة ثقة الناس به، وبالعلويين بصورة عامة.

ولكن كما يقولون: حبل الكذب قصير، إذ أن أقوال الإمام (ع) وأفعاله وجميع جهات سلوكه، سواء قبل توليته للعهد أو بعدها..

كانت تناقض هذه الشائعات، وتدحضها (۲). الأمر الذى كان من شأنه (۱) رجال المامقانى ج ۳ ص ۲۹۱، وقاموس الرجال ج ۹ ص ۳۰۹، ووسائل الشيعة ج ۱۲ ص ۲۲۷، ومسند الإمام الرضا ج ۲ ص ۴۵۲، عن رجال الكشى ص ۴۲۲. والبحار ج ۴۹ ص ۲۶۳، عن قرب الإسناد ص ۱۹۸.

وكان هشام بن إبراهيم هذا جريئا على المأمون، لأنه هو الذى رباه، وشخص إلى خراسان فى فتنة إبراهيم بن المهدى، راجع الأغانى ط ساسى ج ۹ ص ۳۱. ويسمى: العباسى مع أنه لم يكن عباسيا: إما لأن المأمون ولاه تربية ولده العباس، أو لأنه ألف كتابا فى إمامة العباس نص على ذلك الكشى ط النجف ص ۲۲۳ وغيره.

(۲) وكيف يمكن أن نصدق مثل هذا الذى لا يقره العقل، ولا يقبل به القرآن، على الإمام الذى كان يتخذ لنفسه أسلم، وأروع منهج، ألا وهو منهج القرآن، حتى إنه عندما أنكر رؤية النبى لله تعالى، واستدل على ذلك بالآيات، وقال له أبو قرة: فتكذب بالروايات؟!

قال الإمام عليه السلام: إذا كانت الروايات مخالفة للقرآن كذبتها. وما أجمع المسلمون عليه: أنه لا يحاط به علما، ولا تدركه الأبصار، وليس كمثله شئ. راجع: تفسير البرهان طبعة حجرية ص ۱۰۵۷، ۱۰۵۸. نقلا عن الكافى.. ومثل ذلك كثير لا مجال لاستقصائه..

(۳۷۴) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (۲)، هشام بن إبراهيم العباسى (۱)، بنو هاشم (۱)، الفضل بن

سهل (۱)، الكذب، التكذيب (۲)، كتاب رجال الكشى (۱)، كتاب وسائل الشيعة للحر العاملى (۱)، مدينة النجف الأشرف (۱)، هشام بن إبراهيم (۱)، القرآن الكريم (۲)، خراسان (۱)

أن يثير شكوك الناس، وظنونهم فى المأمون نفسه، فلم ير بدا من أن يضرب عن هذا الأسلوب صفحا. ويتجه إلى غيره بتخيل أنه أجدى وأكثر نفعا وأقل ضررا!.

وبقى فى كنانته سهم أخير، كان يحسب أنه سوف يصيب الهدف، ويحقق الغاية: التى هى تشويه سمعة الإمام (ع)، والحط من كرامته. ألا وهو:

التركيز على إفحام الإمام (ع):

فبدأ يجمع العلماء. وأهل الكلام من المعتزلة، وهم أصحاب جدل، وكلام، واستدلال، وتنبه للدقائق من الأمور، ليحدق هؤلاء بالرضا (ع) وتجرى فيما بينهم وبينه محاورات، ومجادلات، من أجل أن ينقصوا منه مجلسا بعد مجلس، وأن يكسروه فى أعظم ما يدعيه هو وآباؤه (ع):

من العلم والمعرفة بآثار رسول الله صلى الله عليه وآله، وعلومه.. والذى هو الشرط الأعظم لإمامة الإمام، على ما يدعيه الشيعة المفتونون بالرضا (ع)، وبسائر آبائه وأبنائه الأئمة الطاهرين..

ولا يبقى من ثم مجال لأبى نؤاس لأن يقول فيه عندما رآه خارجا من عند المأمون:

مطهرون نقيات ثيابهم * تجرى الصلاة عليهم أينما ذكروا من لم يكن علويا حين تنسبه * فما له فى قديم الدهر مفتخر (۳۷۵) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (۲)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (۱)، مدرسة المعتزلة (۱)، الضرب (۱)، الطهارة (۱)، الهدف (۱)، الصّلاة (۱)

الله لما برى خلقا فأتقنه * صفاكم واصطفاكم أيها البشر فأنتم الملأ الأعلى وعندكم * علم الكتاب وما جاءت به السور (۱) هذه الأبيات التى سارت بها الركبان والتى هى تعبير صادق عن هذه الحقيقة التى أشرنا إليها، والتى كانت تقض على المأمون وكل أسلافه وأتباعه مضاجعهم، وتنغص عليهم حياتهم.. وعليه:

وإذا استطاع المأمون أن يظهر للملأ أن الإمام (ع) صفر اليدين مما يدعيه، ويدعيه آباؤه من قبل، فإنه يكون قد قضى على المصدر والأساس لكل المشاكل، والأخطار، وينهار المذهب الشيعى حينئذ بانهيار فكرة الإمامة فيه، التى هى المحور، والأساس له، ويتحقق من ثم – حلمه الكبير، الذى طالما جهد وشقى من أجل تحقيقه.

وأعتقد: أنه لو كان تم له ما أراد، فلسوف لا يتعرض بعد هذا للإمام (ع) بسوء، وأنه كان سوف يبقى على حياته (ع) إبقاء لحجته، وأنه خال من شرائط الإمامة، وليأفل من ثم.. نجمه، ونجم العلويين من بعده.. وإلى الأبد. (۱) شهرة هذه الأبيات تغنينا عن ذكر مصادرها، وقد أعطاه عليه السلام ما كان معه، وهو مئة دينار، والبغلة التى كان يركبها.. لكن بعض الباحثين يرى أن أبا نؤاس لم يعش إلى زمان تولى الرضا العهد، بل مات قبل ذلك بثلاث سنوات أى فى سنة ۱۹۸ ه. ومن ثم هو ينكر الحادثة الأخرى، التى تقول: إن البعض لام أبا نؤاس حيث لم يمدح الإمام عليه السلام، فقال أبياته المشهورة ": قيل لى أنت أشعر الناس طرا فى فنون إلخ."..

ولكن الظاهر أن هذا الباحث لم يطلع على عبارة ابن خلكان فى وفيات الأعيان، طبع سنة ۱۳۱۰ ج ۱ ص ۴۵۷، فإنه قال ": وفيه (أى فى الرضا عليه السلام) يقول أيضا – وله ذكر فى شذور العقود سنة إحدى أو اثنتين وماءتين -: مطهرون نقيات إلخ."..

بل يكفى دلالة على أنه عاش إلى ما بعد ولاية العهد ذكر هذه الأبيات، وتلك له والنص على أنه قد قالها فيه عليه السلام. (۳۷۶) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (۱)، الموت (۱)

ومن أجل ذلك – بكل تأكيد – أخذ يجمع العلماء (۱) ويجلبهم من أقاصى البلدان، ويأمرهم بتهيئة أشكل المسائل وأصعبها، وطرحها على الإمام (ع) عله يقطعه عن الحجة. ولو مرة واحدة. ليحط بذلك من كرامته، ويشوه سمعته، ويظهر عجزه وعيه، ويرى الناس أن ما

یدعیه من العلم والمعرفة بآثار رسول الله وعلومه لا حقیقة له، ولا واقع وراءه.
قال الصدوق علیه الرحمة.. ": کان المأمون یجلب علی الإمام (ع) من متکلمی الفرق، وأهل الأهواء المضلة کل من سمع به، حرصا علی انقطاع الرضا (ع) عن الحجة مع واحد منهم إلخ (". ۲).
وقال إبراهیم بن العباس ": سمعت العباس یقول ...: وکان المأمون یمتحنه (أی یمتحن الإمام (ع) بالسؤال عن کل شئ، فیجیبه الجواب الشافی (".. ۳).
وقال أبو الصلت.. ": فلما لم یظهر منه للناس إلا ما ازداد به فضلا عندهم، ومحلا فی نفوسهم. حلب علیه المتکلمین من البلدان، طمعا فی أن یقطعه واحد منهم، فیسقط محله عند العلماء، وبسببهم یشتهر نقصه عند العامة، فکان لا یکلمه خصم من الیهود، والنصاری، والمجوس، والصائبین، والبراهمة، والملحدین، والدهریة، ولا خصم (۱) مع أنه هو نفسه قد فرق عن الإمام تلامذته، عندما أخبروه أنه یقوم بمهمة التدریس، کما أشرنا إلیه!.
(۲) مسند الإمام الرضا ج ۲ ص ۱۰۵، والبحار ج ۴۹ ص ۱۷۹، وعیون أخبار الرضا ج ۱ ص ۱۹۱.
(۳) الفصول المهمة لابن الصباغ المالکی ص ۲۳۷، وإعلام الوری ص ۳۱۴، وأعیان الشیعة ج ۴ قسم ۲ ص ۱۰۷، ویراجع أیضا: مناقب ابن شهرآشوب ج ۴ ص ۳۵۰، وغیر ذلک. (۳۷۷) صفحهمفاتیح البحث: الإمام علی بن موسی الرضا علیهما السلام (۱)، الشیخ الصدوق (۱)، کتاب عیون أخبار الرضا علیه السلام (۱)، کتاب الفصول المهمة لإبن صباغ المالکی (۱)، کتاب إعلام الوری بأعلام الهدی (۱)، کتاب أعیان الشیعة للأمین (۱)، ابن شهرآشوب (۱)
من فرق المسلمین المخالفین له إلا قطعه، وألزمه الحجة، وکان الناس الخ (".. ۱).
وقال المأمون لسلیمان المروزی.. ": إنما وجهت إلیک لمعرفتی بقوتک، ولیس مرادی إلا أن تقطعه عن حجة واحدة فقط (".. ۲).
وتقدم قوله لحمید بن مهران، عندما طلب منه هذا أن یولیه مجادلته، لینزله منزلته ": ما من شئ أحب إلی من هذا."..
بل لقد صرح المأمون نفسه: بأنه کان یرید أن یجعل من جهل الإمام – نعوذ بالله – ذریعة ووسیلة إلی خلعه، لیشتهر بین الناس أنه قد خلع بسبب جهله، وقلة معرفته، فقد ورد أنه عندما أخبره الرضا بصفات حمل جاریته، قال المأمون:
"فقلت فی نفسی هذه والله فرصة، إن لم یکن الأمر علی ما ذکر، خلعته، فلم أزل أتوقع أمرها إلخ (".. ۳).
إلی غیر ذلک مما قد امتلأت به کتب الأخبار والسیر.
وحتی مع الإمام الجواد قد حاول ذلک:
لا۔ نستبعد أیضا: أن یکون قد حاول أن یلعب نفس هذه اللعبة مع (۱) عیون أخبار الرضا ج ۲ ص ۲۳۹، ومثیر الأحزان ص ۲۶۳، والبحار ج ۴۹ ص ۲۹۰، ومسند الإمام الرضا ج ۱ ص ۱۲۸، وشرح میمیة أبی فراس ص ۲۰۴.
(۲) البحار ج ۴۹ ص ۱۷۸، وعیون أخبار الرضا ج ۱ ص ۱۷۹، ومسند الإمام الرضا ج ۱ ص ۹۷.
(۳) الغیبة للشیخ الطوسی ص ۴۹، وعیون أخبار الرضا ج ۲ ص ۲۲۴، والبحار ج ۴۹.
ص ۳۰۷، ومناقب آل أبی طالب ج ۴ ص ۳۳۳ عن الجلاء والشفاء..
هذا.. ولا۔ بأس بملاحظة قوله: إنها والله فرصة!.. الدالة علی أنه کان یتحین الفرص لذلک. (۳۷۸) صفحهمفاتیح البحث: سلیمان المروزی (۱)، الجهل (۱)، الحج (۱)، الجود (۱)، کتاب عیون أخبار الرضا علیه السلام (۳)، کتاب مناقب آل أبی طالب علیه السلام (۱)، کتاب مثیر الأحزان (۱)، الشیخ الطوسی (۱)
الإمام الجواد (ع) أیضا، والذی کان لا یزال صغیر السن، فأغری العباسیین بأن یقفوا ذلک الموقف، لیفسح المجال لیحیی بن أکثم لیطرح مسائله الصعبة علی الإمام الصغیر، لیعجز عنها، ویظهر للملأ: أن إمام الشیعة طفل صغیر، لا یعلم ولا یعقل شیئا، وإن کل ما یدعونه فی الإمام ما هو إلا زخرف باطل، وظل زائل..

ويلاحظ: أنه قام بهذه اللعبة قبل أن يسلم إليه ابنته، التى كان قد عقد له عليها فى حياة أبيه الرضا (ع)، وجعل شرط تسليمها أن يغلب يحيى بن أكثم ويجيبه على مسائله! ومعنى ذلك: أنه لو توقف ولو فى مسألة واحد لامتنع عن إعطائه زوجته، وكانت النتيجة أن يشتهر ذلك بين الناس كلهم، ويصبح حديث كل الندوات والمحافل أن سبب عدم تسليمه زوجته هو جهله وعيه..

لكن الإمام الجواد كان كأبيه قد أعاد على المأمون كيده ومكره، ولا يحيق المكر السئ إلا بأهله.. ولقد سبقه إلى ذلك المنصور مع الإمام الصادق، حيث أمر أبا حنيفة بتهيئة مسائل صعبة يلقيها على الإمام، لأنه رأى الناس قد فتنوا به (۱).. وجرى على منواله فى ذلك المعتصم مع الجواد أيضا، وغيره مع غيره.. وكان الله هو المؤيد والناصر والمسدد.

ملاحظة لا بد منها:

ومما يلاحظ هنا: أننا لا نجد أثرا لهذه المجالس العلمية للمأمون!، والمناظرات الكلامية! بعد موت الإمام (ع)، فبعد أن مات (ع) بسم المأمون، وهدأت ثائرة العلويين والشيعة أو صد الباب كليا تقريبا، (۱) راجع: البحار ج ۴۷ ص ۲۱۷. (۳۷۹) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (۱)، الإمام محمد بن على الجواد عليهما السلام (۱)، يحيى بن أكثم (۲)، الجهل (۱)، الزوجة (۲)، الموت (۱)، الجود (۱)

وانصرف عن ذلك نهائيا.. اللهم إلا بعض مناظرات نادرة ومحدودة جدا فى بغداد، لا تقاس بتلك التى كانت تجرى فى مرو على الاطلاق..

الإمام يقول: إن المأمون سوف يندم:

هذا.. ولم يكن من الغريب: أن يعلم الرضا (ع) بمقاصد المأمون، وحقيقة نواياه من مثل هذه التصرفات، وكان (ع) يقول.. ": إذا سمع احتجاجى على أهل التوراة بتوارتهم، وعلى أهل الإنجيل بإنجيلهم، وعلى أهل الزبور بزبورهم، وعلى الصابئين بعبرانيتهم، وعلى أهل الهرابذة بفارسيتهم، وعلى أهل الروم بروميتهم، وعلى أصحاب المقالات بلغاتهم، فإذا قطعت كل صنف، ودحضت حجته، وترك مقالته، ورجع إلى قولى، علم المأمون أن الموضع الذى هو بسبيله ليس بمستحق له، فعند ذلك تكون الندامة منه.. (۱).

نعم.. إنه سوف يندم كثيرا عندما يرى: أن كل ما كان يدبره ينقلب عليه، ويؤدى إلى عكس النتيجة التى كان يرجوها منه.. حتى إن الناس كانوا يقولون ": والله، إنه أولى بالخلافة من المأمون، فكان أصحاب الأخبار يرفعون ذلك إليه، فيغتاظ ويشتد حسده (".. ۲).

وهكذا. فإن هذا القول يعتبر تحقيقا لنبوءة الإمام: من أن المأمون سوف يندم. إذا علم أن الموضع الذى هو بسبيله ليس بمستحق له.

ولقد علم المأمون، ولكن بعد فوات الأوان بذلك، وبأنه قد ساعد بأعماله تلك على اتساع القاعدة الشعبية للإمام (ع) وإظهار مزاياه

(۱) مسند الإمام الرضا ج ۲ ص ۷۵، والبحار ج ۴۹ ص ۱۷۵، وعيون أخبار الرضا ج ۲ ص ۱۵۶.

(۲) كشف الغمة ج ۳ ص ۸۷، وعيون أخبار الرضا ج ۲ ص ۲۳۹. (۳۸۰) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (۱)، مدينة بغداد (۱)، كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام (۲)، كتاب كشف الغمة للإربلى (۱)

وفضائله، التى كان يجهد المأمون فى طمسها وإخفائها. بل لقد ساعد على ترسيخ عقيدة الشيعة فى نفوسهم، وشد إلى قلوب الكثيرين، حيث قد ثبت بالفعل: أن الإمام أعلم أهل الأرض على الاطلاق وأفضلهم وأتقاهم إلى آخر ما هنالك من الكمالات والفضائل الأخلاقية، ولم يعد ذلك مجرد دعوى لا يدعمها دليل، ولا يؤيدها برهان.

وكان على المأمون أن يتبع أسلوبا جديدا، يضمن له تحقيق غاياته فى التخلص من الإمام (ع)، والقضاء عليه اجتماعيا، ونفسيا، بل وحتى جسديا أيضا.

وبقى فى كنانته سهم آخر، ظن أن سوف يحقق له ما عجز كل ما سواه عن تحقيقه.. ألا وهو:

الاقتراح العجيب:

وكل قضايا المأمون تثير عجبا، وهو أن يذهب الإمام إلى بغداد، وقبل أن نتكلم عن هذا الاقتراح العجيب.. يحسن بنا أن نتكلم عن

بغداد أولا، وعن موقفها من البيعة للرضا (ع)، وعن ردة الفعل فيها تجاه هذا الفعل الذى أقدم عليه المأمون من دون رضا منها.. فنقول:

موقف بغداد من المأمون والبيعة للرضا (ع):

تعتبر بغداد أهم معقل للعباسيين على الاطلاق وهى عاصمتهم، وحصنهم، الذى يلوذون به، ويلجأون إليه.

والعباسيون هم الذين نقموا على المأمون بسبب جعل ولاية العهد للرضا (ع)، وخلعوا المأمون بمجرد سماعهم لذلك النبأ الذى نزل عليهم نزول (۳۸۱) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (۳)، عقائد الشيعة الإمامية (۱)، مدينة بغداد (۴)، الظنّ (۱)

الصاعقة، فشغبوا فى بغداد، وأخرجوا الحسن بن سهل منها، وبايعوا لإبراهيم بن المهدى، المعروف، بابن شكلة المغنى، الذى كان عاملا للمأمون على البصرة (۱) والذى كان من ألد أعداء الإمام على بن أبى طالب وولده..

وموقف بغداد هذا لم يكن ليخفى على أحد، فكيف يخفى على المأمون، وقد رأينا: أن الإمام نفسه يخبر المأمون: بأن الناس - يعنى العباسيين، ومواليهم (۲) - ينقمون عليه مكان الإمام منه، ومكان بيعته له بولاية العهد (۳).

والفضل بن سهل أيضا قال للمأمون.. ": ثم أحدثت هذا الحدث الثانى إنك جعلت ولاية العهد لأبى الحسن، وأخرجتها من بنى أبيك.

والعامة والعلماء، والفقهاء، وآل عباس، لا يرضون بذلك. وقلوبهم (۱) مشاكلة الناس لزمانهم لليعقوبى ص ۲۸.

(۲) لأنهم هم فقط الذين كانوا ينقمون ذلك عليه، كما تدل عليه النصوص التاريخية، ولم يشر التاريخ، ولو من بعيد إلى شئ من ذلك من غيرهم على الاطلاق، بل نص على عكس ذلك كما عرفت، حتى من أهل بغداد أنفسهم..

(۳) الطبرى ج ۱۱ ص ۱۰۲۵، وابن خلدون ج ۳ ص ۲۴۹، والكامل لابن الأثير ج ۵، وغير ذلك.

وقال فى النجوم الزاهرة ج ۲ ص ۱۷۴ ": أنه بسبب ولاية العهد للرضا قامت الفتن، واضطربت البلاد " وقريب منه ما فى مقدمة ابن خلدون ص ۲۱۱، وواضح: أن ذلك قول مبالغ فيه. حيث لم يحدث بسبب البيعة شئ أصلا إلا فى بغداد، وأما سائر البلاد، فقد خمدت الثورات فيها، واستوسقت للمأمون كما نص عليه الذهبى، وغيره حسبما تقدم، وحتى فى بغداد نفسها كان أكثرها يؤيد المأمون فى ذلك باستثناء العباسيين، ومن لف لفهم، قال فى تاريخ أبى الفداء ج ۲ ص ۲۲ ": وامتنع بعض أهل بغداد عن البيعة.. " ويتفق المؤرخون: على أن بغداد انقسمت إلى قسمين: قسم يقول: نلبس الخضرة، ونبايع وقسم يأبى ذلك. إلى أن غلب الممتنعون، لأن من بينهم رجال الدولة، وبايعوا لإبراهيم بن المهدى.. (۳۸۲) صفحهمفاتيح البحث: مدينة البصرة (۱)، مدينة بغداد (۷)، الحسن بن سهل (۱)، الفضل بن سهل (۱)، كتاب الكامل لإبن الأثير (۱)، يوم عرفة (۱)، الغلّ (۱)

متنافرة عنك، والرأى: أن تقيم بخراسان، حتى تسكن قلوب الناس على هذا إلخ (".. ۱).

وسيأتى أن المأمون قد كتب للعباسيين، بعد وفاة الإمام: أن الأشياء التى كانوا ينقمونها عليه قد زالت.. إلى غير ذلك مما ليس فى تتبعه كثير فائدة..

وأما نصب ابن شكلة:

لقد رضى العباسيون بابن شكلة حاكما عليهم، مع علمهم بانحرافه عن على، ونصبه، بل لعل هذا هو أحد المرجحات لاختيارهم له.

ويكفى دلالة على انحرافه عن على (ع) وولده ما تقدم: من أن المأمون كان يظهر التشيع، وابن شكلة يظهر التسنن (۲)، وأنه عير المأمون بتشيعه فقال:

إذا الشيعى جمجم فى مقال * فسرك إلخ.

وعيره المأمون بنصبه، فقال:

إذا المرجى سرك أن تراه * يموت إلخ (۳).

وقال إبراهيم مرة للمأمون: إن عليا ليس من البلاغة فى شئ، (۱) عيون أخبار الرضا ج ۲ ص ۱۶۰، والبحار ج ۴۹ ص ۱۶۶. وواضح أن من مصلحة الفضل: أن يضخم الأمر ويهول به على المأمون، لأنه يريد أن يردعه عن الذهاب إلى بغداد، التى يعرف أنه سوف يتعرض فيها لأهوال وأخطار قد لا يكون له القدرة على تحملها، (۲) استعمال المسعودى لكلمة " التسنن " هنا يفند ما ادعاه أحمد أمين المصرى: من أنه هو المصطنع لهذه الكلمة، وأول من استعملها. والظاهر أنه قرأها فيه أو فى النجوم الزاهرة، أو وفيات الأعيان ترجمة على بن الجهم أو غيرها.. ثم نسى.

(۳) مروج الذهب ج ۳ ص ۴۱۷. (۳۸۳) صفحهمفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (۱)، خراسان (۱)، الموت (۱)، الوفاة (۱)، كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام (۱)، كتاب مروج الذهب للمسعودى (۱)، على بن الجهم (۱)، مدينة بغداد (۱)، النسيان (۱)

حيث إنه رآه فى منامه، فسأله مسألة، فقال له الإمام (ع "): سلاما سلاما.. " فعندما أفهمه المأمون: أنه (ع) يشير بذلك إلى قوله تعالى: "وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما " خجل، وندم على إخباره المأمون بما كان (۱).

وعن صلاح الدين الصفدى فى شرح الجهورية: أنه لما مات إبراهيم ابن المهدى سأل الواثق عن وصيته، فوجده قد أمر بمال عظيم: أن يفرق على أولاد الصحابة، إلا أولاد على (ع)، فقال الواثق ": والله، لولا إطاعة أمير المؤمنين لما وقفت عليه، ولا انتظرت دفنه " ثم انصرف الواثق وهو يقول ": منحرف عن شرفه، وخير أهله، والله، لقد أدليته فى قبره كافرا (". ۲).

إلى غير ذلك من الدلائل والشواهد التى يطول بذكرها المقام.

المأمون: هو الذى ينقل لنا اقتراحه العجيب:

ولكن رغم موقف بغداد ذاك، ورغم أنه كان يعلم به، ويعلم بكل ما جرى فى بغداد بسبب جعله ولاية العهد للرضا نرى المأمون يحاول أن يرسل الإمام إلى بغداد، ليكون وجها لوجه مع ألد أعدائه العباسيين، وفى نفس معقلهم، ومحل قوتهم، وحيث لهم كل النفوذ والسيطرة، يرسله – وحده! – ويبقى هو خليفته فى خراسان.

ويرفض الإمام، ويصر على الرفض، حتى يئس المأمون من قبوله.

يقول المأمون ": رحم الله الرضا (ع)، ما كان أعلمه، لقد (۱) مناقب ابن شهرآشوب ج ۳ ص ۲۷۱، ونزهة الجليس ج ۱ ص ۴۰۳.

(۲) نزهة الجليس ج ۱ ص ۴۰۴. (۳۸۴) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (۱)، الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (۱)، مدينة بغداد (۳)، خراسان (۱)، الموت (۱)، القبر (۱)، ابن شهرآشوب (۱)

أخبرنى بعجب. سألته ليلة، وقد بايع له الناس، فقلت: جعلت فداك، أرى لك أن تمضى إلى العراق، وأكون خليفتك بخراسان، فتبسم، ثم قال: لا.. لعمرى ".. إلى أن يقول المأمون ": فجهدت الجهد كله، وأطمعته فى الخلافة، وما سواها، فما أطمعنى فى نفسه".. (۱).

ولماذا هذا العرض:

عجيب إذن!.. هكذا أصبحت الخلافة رخيصة إلى هذا الحد!

الخلافة. التى لم يكن يعدلها عنده فى الدنيا شئ!. الخلافة.. التى قتل من أجلها المئات والألوف!، وخرب المدن ودك الحصون!!.

التى قتل من أجلها أخاه، ومن معه، وقواده، ووزراءه!.. الخلافة هذه.. أصبحت رخيصة إلى حد أنه يبذلها – حسب منطقه – لرجل غريب!، وفى مقابل أى شئ؟! فى مقابل أن يذهب إلى العراق!.!.

ولقد عرفنا الخلافة التى بذلها، لكن ما سواها لم نستطع أن نعرفه بالتحديد!.

ولماذا يجهد الجهد كله؟! ولماذا يبذل الخلافة؟! ولماذا يبذل ما سواها؟! لماذا كل ذلك؟!. أليس هو ذا القوة والسلطان؟!، فلم لا يجبر الإمام (ع) على ذلك، كما أجبره على قبول ولاية العهد؟!.

ألم يكن باستطاعته أن يرسله مقيدا مصفدا بالحديد؟!. ولماذا يسمح له بأن يعصيه ويخالف أمره؟!. أفلا يعتبر ذلك جريمة يستحق عليها أقسى العقوبات، باعتبار أنه يعرض الخليفة والخلافة، وهيبتهما للخطر؟!. (۱) الغيبة للطوسی ص ۴۸، ومناقب ابن شهرآشوب ج ۴ ص ۳۳۷، والبحار ج ۴۹ ص ۵۸ و ۱۴۵. (۳۸۵) صفحهمفاتيح البحث: دولة العراق (۲)، خراسان (۱)، القتل (۱)، الفدية، الفداء (۱)، ابن شهرآشوب (۱)

نعم. إنه يريد أن يذهب الإمام إلی بغداد، ولكنه يريد فی نفس الوقت أن يذهب راضيا وغافلا عما يهدف إليه المأمون من وراء ذهابه هذا.. وإلا فإن ذهابه لن يجديه نفعا، لأنه قد جرب معه الاكراه والإجبار من قبل، فی قضية ولاية العهد، ورأی أن الإمام قد اتخذ ذلك وسيلة من الوسائل المضادة، من أجل تضييع الفرصة علی المأمون.

كما أن بـذله للخلافة لم يكن مجازفة بها، لأنه كان مطمئنا إلی أن ما يبذله اليوم سوف يعود إليه غدا.. وبالشكل الأفضل والأكمل، لو أن الإمام (ع) قبل منه ما كان عرضه عليه.

نعم.. إنه يريـد أن يرسله إلی العراق - بغـداد - وطلب منه أن يـذهب وحـده، ويبقی هو خليفة له فی خراسان، ليواجه المحنة، التی لن يكون له القدرة علی تحملها، والصمود فی وجهها.. ويتخلص المأمون منه بذلك من أهون سبيل.

المأمون يتحرك نحو بغداد بنفسه:

لكن رفض الإمام القاطع جعله يفكر فی الأمر بنحو آخر، فلقد تحرك هو بنفسه نحو بغداد، مصطحبا معه وزيره الفضل بن سهل وولی عهده الإمام الرضا (ع)، الذی كان هو الشجا المعترض فی حلق المأمون.

ولقـد كـان من الممكن: أن يحتفظ بهما حتی يـدخلوا بغـداد، فتقوم قائمـة بنی العباس، ويثورون، ويعصـفون، وتعم الفوضـی، ويختل النظام.. وقد يتخلص المأمون حينئذ من الإمام (ع) علی يد من يرتفع به حقده، ويخرجه غضبه عن طوره.

وإن لم يكن ذلك، وجبنوا علی الإقـدام عليه.. وبعـد أن يكون الناس قـد رأوا أن وجود الإمام - وليس قتل الأمين - هو المانع والعائق (۳۸۶) صفحهمفاتيح البحث: الإمام علی بن موسی الرضا عليهما السلام (۱)، دولة العراق (۱)، بنو عباس (۱)، مدينة بغداد (۵)، الفضل بن سهل (۱)، خراسان (۱)، القتل (۱)، الهدف (۱)، الرفض (۱)

من عودة المياه إلی مجاريها بين المأمون، وبين العباسيين بنی أبيه، الـذين أصبح يری الناس: أن لهم - كغيرهم - الحق فی الخلافـة.. فإن المأمون سوف يجـد - من ثم - العـذر والمبرر لخلعه من ولايـة العهد، من أجل أن تستقر البلاد، وتذهب الأحقاد والإحن، وتعود الأمور إلی حالتها الطبيعية بينه وبين بنی أبيه، والمحبين والمتشيعين لهم.. ولتكون هذه - وبعد ملاحقتها بحملة دعائية واسعة - ضـربة قاضية لسمعة الإمام، وطعنة نجلاء فی كرامته، سوف يسعد المأمون بها أيما سعادة..

لكن المأمون لم يكن يثق بالعباسيين:

لقد كان من الممكن ذلك.. ولكن المأمون لم يكن يثق بالعباسـيين، الذين فی بغداد، أن يتفهموا حقيقة موقفه، ويدركوا ما ترمی إليه مخططاته.. فقد يثورون ضده هو، ويوصلون إليه ما يسوءه ويزعجه، كما حدث ذلك من قبل.. فهو مع أنه لم يبايع للرضا بولاية العهد، إلا من أجل أن يحقن دماءهم، ومع أنه كان يدبر الأمر ليدوم لهم، ولعقبهم من بعدهم.. إلا أنهم لم يدركوا ذلك رغم أنه كتب إليهم به صراحة.. واستمروا علی مناوأته ومحاربته.

ولا كان واثقا من سكوت الإمام (ع):

كما أنه كان يخشی أن الإمام، الذی رأی المأمون منه العجائب، والذی أصبح قريبا من العباسيين، وأشياعهم، وقريبا، من محبيه ومواليه أيضا - كان يخشـی أن يتمكن - من قلب ما يـدبره، ويخططه، وجعله وبالا عليه. وقـد تقـدم إن أباه موسـی (ع) قد أفسد علی الرشـيد قلـوب شـيعته، رغم أنه كـان فی سـجونه وتحت نظره ومراقبته الدقيقـة. (۳۸۷) صـفحهمفاتيح البحث: الإمـام موسـی بن جعفر الكاظم عليهما السلام (۱)، مدينة بغداد (۱)، الوسعة (۱)

كما أنه لم ينس بعد أبدا: أنه قد أفسد عليه جل، إن لم يكن كل مؤامراته، وتدبيراته.. بل لقد كان يجعلها كلها في صالحه هو، ودمارا، ووبالا على المأمون مدبرها، ومخططها الحقيقي.

وقد يكون الإمام مستعدا لقبول اقتراح من المأمون بالتنحي عن ولاية العهد. ولكن ذلك ولا شك سوف يعيد الأمور إلى سيرتها الأولى. بل سوف يزيد الأمر تعقيدا، والوضع خطورة عما كان عليه قبل البيعة له (ع) بولاية العهد. ولن يسكت العلويون ولا الخراسانيون، بل حتى ولا العرب عن أمر كهذا. ولن يعيد الأمور إلى سيرتها الأولى بيعة أو مناورة أخرى من أي نوع كانت، وعلى أي مستوى كانت.

كيف يخرج المأمون من المأزق إذن؟!

وهكذا.. وبعد أن رأى المأمون نفسه قد فشل في تحقيق الجزء الأهم من خطته، ألا وهو أن يضع منه (ع) قليلا قليلا، حتى يصوره أمام الرعية بصورة من لا يستحق لهذا الأمر.. بل لقد رأى نفسه يحصد غير ما يزرع، وأن النتائج التي كان يحصل عليها هي تماما عكس ما كان ينتظر ويؤمل، وذلك بسبب وعي الإمام وحنكته، ويقظته..

ورأى أنه قد حارب الإمام بجميع الأسلحة التي كان يمتلكها، من المكر والخديعة، والدهاء إلخ.. لكن أسلحة الإمام كانت أمضى وأقوى من كل ما كان يمتلكه المأمون. ومن أين للمأمون علم الإمام وزهده، وتقواه وفضله، وفضائله النفسية، وشخصيته الفذة، وسائر صفاته وخصاله الحميدة، صلوات الله وسلامه عليه؟..

وإذا كان قد تأكد لديه أن محاولاته تلك لم تكن تثمر إلا أن يزداد الإمام رفعة بين الناس، ومحلا في نفوسهم، وإلا اتساع قاعدته الشعبية (۳۸۸) صفحهمفاتيح البحث: علم المعصوم (۱)، الصّلاة (۱)، النسيان (۱)

باطراد وأنه هو نفسه قد ساعد على اتساعها.. حتى لقد اضطر هو نفسه لأن يستجير بالإمام لينقذه من أولئك الذين شغبوا عليه بسبب قتله الفضل ابن سهل.. إلى آخر ما هنالك مما قدمناه.. إذا كان كذلك.. فإنه قد أصبح يرى نفسه مستحقا لذلك التأنيب القاسي الذي تلقاه من حميد بن مهران، وجمع من العباسيين، حيث قال له حميد.. ": ما أخوفني أن يخرج هذا الأمر عن ولد العباس إلى ولده علي، بل ما أخوفني أن يتوصل بسحره إلى إزالة نعمتك، والتوثب على مملكتك. هل جنى أحد مثل جنايتك.. "؟! وقد تقدم جواب المأمون لهم في أول هذا الفصل، فلا نعيد..

ويلاحظ هنا: أن قول حميد بن مهران ": ما أخوفني أن يخرج هذا الأمر عن ولد العباس إلى ولد علي " قد كان بعد البيعة للرضا (ع) بولاية العهد، فكأنه كان على علم بخطة المأمون، وأهدافه من البيعة..

نعود فنقول: إنه كما أصبح يرى نفسه مستحقا لذلك التأنيب القاسي أصبح أيضا يرى أن من الضروري العثور على وسيلة تسهل عليه الخروج من ذلك المأزق الحرج الذي أوقع نفسه فيه. حتى لا ينتهي به الأمر إلى تلك النهاية المرعبة، التي كان يخشاها كل الخشية، وتمتلئ نفسه فرقا ورعبا منها..

فما هي تلك الوسيلة؟!، وأين يجدها؟! وهل يستطيع أن يحصل عليها؟! وكيف؟.

ولقد وجد الوسيلة وهي سهلة جدا، ولكنها غير مأمونة العواقب، وهذه الوسيلة هي:

تصفية الإمام (ع) جسديا:

والتدبير فيه – وبسرعة – بما يحسم عنه مواد بلائه.. وواضح: (۳۸۹) صفحهمفاتيح البحث: الإمام علي بن موسى الرضا عليهما السلام (۱)، القتل (۱)

أن قتل الإمام (ع) جهارا سوف يثير مشاعر العلويين والشيعة. سواء من الخراسانيين، أو من غيرهم. بل هو يثير الأمة بأسرها، ولسوف يعطيهم، وخصوصا العلويين الفرصة، بل والحق في القيام بوجه نظام الحكم من جديد. وبكلمة.. سوف يخسر المأمون حينئذ كل ما كان يرى نفسه أنه قد ربحه، هذا إن لم تكن النتيجة أسوأ من ذلك بكثير.

وأسوأ مما يتصور.

وإذن.. فلا بد للقضاء على الإمام من إعمال الحيلة، وإحكام الخطة. ودراستها دراسة كافية ووافية.

قضية حمام سرخس:

وحاول أن يقضى على الإمام (ع)، والفضل معا، مرة واحدة فى حمام سرخس. ولكن يقظة الإمام (ع)، ووعيه قد حال دون ذلك، حيث إنه رفض الذهاب إلى الحمام. وأصر المأمون بدوره على ذلك، وأعاد عليه الرقعة مرتين!. لكن الإمام قد بين له بيانا قاطعا: أنه لن يدخل الحمام بأى وجه من الوجوه.. كما أنه (ع) قد حاول أن يدفع المكيدة عن الفضل، فقال للمأمون ": ولا أرى للفضل أن يدخل الحمام غدا ". لكن المأمون يصر على أن يدخل الفضل الحمام، ويمتنع من تحذيره، حيث قال للإمام ": وأما الفضل فهو أعلم وما يفعله (".. ١).

مقتل الفضل بن سهل:

ونجح المأمون فى تنفيذ أحد جزئى مهمته، وفشل فى تنفيذ الجزء (١) قد تقدم بعض مصادر هذا النص فى فصل: شخصية الإمام الرضا، عند ذكر التجاء المأمون إلى الرضا (ع) عندما شغب عليه الجند، بسبب مقتل الفضل. (٣٩٠) صفحهمفاتيح البحث: الفضل بن سهل (١)، القتل (٢)، الرفض (١)، النفاذ، التنفيذ (٢)، الإستحمام، الحمام (٣)، الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (١)

الآخر، والأهم منها، فقد نجا الإمام (ع) بفضل وعيه ويقظته، ووقع الفضل فى الشرك وحده وقتل بتدبير من المأمون، فرضى بذلك العباسيون، وقتل قتلته، فرضى الحسن بن سهل والخراسانيون.

ومجمل قضية قتل الفضل هنا ": أن المأمون لما رأى إنكار الناس ببغداد لما فعله من نقل الخلافة إلى بنى على، وأنهم نسبوا ذلك إلى الفضل بن سهل، ورأى الفتنة قائمة ولا يستطيع أن يقتل الفضل جهارا لمكان أخيه الحسن بن سهل، وكثرة من معه من الرجال (١) فأعمل الفكرة فى ذلك، ودس جماعة لقتل الفضل..

والذين قتلوا الفضل كانوا خمسة أشخاص من حشم المأمون، أحدهم:

خاله غالب، فأخذوا وجئ بهم إليه، فقالوا: أنت أمرتنا بقتله!.

فقال لهم: أنا أقتلكم بإقراركم، وأما ما ادعيتموه: من أنى أنا أمرتكم بذلك، فدعوى ليس لها بينة، ثم أمر بهم فضربت أعناقهم، وحمل رؤوسهم إلى الحسن أخى الفضل، وأظهر الحزن عليه (".. ٢)! كما أنه قد أقصى قوما من قواده سماهم الشامتة، وأظهر عليه أشد الجزع كما نص عليه اليعقوبى، وواضح أن قتله لقتلة الفضل، ثم إرساله رؤوسهم إلى الحسن، ثم إظهاره للحزن عليه لخير دليل على دهائه وحنكته السياسية.

بل ذكر المسعودى، ويظهر ذلك من غيره أيضا: أن المأمون قتل (١) راجع لطف التدبير ص ۱۶۴ – ۱۶۶.

(٢) راجع فى ذلك: الآداب السلطانية ص ۲۱۸، وتاريخ ابن خلدون ج ۳ ص ۲۴۹، ولطف التدبير ص ۱۶۴ – ۱۶۶ ومآثر الإنافة ج ۱ ص ۲۱۱، والكامل لابن الأثير ج ۵ ص ۱۹۱ و ۱۹۲، والطبرى ج ۱۱ ص ۱۰۲۷، ووفيات الأعيان، طبع سنة ۱۳۱۰ ج ۱ ص ۴۱۴، ومرآة الجنان ج ۲ ص ۷، وإثبات الوصية ص ۲۰۷، وليراجع تجارب الأمم ج ۶ ص ۴۴۳. (۳۹۱) صفحهمفاتيح البحث: الحسن بن سهل (٢)، الفضل بن سهل (١)، القتل (١٠)، الحزن (١)، كتاب الكامل لإبن الأثير (١)، كتاب إثبات الوصية للمسعودى (١)

الفضل بن سهل بيده، وأنه باشر قتله بنفسه (١)، ولعله اتهم هؤلاء من أجل أن يبعد التهمة عن نفسه لأسباب سياسية لا تكاد تخفى ومن أهمها أن لا يفسد عليه الحسن بن سهل ومن معه والخراسانيون.

وتحسن الإشارة هنا إلى ما قدمناه من عرض المأمون على الفضل أن يزوجه ابنته – على الرغم من استهجان تزويج بنات الخلفاء من غير ذوى قرباهم. فرفض الفضل العرض، وشكر المأمون، وجهد المأمون الجهد كله فى إقناعه، فلم يفلح!. وقال له: لو صلبتنى ما فعلته (٢) فإن عرضه هذا، وجهده فى إقناعه ما كان إلا شركا منه للتجسس والإيقاع بالفضل على يدها، كما فعل بالجواد والرضا (ع)..

وعندما لم يفلح فى إقناع الفضل، وفشلت مؤامرته، دبر قضية حمام سرخس، ونجح فى تدبيره ذاك كما عرفنا..

وقبل أن نمضى فى الحديث يحسن بنا أن نشير إلى ما ذكره الأصفهانى فى أغانيه، فيما يتعلق بمقتل الفضل، حيث قال ما ملخصه: إن إبراهيم ابن العباس الشاعر كان من خواص الفضل بن سهل. وجعله كاتبا لعبد العزيز بن عمران، فلما دبر المأمون قتل الفضل، وندب إليه عبد العزيز ابن عمران. علم إبراهيم بذلك، فأخبر به الفضل، فأظهره للمأمون، وعاتبه عليه.. وبعد قتل المأمون للفضل ولقتلته سأل من أين سقط الخبر للفضل، فعرف أنه من جهة إبراهيم، فطلبه، فاستتر، وتحمل إبراهيم بالناس على المأمون. وجرد فى أمره هشام الخطيب المعروف بالعباسى، (۱) مروج الذهب ج ۳ ص ۴۱۷، ويظهر أيضا من: الفخرى فى الآداب السلطانية ص ۲۱۸.

(۲) الوزراء والكتاب ص ۳۰۷. (۳۹۲) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (۱)، عبد العزيز بن عمران (۱)، الحسن بن سهل (۱)، الفضل بن سهل (۲)، عبد العزيز (۱)، القتل (۳)، الزوج، الزواج (۱)، كتاب مروج الذهب للمسعودى (۱)

وكان جريئا على المأمون، لأنه رباه، فلم يجبه المأمون إلى ما سأل (۱).

إلى آخر ما قال.

ظاهرة قتل الوزراء:

وتحسن الإشارة هنا: إلى أن قتل الوزراء كان ظاهرة شائعة فى حياة الخلفاء العباسيين، حتى إن أحمد بن أبى خالد الأحول امتنع بعد مقتل الفضل عن قبول اسم "وزير" مع قبوله بالقيام بكل أعمال الوزير ووظائفه.

وهنا لطائف وظرائف تتعلق بهذا المطلب، ليس هنا محل ذكرها..

ولنعد الآن للحديث عن موقف المأمون فنقول:

لا بد من العودة إلى سنة معاوية:

إنه رغم فشل المأمون فى قضية حمام سرخس، لم ييأس، ولم يهن فى الوصول إلى ما كان يطمح إلى الوصول إليه، فاستمر يعمل الحيلة ويدبر المكيدة للإمام (ع).

وكان عليه: أن لا يعرض نفسه للخطأ الذى وقع فيه فى قضية الفضل، حيث أعلن القتلة فى وجهه بأنه هو الذى أمرهم بقتله، مما كان سببا فى ثورة الجند عليه، تعرض لخطر عظيم جدا، لو لم يلتجئ إلى الإمام، الذى أنقذ موقفه، وفرق الناس عنه، كما تقدم..

ولم ير وسيلة أسهل وأسلم من تلك التى سنها سلفه معاوية، الذى (۱) الأغانى ط الساسى ج ۹ ص ۳۱. (۳۹۳) صفحهمفاتيح البحث: أحمد بن أبى خالد (۱)، القتل (۴)

قدمنا فى فصل: آمال المأمون وآلامه: أن المأمون قد ارتضى سيرته، ورد سيرة أبى بكر وعمر وعلى وهذه الوسيلة هى ": السم."

ودس إليه السم فى العنب، أو فى ماء الرمان، ومضى الإمام (ع) شهيدا، صابرا محتسبا.. وهذه هى نفس الطريقة التى تخلص بواسطتها، من قبل: محمد بن محمد، صاحب أبى السرايا، ولا نستبعد أنه قد دبر مثل ذلك فى محمد بن جعفر، الذى مات هو الآخر - كالرضا (ع) والفضل بن سهل - فى طريق بغداد (۱).

وهكذا. مات اللذان تكرههما بغداد، فى نفس طريق بغداد.. ولم يعد هناك ما يعكر صفو العلاقات بينه، وبين بنى أبيه العباسيين وأشياعهم، وأصبح باستطاعته أن يكتب إليهم:

.. "إن الأشياء التى كانوا ينقمونها عليه قد زالت، وأنهم ما نقموا عليه إلا بيعته لعلى بن موسى الرضا (ع) وقد مات، فارجعوا إلى السمع والطاعة، وإنه يجعل ولاية العهد فى ولد العباس (".. ۲).

فرجعوا إليه، وانقادوا له، ولكن بعد التخلص ممن كان يكره (۱) ولعل ابن قتيبة يشير إلى هذا فى معارفه طبع سنة ۱۳۰۰ ص ۱۳۳ حيث يقول ": وظفر بمحمد بن جعفر، فحمله إلى المأمون مع عدة من أهل بيته، فلم يرجع منهم أحد!!.."..

ولكننا نراه مع ذلك، عندما يؤتى بجنازة محمد بن جعفر قد نزل بين العمودين، وحمله!

وقال: هـذه رحم مجفوة منـذ مأتي سـنة، وصـلى عليه وقضـى دينه!!.. بل إننا لا نسـتبعد أن يكون هو المـدبر لشائعة عقليه السوداء على الحسن بن سهل أخي الفضل. وهكذا..

فيكون قد قضى على كل أولئك الذين تكرههم بغداد وتخشاهم، وتخلص منهم واحدا بعد الآخر.

(۲) راجع في ذلـك: الطبرى ج ۱۱ ص ۱۰۳۰، والبدايـة والنهاية ج ۱ ص ۲۴۹، وتاريـخ الخلفاء ص ۳۰۷، وابن الأثير ج ۵ ص ۱۹۳، والفخرى الآداب السلطانية ص ۲۱۸، وتاريخ أبى الفداء ج ۲ ص ۲۴، وتاريـخ ابن خلدون ج ۳ ص ۲۵۰، والنجـوم الزاهرة ج ۲ ص ۱۷۳، وغير ذلـك، وتجارب الأمم ج ۶ ص ۴۴۴. (۳۹۴) صـفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (۱)، مدينة بغداد (۴)، الفضل بن سهل (۱)، محمد بن جعفر (۳)، محمد بن محمد (۱)، الموت (۳)، الكراهية، المكروه (۱)، كتاب البداية والنهاية (۱)، إبن الأثير (۱)، الحسن بن سهل (۱)، الصّلاة (۱)

ويكرهون، ويخاف ويخافون..

رجع إلى بغـداد، فأطاعته، وانقادت له، لأنه قضـى على من كانت تخافهم، وتخشاهم، وحقق لها ما كانت ترجوه، وتصـبو إليه، وغفرت له قتله أخاه، ونسـيته حتى كأنه أمر لم يكن!.. بل لقد أصبحت ترى أنه أفضل من أخيه الأمين، لأنه استطاع أن يثبت أقدام بنى أبيه في الحكم والسلطان إلى ما شاء الله..

رجع إلى بغـداد، إلى بنى أبيه، لأن رجوعه إليهم كان ضـروريا، من أجل أن يرجع إليهم اعتبارهم من جهـة.. ولأنهم هم الدرع الواقى له، والحصن الحصـين من جهـة أخرى.. هـذا بالإضافـة إلى أن خلافة لا تكون بغداد مقرا لها ليست في الحقيقة بخلافة. إلى غير ذلك من أمور واعتبارات.

نبوءة الإمام (ع) قد تحققت:

هـذا.. وكمـا تنبأ الإمـام (ع) من قبـل بأن أمر البيعـة لا يتم، وتنبأ أيضا بأنه يموت ويـدفن بخراسان.. لم يكن ليصـعب عليه أن يتنبأ بأن المأمون سوف يقدم في النهاية على ما أقدم عليه: من الاعتداء على حياته (ع) سيما وأنه كان على علم أكثر من أى إنسان آخر بحقيقة نوايا المأمون وأهدافه.. وبالفعل نرى الإمام (ع) يصرح بذلك في أكثر من مورد، وأكثر من مناسبة، حتى للمأمون نفسه، كما تقدم..

ومن جهـة أخرى، فرغم محاولات المـأمون للتستر على جريمته النكراء تلـك خوفا من ثورة الرأى العام ضـده.. فإنه لم يسـتطع إخفاء الحقيقـة، وطمس الواقع بـل شـاع الأمر، وافتضـح المأمون.. بل سـيمر معنا أنه هو نفسه قـد فضـح نفسه.. (۳۹۵) صفحهمفاتيح البحث: مدينة بغداد (۳)، خراسان (۱)، القتل (۱)، الموت (۱)

الحقد الدفين:

وأخيرا.. فـإن مـا أقـدم عليه المـأمون من الغـدر بالإمـام (ع) ودس السم له لخير دليـل على فشـل المـأمون في سياسـته، الفضل المزرى والمهين..

حتى إنه عنـدما عجز عن أن ينال من الإمام (ع) حيا أراد أن ينال منه ميتا، بـدافع من حقـده الـدفين، الـذى لم يعـد يسـتطيع أن يتحمل مضاعفاته، فكتب إلى السـرى عامله على مصـر، يخبره بوفاة الرضا، ويأمره بغسل المنابر، التى دعى له عليها، فغسلت.. كما تقدم.. وهذا إن دل على شئ، فإنما يدل على أن الحقد كان قد أكل قلبه، وأعمت البغضاء بصره وبصيرته..

كما أنه يدل على خسة في النفس، وإسفاف في التفكير، وشعور بالعجز، وبالنقص أيضا.. (۳۹۶) صفحهمفاتيح البحث: الأكل (۱)

كاد المريب أن يقول: خذوني

كاد المريب أن يقول: خذوني.

ومع غض النظر عن كل ما تقدم:

لسوف نغض النظر هنا عن تصريحات المأمون الدالة على أنه سوف يدبر في الإمام بما يحسم عنه مواد بلائه، وعن تأكيدات الإمام وتصريحاته بأنه سوف يموت شهيدا بسم المأمون، حتى لقد واجه نفس المأمون بذلك، لكنه تجاهل الأمر، وغير الحديث (۱).

ولسوف نغض النظر أيضا عن اعتراف المأمون نفسه بأن الإمام (ع) لم يمت حتف أنفه، وإنما مات مقتولا بالسم، وأن قتلته هما عبيد الله، والحمزة، ابنا الحسن (۲) واللذان لم يكن بينهما وبين الإمام (ع) ما يوجب ذلك.. بل إن كان لهما دور ما، فإنما هو بإشارة من يهمه مثل هذا الأمر..

بل لقد ورد أن المأمون رمى بنفسه على الأرض، وجعل يخور كما يخور الثور، ويقول ": ويلك يا مأمون، ما حالك، وعلى ما (۱) راجع: عيون أخبار الرضا ج ۲ ص ۱۴۰، والبحار ج ۴۹ ص ۱۴۹، وعلل الشرايع ج ۱ ص ۲۳۷، وأمالي الصدوق ص ۴۲، ۴۳، وغير ذلك.

(۲) راجع: غيبة الشيخ الطوسي ص ۴۹، والبحار ج ۴۹. ص ۳۰۶. (۳۹۷) صفحهمفاتيح البحث: القتل (۱)، الموت (۲)، كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام (۱)، كتاب علل الشرايع للصدوق (۱)، كتاب أمالي الصدوق (۱)، الشيخ الطوسي (۱)

أقدمت، لعن الله فلانا وفلانا، فإنهما أشارا علي بما فعلت (".. ۱).

لسوف نغض النظر عن كل ما تقدم، وحتى عن رسالته للسري، عامله على مصر، والتي أشرنا إليها غير مرة..

والذي نريده هنا:

ولا نريد هنا إلا أن نضع بعض علامات استفهام على بعض تصرفات المأمون، وأقواله حين وفاة الإمام (ع)، حيث رأيناه: قد ارتبك في أمر وفاة الرضا (ع) أشد ما يكون الارتباك..

الأسئلة التي لن تجد جوابا:

فأول ما يطالعنا من الأسئلة هو أنه:

لماذا يستر موت الرضا (ع) يوما وليلة؟! (۲).

ولماذا يقول للإمام، وهو بعد لم يمت.. ": ما أدري أي المصيبتين علي أعظم، فقدي إياك، أو تهمة الناس لي: أني اغتلتك وقتلتك ("۳)؟!. (۱) إثبات الوصية للمسعودي ص ۲۰۹.

(۲) مقاتل الطالبيين ص ۵۶۷، وكشف الغمة ج ۳ ص ۷۲، وروضة الواعظين ج ۱ ص ۲۷۷، والبحار ج ۴۹ ص ۳۰۹، وإرشاد المفيد ص ۳۱۶.

(۳) مقاتل الطالبيين ص ۵۷۲، وإرشاد المفيد ص ۳۱۶، وعيون أخبار الرضا ج ۲ ص ۲۴۱، والبحار ج ۴۹ ص ۲۹۹. وعبارة مقاتل الطالبيين ": وأغلظ من ذلك علي، وأشد:

أن الناس يقولون: إني سقيتك سما. (" ۳۹۸) صفحهمفاتيح البحث: الإمام علي بن موسى الرضا عليهما السلام (۲)، الوفاة (۲)، كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام (۱)، كتاب الإرشاد للشيخ المفيد (۲)، كتاب إثبات الوصية للمسعودي (۱)، كتاب مقاتل الطالبيين لأبو الفرج الأصفهاني (۳)، كتاب كشف الغمة للإربلي (۱)

ولماذا يظهر التمارض بعد أن أكل مع الإمام (ع) العنب (۱)..؟!

وكيف مات الإمام (ع) في مرضه من العنب، ولم يمت المأمون منه أيضا؟!.

ولماذا يحضر محمد بن جعفر، وجماعة من آل أبي طالب، ويشهدهم على أن الرضا مات حتف أنفه، لا مسموما (۲)؟!.

ولماذا يبقى على قبره ثلاثة أيام!! يؤتى! كل يوم برغيف واحد وملح ليأكله!. الأمر الذي لم يفعله حتى عندما مات أبوه الذي ولد منه، وأخوه الذي قتله، وفعل برأسه ما فعل؟!.

وهل يمكن أن نصدقه حينما نسمعه يقول ": وقد كنت أؤمل أن أموت قبلك (" ۳)!. هذا مع علمه بأن الإمام (ع) كان يكبره ب (۲۲)

سنة؟! أم أن وقع المصيبة جعله يتكلم بما لا معنى له، ولا واقع وراءه؟!.

ولماذا أيضا: يجبره على أكل العنب بعد امتناع الإمام (ع) من أكله، ثم يقول له ": لا بد من ذلك، وما يمنعك منه، لعلك تتهمنا بشئ "؟! وبعد أن أكل منه الإمام (ع) قام، فقال له المأمون:

إلى أين؟ قال (ع): إلى حيث وجهتنى (".. ۴)؟!

ولماذا؟ ولماذا؟ إلى آخر ما هنالك مما يضيق عنه المقام.. (۱) إعلام الورى ص ۳۲۵، وإرشاد المفيد ص ۳۱۶، ومقاتل الطالبيين ص ۵۶۶، والخرائج والجرائح طبعة حجرية ص ۲۵۸، وغير ذلك..

(۲) روضة الواعظين ج ۱ ص ۲۷۷، ومقاتل الطالبيين ص ۵۶۷، وإرشاد المفيد ص ۳۱۶، وكشف الغمة ج ۳ ص ۷۲ و ۱۲۳. والبحار ج ۴۹ ص ۳۰۹، وإعلام الورى ص ۳۲۹.

(۳) نفس المصادر السابقة باستثناء كشف الغمة.

(۴) أمالى الصدوق ص ۳۹۳، وروضة الواعظين ج ۱ ص ۲۷۴، وعيون أخبار الرضا ج ۲ ص ۲۴۳، وإعلام الورى ص ۲۲۶، والبحار ج ۴۹ ص ۳۰۱، وغير ذلك. (۳۹۹) صفحهمفاتيح البحث: محمد بن جعفر (۱)، المرض (۱)، القتل (۳)، الموت (۳)، القبر (۱)، المنع (۱)، الأكل (۳)، الجماعة (۱)، كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام (۱)، كتاب الإرشاد للشيخ المفيد (۲)، كتاب الخرائج والجرائح للقطب الراوندى (۱)، كتاب روضة الواعظين (۱)، كتاب أمالى الصدوق (۱)، كتاب إعلام الورى بأعلام الهدى (۳)، كتاب كشف الغمة للإربلى (۲)

كاد المريب أن يقول: خذونى:

وبعد.. فهذه بعض الأسئلة، التى تدور حول تصرفات المأمون عند استشهاد الإمام (ع).. تحتاج إلى جواب.. وأنى لها من المأمون الجواب الصحيح، والصريح. ولكن مواقفه وتصرفاته هذه، هى الجواب الكافى والشافى، فلقد قيل، وما أصدق ما قيل ": كاد المريب أن يقول:

خذونى.. كما أن المؤرخين بدورهم قد أجابوا عنها بكل صراحة أحيانا، وباللف والدوران – لأسباب مختلفة – أحيانا أخرى..

فإلى الفصل التالى، لنقف على بعض أقوال ومواقف المؤرخين، بالنسبة لسبب وفاة الإمام (ع).. (۴۰۰) صفحهمفاتيح البحث: الوفاة (۱)

ما يقال حول وفاة الإمام

ما يقال حول وفاة الإمام (ع) ماذا ترى بعض الفرق فى الحكام:

قبل كل شئ نود أن نشير إلى أمر مهم، كنا قد أشرنا إليه من قبل، وله – إلى حد ما – صلة فيما نحن بصدده.. وهو: أن بعض فرق المسلمين ترى: أن الحكام تجب طاعتهم، ولا تجوز مخالفتهم، والقيام ضدهم، والوقوف فى وجههم بحال من الأحوال..

مهما كانت هويتهم، وأيا كان سلوكهم، حتى ولو أنهم ارتكبوا أعظم المحرمات، وانتهكوا جميع الحرمات..

أى.. أنهم حتى لو قتلوا الأبرياء – ولو كانوا أبناء محمد –، وهدموا الكعبة.. مع ذلك كله – تجب طاعتهم، ولا تجوز مخالفتهم، ولا الوقوف فى وجههم..

هكذا.. تعتقد الفرق الإسلامية – كما قلنا –.. ومن المؤسف جدا أن من هؤلاء الفرق: أهل الحديث، وعامة أهل السنة، قبل الإمام الأشعرى، وبعده. وهو أيضا قائل بهذه المقالة ومعتقد بهذه العقيدة..

ولقد أيدوا هذه العقيدة بمختلف أنواع التأييد، حتى لقد وضعوا فى (۴۰۱) صفحهمفاتيح البحث: القتل (۱)، الوقوف (۱)، الجواز (۱)، الوفاة (۱)

تأييدها الروايات على لسان النبى صلى الله عليه وآله، مع عدم تنبههم إلى أن ذلك ينافى صريح القرآن، ويصادم حكم العقل

والوجدان..

انعکاسات هذه العقیدة علی التراث:

وطبیعی أن ینعکس ذلک إلی حد کبیر علی کتابهم ومؤرخیهم (۱)، وحتی علی علمائهم، وفقهائهم أیضا، حیث کان لا بد لهم من التستر علی کل هفوات أولئک الحکام. وکل مخازیهم وموبقاتهم، مما کان من نتیجته - بطبیعة الحال - إخفاء کثیر من الحقائق، وطمسها، حتی إذا لم یتمکنوا من ذلک، تراهم یحاولون اللف والدوران، وتوجیهها بما لا یسمن ولا یغنی من جوع.. هذا إن لم تخولهم غیرتهم، وتدفعهم حمیتهم إلی تشویهها، والتغییر والتبدیل فیها، بحیث تبدو مستهجنة، وغریبة. ولتسقط من ثم عن الاعتبار.. وقد یختلقون فی کثیر من الأحیان فی مقابلها، ما ینسجم مع نظرتهم الضیقة، وتعصبهم المقیت، أو یوافق هوی نفوسهم، ویرضی حکامهم، الذین کانوا یرون أنهم یقربونهم من الله زلفی.

إخفاء کل الحقائق عن الأئمة علیهم السلام:

ولقد أراد الحکام - لسبب أو لآخر - إخفاء کل الحقائق التی ترتبط بالأئمة الأطهار علیهم السلام، أو تشویهها، فکان لهم ما أرادوا، ووجدوا من العلماء، والکتاب، والمؤرخین، من لا یألوا جهدا، ولا یدخر وسعا من أجل تنفیذ إرادتهم تلک، التی یرون: أنها إرادة الله

(۱) راجع تمهید الکتاب.. (۴۰۲) صفحهمفاتیح البحث: الأئمة الأثنا عشر علیهم السلام (۱)، الرسول الأکرم محمد بن عبد الله صلی الله علیه وآله (۱)، القرآن الکریم (۱)، الوراثة، التراث، الإرث (۱)، النفاذ، التنفیذ (۱)

- حسب عقیدة الجبر التی ابتدعوها -.. حتی إنک قد لا تجد فی کثیر من الکتب التاریخیة، حتی اسم الأئمة الأطهار علیهم السلام. فضلا عن شرح أحوالهم، وبیان نشاطاتهم..

ولیس ذلک لأنهم علیهم السلام کانوا غیر مشهورین، ولا معروفین..

أو لأنهم ممن لا یعتنی بشأنهم، ولا یلتفت إلیهم.. لا.. أبدا. فقد کان ذکرهم یسری فی جمیع الآفاق فی الدولة الإسلامیة المترامیة الأطراف:

إما حبا وتشیعا، وأما عداء ونصبا..

وقد ذکر الجاحظ فی رسالته ": فضل هاشم علی عبد شمس - " وهو الکاتب المعروف فی عصره، وبعد عصره.. وحتی الآن، والذی تعرض فی کتبه لمختلف الموضوعات التی شاع التکلم بها فی زمانه، ومنها موضوع رسالته المشار إلیها. والذی کان یظهر الحیاد فی کتاباته، وإن کان المعتزلة - أهل نحلته - مثل الإسکافی وغیره یتهمونه بالنصب والعداء لأهل البیت علیهم السلام. ومما یدل علی نصبه وتعصبه: أنه قد ألف کتابا فی نقض فضائل الإمام أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب (ع) (۱) - الجاحظ هذا - یقول فی رسالته المشار إلیها:

.. "ومن الذین یعد من قریش، أو من غیرهم، ما یعد الطالبیون فی نسق واحد، کل واحد منهم: عالم، زاهد، ناسک، شجاع، جواد، طاهر، زاک، فمنهم خلفاء، ومنهم مرشحون: ابن، ابن، ابن، ابن. هکذا إلی عشرة.. وهم: الحسن بن علی، بن محمد، ابن علی، بن موسی، بن جعفر، بن محمد، بن علی، بن الحسین، ابن علی. وهذا لم یتفق لبیت من بیوت العرب، ولا من العجم إلخ (".. ۲). (۱) مروج الذهب ج ۳ ص ۲۳۷، (۲) آثار الجاحظ ص ۲۳۵. (۴۰۳) صفحهمفاتیح البحث: أهل بیت النبی صلی الله علیه وآله (۱)، الإمام أمیر المؤمنین علی بن ابی طالب علیهما السلام (۱)، الأئمة الأثنا عشر علیهم السلام (۱)، مدرسة المعتزلة (۱)، علی بن موسی بن جعفر بن محمد (۱)، الحسن بن علی بن محمد (۱)، علی بن الحسین (۱)، الطهارة (۱)، کتاب مروج الذهب للمسعودی (۱)

هذا.. ویجب أن لا یفوتنا هنا: التنبیه علی أن الجاحظ کان فی البصرة، والإمام العسکری (ع) کان فی سامراء، موضوعا تحت الرقابة الشدیدة.

وتوفی الجاحظ قبل وفاة العسکری بخمس سنین.

وقد كان عمره (ع) عندما ألف الجاحظ رسالته فى حدود اثنتين وعشرين سنة، لو فرض أن الجاحظ كان قد ألفها فى آخر يوم من أيام حياته..

ولم يكن الإمام العسكرى أنبه. ولا أشهر من آبائه الطاهرين (ع)، سيما الإمام على، والحسن، والصادق، والرضا عليهم السلام.

بل كان الأئمة (ع)، بعد الرضا (ع) – مع نباهة شأنهم، وعلو أمرهم – يسمون: ب " ابن الرضا، " وذلک يدل على أنه (ع) كان أنبه من أبنائه الطاهرين، فكان يقال ذلک – يعنى: ابن الرضا – للجواد، والهادى بعده، بل وللعسكرى أيضا (۱)، ويؤيد ذلک قول أبى الغوث، أسلم بن مهوز المنبجى فى داليته المعروفة، التى يمدح فيها أئمة سامراء عليهم السلام:

إذا ما بلغت الصادقين بنى الرضا * فحسبک من هاد يشير إلى هاد (۲) نعم.. إن هؤلاء الأئمة، الذين كان يسرى ذكرهم فى الآفاق، قد لا تجد حتى أسماءهم فى كثير من الكتب التاريخية.. مع أنک تجد ما شاء الله. من قصص المغنين، والجوارى، والأعراب، بل وحتى قطاع الطرق، مما لا يسمن، ولا يغنى من جوع. (۱) راجع: قاموس الرجال ج ۱۰ ص ۲۴۸. والرسالة التى فى آخر ج ۱۱ من قاموس الرجال ص ۵۸.

(۲) سفينة البحار ج ۲ ص ۵۲۹، والكنى والألقاب ج ۱ ص ۱۳۳. (۴۰۴) صفحهمفاتيح البحث: الإمام الحسن بن على العسكرى عليهما السلام (۲)، الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (۲)، مدينة سامراء المقدسة (۲)، مدينة البصرة (۱)، الطهارة (۲)، الوفاة (۱)، السفينة (۱)

كل ذلک خيانة للحقيقة، وتخليا عن الأمانة. التى أخذوا على أنفسهم أداءها للأجيال التى تأتى بعدهم، حيث كان عليهم: أن يصدعوا بالحق، ويظهروا الواقع، مهما كانت الظروف، وأيا كانت الأحوال..

وإلا.. فيجب أن لا يتصدوا للكتابة، ويبوؤا بإثم الخيانة..

هذا.. ولم يكن المجال مفسوحا أمام شيعة أهل البيت (ع)، ليتمكنوا من إظهار الحقائق كاملة، وذلک بسبب ملاحقة الحكام لهم. ومحاولات القضاء عليهم أينما كانوا، وحيثما وجدوا، وبأى ثمن كان.. ومن قبلهم القضاء على أئمتهم أئمة الهدى، وقادتهم، القادة إلى الحق.

ويبقى هنا سؤال:

لماذا إذن كان يهتم الخلفاء بالعلماء، ويرسلون إليهم يستدعونهم من مختلف الأقطار والأمصار؟!.. وكيف لا يتنافى ذلک مع اضطهادهم الأئمة، أئمة أهل البيت، وشيعتهم ومواليهم؟!، ومحاولاتهم تصغير شأنهم، وطمس ذكرهم؟!.

سر اهتمام الخلفاء بأهل العلم:

وللإجابة على هذا السؤال نقول: إن سر اضطهادهم لأهل البيت (ع) يعود: أولا: إلى أن الحق فى الحكم كان لأهل البيت، من كل جهة، فالقضاء معناه القضاء على ذلک الحق، وتكريس الأمور لهم. وفى صالحهم..

وثانيا: إلى أن الأئمة عليهم السلام ما كانوا يؤيدون أولئک الحكام، ولا يرضون عن أعمالهم، وسلوكهم الذى كان يتنافى مع مبادئ الإسلام وتعاليمه.. (۴۰۵) صفحهمفاتيح البحث: شيعة أهل البيت عليهم السلام (۱)، الأمانة، الإئتمان (۱)

وثالثا: إلى أن الأئمة عليهم السلام بسلوكهم المثالى، وبشخصياتهم الفذة كانوا يشكلون أكبر مصدر للخطر عليهم، وعلى حكمهم ذاک غير الأصيل..

إلى غير ذلک من أمور يمكن استخلاصها من الفصول الأولى من الكتاب..

وأما السبب فى تشجيعهم – فى تلک الحقبة من الزمن للعلم والعلماء فإنه يعود إلى أهداف سياسية معينة. وفى الحدود التى كانت لا تشكل عليهم خطرا فى الحكم، لأن الحكم كان فى نظرهم هو كل شئ، وليس قبله ولا بعده شئ، وكل ما فى الوجود يجب أن يكون من أجله، وفى خدمته، حتى العلماء والمفكرون.

ولم يكن جمعهم للعلماء من حولهم. والإتيان بهم من كل حدب وصوب، إلا:

۱ – ليكون أولئك العلماء، الذين يمثلون الطليعة الواعية في الأمة تحت نظرهم، وسيطرتهم.

۲ – ليتمكنوا بواسطتهم من تنفيذ الكثير من مخططاتهم، والوصول إلى كثير من مأربهم، كما تشهد به الأحداث التاريخية الكثيرة..

۳ – ليظهروا للناس بمظهر المحبين للعلم والعلماء، ليقوى مركزهم في نفوسهم، وتتأكد ثقتهم بهم، إذ كان لا بد لهم، بعد أن تركوا أهل البيت عليهم السلام. من الاستعاضة عنهم بغيرهم، ودفع شكوك وشبهات الناس عن أنفسهم..

۴ – محاولة التشويش بذلك على أهل البيت عليهم السلام، وطمس ذكرهم، وإخفاء أمرهم، ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا.. ولكن. يأبى الله إلا أن يتم نوره. (۴۰۶) صفحهمفاتيح البحث: أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (۲)، الهدف (۱)، الشهادة (۱)، السب (۱)، النفاذ، التنفيذ (۱)

ويتفرع على ما سبق:

وإذا تحقق لدينا أنهم إنما كانوا يقدرون العلم والعلماء لأهداف سياسة معينة كما أوضحنا.. فلسوف لا نستغرب إذا رأينا:

أنهم كانوا إذا شعروا بالخطر يتهددهم من قبل أية شخصية، ولو كانت علمية، لا يترددون في القضاء عليها، والتخلص منها، بأي وسيلة كانت.

قال أحمد أمين: إن المنصور كان " يقرب المعتزلة إذا شاء، ويقرب المحدثين والفقهاء، ما لم تقض تعاليم أحدهم بشئ يمس سلطانه، فهناك التنكيل (".. ۱).

وقال السيد أمير علي.. ": كان خلفاء بني العباس يسحقون كل اختلاف معهم في الرأي بصرامة. وحتى الفقهاء المعاصرون كانوا عرضة للعقاب، إذا تجرأوا على الافصاح عن رأي لا يتفق ومصلحة الحاكمين (". ۲).

ولقد رأينا المنصور يدس السم لأبي حنيفة، ويضيق على الإمام الصادق – الذي لم يبايع لمحمد بن عبد الله العلوي –، وضيق على من تلاه من ذريته، ولاحق تلامذته ومحبيه.

لكنه لم يقتل عمرو بن عبيد، ولا أهانه بل مدحه بقوله:

كلكم يطلب صيد * غير عمرو بن عبيد.

رغم أن عمرا هذا قد بايع لمحمد بن عبد الله العلوي، ورغم أن مذهبه يفرض عليه الخروج على النظام، لأن من أصول المعتزلة الخمسة، (۱) ضحى الإسلام ج ۳ ص ۲۰۲، ولا بأس أيضا بمراجعة ج ۲ ص ۴۶ و ۴۷.

(۲) روح الإسلام ص ۳۰۲. (۴۰۷) صفحهمفاتيح البحث: مدرسة المعتزلة (۲)، بنو عباس (۱)، عبد الله العلوي (۲)، القتل (۱)، الصيد (۱)

التي يكون الإنسان بها معتزليا هو: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعملا بهذا الأصل كان عمرو هذا قد خرج مع يزيد الناقص سنة ۱۲۶ ه.

على الوليد بن يزيد – لم يفعل المنصور مع ابن عبيد إلا كل ما يقتضي الاجلال والتكريم بخلاف ما فعله مع أولئك – لأن عمرا – بخلافهم – قد تخلى عن مذهبه، ومالأ النظام. وكان المنصور، ومن تبعه من الخلفاء يستفيدون منه، ومن أضرابه، ولم يروا بأسا في مبايعته لمحمد لكنهم لما لم يكونوا يستفيدون من أولئك الذين نكلوا بهم، وفعلوا بهم الأفاعيل رغم امتناعهم عن مبايعة محمد.. وإلا فما قيمة عمرو هذا عند واحد من تلامذة الصادق، كزرارة، وهشام، ومحمد بن مسلم، وأضرابهم (۱).

عودة على بدء:

قلنا: إن الحكام كانوا يريدون – لسبب أو لآخر – إخفاء كل الحقائق التي ترتبط بالأئمة عليهم السلام، أو تشويهها، فكان لهم ما أرادوا على أيدي حفنة ممن يطلق عليهم اسم ": علماء، " فتلاعبوا، ودسوا، وشوهوا ما شاءت لهم قرائحهم، وأوحاه لهم تعصبهم المذهبي

المقيت..

ولعلنا لا نعدو الحقيقة إذا قلنا: إن ابن الأثير، والطبرى، (۱) يرى البعض: أن الخلفاء كانوا يحاولون إلقاء أسباب النزاع بين العلماء، بهدف صرفهم عن واقع الأمة، وعما يجرى ويحدث فى مخادع الخلفاء، وداخل قصورهم. ولعل ذلك هو السر فى عنايتهم بالترجمة، وإدخال الثقافات الغربية إلى البلاد الإسلامية.. ولذا رأينا الكثيرين من المؤرخين غير راضين عن أعمال الترجمة تلك كالمقريزى فى النزاع والتخاصم ص ۵۵، وغيره.. ولكل ما ذكرنا شواهد تاريخية كثيرة، ليس هنا محل ذكرها، ولعلنا نوفق ذلك فى مجال آخر..

(۴۰۸) صفحهمفاتيح البحث: الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر (۱)، إبن الأثير (۱)، محمد بن مسلم (۱)، الصدق (۱)، البيعة (۱)

وأبو الفداء، وابن العبرى، واليافعى وابن خلكان.. كانوا من أولئك الذين ظلموا الحقيقة والتاريخ، بل وأنفسهم، عندما أرخوا للأمة الإسلامية، وكتبوا فى أحوالها، وأوضاعها السالفة، دون أن يراعوا الإنصاف والحيدة فيما أرخوا، وفيما كتبوا..

ولعل من جملة سقطات هؤلاء الشنيعة، التى لم يخف على أحد تعصبهم فيها، وانقيادهم للحكام، والهوى الأعمى فى بيانها، قضية:

"كيفية وفاة الإمام الرضا (ع، ").. حيث ذكروا: أن سبب وفاته (ع) هو أنه ": أكل عنبا، فأكثر منه، فمات (".. ۱).

وكان ابن خلدون، الأموى النزعة، يريد أن يتابعهم فى ذلك، حيث قال فى تاريخه ": ولما نزل المأمون مدينة طوس، مات على الرضا فجأة، آخر صفر من سنة ثلاث ومائتين، من عنب أكله (". ۲).

ولعله نسى ما ذكره هو نفسه من ثورة إبراهيم بن موسى على المأمون لاتهامه إياه بقتل أخيه. كما سيأتى.

ما عشت أراك الدهر عجبا:

وهو كلام عجيب حقا:

فهل يعقل ويتصور أن يصدر هذا العمل من أى إنسان عادى، فضلا عن الإمام، الذى شهد بعلمه، وحكمته، وزهده، كل من عرفه، وكل من أتى من المؤرخين على ذكره؟!. (۱) الكامل ج ۵ ص ۱۵۰، والطبرى ج ۱۱ ص ۱۰۳۰، وتاريخ أبو الفداء ج ۲ ص ۲۳، ومختصر تاريخ الدول ص ۱۳۴، ومرآة الجنان ج ۲ ص ۱۲، ووفيات الأعيان طبع سنة ۱۳۱۰ ه‍ ج ۱ ص ۳۲۱. لكن بعضهم قد حكى سمه بلفظ: قيل..

(۲) تاريخ ابن خلدون ج ۳ ص ۲۵۰. (۴۰۹) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (۱)، يوم عرفة (۱)، إبراهيم بن موسى (۱)، الشهادة (۱)، القتل (۱)، الموت (۱)، الأكل (۲)، النسيان (۱)، الوفاة (۱)، كتاب تاريخ ابن خلدون لابن خلدون (۱)

أفهل يمكن أن يسمح أحد لنفسه أن يصدق بأن شخصا عاقلا، وحكيما، كالإمام (ع)، يسمح لنفسه بالإقدام على الانتحار من كثرة الأكل؟!.

وهل عرف عن الإمام فى سابق عهده: أنه كان أكولا، أو نهما إلى هذا الحد؟!، أى إلى حد أنه ينتهى به ذلك إلى قتل نفسه؟!.

أم أن الزهد والتقوى والعلم، فضلا عن العقل والحكمة. تقضى وتحتم عليه أن يأكل هذا المقدار الهائل، الذى من شأنه أن يودى بحياته؟!.

أم أن الإمام (ع) قد نسى ما كتبه فى رسالته الذهبية، التى كتبها للمأمون، والتى هى من أشهر وأجل الوثائق المأثورة عنه؟!.

أم أنه (ع) لم يكن قد رأى العنب فى حياته، فأراد أن يغتنم هذه الفرصة الذهبية، لينال أكبر قدر تصل إليه يده؟!.

لا.. لا هذا، ولا ذاك. ولا ذلك.

وإنما العصبية المذهبية، والهوى الأعمى.. هما اللذان فرضا على الإمام (ع) أن يأكل العنب، ويكثر منه، ويموت هذه الميتة.. حتى ولو لم يقبل بها العقل، ويصدق بها الوجدان..

إن الإمام (ع) لو كان هو الحاكم، والمتسلط لم يمت هذه الميتة، بل كان مات على حسب ما اشتهى، وبالكيفية التى أراد..

دعک من هؤلاء وأمثالهم، فإننی لا أری: أن کلاما کهذا یستحق من العنایة أکثر من ذلک.. بل لا رأی أنه یستحق شیئا من العنایة علی الاطلاق..

دعک منه.. وذره لأهله فی سنبله!.

وتعال معی لننظر إلی ما یقوله الآخرون، ممن أرخوا للأمة، وتحدثوا عن ماضیها، فقد نجد فی کلامهم ما ینقع الغلة، ویشفی الغلیل..

(۴۱۰) صفحهمفاتیح البحث: الأکل (۳)، القتل (۱)، الموت (۱)، الزهد (۱)، النسیان (۱)

قول فریق آخر من المؤرخین:

وإننا بعد إلقاء نظرة سریعة وعابرة علی أقوال المؤرخین فی هذا المجال، نستطیع أن نلاحظ: إلی أی حد اضطربت کلماتهم فی هذه القضیة، وتباینت اتجاهاتهم.

فعدا عن أولئک القلة الذین تحدثنا عنهم آنفا نری:

فریقا ثانیا قد أوردوا خبر وفاته مجردا عن بیان السبب، ثم سکتوا، أو عقبوا ذلک بقولهم ": وقیل: إنه مات مسموما " ومن هؤلاء الیعقوبی فی تاریخه ج ۳ ص ۸۰ وإن کان یظهر من عبارته اختیار مسمومیته، وابن العماد فی شذرات الذهب، وغیرهم.

ولعل هؤلاء ممن جازت علیهم لعبة المأمون، وانطلت علیهم حیلته، وأقنعتهم الحجج الواهیة الآتیة التی یسوقها الفریق القائل ببراءة المأمون من دم الرضا (ع).. أو لعلهم لم یکونوا بصدد بحث هذا الأمر وتمحیصه..

أو لأنهم لم یستطیعوا أن یصدعوا بالحقیقة، لما کانوا یخشونه من سطوة الحکام، وبطشهم، ولم یریدوا أن یحرفوا الکلم عن مواضعه، فآثروا السکوت، وإهمال ذلک، علی أمل أن یقیض الله من یصدع بالحق ویکشف عن الواقع.. إلی غیر ذلک من الاحتمالات، التی قد یجد بعضها شواهد تاریخیة کثیرة.

رأی فریق ثالث فی ذلک:

وهناک فریق آخر یری أنه (ع) مات مسموما، وأن الذی دس إلیه السم هم العباسیون. وهذا هو رأی السید أمیر علی، وأشار إلیه

(۴۱۱) صفحهمفاتیح البحث: الإمام علی بن موسی الرضا علیهما السلام (۱)، الموت (۲)، السب (۱)

أحمد أمین (۱) أیضا..

وهذا الرأی لیس له أی شاهد أو سند تاریخی إلا ما نقل عن الإربلی أنه قال ": فلما رأوا أن الخلافة قد خرجت إلی أولاد علی، سقوا علی بن موسی سما، فتوفی بطوس فی رمضان (" ۲). وهو عدا عن أنه کلام مبهم، فإن، الشواهد کلها علی خلافه.. کما قدمنا وسیأتی. ولذا فهو لا یحتاج إلی کبیر عناء فی رده وتفنیده.

ورأی آخر یقول:

إنه (ع) مات مسموما من قبل المأمون، ولکن بإشارة الفضل، وإغرائه.

ونری نحن بدورنا: أن المأمون لم یکن بحاجة إلی حث وإغراء، بعد أن کان یری أن وجود الإمام (ع) یشکل خطرا محققا علیه، وعلی کل بنی أبیه من بعده. ونحن – وإن کنا لا نستبعد أن یکون هذا الرأی قد جاء بدافع من حب تبرئة المأمون – السلطة – إلا أننا لا نضایق فی أن الفضل، الذی قتل قبل الإمام (ع) بمدة!! کان من الراغبین فی التخلص من الإمام، سیما إذا لاحظنا: أنه کان یشکل عقبة کبری فی طریق نفوذه وقوته وسلطانه.. ولکننا لا نوافق علی أن المأمون کان لا یرید ذلک، وإنما فعله استجابة لرغبة الفضل، الذی کان قد قتل قبل ذلک بزمان!!. (۱) روح الإسلام للسید أمیر علی ص ۳۱۱، ۳۱۲. وأما أحمد أمین فقد أشار إلیه فی عبارته الآتیة عما قریب بقوله ": فإن کان حقا قد سم، یکون سمه أحد غیر المأمون، من دعاة البیت العباسی."

(۲) الإمام الرضا ولی عهد المأمون ص ۱۰۲، عن خلاصة الذهب المسبوک ص ۱۴۲. (۴۱۲) صفحهمفاتیح البحث: شهر رمضان المبارک (۱)، القتل (۱)، الموت (۱)، الشهادة (۱)

وقد تحدثنا في فصل: أسباب البيعة لدى الآخرين، وغيره من الفصول، وسيأتي الحديث بما فيه الكفاية إن شاء الله، تعالى..

ورأى فريق خامس يقول:

إنه (ع) قد مات حتف أنفه، ولا يقبل أبدا بأنه (ع) مات مسموما، ويورد لذلك الحجج والبراهين التي رأى أنها كافية للدلالة على أنه (ع) لم يمت مسموما.

ونذكر من هؤلاء ابن الجوزي، حيث قال - بعد أن أورد خبر وفاته، وحكى القيل بأنه دخل الحمام ثم خرج، فقدم له طبق فيه عنب قد أدخلت فيه الإبر المسمومة، من غير أن يظهر أثرها، فأكله، فمات - قال بعد ذلك ": وزعم قوم: أن المأمون سمه، وليس بصحيح. فإنه لما مات على توجع له المأمون، وأظهر الحزن عليه، وبقي أياما لا يأكل طعاما، ولا يشرب شرابا (۱)، وهجر اللذات إلخ (".. ۲).

لكن عبارة ابن الجوزي هذه تقتضي أنه ينكر أن يكون المأمون هو الذي سمه، ولا ينكر أن يكون (ع) قد مات بسم غير المأمون.

وقد تابعه الإربلي في كشف الغمة على ذلك، محتجا بعين ما احتج به، وأضاف إلى ذلك: أن سمه إياه يتنافى مع إكرامه له، وأنه كان ينبه على علم الرضا، وشرف نفسه وبيته إلخ.. (۱) في تاريخ اليعقوبي ج ۳ ص ۸۱: أن المأمون بقي ثلاثة أيام مقيما عند قبر الرضا (ع)، يؤتى كل يوم برغيف وملح، فيأكله. ثم انصرف في اليوم الرابع.

(۲) تذكرة الخواص ص ۳۵۵. (۴۱۳) صفحهمفاتيح البحث: كتاب كشف الغمة للإربلي (۱)، الموت (۴)، الحزن (۱)، الأكل (۱)، الإستحمام، الحمام (۱)، الإمام علي بن موسى الرضا عليهما السلام (۱)، كتاب تذكرة خواص الأمة للسبط إبن الجوزي (۱)، القبر (۱)

وأما أحمد أمين فيقول: إن ذلك بعيد، لأن المؤرخين " يروون حزن المأمون الشديد عليه، كما يرون أن المأمون بعد موته. وبعد انتقاله إلى بغداد ظل يلبس الخضرة.. إلى أن قال: فإن كان حقا قد سم، يكون قد سمه أحد غير المأمون، من دعاة البيت العباسي."..

ثم استشهد لذلك أيضا بمناظرة المأمون للعلماء في تفضيل الإمام علي (ع)، والتي ذكرها ابن عبد ربه في العقد الفريد، وبأنه ظل يظهر العطف على العلويين، رغم كثرة خروجهم عليه (۱).

وصاحب كتاب عصر المأمون يستند في استبعاده لذلك إلى تلك الرعاية.

التي أظهرها المأمون له، وذلك الاحترام والتقدير، الذي كان يحيطه به، وخصوصا بعد أن توثقت عرى المودة بينهما بالمصاهرة، وضيف إلى ذلك أيضا: أن نفسية المأمون، وخلقه، يأبيان - على زعمه - عليه ذلك.

وعقد ولاية العهد له من بعده هو عند هؤلاء الدليل القاطع على حسن نية المأمون، وسلامة طويته.

والدكتور أحمد محمود صبحي يرى: أن قضية مسمومية الرضا (ع) هي من مختلقات الشيعة " الذين لم يجدوا تناقضا بين الحظوة التي كان ينالها من المأمون، ثم مبايعته له بولاية العهد، وتزويجه أخته (۲)، وبين أن يدس له المأمون السم في العنب، ثم يصلي عليه، ويدفنه بجوار قبر أبيه الرشيد، فقد أصبح مقدرا على الأئمة منذ الحسن: أن يكون قاتلوهم هم:

الخلفاء، أو بإيعاز منهم (". ۳). (۱) ضحى الإسلام ج ۳ ص ۲۹۵، ۲۹۶.

(۲) قد اتفق المؤرخون تقريبا على أن المأمون قد زوج للرضا عليه السلام " ابنته " وليس أخته.

ولم يذكر أنها أخته إلا شاذ منهم لا يعتد به، وهو الذي يتشبث به الدكتور هنا، ولعله لأنهم رأوا عدم انسجام سن الإمام مع سن ابنته آثروا أن يجعلوها أخته.. وأيا كانت الحقيقة فإن مقصود المأمون هنا حاصل..

(۳) نظرية الإمامة ص ۳۸۷. (۴۱۴) صفحهمفاتيح البحث: الإمام علي بن موسى الرضا عليهما السلام (۲)، الإمام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليهما السلام (۱)، مدينة بغداد (۱)، القبر (۱)، الموت (۱)، الشهادة (۱)، اللبس (۱)، الزوج، الزواج (۱)

هذه هي الحجج، التي حاول هؤلاء إقامتها على صحة ما ذهبوا إليه، من براءة المأمون من دم الإمام (ع).

ملخص ما سبق:

ومن أجل التسهيل على القارئ نعود فنوجز ما ذكروه من الأدلة في النقاط التالية:

۱ – عقده له ولایة العهد من بعده..

۲ – إکرامه وتقدیره له، وتنبیهه علی شرفه، وعلمه وفضله، وبیته.

۳ – تزویجه ابنته، الأمر الذی کان سببا فی توثیق عری المودة بینهما.

۴ – احتجاجه علی العلماء فی تفضیل علی (ع) علی جمیع الخلق..

۵ – إظهاره الحزن والتوجع لوفاته، وهجره الطعام والشراب، واللذات لذلک.

۶ – دفنه له بجوار أبیه الرشید، وصلاته علیه.

۷ – بقاؤه بعد وفاته علی لباس الخضرة حتی دخل بغداد.

۸ – إنه ظل یظهر العطف علی العلویین، رغم کثرة خروجهم علیه..

۹ – إن نفسیة المأمون وخلقه یأبیان علیه ذلک.

۱۰ – إن ذلک من مختلقات الشیعة. حیث کتب علی أئمتهم بعد الحسن أن یموتوا بسم الخلفاء، أو بإیعاز منهم.

آفة ذلک: هل هو الجهل، أم التعصب:

هذا ملخص أدلة ما ذهبوا إلیه من عدم دس المأمون السم للإمام (ع)، ونحسب أن هؤلاء: إما أنهم لم یطلعوا علی الحقائق اطلاعا کافیا، یخولهم (۴۱۵) صفحهمفاتیح البحث: الإمام أمیر المؤمنین علی بن ابی طالب علیهما السلام (۱)، مدینة بغداد (۱)، الطعام (۱)، اللبس (۱)، الجهل (۱)، الحزن (۱)

إصدار أحکام صائبة، فی قضایا هی من أکثر المسائل التاریخیة تعقیدا، بل وغموضا وإبهاما، کقضیة حقیقة ظروف وعلاقات المأمون بالرضا، فحکموا علی الأمور حکما سطحیا، لا یلبث أن ینهزم أمام المنطق السلیم والنظر الصائب.

وإما أنهم جروا علی دیدن أسلافهم فی التعصب علی الأئمة (ع)، والمجاراة لأهوائهم، ولخلفائهم فی طمس معالم الحقیقة، التی کان یضر أولئک الخلفاء أکثر من غیرهم إظهارها، ومعرفة الناس لها..

نحن.. وما یقوله هؤلاء:

إن کان ما ذکره هؤلاء لا یمکن أن یمنع المأمون من التدبیر فی الإمام بما یحسم عنه مواد بلائه.. کما دبر من قبل بوزیره الفضل بن سهل، الذی أراد أن یزوجه ابنته، وکما دبر فی قائده الکبیر هرثمة بن أعین، الذی قتله فور وصوله إلی مرو، دون أن یستمع لشکواه، أو یصغی إلی دفاعه عن نفسه (۱) وکما دبر فیما بعد بطاهر وأبنائه (۲) وغیرهم، (۱) هکذا ذکر بعض المؤرخین، وقال ابن خلدون فی تاریخه ج ۳ ص ۲۴۵، و ۲۴۹: إنه حبس، ثم دس علیه المأمون من قتله.. وفی معارف ابن قتیبة ص ۱۳۳ طبع سنة ۱۳۰۰ ه.

قال.. ": فلما سمع حاتم بن هرثمة ما صنع أبوه کاتب الأحرار هناک. والملوک، ودعاهم إلی الخلافة، فبینما هو علی ذلک أتاه الموت، فیقال: إن سبب خروج بابک کان ذلک."..

ومن یدری فلعل المأمون قد دبر بحاتم بما یحسم عنه مواد بلائه.. کما دبر فی الکثیرین قبله وبعده..

وفی البدایة والنهایة ج ۱۰ ص ۲۴۶: أن أهل بغداد ثاروا. وأعلنوا العصیان بسبب قتل هرثمة. هذا.. ویقال: إن الفضل بن سهل قد عمل علی قتل هرثمة. ولا بأس بمراجعة تاریخ ابن الوردی ج ۱ ص ۲۸۹، وغیره.

(۲) فی البدایة والنهایة ج ۱۰ ص ۲۶۰، ومرآة الجنان ج ۲ ص ۳۶، ووفیات الأعیان ج ۱ ص ۲۳۷، طبع سنة ۱۳۱۰: إن سبب وفاة طاهر هو أن المأمون عندما ولاه خراسان، أهداه غلاما لیخدمه، ودفع إلیه سما لا یطاق، فسمه الخادم فی کامخ، فمات من لیلته. وفی الفخری فی الآداب السلطانیة ص ۲۲۴: أن الذی أهداه الغلام هو أحمد ابن أبی خالد وزیر المأمون، لیقتله إذا فارق الطاعة، فقتله بأمر من المأمون.. وفی تاریخ الیعقوبی ج ۳ ص ۱۹۲: أن المأمون تآمر علیه فقتله. والمؤرخون متفقون علی أن المأمون کان یضمر الشر والخیانة.

والنتيجة أن طاهر يموت - بتدبير من المأمون بهذه الكيفية الغامضة، ويبقى المأمون نفسه بعيدا عن الشكوك والشبهات. (۴۱۶) صفحهمفاتيح البحث: هرثمة بن أعين (۱)، الفضل بن سهل (۲)، القتل (۳)، المنع (۱)، كتاب البداية والنهاية (۲)، مدينة بغداد (۱)، خراسان (۱)، الطهارة (۲)، الموت (۲)، الوفاة (۱)

وغيرهم، وغيرهم ممن كان يختلهم واحدا فواحدا - على حد تعبير عبد الله بن موسى فى رسالته له - سواء من العلويين أو من غيرهم.. مع أن هؤلاء كانوا وزراءه وقواده، ولهم من الفضل عليه، وعلى دولته ما لا يمكن أن يخفى على أحد، فإنهم هم الذين وطدوا له دعائم حكمه، وبسطوا نفوذه وسلطانه على البلاد، وأذلوا له العباد، وقامت دولته بأسيافهم، وعلى أكتافهم..

لقد ختلهم واحدا فواحدا.. مع أنه كان يظهر لهم من الحب والتقدير ما لا يقل عما كان يظهره للإمام.. وحسبنا أن نذكر هنا: أنه قتل أخاه وعمل برأسه ما تقدمت الإشارة إليه من أجل الملك والسلطان فكيف لا يقتل الرضا من أجل الملك والسلطان، أيضا.. ثم يتستر على فعلته بتلك الظواهر التى لا تضره؟! أم يعقل أن يكون الرضا أعز من هؤلاء جميعا.. وحتى أعز عليه من أخيه الذى قتله؟!.

وأما تظاهره بالحزن والأسى لوفاة الإمام (ع) إلخ.. فما أدرى إن كان هؤلاء يريدون من ذلك الأفعى الداهية: أن يظهر الفرح والاستبشار بموت الإمام (ع)!.

وهل نسوا أنه قتل الفضل ثم تظاهر بالحزن العظيم عليه (۱) وتتبع قتلته (۱) التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية ج ۳ ص ۳۲۲، ومآثر الإنافة ج ۱ ص ۲۱۱.

وقد تكلمنا عن كيفية قتل الفضل فى ما تقدم فلا نعيد.. (۴۱۷) صفحهمفاتيح البحث: عبد الله بن موسى (۱)، العزّة (۲)، القتل (۵)

وقتلهم، وأرسل رؤوسهم إلى أخيه الحسن بن سهل، ثم تزوج ابنة الحسن هذا؟!. ولكنه عاد فغض من الحسن بن سهل حينما ظفر بإبراهيم ابن شكلة، وأسقطه وحجبه وعزله عما كان فى يده (۱).

وقتل طاهرا ثم أرسل يحيى بن أكثم إلى الرقة، لينوب عنه فى تقديم التعازى، لولده عبد الله، ثم ولى أبناءه مكانه، ثم غدر بهم واحدا بعد الآخر..؟! (۲).

وأنه قتل محمد بن جعفر، ثم جاء وحمل نعشه، وقال: إن هذه رحم مجفوة منذ مأتى سنة؟!.

وغيرهم وغيرهم، ممن لا مجال هنا لتتبع أسمائهم وأحوالهم.. أما مواقفه وتصريحاته عند وفاة الإمام، فالظاهر أنهم لم يقيموا لها وزنا، ولا أعارها أى منهم أذنا صاغية، أو قلبا واعيا؟!.

وكيف يتفق كل ما ذكرناه - وخصوصا ما فعله مع أخيه حيا، أو ميتا، وتخريبه بغداد، وأيضا قتله لسبعة من إخوة الإمام واضطهاده للعلويين كما سنبينه، وكتابه للسرى عامله على مصر يأمره فيه بغسل المنابر إلخ.. كيف يتفق كل ذلك، وسائر أفاعيله التى قدمنا شطرا منها مع خلق المأمون ونفسيته؟!. ولا يتفق قتله الإمام (ع) مع نفسيته وخلقه الكريم؟!. وهل قتل أولئك مع إظهار المحبة والإكرام لهم (۱) لطف التدبير ص ۱۶۶، (۲) ولقد كان يؤكد براءته من تلك الجرائم بأساليب مختلفة أخرى، ويرضى جميع الأطراف، فهو يرضى العباسيين بقتل الرضا، ويرضى العلويين باستقدام الجواد - ولد الرضا - من المدينة، وإكرامه إياه، ويقتل الفضل، ويرضى الحسن أخاه، بما ذكرنا، ويقتل طاهرا، ويرضى أبناءه بتوليتهم مكانه، ويبقى يستعين بهم طيلة فترة حكمه تقريبا.

حيث يغدر بهم واحدا واحدا كما ذكرنا، وعلى هذه فقس ما سواها مما يدل على مدى حنكة المأمون ودهائه السياسى.. (۴۱۸) صفحهمفاتيح البحث: يحيى بن أكثم (۱)، مدينة بغداد (۱)، الحسن بن سهل (۲)، محمد بن جعفر (۱)، الكرم، الكرامة (۱)، القتل (۷)، الطهارة (۱)، الزوج، الزواج (۱)، الوفاة (۱)، الجود (۱)

لا يتنافى مع نفسيته وخلقه الكريم، ويتنافى قتل الإمام مع الاكرام والمحبة له وللعلويين مع نفسيته وخلقه الكريم أيضا..

وأيضا هل بعد كل ذلك، يمكن أن يقال: إن مصاهرته للإمام تمنعه من الغدر به، ودس السم إليه؟! ولقد بينا فى فصل: ظروف البيعة بعض أهدافه من تزويجه، وتزويج ولده الجواد، وتزويج الفضل أيضا.. وتحدثنا أيضا عن السبب فى لباسه والخضرة، ودوافع ولاية

العهد، وغير ذلک من أمور.

بـل نجرؤ على القول هنـا: إن المأمون قـد أكره الإمام (ع) على هكـذا زواج، إذ كيف يمكن أن نتصور رجلا حكيما عاقلا، زاهـدا فى الـدنيا.. يقـدم ويرغب فى زواج طفلـة ومن هى بالنسبـة إليه بمنزلـة حفيـدته، بل أصـغر، حيث كان يكبرها بحوالى أربعين سـنة.. ثم لا يكون هناك سـر آخر يكمن وراء مثل هكـذا زواج، إلا أن يـدعى هؤلاء: أن ذلک يتفق مع العقل والحكمة، وينسـجم مع زهد الإمام فى الدنيا، وانصرافه عنها..

وإذا كـان ثمـة سـر آخر يكمن وراء ذلـک الزواج، فإن ما تجـدر الإشارة إليه هنا هو أنه (ع) لم يكن يسـتطيع التصـريح بحقيقـة الأمر، وواقع القضية إلى آخر ما قدمناه فى فصل: ظروف البيعة.

وأما قوله بتفضيل على (ع) على جميع الخلق.. فإننا إن لم نقل:

أنه كان من ضـمن المخطط، الذى كان قد رسمه للوصول إلى مآربه وأهدافه – كما اتضح فى فصل ظروف البيعة.. فإننا – ونحن نرى تباين مواقفه وتصريحاته – نرى أنفسنا مضطرين إلى القول: بأنه لم يكن ينطلق فى مواقفه السياسية من مواقف عقائدية.

وأما إكرامه للعلويين.. فقد تقدم تصـريحه فى كتابه للعباسـيين: بأن ذلک ما كان منه إلا سـياسة ودهاء.. وتقدم أنه بعد وفاة الرضا (ع) (۴۱۹) صـفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسـى الرضا عليهما السـلام (۱)، الإمـام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السـلام (۱)، الكرم، الكرامة (۲)، الزهد (۱)، القتل (۱)، الزوج، الزواج (۳)، الجود (۱)، السب (۱)، الوفاة (۱)

قد أخذهم بلبس السواد، ومنعهم من الدخول عليه.. وأنه كان يختلهم واحدا فواحدا حسب ما كتب إليه عبد الله بن موسى.

وسيأتى بيان أنه قتل سبعة من إخوة الإمام (ع). وأنه أمر الولاة والحكام بالقبض على كل علوى.

وأما ما ذكره أحمد أمين: من كثره خروج العلويين عليه.

فإننـا لم نجـد، ولم نسـمع ذكرا فى التاريـخ لثورة قامت ضـد المأمون، بعـد وفاة الرضا (ع) إلا ثورة عبـد الرحمن بن أحمـد فى اليمن، والتى كانت باتفاق المؤرخين بسبب جور العمال، وظلمهم.. وسوى ثورة إخوة الإمام الرضا (ع) طلبا بثأر أخيهم كما سيأتى..

ولم يبق ثمـة إلاـ نسبة فكرة اغتيال الرضا (ع) إلى الشـيعة.. وأنهم إنما اختلقوها وابتـدعوها بـدافع من الشـعور بالحاجـة إلى مثل هـذه التزويرات، إذ قد كتب إلخ..

فهى دعوى تكذبها جميع الشواهد والدلائل التاريخية.. هذا بالإضافة إلى أن السـنة قد اتهموا المأمون بهذه التهمة، قبل اتهام الشـيعة له بها، والشيعة إنما يعتمدون فى ذلک على كتب أهل السنة، التى استفاضت فى اتهام المأمون بذلک، والتى يؤيدها الكثر مما قدمناه فى هذا الكتاب، وغيره..

وهكـذا.. يتضـح أن كل ما ذكره هؤلاء لا يصـلح مانعا ولا دليلا على أن المأمون لم يكن وراء استشـهاد الإمام (ع).. بل جميع الدلائل والشواهـد متضـافرة على خلاـف ذلـک حسـبما فصـلناه فى الفصـلين المتقـدمين وغيرهمـا، ولولاـ أن تعـداد مواقف المأمون مع الإمام وتصـريحاته يسـتلزم تكرارا نربأ بالقارئ الفطن أن يضـطرنا إليه.. لا اسـتطعنا أن نحشـد الكثير الكثير من الـدلائل والشواهد، التى تؤكد سوء نية المأمون، وخبث طويته تجاه الإمام (ع).. فما اسـتند إليه هؤلاء فى حكمهم ذاک، (۴۲۰) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (۳)، عبد الله بن موسى (۱)، القتل (۱)، الشهادة (۱)، الوفاة (۱)

لا يصلح للاستناد إليه، ولا للاعتماد عليه، وإن صيغ بعبارات منمقة، وأساليب مختلفة، فيها الاغراق والمبالغة أحيانا، ويبدو عليها الاتزان والموضوعية أحيانا أخرى.

وبعد. فعلى المكابر: أن يجيب على السؤال التالى:

وإلا.. فإننا نرى: أن لنا كل الحق فى توجيه السؤال التالى إلى كل من يكابر، ويصر على براءة المأمون، وحسن نيته، والسؤال هو:

إنه إذا كان قـد عرض ولايـة العهـد. بعد وفاة الرضا (ع) على عبد الله بن موسـى، فلماذا لم يجعل ولد الرضا " الجواد " وليا لعهده، مع

أنه كان زوج ابنته، وولد ولى عهده، الذى أظهر عليه الحزن والجزع، ومع أنه كان قد اعترف له بالعلم. والفضل والتقدم، كما اعترف لأبيه من قبل!!.

ولا مجال هنا للإصغاء للقول: بأن الجواد (ع) لم يكن يصلح لولاية العهد، بالنظر لصغر سنه.. إذ أن جعله وليا للعهد لا يعنى تسليمه بالفعل أزمة الحكم والسلطان.. وقد أخذ الخلفاء، حتى أبوه الرشيد، وأخوه الأمين البيعة لم كانوا أصغر من الجواد سنا، ولمن لم يكن له من العقل والحكمة والدراية ما كان الجواد (ع).

هذا بالإضافة إلى أن صغر سنه لم يكن ليضره، بعد أن كان من أهل بيت زقوا العلم زقا، وبعد أن شهد المأمون، واعترف له العباسيون بالعلم والفضل، بعد ذلك المجلس الذى أجاب فيه يحيى بن أكثم عن مسائله، حيث كان العباسيون قد بذلوا له الأموال الطائلة ليقطعه عن (۴۲۱) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (۱)، الإمام محمد بن على الجواد عليهما السلام (۲)، عبد الله بن موسى (۱)، يحيى بن أكثم (۱)، الشهادة (۱)، الجود (۲)، الزوج، الزواج (۱)، الوفاة (۱)

الحجة! (۱). راجع فصل: مع بعض خطط المأمون لتعرف أهداف المأمون من هذه المناظرة.

رأى الفريق السادس: الرأى الحق:

وأما ذلك الفريق الذى يرى: أنه (ع) مات مسموما دون شك، والذين أشار إليهم ابن الجوزى بقوله ": وزعم قوم أن المأمون قد سمه – "أما هؤلاء، فكثيرون:

ويمكننا أن نقول: إن ذلك مما تسالم عليه الشيعة رضوان الله عليهم، ما عدا المرحوم الإربلى فى كشف الغمة، ونسب ذلك أيضا إلى السيد ابن طاووس، وإلى الشيخ المفيد قدس سره، لكن ربما يستظهر من المفيد أنه يذهب إلى مسموميته، حيث ذكر أنهما – أى المأمون والرضا – قد أكلا معا عنبا، فمرض الرضا، وتمارض المأمون!

واتفاق الشيعة على ذلك لخير دليل على أنه (ع) قد قضى شهيدا، لأنهم هم أعرف وأخبر بأحوال أئمتهم من غيرهم، وليس لديهم ما يوجب كتم الحقائق، أو تشويهها. فإذا ما سنحت لهم فرصة لإظهارها أظهروها، دون تكتم على شئ، أو تشويه لشئ.

ومن أهل السنة، وغيرهم. طائفة كبيرة من العلماء، والمؤرخين، يعتقدون بأنه (ع) لم يمت حتف أنفه، أو على الأقل يرجحون ذلك، وإن لم يعين كثير منهم من فعل ذلك، أو أمر به. ونذكر من هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر: (۱) راجع الصواعق المحرقة، والفصول المهمة، لابن الصباغ، وينابيع المودة للحنفى، وإثبات الوصية للمسعودى، والبحار، وأعيان الشيعة، وإحقاق الحق ج ۲ نقلا عن:

أخبار الدول للقرمانى، ونور الأبصار، وأئمة الهدى للهاشمى، والإتحاف بحب الأشراف ومفتاح النجا فى مناقب أهل العبا إلخ.. (۴۲۲) صفحهمفاتيح البحث: كتاب كشف الغمة للإربلى (۱)، الشيخ المفيد (قدس سره) (۱)، الموت (۱)، كتاب الفصول المهمة لإبن صباغ المالكى (۱)، كتاب نور الأبصار للشبلنجى (۱)، كتاب إثبات الوصية للمسعودى (۱)، كتاب الأشراف للشيخ المفيد (۱)، كتاب أعيان الشيعة للأمين (۱)، كتاب ينابيع المودة (۱)، كتاب الصواعق المحرقة (۱)

ابن حجر فى صواعقه ص ۱۲۲.

وابن الصباغ المالكى فى الفصول المهمة ص ۲۵۰ والمسعودى فى إثبات الوصية ص ۲۰۸، وفى التنبيه والإشراف ص ۲۰۳، ومروج الذهب ج ۳ ص ۴۱۷، وإن كان فى مكان آخر من مروجه قد حكى ذلك بلفظ: قيل.

والقلقشندى فى مآثر الإنافة فى معالم الخلافة ج ۱ ص ۲۱۱.

والقندوزى الحنفى فى ينابيع المودة ص ۲۶۳، وغيرها.

وجرجى زيدان فى تاريخ التمدن الإسلامى المجلد الثانى جزء ۴ ص. ۴۴ قال ": وفكر فى بيعته على الرضا، فأعظم أن يرجع عنها، وخاف إذا رجع أن يثور عليه أهل خراسان، فيقتلوه، فعمد إلى سياسة الفتك، فدس إليه من أطعمه عنبا مسموما، فمات."

وذكر ذلك أيضا فى آخر صفحة من كتابه: الأمين والمأمون.

وأبو بكر الخوارزمی يقول فی رسالته ": وسم علی بن موسی الرضا بيـد المأمون " وقد تقدم شـطر كبير من هذه الرسالة.. ويؤيد قوله هذا بعض ما تقدم بالإضافة إلی عدة روايات ليس هنا محل ذكرها.

وأحمد شـلبی فی: التاريخ الإسـلامی والحضارة الإسلامية ج ۳ ص ۱۰۷ يقول: إن ثورة بغـداد قـد أرغمت المـأمون علی التخلص من الرضا، وخلع الخضرة إلخ.

وأبو الفرج الأصـفهانی يقول فی مقاتل الطالبيين ": وكان المأمون عقـد له علی العهـد من بعـده، ثم دس إليه - فيما ذكر - بعـد ذلك سما فمات."

وذكر استشـهاده أيضا أبو زكريا الموصـلی فی تاريخ الموصل ۱۷۱ / ۳۵۲. (۴۲۳) صـفحهمفاتيح البحث: كتاب الفصول المهمة لإبن صبـاغ المالكی (۱)، الشيخ سـلمان البلخی القنـدوزی (۱)، كتـاب إثبات الوصـية للمسـعودی (۱)، كتـاب مقاتـل الطـالبيين لأبو الفرج الأصفهانی (۱)، أبو الفرج الإصـبهانی (الإصفهانی) (۱)، كتاب مروج الذهب للمسـعودی (۱)، كتـاب ينابيع المودة (۱)، مدينة بغداد (۱)، الخوارزمی (۱)، خراسان (۱)

وابن طباطبا فی الآداب السلطانية ص ۲۱۸.

والشبلنجی فی نور الأبصار ص ۱۷۶، ۱۷۷ طبع سنة ۱۹۴۸ يروی ذلك أيضا.

ويروی ابن حجر عن الحاكم فی تاريخ نيسابور أنه قال ": استشهد علی بن موسی الرضا بسنا آباد."

وهو نفسه ينقل عن ابن حبان أنه (ع) مات مسموما بماء الرمان (۱).

والسمعانی أيضا فی أنسابه ج ۶ ص ۱۳۹، يذهب إلی إستشهاده (ع).

وينقل القندوزی ذلك عن محمد بارسا البخاری فی كتاب فصل الخطاب.

كما وينقله عن اليافعی، فراجع ص ۳۸۵ من ينابيع المودة..

وفی خلاصة تذهيب تهذيب الكمال فی أسماء الرجال ص ۲۷۸ ينقل ذلك عن سنن ابن ماجة القزوينی.

وينقل ذلك أيضا عن السلامی فی كتابه الذی ألفه فی تاريخ خراسان (۲).

وعن البيهقی فی تاريخ بيهق.

وعارف تأمر فی كتابه: الإمامة فی الإسلام ص ۱۲۵ يقول بذلك أيضا.

ونقله فی إحقاق الحق (الملحق) ج ۱۲ ص ۳۴۶ فصاعدا عن:

النبهانی فی جامع كرامات الأولياء ج ۲ ص ۳۱۱.

وعن السيد عباس بن علی بن نور الدين فی نزهة الجليس ج ۲ ص ۶۵.

وعن المناوی فی الكواكب الدرية ج ۱ ص ۲۵۶.

وعن ابن طلحة بن مطالب السؤول ص ۸۶. (۱) تهذيب التهذيب لابن حجر ج ۷ ص ۳۸۸، وأعيان الشيعة ج ۴ قسم ۲ ص ۱۵۴.

(۲) راجع: البحار ج ۴۹ ص ۱۴۳، وعيون أخبار الرضا ج ۲ ص ۱۶۶. (۴۲۴) صفحهمفاتيح البحث: كتاب نور الأبصار للشبلنجی (۱)، كتاب سـنن إبن ماجة (۱)، كتاب خلاصـة تـذهيب تهـذيب الكمال للخزرجی الأنصاری اليمنی (۱)، الشـيخ سلمان البلخی القندوزی (۱)، كتاب فصل الخطاب لسـليمان أخ محمـد بن عبـد الوهاب (۱)، كتـاب ينابيع المودة (۱)، خراسان (۱)، الموت (۱)، كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام (۱)، كتاب أعيان الشيعة للأمين (۱)

وعن الهاشمی الأفغانی فی كتابه ": أئمة الهدی ص ۱۲۷.

وعن البدخشی فی: مفتاح النجا ص ۱۸۱ (مخطوط).

وعن الجوزجانی الحنفی فی: طبقات ناصری ص ۱۱۳.

وذکر ذلک أیضا صاحب کتاب عیون الحدائق ص ۳۵۷.

وأخیرا فقد قال الدکتور کامل مصطفی الشیبی فی کتابه: الصلة بین التصوف والتشیع ص ۲۲۶.. ": ومات الرضا مسموما، کما یری أکثر المؤرخین."

وهذا غیض من فیض.. وحسبنا ما ذکرنا هنا، فإننا لو أردنا تتبع ما قیل حول وفاة الإمام، لاحتجنا إلی وقت طویل..

هذا کله.. بالنسبة إلی أقوال المؤرخین.

صدی قتل الرضا فی نفس زمن المأمون:

وأما إذا راجعنا کتب التاریخ أنفسها، فإننا نستطیع أن نقول: إن استشهاد الإمام (ع) بالسم علی ید المأمون کان شائعا ومعروفا بین الناس فی ذلک الزمان، أعنی: زمن المأمون نفسه، ومتسالما علیه فیما بینهم..

فلقد تقدم فی الفصل السابق: أن المأمون قد اعترف بأن الناس یتهمونه: بأنه قد اغتاله وقتله بالسم!.

وورد أیضا أن الخلق عند وفاة الرضا (ع) اجتمعوا وقالوا: إن هذا قتله واغتاله – یعنون المأمون –، وأکثروا من القول والجلبة، حتی أرسل إلیهم المأمون محمد بن جعفر، عم أبی الحسن یخبرهم:

أن أبا الحسن لا ـ یخرج فی ذلک الیوم، خوفا من الفتنة (۱). (۱) مسند الإمام الرضا ج ۱ ص ۱۳۰، والبحار ج ۴۹ ص ۲۹۹، ۳۰۰، وعیون أخبار الرضا ج ۲ ص ۲۴۲. (۴۲۵) صفحهمفاتیح البحث: الإمام علی بن موسی الرضا علیهما السلام (۱)، محمد بن جعفر (۱)، البدخشی (۱)، القتل (۳)، الوفاة (۲)

کما وأن عبد الله بن موسی یصرح فی رسالته التی أرسلها إلی المأمون بأنه قد بلغه ما فعله بالرضا من إطعامه العنب المسموم، وستأتی هذه الرسالة بتمامها فی أواخر هذا الکتاب..

وسئل أبو الصلت الهروی ": کیف طابت نفس المأمون بقتل الرضا مع إکرامه إیاه ومحبته له "؟!. فجاء فی آخر جوابه قوله ": فلما أعیته الحیلة فی أمره اغتاله، فقتله بالسم (".. ۱).

فإن هذا السؤال یکشف عن أن ذلک کان معروفا آنذاک بین الناس لکن الناس کانوا فی حیرة من ذلک، بسبب ما کانوا یرونه من إکرام المأمون للرضا (ع) فی الظاهر.

وعن الطالقانی: إنه کان متی ظهر للمأمون من الرضا علم وفضل، وحسن تدبیر حسده علی ذلک، وحقد علیه، حتی ضاق صدره منه، فغدر به فقتله."

بل لقد ذکر ابن خلدون: أن سبب خروج إبراهیم ابن الإمام موسی (ع) علی المأمون هو أنه اتهم المأمون بقتل أخیه علی الرضا (ع) .(۲)

ویؤید ذلک: أنه قد نقل الاتفاق من کل من ترجم لإبراهیم هذا علی أنه مات مسموما، وأن المأمون هو الذی دس إلیه السم، وقد أنشد ابن السماک الفقیه، حینما ألحده:

مات الإمام المرتضی مسموما * وطوی الزمان فضائلا وعلوما قد مات بالزوراء مظلوما کما * أضحی أبوه بکربلا مظلوما (۱) عیون أخبار الرضا ج ۲ ص ۲۳۹، والبحار ج ۴۹ ص ۲۹۰، ومسند الإمام الرضا ج ۱ ص ۱۲۸، ۱۲۹.

(۲) تاریخ ابن خلدون ج ۳ ص ۱۱۵. (۴۲۶) صفحهمفاتیح البحث: الإمام علی بن موسی الرضا علیهما السلام (۲)، الإمام موسی بن جعفر الکاظم علیهما السلام (۱)، مدینة کربلاء المقدسة (۱)، عبد الله بن موسی (۱)، القتل (۲)، الموت (۲)، الظلم (۲)، کتاب عیون أخبار الرضا علیه السلام (۱)، کتاب تاریخ ابن خلدون لابن خلدون (۱)

إلی آخر الأبیات (۱).. وإبراهیم هذا هو الذی کان قد خرج علی المأمون فی الیمن قبل ذلک أیضا. کما أن المأمون قد دس السم إلی أخیة زید ابن موسی (۲)، الذی کان قد خرج علیه قبلا بالبصرة، وإن کان الیعقوبی یذکر أن المأمون قد عفا عن زید وإبراهیم (۳)..

لکن من الواضح أن عفوه عنهما فی الظاهر بسبب خروجهما علیه فی البصرة والیمن، لا ینافی أنه دس إلیهما السم بعد ذلک بأعوام بسبب مطالبتهما بدم أخیهما الرضا (ع).

کما أن بعض المصادر التاریخیة تذکر: أن " أحمد بن موسی " أخا الإمام الرضا.. لما بلغه غدر المأمون بأخیه الرضا، وکان آنذاک فی بغداد، خرج من بغداد للطلب بثأر أخیه، وکان معه ثلاثة آلاف من العلویة. وقیل: اثنا عشر ألفا.

وبعد وقائع جرت بینه وبین " قتلغ خان، " الذی أمره المأمون فیهم بأمره، والذی کان عاملا للمأمون علی شیراز.. استشهد أصحابه، واستشهد هو، وأخوه " محمد العابد " أیضا (۴). (۱) حیاة الإمام موسی بن جعفر ج ۲ ص ۴۰۸، والبحار ج ۴۸ ص ۲۷۸ باختصار.

ولکن فی وفیات الأعیان ج ۱ ص ۴۹۱ وصفة الصفوة ج ۳ ص ۱۷۷ والکنی والألقاب.

ج ۱ ص ۳۱۶، ومرآة الجنان ج ۱ ص ۳۹۳، والطبری فی أحداث سنة ۱۸۳:

أن تاریخ وفاة محمد بن السماک کانت سنة ۱۸۳ ه. وأما وفاة إبراهیم فهی إما سنة ۲۱۰، أو سنة ۲۱۳، فلا ـ یمکن أن یکون ابن السماک هو المتولی لحده، فضلا عن أن ینشد الشعر المذکور.. اللهم إلا ـ أن یکون ابن السماک اثنین، أحدهما الفقیه، والآخر: القصاص، أو لعل هناک تصحیف عمدی، أو عفوی من الراوی.

(۲) البحار ج ۴۸ ص ۳۱۵، وکذا هامش ص ۳۸۶ منه وشرح میمیة أبی فراس ص ۱۷۸.

وعمدة الطالب ص ۲۲۱، وأیضا حیاة الإمام موسی بن جعفر.

(۳) مشاکلة الناس لزمانهم ص ۲۹.

(۴) راجع: کتاب قیام سادات علوی ص ۱۶۹ (فارسی)، وأعیان الشیعة ج ۱۰ من المجلد ۱۱ ص ۲۸۶، ۲۸۷، نقلا عن کتاب: الأنساب، لمحمد بن هارون الموسوی النیشابوری. وراجع أیضا: مدینة الحسین (السلسلة الثانیة) ص ۹۱، والبحار ج ۸ ص ۳۰۸، وحیاة الإمام موسی بن جعفر ج ۲ ص ۴۱۳، وفرق الشیعة هامش ص ۹۷ عن بحر الأنساب ط بمبی وغیر ذلک. (۴۲۷) صفحهمفاتیح البحث: الإمام علی بن موسی الرضا علیهما السلام (۱)، مدینة البصرة (۱)، أحمد بن موسی (۱)، مدینة بغداد (۲)، الشهادة (۱)، کتاب أعیان الشیعة للأمین (۱)، محمد بن هارون (۱)، موسی بن جعفر (۳)، القصاص (۱)، الوفاة (۲)

وأیضا.. فإن شرطة المأمون قد قتلوا " هارون بن موسی " أخا الرضا، حیث إن هارون هذا کان فی القافلة التی کانت تقصد خراسان، وکانت تضم (۲۲) علویا، وعلی رأسها السیدة فاطمة أخت الرضا (ع) (۱).

فأرسل المأمون إلی هذه القافلة، فقتل وشرد کل من فیها، وجرحوا هارون المذکور، ثم هجموا علیه وهو یتناول الطعام فقتلوه (۲). وأما زعیمة القافلة السیدة فاطمة بنت موسی (ع) فیقال إنها هی الأخری قد دس إلیها السم فی ساوة، ولهذا لم تلبث إلا ـ أیاما قلیلة واستشهدت (۳).

وآخر من یذکره المؤرخون من ضحایا المأمون ": حمزة بن موسی، " أخا الإمام (ع)، حیث ذکروا أنه کان من جملة من قتلهم أتباع المأمون (۴).

فیکون المأمون قد قتل ستة، بل سبعة من إخوة الإمام (ع)، لأنهم طالبوه بدم أخیهم، أو کادوا. وألحق بهم ما شاء الله ممن تابعهم، أو خرج معهم.

ویقول الکاتب الفارسی، علی أکبر تشید ": إن کثیرا من العلویین کانوا قد قصدوا خراسان، أیام تولی الإمام العهد من المأمون، لکن أکثرهم لم یصل، وذلک بسبب استشهاد الإمام (ع)، وأمر المأمون الحکام، وأمراء البلاد بقتل، أو القبض علی کل علوی (". ۵). (۱) قیام سادات علوی ص ۱۶۱.

(۲) جامع الأنساب ص ۵۶، وقیام سادات علوی ص ۱۶۱، وحیاة الإمام موسی بن جعفر ج ۲.

(۳) قیام سادات علوی ص ۱۶۸.

(۴) حياة الإمام موسى بن جعفر ج ٢.

(۵) قيام سادات علوى ص ۱۶۰. (۴۲۸) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (۱)، الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليهما السلام (۱)، هارون بن موسى (۱)، خراسان (۲)، القتل (۵)، الطعام (۱)، الشهادة (۱)، موسى بن جعفر (۲)

وفى الشعر أيضا نجد ما يدل على ذلك:

بل إن دعبلا المعاصر للإمام والمأمون، يرثى الإمام (ع) فيقول:

شككت: فما أدرى أمسقى شربة * فأبكيك أم ريب الردى فيهون أيا عجبا منهم: يسمونك الرضا * ويلقاك منهم كلحة وغضون

فدعبل لم يكن شاكا فى الأمر، بدليل البيت الثانى، أعنى قوله:

أيا عجبا منهم يسمونك إلخ.. وبدليل مرثيته الأخرى للإمام، التى يقول فيها:

لم يبق حى من الأحياء نعلمه * من ذى يمان ولا بكر ولا مضر إلا وهم شركاء فى دمائهم * كما تشارك أيسار على جزر إلى آخر الأبيات.. ومهما شككت فى شئ، فإننى لا أشك فى أن أقوال دعبل هذه هى التى دعتهم لاتهامه بالزندقة، والمروق من الدين..

ويقول السوسى:

بأرض طوس نائى الأوطان * إذ غره المأمون بالأمانى حين سقاه السم فى الرمان (۱) والقاضى التنوخى أيضا يقول:

ومأمونكم سم الرضا بعد بيعة * فآدت له شم الجبال الرواسب (۲) وأبو فراس أيضا يقول فى شافيته:

باءوا بقتل الرضا من بعد بيعته * وأبصروا بعض يوم رشدهم وعموا (۱) مناقب ابن شهرآشوب ج ۴ ص ۳۷۴.

(۲) مناقب ابن شهرآشوب ج ۴ ص ۳۲۸، وفى الغدير ج ۳ ص ۳۸۰، هكذا ": تود ذرى شم الجبال إلخ.، ". ولعل الصواب فيه ": تهد ذرى الخ. (". ۴۲۹) صفحهمفاتيح البحث: القتل (۱)، ابن شهرآشوب (۲)

عصابة شقيت من بعدما سعدت * ومعشر هلكوا من بعدما سلموا لا بيعة ردعتهم عن دمائهم * ولا يمين، ولا قربى، ولا ذمم وهكذا.. يتضح بما لا مجال معه للشك: أن كون المأمون هو الذى اغتال الإمام قد كان معروفا لدى الناس، وشائعا بينهم منذ ذلك الحين..

ولا غرابة فى ذلك فلقد كان وعد حاجبه، وجمعا من العباسيين بأنه سوف يدبر فى الإمام بما يحسم عنه مواد بلائه!.

الإمام وآباؤه عليهم السلام يخبرون بشهادته:

وبعد كل ما تقدم.. نرى أنه لا ـ بد لنا قبل أن نأتى على آخر هذا الفصل من الإشارة إلى أن الإمام نفسه قد أخبر أكثر من مرة بأنه سوف يقضى شهيدا بالسم، بل لقد أخبر بذلك آباؤه الطاهرون، وغيرهم ممن عاشوا فى ذلك الزمان.

ونستطيع أن نقسم هذه الروايات الكثيرة جدا إلى ثلاث طوائف:

۱ – طائفة وردت على لسان النبى صلى الله عليه وآله، والأئمة (ع): يخبرون فيها عن استشهاد الإمام الرضا (ع) فى طوس، وهذه على ما يبدو خمسة أحاديث.

۲ – طائفة وردت عن الإمام نفسه، يخبر فيها بهذا الأمر، وبأن المأمون نفسه هو الذى سوف يقدم على ذلك، وأنه سوف يدفن فى طوس إلى جنب هارون.

وهذه الطائفة كثيرة جدا – وفى بعضها يصرح بذلك للمأمون نفسه، كما ألمحنا إليه – حتى إنه زاد فى قصيدة دعبل، من أجل تتميم قصيدته قوله: (۴۳۰) صفحهمفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (۱)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (۱)، الشهادة (۲)، الدفن (۱)، الجنابة (۱)

وقبر بطوس يا لها من مصيبة * ألحت على الأحشاء بالزفرات (۱) ۳ – تلك الطائفة التى تشرح لنا كيفية دس السم إليه. وأنه بالعنب، أو بإدخال الإبر المسمومة فى، أو بالرمان، أو بهما معا، أو بغير ذلك.

وهذه الطائفة كثيرة أيضا، وقد ورد بعضها عن الإمام نفسه. وقال بعض الكتاب: إنه تتبع هذه الروايات، فوجدانها تنتهى إلى ستة

أشخاص، هم:

أبو الصلت عبد السلام الهروی، والريان بن شبيب، وهرثمة بن أعين (۲) ومحمد بن الجهم، وعلی بن الحسين الكاتب، و عبد الله بن بشير (۳).

ولكننی قد راجعت بدوری هذه الروايات، فوجدت: أن عددا آخر غير هؤلاء قد رووا ذلك أيضا.

وحتی الزيارة تؤكد علی استشهاده (ع):

وأخيرا.. فقد ورد فی الزيارة الجوادية قول الإمام الجواد (ع): (۱) ينابيع المودة ص ۴۵۴، ومناقب ابن شهرآشوب ج ۴ ص ۳۳۸، والبحار ج ۴۹ ص ۲۳۹، وعيون أخبار الرضا ج ۲ ص ۲۶۳، ۲۶۴.

(۲) لم يكن هرثمة حيا حين وفاة الإمام، لأنه بعد مقتل أبی السرايا ذهب إلی مرو، فلم يمهله المأمون. وتخلص منه بعد أيام قلائل من وصوله، فروايته لكيفية وفاة الإمام عليه السلام لا تصح. إلا أن يكون هرثمة اثنين.. هذا ويلاحظ بعض التشابه بين رواية هرثمة، ورواية أبی الصلت.. فلعل الأمر قد اشتبه علی الراوی، أو أنه قد ذكر اسم هرثمة لحاجة فی نفسه قضاها..

(۳) القائل بذلك هو علی موحدی فی كتابه: ولاية عهدی إمام رضا.. (۴۳۱) صفحهمفاتيح البحث: الإمام محمد بن علی الجواد عليهما السلام (۱)، عبد الله بن بشير (۱)، هرثمة بن أعين (۱)، علی بن الحسين (۱)، ريان بن شبيب (۱)، كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام (۱)، كتاب ينابيع المودة (۱)، ابن شهرآشوب (۱)، القتل (۱)، الوفاة (۲)

"السلام عليك من إمام عصيب، وإمام نجيب، وبعيد قريب، ومسموم غريب (۱.")..

وفی كامل الزيارة لابن قولويه، وهو من الكتب المعتمدة، والموثوقة، وغيره: قد ورد قولهم (ع) فی زيارته ": قتل الله من قتلك بالأيدی والألسن (۲. ") وفقرة أخری فی زيارته تقول ": السلام عليك أيها الشهيد السعيد، المظلوم المقتول.. إلی أن قال: لعن الله أمة قتلتك، لعن الله أمة ظلمتك (۳.")

وأما قولهم (ع): أيها الصديق الشهيد، فهی موجودة فی غير مورد من زيارته، وفی مختلف الكتب الموردة لها.

القمة الشامخة الخالدة:

والآن.. وبعد أن أصبح الصبح واضحا لكل ذی عينين، وبان وظهر ما جهد المأمون ومن يدور فی فلكه فی إخفائه وطمسه – الآن – قد آن لنا أن نقول:

فليكد المأمون كيده، وليسع سعيه، وليناصب جهده، فلقد بقی الإمام (ع) رغم كل مؤامراته ودسائسه: قمة شامخة، لم تدنسه الأهواء، ولم تنل منه العوادی.. ويبقی – وإلی الأبد – كعبة الزوار، ومهوی الأفئدة، من شرق الأرض وغربها.

أما المأمون.. فيبوء بعارها وشنارها، ويذهب إلی لعنة إلی.. لعنة الله والتاريخ. (۱) البحار ج ۱۰۲ ص ۵۳.

(۲) كامل الزيارات ص ۳۱۳. ومفاتيح الجنان ص ۵۰۱، وعيون أخبار الرضا ج ۲ ص ۲۷۰ (۳) عيون أخبار الرضا ج ۲ ص ۲۶۹.

(۴۳۲) صفحهمفاتيح البحث: ابن قولويه (۱)، الصدق (۱)، القتل (۲)، الشهادة (۱)، الخلود (۱)، الظلم (۱)، كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام (۲)، كتاب كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه (۱)

دعبل والمأمون

دعبل والمأمون!:

الموقف الجرئ جاء فی أمالی الشيخ ج ۱ ص ۹۸، ۹۹، وأمالی المفيد ص ۲۰۰، ۲۰۱، و ط الحيدرية فی النجف ص ۱۹۲ – ۱۹۳ والأغانی ۸ ص ۵۷، والغدير ج ۲ ص ۳۷۵، ۳۷۶ عنه، وعن ابن عساكر فی تاريخه ج ۵ ص ۲۳۳ وأخبار شعراء الشيعة للمرزبانی ص ۹۴ – ۹۵ ما يلی:

عن یحیی بن أکثم، قال: إن المأمون أقدم دعبل رحمه الله، وآمنه علی نفسه، فلما مثل بین یدیه، وکنت جالسا بین یدی المأمون، فقال له: أنشدنی قصیدتک " الرائیة " فجحدها دعبل، وأنکر معرفتها، فقال له: لک الأمان علیها کما آمنتک علی نفسک، فأنشده:

تأسفت جارتی لما رأت زوری * وعدت الحلم ذنبا غیر مغتفر ترجو الصبا بعدما شابت ذوائبها * وقد جرت طلقا فی حلبة الکبر أجارتی: إن شیب الدهر یعلمنی * ذکر المعاد، وأرضانی عن القدر لو کنت أرکن للدنیا وزینتها * إذن بکیت علی الماضین من نفر (۴۳۳) صفحهمفاتیح البحث: کتاب أمالی الصدوق (۲)، مدینة النجف الأشرف (۱)، إبن عساکر (۱)، یحیی بن أکثم (۱)

أخنی الزمان علی أهلی فصدعهم * تصدع الشعب لاقی صدمة الحجر بعض أقام، وبعض قد أصاربه * داعی المنیة والباقی علی الأثر أما المقیم: فأخشی أن یفارقنی * ولست أوبة من ولی بمنتظر أصبحت أخبر عن أهلی وعن ولدی * کحالم قص رؤیا بعد مدکر * * * لولا تشاغل عینی بالأولی سلفوا * من أهل بیت رسول الله لم أقر وفی موالیک للحرین مشغلة * من أن تبیت لمشغول علی أثر کم من ذراع لهم بالطف بائنة * وعارض بصعید الترب منعفر أمسی الحسین ومسراهم لمقتله * وهم یقولون هذا سید البشر یا أمة السوء ما جازیت أحمد فی * حسن البلاء علی التنزیل والسور خلفتموه علی الأبناء حین مضی * خلافة الذئب فی انفاد ذی بقر * * * قال یحیی: وأنفذنی المأمون فی حاجة، فقمت، فعدت إلیه، وقد انتهی إلی قوله:

لم یبق حی من الأحیاء نعلمه * من ذی یمان، ولا بکر، ولا مضر إلا وهم شرکاء فی دمائهم * کما تشارک أیسار علی جزر قتلا، وأسرا، وتخویفا ومنهبة * فعل الغزاة بأهل الروم والخزر أری أمیة معذورین إن قتلوا * ولا أری لبنی العباس من عذر قوم قتلتم علی الإسلام أولهم * حتی إذا استمکنوا جازوا علی الکفر أبناء حرب، ومروان، وأسرتهم * بنو معیط، ولاة الحقد والوغر * * * إربع بطوس علی قبر الزکی بها * إن کنت تربع من دین علی وطر (۴۳۴) صفحهمفاتیح البحث: یوم عاشوراء (۱)، بنو عباس (۱)، القبر (۱)، القتل (۱)، الحرب (۱)

قبران فی طوس: خیر الناس کلهم * وقبر شرهم، هذا من العنر ما ینفع الرجس من قرب الزکی ولا * علی الزکی بقرب الرجس من ضرر هیهات کل امرئ رهن بما کسبت * له یداه فخذ من ذاک أو فذر قال: فضرب المأمون بعمامته الأرض، وقال:

"صدقت والله یا دعبل."

صفحه(۴۳۵)

کلمة ختامیة

کلمة ختامیة:

وفی الختام:

فإننی أرجو أن أکون قد وفقت فی هذه الدراسة، للکشف عن الحقائق التی أرید لها أن تبقی طی الکتمان.. وأن یکون القارئ قد وجد فیها ما یصح أن یکون جوابا علی الأسئلة الکثیرة، التی قد یثیرها لدیه هذا الحدث التاریخی الهام، الذی لم یکن طبیعیا، وعادیا کسائر ما یجری وما یحدث..

الاکثار من النصوص التاریخیة فی الکتاب:

ولعل المطلع علی هذا الکتاب یکون قد لاحظ: أننی أکثرت فیه من النصوص التاریخیة، ولم یکن هدفی إلا أن لا یجد القارئ کبیر عناء فی استخلاص الحقائق، بعیدا عن نزوات العاطفة، وعثرات المیول..

ولا شک أنه یکون قد لاحظ أیضا: أننی لم أحاول انتقاء ألفاظه، ولا صیاغة جمله صیاغة فنیة أنیقة.. وإذا کنت مقتنعا بأن ذلک من ممیزاته وحسناته، لاعتقادی بأن ذلک هو ما تفرضه طبیعة البحث

صفحه(۴۳۶)

الموضوعی الهـادئ. فلسوف لاـ أسـتغرب، ولاـ أتـألم إذا كان هناک الکثیرون، ممن یعتقـدون أنه عیب ونقص، کان بالإمکان تجنبه، والابتعاد عنه. ومع ذلک: فلن أجد نفسی مغبونا حین أقدم – بإخلاص – اعتذاری لهم، وطلب المسامحهٔ، وغض النظر منهم.

رجاء واعتذار:

وإذا کان یجوز لی أخیرا: أن أطلب من إخوانی الأعزاء شیئا، فإن رجائی الأکیـد من کل من یقرأ کتابی هـذا: أن یتحفنی بملاحظاته، وأن ینبهنی لما یجده، أو یراه خطأ، أو نقصا، فإن الإنسان – إلا من اصـطفی الله – معرض للخطأ وللصواب.. وإذا کان کثیرا ما یکون له فضل فیما أصاب، فکثیرا ما یکون له العذر أیضا فیما أخطأ.

شکر وتقدیر:

هذا.. ولا یسعنی هنا إلا أن أتقدم بجزیل شـکری، وعمیق تقدیری لسـماحهٔ حجهٔ الإسـلام المحقق السید مهدی الروحانی، ولأصحاب السـماحهٔ والفضـیلهٔ. من أساتـذتی وإخوانی، الـذین تفضـلوا بمطالعهٔ هـذا الکتاب، حیث کان لآرائهم الصائبـهٔ، وتوجیهاتهم السدیدهٔ، وملاحظاتهم الدقیقهٔ أکبر الأثر علی هذا الکتاب، إن فی الشکل، وإن فی المحتوی..

وأخیرا.. فإننی أتقدم أیضا بخالص شکری، وفائق تقدیری للقارئ الکریم. الذی جعلنی مدینا له، بما منحنی من وقته. وعقله، وفکره. وأرجو أن أکون قد وفقت للفوز بثقته أیضا.

ولا أطیل علیک – قارئی الکریم –، فقـد کان الفراغ من نقله إلی (۴۳۷) صفحهمفاتیح البحث: الکرم، الکرامهٔ (۱)، الحج (۱)، الجواز (۱)

المبیضهٔ لیلهٔ الأحد السابع من صفر، الساعهٔ التاسعهٔ منها سنهٔ ۱۳۹۶ ه.

ق. الموافق ۸ شباط سنهٔ ۱۹۷۶ م ش.

والحمد لله، وله المنهٔ، وصلاته وسلامه علی عباده الذین اصطفی..

نزیل قم المقدسهٔ جعفر مرتضی الحسینی العاملی

صفحه(۴۳۸)

وثائق هامهٔ

وثائق هامهٔ ۱ – رسالهٔ الفضل بن سهل إلی الإمام (ع).

۲ – وثیقهٔ ولایهٔ العهد.

۳ – رسالهٔ المأمون إلی العباسیین.

۴ – رسالهٔ عبد الله بن موسی إلی المأمون.

۵ – رسالهٔ سفیان إلی هارون.

قصیدهٔ الأمیر أبی فراس الحمدانی. (۴۳۹) صفحهمفاتیح البحث: ابو فراس الحمدانی (۱)، عبد الله بن موسی (۱)، الفضل بن سهل (۱)

رسالهٔ الفضل بن سهل إلی الإمام

رسالهٔ الفضل بن سهل إلی الإمام (ع) هذه الرسالهٔ:

هذه الرسالهٔ هی التی أرسلها الفضل بن سهل إلی الإمام (ع)، یطلب فیها منه القدوم، من أجل عقد ولایهٔ العهد له..

وقد اطلعت علیها فی وقت متأخر، وتحدثت عن بعض ما یمکن استخلاصه منها فی بعض فصول الکتاب.

ونظرا لأهمیتها.. فقد آثرت أن أجعلها مع الوثائق الهامهٔ، لیطلع علیها القارئ بنفسه.

وقـد أورد هذه الرسالة أبو القاسم عبد الكريم بن محمد، بن عبد الكريم الرافعى، الشافعى، القزوينى المتوفى سـنة ۶۲۳ ه. فى كتابه": التدوين."

والكتاب موجود منه نسختان خطيتان: إحداهما فى مكتبة " ناصرية " القسم الثانى رقم ۷۸۲ فى لكنهو. والأخرى: خطية أيضا موجودة فى الإسـكندرية.. وهنـاك نسـختان مصورتـان عنهمـا: إحـداهما: فى مكتبـة دار التبليغ الإسـلامى فى قـم مصـورة عن نسـخة لكنهـو، والأخرى:

فى مكتبة المرعشـى النجفى العامة فى قم مصورة فى طهران عن نسـخة الإسـكندرية. (۴۴۱) صـفحهمفاتيح البحث: مدينة طهران (۱)، محمد بن عبد الكريم (۱)، الفضل بن سهل (۲)، عبد الكريم (۱)، الوفاة (۱)

وهى فى النسخة المصورة عن لكنهو موجودة فى المجلد الثانى. وفى المصورة عن مكتبة الإسكندرية موجودة فى ج ۴ ص ۵۱. ونقلها عن هذه النسخة السيد المرعشى النجفى فى ج ۱۲ من ملحقات الاحقاق ص ۳۸۱، ۳۸۲:

نص الرسالة:

قال فى التدوين: والنص لنسخة: لكنهو:

ولما عزم المأمون على تفويض العهد إليه (أى إلى الرضا)، بسعى ذى الرياستين الفضل بن سهل.. كتب إليه ذو الرياستين:

بسم الله الرحمن الرحيم:

لعلى بن موسى الرضا، وابن رسول الله المصطفى، المهتدى بهديه، المقتدى بفعله، الحافظ لدين الله، الخازن لوحى الله، من وليه الفضل ابن سهل، الذى بذل فى رد حقه إليه مهجته، ووصل ليله فيه بنهاره..

سلام عليك أيها المهتدى ورحمة الله وبركاته.

فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو، وأسأله أن يصلى على محمد عبده ورسوله.

أما بعد:

فـإنى أرجو أن الله قـد أدى لـك، وأذن لك فى ارتجاع حقك ممن استضـعفك، وأن يعظم مننه عليك، وأن يجعلك الإمام الوارث. ويرى أعداءك، ومن رغب عنك، منك ما كانوا يحذرون..

وإن كتابى هـذا عن إزماع من أمير المؤمنين، عبـد الله الإمام المأمون (۴۴۲) صفحهمفاتيح البحث: ذو الرياستين (۱)، الفضل بن سهل (۱)

ومنى: على رد مظلمتـك عليـك، وإثبـات حقوقك فى يـديك، والتخلى منها إليك، على ما أسأل الله الـذى وقف عليه: أن تبلغنى ما أكون بها أسعد العالمين، وعند الله من الفائزين، ولحق رسول الله من المؤدين.

ولك عليه من المعاونين، حتى أبلغ فى توليتك ودولتك كلتا الحسنتين (۱).

فإذا أتاك كتابى - جعلت فداك - وأمكنك أن لا تضـعه من يدك، حتى تسير إلى باب أمير المؤمنين، الذى يراك شريكا فى أمره، وشـفيعا فى نسبه، وأولى النـاس بمـا تحت يـده.. فعلت ما أنا بخيرة الله محفوفا، وبملايكته محفوظا، وبكلاءته محروسا. وإن الله كفيل لك بكل ما يجمع حسن العائدة عليك، وصلاح الأمة بك.

وحسبنا الله ونعم الوكيل، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته..

وكتبت بخطى. (۱) الظاهر أنها: الحسـنيين، لأنها اقتباس من الآيـة الكريمـة.. (۴۴۳) صـفحهمفاتيح البحث: الفدية، الفداء (۱)، الكرم، الكرامة (۱)

وثيقة ولاية العهد

وثیقة ولایة العهد مصادر الوثیقة:

نذکر من المصادر التی أوردت هذه الوثیقة، علی سبیل المثال لا الحصر:

القلقشندی فی صبح الأعشی ج ۹ من ص ۳۶۲، إلی ص ۳۶۶، وأکملها بذکر ما کتبه الرضا (ع) والشهود فی نفس الجزء من ۳۹۱ وحتی ۳۹۳، وأوردها أیضا فی مآثر الإنافة فی معالم الخلافة ج ۲ من ص ۳۲۵ حتی ص ۳۳۶، وهی أیضا فی شرح میمیة أبی فراس من ۲۹۹ إلی ۳۰۳، وفی نور الأبصار ۱۴۲، ۱۴۳، وفی البحار ج ۴۹ ص ۱۴۸، إلی ۱۵۳ ومسند الإمام الرضا ج ۱ قسم ۱ من ص ۱۰۲ إلی ص ۱۰۷، والفصول المهمة لابن الصباغ ابتداء من ص ۲۹۳.

ووسیلة النجاة لمحمد مبین الهندی ابتداء من ص ۳۸۷، طبع لکنهو، ورواها أیضا الکاشانی فی معادن الحکمة، والشبراوی فی الإتحاف بحب الأشراف مختصرا وابن شهرآشوب فی مناقب آل أبی طالب، والإربلی فی کشف الغمة، والسید الأمین فی المجالس السنیة، وأعیان الشیعة، وابن الجوزی فی التذکرة، وذکر الأخیران إنها قد ذکرها عامة المؤرخین، وعن التفتازانی إن الوثیقة کانت موجودة فی عهده، والإربلی أیضا یقول (۴۴۴) صفحهمفاتیح البحث: الإمام علی بن موسی الرضا علیهما السلام (۱)، کتاب الفصول المهمة لإبن صباغ المالکی (۱)، کتاب نور الأبصار للشبلنجی (۱)، کتاب کشف الغمة للإربلی (۱)، کتاب الأشراف للشیخ المفید (۱)، کتاب مناقب آل أبی طالب علیه السلام (۱)، کتاب أعیان الشیعة للأمین (۱)، ابن شهرآشوب (۱)

بأنها کانت موجودة فی عهده، وأنه فی سنة سبعین وستمایة اطلع علی وثیقة العهد الأصلیة، ونقلها فی کتابه حرفا فحرفا.. وأشار إلیها أیضا ابن الطقطقی فی الفخری فی الآداب السلطانیة.

وغیر هؤلاء کثیر. ونحن نذکر الوثیقة موافقة لما فی صبح الأعشی، ومآثر الإنافة، فنقول:

نص الوثیقة:

بسم الله الرحمن الرحیم:

هذا کتاب کتبه عبد الله بن هارون الرشید، أمیر المؤمنین، لعلی بن موسی بن جعفر، ولی عهده.

أما بعد:

فإن الله عز وجل اصطفی الإسلام دینا، واصطفی من عباده رسلا دالین علیه، وهادین إلیه، یبشر أولهم بآخرهم. ویصدق تالیهم ماضیهم، حتی انتهت نبوة الله إلی محمد صلی الله علیه وآله، علی فترة من الرسل، ودروس من العلم، وانقطاع من الوحی، واقتراب من الساعة، فختم الله به النبیین، وجعله شاهدا لهم، ومهیمنا علیهم. وأنزل علیه کتابه العزیز، الذی لا یأتیه الباطل من بین یدیه، ولا من خلفه، تنزیل من حکیم حمید، بما أحل وحرم، ووعد وأوعد، وحذر وأنذر، وأمر به، ونهی عنه، لتکون له الحجة البالغة علی خلقه، لیهلک من هلک عن بینة، ویحیی من حی عن بینة، وإن الله لسمیع علیم.

فبلغ عن الله رسالته، ودعا إلی سبیله بما أمره به: من الحکمة، والموعظة الحسنة، والمجادلة التی هی أحسن، ثم بالجهاد والغلظة، (۴۴۵) صفحهمفاتیح البحث: الإمام أمیر المؤمنین علی بن ابی طالب علیهما السلام (۱)، الرسول الأکرم محمد بن عبد الله صلی الله علیه وآله (۱)، عبد الله بن هارون (۱)، موسی بن جعفر (۱)، الباطل، الإبطال (۱)، الشهادة (۱)

حتی قبضه الله إلیه، واختار له ما عنده صلی الله علیه وآله، فلما انقضت النبوة، وختم الله بمحمد صلی الله علیه وآله الوحی والرسالة، جعل قوام الدین، ونظام أمر المسلمین بالخلافة، وإتمامها وعزها، والقیام بحق الله فیها بالطاعة، التی یقام بها فرائض الله تعالی وحدوده، وشرائع الإسلام وسننه، ویجاهد بها عدوه.

فعلی خلفاء الله طاعته فیما استحفظهم واسترعاهم من دینه وعباده، وعلی المسلمین طاعة خلفائهم، ومعاونتهم علی إقامة حق الله وعدله، وأمن السبیل، وحقن الدماء، وصلاح ذات البین، وجمع الألفة، وفی خلاف ذلک اضطراب حبل المسلمین، واختلالهم، واختلاف ملتهم، وقهر دینهم، واستعلاء عدوهم، وتفرق الکلمة، وخسران الدنیا والآخرة فحق علی من استخلفه الله فی أرضه، وائتمنه علی خلقه،

أن يجهد الله نفسه، ويؤثر ما فيه رضا الله وطاعته، ويعتد لما الله مواقفه عليه، ومسائله عنه، ويحكم بالحق، ويعمل بالعدل فيما أحله الله وقلده، فإن الله عز وجل يقول لنبيه داود ": يا داود إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى، فيضلك عن سبيل الله، إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب."

وقال الله عز وجل ": فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون."

وبلغنا أن عمر بن الخطاب قال ": لو ضاعت سخلة بشاطئ الفرات، لتخوفت أن يسألنى الله عنها."

وأيم الله، إن المسؤول عن خاصة نفسه، الموقوف على عمله فيما بينه وبين الله، ليعرض على أمر كبير، وعلى خطر عظيم، فكيف بالمسؤول عن رعاية الأمة، وبالله الثقة. وإليه المفزع والرغبة فى التوفيق والعصمة، والتسديد والهداية إلى ما فيه ثبوت الحجة، والفوز من الله بالرضوان والرحمة.. (۴۴۶) صفحهمفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (۱)، الخليفة عمر بن الخطاب (۱)، نهر الفرات (۱)، سبيل الله (۲)

وأنظر الأمة لنفسه، وأنصحهم لله فى دينه وعباده، من خلائقه فى أرضه، من عمل بطاعة الله وكتابه، وسنة نبيه صلى الله عليه وآله فى مدة أيامه، وبعدها، وأجهد رأيه فيمن يوليه عهده، ويختاره لإمامة المسلمين ورعايتهم بعده، وينصبه علما لهم. ومفزعا فى جمع ألفتهم. ولم شعثهم، وحقن دمائهم، والأمن بإذن الله من فرقتهم. وفساد ذات بينهم واختلافهم، ورفع نزغ الشيطان وكيد عنهم، فإن الله عز وجل جعل العهد بعد الخلافة من تمام الإسلام وكماله، وعزه، وصلاح أهله، وألهم خلفاءه من توكيده لمن يختارونه له من بعدهم ما عظمت به النعمة، وشملت فيه العافية، ونقض الله بذلك مكر أهل الشقاق والعداوة، والسعى والفرقة، والتربص للفتنة.

ولم يزل أمير المؤمنين منذ أفضت إليه الخلافة، فاختبر بشاعة مذاقها، وثقل محملها، وشدة مؤونتها، وما يجب على من تقلدها من ارتباط طاعة الله، ومراقبته فيما حمله منها. فأنصب بدنه، وأسهر عينه، وأطال فكره فيما فيه عز الدين، وقمع المشركين، وصلاح الأمة، ونشر العدل، وإقامة الكتاب والسنة، ومنعه ذلك من الخفض والدعة، ومهنأ العيش، علما بما الله سائله عنه، ومحبة أن يلقى الله مناصحا له فى دينه، وعباده، ومختارا لولاية عهده. ورعاية الأمة من بعده: أفضل من يقدر عليه: فى دينه وورعه، وعلمه، وأرجاهم للقيام فى أمر الله وحقه، مناجيا بالاستخارة فى ذلك. ومسألته إلهامه ما فيه رضاه وطاعته، فى آناء ليله ونهاره. معملا فى طلبه والتماسه فى أهل بيته: من ولد عبد الله بن العباس، وعلى بن أبى طالب فكره، ونظره. مقتصرا ممن علم حاله ومذهبه منهم على علمه، وبالغا فى المسألة عمن خفى عليه أمره جهده وطاقته.. حتى استقصى أمورهم معرفة، وابتلى أخبارهم مشاهدة، واستبرأ أحوالهم معاينة، وكشف ما عندهم مسألة، فكان خيرته بعد (۴۴۷) صفحهمفاتيح البحث: السنة النبوية الشريفة (۱)، عبد الله بن عباس (۱)، على بن أبى طالب (۱)

استخارته الله، وإجهاده نفسه فى قضاء حقه فى عباده وبلاده فى البيتين جميعا:

على بن موسى، بن جعفر، بن محمد ابن على، بن الحسين، بن على، بن أبى طالب لما رأى من فضله البارع، وعلمه النافع، وورعه الظاهر، وزهده الخالص، وتخليه من الدنيا، وتسلمه من الناس..

وقد استبان له ما لم تزل الأخبار عليه متواطئة، والألسن عليه متفقة، والكلمة فيه جامعة، ولما لم يزل يعرفه به من الفضل: يافعا، وناشئا، وحدثا، ومكتهلا، فعقد له بالعقد والخلافة من بعده (۱).

واثقا بخيرة الله فى ذلك. إذ علم الله أنه فعله إيثارا له، وللدين، ونظرا للإسلام والمسلمين، وطلبا للسلامة، وثبات الحجة، والنجاة فى اليوم الذى يقوم الناس فيه لرب العالمين، ودعا أمير المؤمنين ولده، وأهل بيته، وخاصته، وقواده، وخدمه فبايعوا مسارعين مسرورين، عالمين بإيثار أمير المؤمنين طاعة الله على الهوى فى ولده وغيرهم. ممن هو أشبك منه رحما، وأقرب قرابة.

وسماه " الرضا (" ۲) إذ كان رضا عند أمير المؤمنين (۱) فى بعض نسخ كشف الغمة فى الهامش: أنه (ع) كتب بقلمه الشريف تحت قوله:

"والخلافة من بعده " قوله ": بل جعلت فداك."

(۲) فی بعض نسخ کشف الغمة فی الهامش: أنه (ع) کتب بقلمه الشریف تحت کلمة:

"الرضا " قوله ": رضی الله عنک وأرضاک، وأحسن فی الدارین جزاک " وفی أخری:

أنه کتب تحت ذکر اسمه علیه السلام بقلمه الشریف ": وصلتک رحم، وجزیت خیرا، " وکتب بقلمه الشریف تحت الثناء علیه ": أثنی الله علیک فأجمل، وأجزل لدیک الثواب فأکمل. (" ۴۴۸) صفحهمفاتیح البحث: علی بن موسی بن جعفر بن محمد (۱)، علی بن الحسین بن علی (۱)، کتاب کشف الغمة للإربلی (۲)، الفدیة، الفداء (۱)

فبایعوا معشر أهل بیت أمیر المؤمنین، ومن بالمدینة المحروسة، من قواده وجنده، وعامة المسلمین، لأمیر المؤمنین، وللرضا من بعده علی ابن موسی علی اسمه وبرکته، وحسن قضائه لدینه وعباده، بیعة مبسوطة إلیها أیدیکم، منشرحة لها صدورکم. عالمین بما أراد أمیر المؤمنین، بها، وآثر طاعة الله، والنظر لنفسه ولکم فیها، شاکرین الله علی ما ألهم أمیر المؤمنین بها: من قضاء حقه فی رعایتکم، وحرصه علی رشدکم وصلاحکم، راجین عائدة ذلک فی جمع ألفتکم، وحقن دمائکم، ولم شعثکم، وسد ثغورکم، وقوة دینکم، ورغم عدوکم، واستقامة أمورکم.

وسارعوا إلی طاعة الله، وطاعة أمیر المؤمنین، فإنه الأمن إن سارعتم إلیه، وحمدتم الله علیه، عرفتم الحظ فیه إن شاء الله.

وکتب بیده یوم الاثنین، لسبع خلون من شهر رمضان، سنة إحدی ومائتین.

قال القلقشندی ": ثم إنه تقدم إلی علی بن موسی، وقال له:

اکتب خطک بقبول هذا العهد، وأشهد الله، والحاضرین علیک بما تعده فی حق الله، ورعایة المسلمین، فکتب علی الرضا تحته إلخ.".

صورة ما کان علی ظهر العهد، بخط الإمام علی بن موسی الرضا علیهما السلام بسم الله الرحمن الرحیم:

الحمد لله الفعال لما یشاء، ولا معقب لحکمه، ولا راد لقضائه، یعلم خائنة الأعین، وما تخفی الصدور. وصلاته علی نبیه محمد، خاتم النبیین، وآله الطیبین الطاهرین.

أقول – وأنا علی بن موسی الرضا بن جعفر –: إن أمیر المؤمنین عضده الله بالسداد، ووفقه للرشاد، عرف من حقنا ما جهله غیره، (۴۴۹) صفحهمفاتیح البحث: شهر رمضان المبارک (۱)، الجهل (۱)، الطهارة (۱)

فوصل أرحاما قطعت، وأمن أنفسا فزعت، بل أحیاها وقد تلفت، وأغناها إذ افتقرت، مبتغیا رضا رب العالمین، لا یرید جزاء من غیره، وسیجزی الله الشاکرین، ولا یضیع أجر المحسنین..

وإنه جعل إلی عهده، والإمرة الکبری – إن بقیت – بعده، فمن حل عقدة أمر الله بشدها، وفصم عروة أحب الله إیثاقها، فقد أباح الله حریمه، وأحل محرمه، إذ کان بذلک زاریا علی الإمام، منتهکا حرمة الإسلام. بذلک جری السالف، فصبر منه علی الفلتات، ولم یعترض علی العزمات، خوفا من شتات الدین، واضطراب حبل المسلمین، ولقرب أمر الجاهلیة، ورصد فرصة تنتهز، وبایقة تبتدر..

وقد جعلت الله علی نفسی، إن استرعانی أمر المسلمین، وقلدنی خلافته: العمل فیهم عامة، وفی بنی العباس بن عبد المطلب خاصة بطاعته، وطاعة رسوله صلی الله علیه وآله وأن لا أسفک دما حراما، ولا أبیح فرجا. ولا مالا، إلا ما سفکته حدود الله، وأباحته فرائضه. وأن أتخیر الکفاة جهدی وطاقتی، وجعلت بذلک علی نفسی عهده مؤکدا، یسألنی الله عنه، فإنه عز وجل یقول ": وأوفوا بالعهد، إن العهد کان مسؤولا."

وإن أحدثت، أو غیرت، أو بدلت، کنت للغیر مستحقا، وللنکال متعرضا. وأعوذ بالله من سخطه. وإلیه أرغب فی التوفیق لطاعته، والحول بینی وبین معصیته، فی عافیة لی وللمسلمین.

والجامعة والجفر یدلان علی ضد ذلک، وما أدری ما یفعل بی ولا بکم. إن الحکم إلا لله، یقضی بالحق (۱)، وهو خیر الفاصلین.. (۱) الظاهر أن الصواب هو " یقص الحق " کما فی معالم الإنافة (۴۵۰) صفحهمفاتیح البحث: الرسول الأکرم محمد بن عبد الله صلی الله علیه وآله (۱)، بنو عباس (۱)، الجهل (۱)

لكننى امتثلت أمر أمير المؤمنين، وآثرت رضاه، والله يعصمنى وإياه، وأشهدت الله على نفسى بذلك، وكفى بالله شهيدا..

وكتبت بخطى، بحضرة أمير المؤمنين، أطال الله بقاءه، والفضل ابن سهل، وسهل بن الفضل، ويحيى بن أكثم، وعبد الله بن طاهر، وثمامة بن أشرس، وبشر بن المعتمر، وحماد بن النعمان، فى شهر رمضان، سنة إحدى ومائتين.

الشهود على الجانب الأيمن:

شهد يحيى بن أكثم على مضمون هذا المكتوب، ظهره، وبطنه.

وهو يسأل الله: أن يعرف أمير المؤمنين، وكافة المسلمين بركة هذا العهد، والميثاق. وكتب بخطه فى تاريخ المبين فيه..

عبد الله بن طاهر بن الحسين، أثبت شهادته فيه بتاريخه.

شهد حماد بن النعمان بمضمونه: ظهره وبطنه، وكتب بيده فى تاريخه بشر بن المعتمر يشهد بمثل ذلك.

الشهود على الجانب الأيسر:

رسم أمير المؤمنين، أطال الله بقاءه قراءة هذه الصحيفة. التى هى صحيفة الميثاق. نرجو أن نجوز بها الصراط، ظهرها وبطنها، بحرم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله، بين الروضة والمنبر، على رؤوس الأشهاد، بمرأى ومسمع من وجوه بنى هاشم، وساير الأولياء والأجناد، بعد استيفاء شروط البيعة عليهم، بما أوجب أمير المؤمنين الحجة به على جميع (۴۵۱) صفحهمفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (۱)، شهر رمضان المبارك (۱)، عبد الله بن طاهر (۲)، حماد بن النعمان (۲)، يحيى بن أكثم (۲)، بنو هاشم (۱)، الشهادة (۲)

المسلمين، ولتبطل الشبهة التى كانت اعترضت آراء الجاهلين ": وما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه."

وكتب الفضل بن سهل بأمر أمير المؤمنين بالتاريخ فيه (۱).

إنتهى.. (۱) وفى هامش نسخة مصححة قال: مصححها ": قال العبد الفقير إلى الله تعالى، الفضل بن يحيى عفى الله عنه: قابلت المكتوب الذى كتبه الإمام على بن موسى الرضا صلوات الله عليه، وعلى آبائه الطاهرين بأصله الذى كتبه الإمام المذكور (ع) بيده الشريفة، حرفا فحرفا. وألحقت ما فات منه، وذكرت أنه من خطه. وذلك يوم الثلاثاء، مستهل المحرم، من سنة تسع وتسعين وست مأة الهلالية بواسط، والحمد لله، وله المنة ". انتهى أقول: والذى ألحقه هو ما قدمناه فى هوامش الصفحات المتقدمة.. (۴۵۲) صفحهمفاتيح البحث: الفضل بن سهل (۱)، الصّلاة (۱)، الطهارة (۱)

رسالة المأمون إلى العباسيين

رسالة المأمون إلى العباسيين مصادر الكتاب:

هذا الكتاب مذكور فى طرائف ابن طاووس، الترجمة الفارسية من ص ۱۳۱، إلى ص ۱۳۵، نقلا عن كتاب نديم الفريد، لابن مسكويه، صاحب كتاب حوادث الإسلام.. وفى البحار للعلامة المجلسى ج ۴۹ من ص ۲۰۸ إلى ص ۲۱۴، وفى قاموس الرجال ج ۱۰ ص ۳۵۶، إلى ۳۶۰، وفى ينابيع المودة للقندوزى الحنفى ص ۴۸۴، ۴۸۵ مختصرا، ونقل فى الغدير ج ۱ ص ۲۱۲ قسما منه عن عبقات الأنوار للهندى ج ۱ ص ۱۴۷، وأشار إليه غير واحد من المؤلفين.

نص الكتاب:

كتب العباسيون كتابا إلى المأمون، وطلبوا منه الإجابة عليه، فأجابهم بما يلى:

"بسم الله الرحمن الرحيم: والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآل محمد. على رغم أنف الراغمين.. (۴۵۳) صفحهمفاتيح البحث: الشيخ سلمان البلخى القندوزى (۱)، كتاب ينابيع المودة (۱)، العلامة المجلسى (۱)، الصّلاة (۱)

أما بعد:

عرف المأمون کتابکم، وتـدبیر أمرکم. ومخض زبـدتکم. وأشـرف علی قلوب صـغیرکم وکبیرکم، وعرفکم مقبلین ومدبرین، وما آل إلیه کتابکم قبل کتابکم. فی مراوضـة الباطل، وصـرف وجوه الحق عن مواضـعها، ونبذکم کتاب الله والآثار، وکلما جاءکم به الصادق محمد (ع)، حتی کأنکم من الأمم السالفة، التی هلکت بالخسفة، والغرق، والریح، والصیحة، والصواعق، والرجم..

أفلاـ یتـدبرون القرآن أم علی قلوب أقفالهـا؟. والـذی هو أقرب إلی المـأمون من حبـل الوریـد، لولاـ أن یقول قائل: إن المأمون ترک الجواب عجزا لمـا أجبتکم، من سوء أخلاـقکم، وقلـة أخطـارکم. ورکاکـة عقولکم، ومن سـخافة مـا تأوون إلیه من آرائکم، فلیسـتمع مستمع، فلیبلغ شاهد غائبا..

أما بعد:

فإن الله تعالی بعث محمدا علی فترة من الرسل، وقریش فی أنفسـها، وأموالها، لا یرون أحدا یسامیهم، ولا یباریهم، فکان نبینا صلی الله علیه وآله أمینا من أوسـطهم بیتا، وأقلهم مالا، فکان أول من آمن به خدیجة بنت خویلد، فواسـته بمالها. ثم آمن به أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب سـبع سـنین، لم یشـرک بالله شـیئا طرفـة عین، ولم یعبـد وثنا، ولم یأکل ربا، ولم یشاکل الجاهلیـة فی جهالاتهم، وکانت عمومة رسول الله إما مسلم مهین، أو کافر معاند، إلا حمزة فإنه لم یمتنع من الإسلام، ولا یمتنع الإسلام منه، فمضی لسبیله علی بینة من ربه.

وأمـا أبو طـالب: فـإنه کفله وربـاه، ولم یزل مـدافعا عنه، ومانعـا منه، فلمـا قبض الله أبـا طالب، فهم القوم، وأجمعوا علیه لیقتلوه، (۴۵۴) صفحهمفاتیح البحث: الإمام أمیر المؤمنین علی بن ابی طالب علیهما السلام (۱)، الرسول الأکرم محمد بن عبد الله صلی الله علیه وآله (۱)، القرآن الکریم (۱)، الباطل، الإبطال (۱)، الصدق (۱)، الأکل (۱)، القتل (۱)

فهـاجر إلی القوم الـذین تبوؤا الـدار والإیمان من قبلهم. یحبون من هاجر إلیهم. ولا یجـدون فی صـدورهم حاجـة مما أوتوا، ویؤثرون علی أنفسهم، ولو کان بهم خصاصة، ومن یوق شح نفسه فأولئک هم المفلحون.

فلم یقم مع رسول الله صـلی الله علیه وآله أحد من المهاجرین کقیام علی بن أبی طالب (ع): فإنه آزره ووقاه بنفسه، ونام فی مضـجعه. ثم لم یزل بعـد مستمسـکا بـأطراف الثغور، وینازل الأبطال، ولا ینکل عن قرن، ولا یولی عن جیش، منیع القلب، یؤمر علی الجمیع، ولا یؤمر علیه أحد. أشد الناس وطأة علی المشرکین، وأعظمهم جهادا فی الله، وأفقههم فی دین الله، وأقرأهم لکتاب الله، وأعرفهم بالحلال والحرام، وهو صاحب الولایة فی حدیث " غدیر خم " وصاحب قوله:

"أنت منی بمنزلـة هارون من موسـی، إلا أنه لا نبی بعـدی " وصاحب یوم الطائف، وکان أحب الخلق إلی الله تعالی، وإلی رسول الله صلی الله علیه وآله.

وصاحب الباب، فتـح له، وسـد أبواب المسـجد. وهو صاحب الرایـة یوم خیبر. وصاحب عمرو بن عبد ود فی المبارزة. وأخو رسول الله صلی الله علیه وآله حین آخی بین المسلمین.

وهو منیع جزیل. وهو صاحب آیة ": ویطعمون الطعام علی حبه مسکینا، ویتیما، وأسیرا. " وهو زوج فاطمة سیدة نساء العالمین، وسیدة نساء أهل الجنة، وهو ختن خدیجة (ع). وهو ابن عم رسول الله صلی الله علیه وآله، رباه وکفله. وهو ابن أبی طالب فی نصرته وجهاده. وهو نفس رسول الله صلی الله علیه وآله فی یوم المباهلة.

وهو الـذی لم یکن أبو بکر وعمر ینفـذان أمرا حتی یسألانه عنه، فما رأی إنفاذه أنفـذاه، وما لم یراه رداه. وهو دخل من بنی هاشم فی (۴۵۵) صـفحهمفاتیح البحث: أبو طـالب علیه السـلام (۱)، أم المؤمنین خدیجة بنت خویلـد علیها السـلام (۱)، حـدیث المؤاخاة (۱)، الرسول الأکرم محمـد بن عبـد الله صـلی الله علیه وآله (۵)، السـیدة فاطمة الزهراء سـلام الله علیها (۱)، بنو هـاشم (۱)، غدیر خم (۱)، الطعام (۱)، السجود (۱)، الزوج، الزواج (۱)

الشوری، ولعمری لو قدر أصحابه علی دفعه (۱) عنه (ع)، کما دفع العباس رضوان الله علیه، ووجدوا إلی ذلک سبیلا لدفعوه.

فأما تقـدیمكم العباس علیه، فإن الله تعالى یقول ": أجعلتم سـقایة الحاج، وعمارة المسـجد الحرام كمن آمن بالله والیوم الآخر، وجاهد فی سبیل الله، لا یستوون عند الله."

والله، لو كان ما فی أمیر المؤمنین من المناقب والفضائل، والآی المفسـرة فی القرآن خلـة واحـدة فی رجل من رجالكم. أو غیره، لكان مستأهلا متأهلا للخلافة، مقدما على أصحاب رسول الله بتلك الخلة.

ثم لم یزل الأـمور تتراقى به إلى أن ولی أمور المسـلمین، فلم یعن بأحـد من بنی هـاشم إلاـ بعبـد الله بن عبـاس، تعظیما لحقه، ووصـلة لرحمه، وثقة به، فكان من أمره الذی یغفر الله له..

ثم.. نحن وهم یـد واحـدة - كما زعمتم - حتى قضـی الله تعالى بالأمر إلینا، فأخفناهم. وضـیقنا علیهم، وقتلناهم أكثر من قتل بنی أمیة إیـاهم.. ویحكم، إن بنی أمیـة إنمـا قتلوا من سـل منهم سیفا، وإنـا معشـر بنی العباس قتلناهـم جملا، فلتسألن أعظم الهاشـمیة بأی ذنب قتلت، ولتسـألن نفوس ألقیت فی دجلـة والفرات، ونفوس دفنت ببغـداد والكوفـة أحیاء، هیهات، إنه من یعمل مثقال ذرة خیرا یره، ومن یعمل مثقال ذرة شرا یره..

وأمـا مـا وصـفتم فی أمر المخلوع، ومـا كـان فیه من لبس، فلعمری ما لبس علیه أحـد غیركم، إذ هونتم علیه النكث، وزینتم له الغـدر، وقلتم له: مـا عسـی أن یكون من أمر أخیـك، وهو رجل مغرب، ومعك الأموال والرجال، نبعث إلیه، فیؤتی به، فكـذبتم، ودبرتم، (۱) فی الترجمة الفارسـیة هكذا ": على دفع على (ع) عنها إلخ. (". ۴۵۶) صفحهمفاتیح البحث: عبد الله بن عباس (۱)، مدینة الكوفة (۱)، نهر الفرات (۱)، بنو عباس (۱)، بنو أمیة (۱)، بنو هاشم (۱)، مدینة بغداد (۱)، سبیل الله (۱)، مسجد الحرام (۱)، القرآن الكریم (۱)، القتل (۲)، الإمام أمیر المؤمنین على بن ابی طالب علیهما السلام (۱)

ونسیتم قول الله تعالى ": ومن بغی علیه لینصرنه الله.".

وأما ما ذكرتم: من استبصار المأمون فی البیعة لأبی الحسن الرضا (ع)، فما بایع له المأمون إلا مستبصرا فی أمره، عالما بأنه لم یبق أحد على ظهرها أبین فضـلا، ولا أظهر عفـة، ولا أورع ورعا، ولا أزهـد زهدا فی الدنیا، ولا أطلق نفسا، ولا أرضـی فی الخاصة والعامة، ولا أشد فی ذات الله منه. وإن البیعة له لموافقة رضا الرب عز وجل. ولقد جهدت وما أجد فی الله لومة لائم.

ولعمری، لو كـانت بیعتی بیعـة محاباة، لكان العباس ابنی، وسائر ولـدی أحب إلی قلبی، وأجلى فی عینی، ولكن أردت أمرا، وأراد الله أمرا، فلم یسـبق أمری أمر الله وأمـا ما ذكرتـم: مما مسـكم من الجفاء فی ولایتی: فلعمری ما كان ذلك إلا منكم بمظافرتكم علیه، على (خ د) وممایلتكم إیاه، فلما قتلته وتفرقتم عبادید، فطورا أتباعا لابن أبی خالد، وطورا أتباعا لأعرابی، وطورا أتباعا لابن شكلة، ثم لكل من سل سیفا علی، ولولا أن شیمتی العفو، وطبیعتی التجاوز ما تركت على وجهها منكم أحدا، فكلكم حلال الدم، محل بنفسه.

وأمـا ما سألتم: من البیعـة للعباس ابنی.. أتستبدلون الـذی هو أدنی بالـذی هو خیر؟! ویلكم، إن العباس غلام حـدث السن، ولم یؤنس رشـده، ولم یمهل وحـده، ولم تحكمه التجارب. تـدبره النساء، وتكفله الإماء، ثم.. لم یتفقه فی الدین، ولم یعرف حلال من حرام، إلا معرفة لا تأتی به رعیة، ولا تقوم به حجة، ولو كان مسـتأهلا، قد أحكمته التجارب، وتفقه فی الدین، وبلغ مبلغ أمیر العدل فی الزهد فی الدنیا، وصرف النفس عنها.. ما كان له عندی فی الخلافة، إلا ما كان لرجل من عك وحمیر، فلا تكثروا من هذا المقال، فإن لسانی لم (۴۵۷) صفحهمفاتیح البحث: الإمام على بن موسی الرضا علیهما السلام (۱)، القتل (۱)، الحج (۱)، الزهد (۱)

یزل مخزونا عن أمور وأنباء، كراهیة أن تخنث النفوس عندما تنكشف، علما بأن الله بالغ أمره، ومظهر قضاه یوما.

فإذ أبیتم إلا كشف الغطاء، وقشـر العظاء، فالرشـید أخبرنی عن آبائه، وعما وجده فی كتاب الدولة، وغیرها: أن السابع من ولد العباس، ولا تقوم لبنی العباس بعـده قائمـة، ولا تزال النعمة متعلقة علیهم بحیاته، فإذا أودعت فودعها، فإذا أودع فودعاها، وإذا فقدتم شخصـی، فـاطلبوا لأنفسـكم معقلاـ وهیهات، ما لكم إلا السـیف، یأتیكم الحسـنی الثائر البائر، فیحصـدكم حصـدا، أو السـفیانی المرغم، والقائم المهدی لا یحقن دماءكم إلا بحقها.

وأما ما كنت أردته من البيعة لعلى بن موسى، بعد استحقاق منه لها فى نفسه، واختيار منى له، فما كان ذلك منى إلا أن أكون الحاقن لدمائكم، والذائد عنكم، باستدامة المودة بيننا وبينهم. وهى الطريق أسلكها فى إكرام آل أبى طالب، ومواساتهم فى الفيئ بيسير ما يصيبهم منه.

وإن تزعموا: أنى أردت أن يؤول إليهم عاقبة ومنفعة، فإنى فى تدبيركم، والنظر لكم ولعقبكم، وأبنائكم من بعدكم.. وأنتم ساهون، لاهون، تائهون، فى غمرة تعمهون، لا تعلمون ما يراد بكم، وما أظللتم عليه من النقمة، وابتزاز النعمة. همة أحدكم أن يمسى مركوبا، ويصبح مخمورا تباهون بالمعاصى، وتبتهجون بها، وآلهتكم البرابط، مخنثون. مؤنثون لا يتفكر متفكر منكم فى إصلاح معيشة، ولا استدامة نعمة، ولا اصطناع مكرمة، ولا كسب حسنة يمد بها عنقه، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

أضعتم الصلاة، واتبعتم الشهوات، وأكببتم على اللذات، فسوف تلقون غيا. وأم الله، لربما أفكر فى أمركم. فلا أجد أمة من الأمم استحقوا (۴۵۸) صفحهمفاتيح البحث: بنو عباس (۱)، الكسب (۱)، الشهوة، الإشتهاء (۱)، الإختيار، الخيار (۱)، الصّلاة (۱)

العذاب، حتى نزل بهم لخلة من الخلال، إلا أصيب تلك الخلة بعينها فيكم، مع خلال كثيرة، لم أكن أظن أن إبليس اهتدى إليها، ولا أمر بالعمل بها. وقد أخبر الله تعالى فى كتابه العزيز عن قوم صالح:

أنه كان فيهم تسعة رهط يفسدون فى الأرض ولا يصلحون، فأيكم ليس معه تسعة وتسعون من المفسدين فى الأرض، قد اتخذتموهم شعارا، ودثارا، استخفافا بالمعاد، وقلة يقين بالحساب، وأيكم له رأى يتبع، أو روية تنفع، فشاهت الوجوه، وعفرت الخدود.

وأما ما ذكرتم: من العثرة كانت فى أبى الحسن (ع) نور الله وجهه، فلعمرى، إنها عندى للنهضة والاستقلال الذى أرجو به قطع الصراط، والأمن والنجاة من الخوف يوم الفزع الأكبر. ولا أظن عملا هو عندى أفضل من ذلك، إلا أن أعود بمثلها إلى مثله، وأين لى بذلك، وأنى لكم بتلك السعادة.

وأما قولكم: إنى سفهت آراء آبائكم، وأحلام أسلافكم، فكذلك قال مشركوا قريش ": إنا وجدنا آباءنا على أمة. وإنا على آثارهم مقتدون. " ويلكم، إن الدين لا يؤخذ إلا من الأنبياء، فافقهوا، وما أراكم تعقلون.

وأما تعييركم إياى: بسياسة المجوس إياكم، فما أذهبكم الآنفة (۱) من ذلك، ولو ساستكم القردة والخنازير، وما أردتم إلا أمير المؤمنين.

ولعمرى، لقد كانوا مجوسا فأسلموا، كآبائنا، وأمهاتنا فى القديم، فهم المجوس الذين أسلموا وأنتم المسلمون الذين ارتدوا، فمجوسى أسلم خير من مسلم ارتد، فهم يتناهون عن المنكر، ويأمرون بالمعروف، ويتقربون من الخير، ويتباعدون من الشر، ويذبون عن حرم المسلمين، (۱) الظاهر أن الصواب ": فما أذهبكم عن الآنفة. (" ۴۵۹) صفحهمفاتيح البحث: الامر بالمعروف (۱)، الإمام الحسن بن على المجتبى عليهما السلام (۱)، العزّة (۱)، الفزع (۱)، الخوف (۱)، العذاب، العذب (۱)

يتباهجون بما نال الشرك وأهله من النكر، ويتباشرون بما نال الإسلام وأهله من الخير.. منهم من قضى نحبه، ومنهم من ينتظر، وما بدلوا تبديلا.

وليس منكم إلا لاعب بنفسه، مأفون فى عقله وتدبيره: إما مغن، أو ضارب دف، أو زامر. والله، لو أن بنى أمية الذين قتلتموهم بالأمس نشروا، فقيل لهم: لا تأنفوا من معائب تنالوهم بها، لما زادوا على ما صيرتموه لكم شعارا ودثارا، وصناعة وأخلاقا..

ليس منكم إلا من إذا مسه الشر جزع، وإذا مسه الخير منع، ولا تأنفون، ولا ترجعون إلا خشية، وكيف يأنف من يبيت مركوبا، ويصبح بإثمه معجبا، كأنه قد اكتسب حمدا، غايته بطنه وفرجه، لا يبالى أن ينال شهوته بقتل ألف نبى مرسل، أو ملك مقرب، أحب الناس إليه من زين له معصية، أو أعانه فى فاحشة، تنظفه المخمورة، وتربده المطمورة، فشتت الأحوال.. فإن ارتدعتم مما أنتم فيه من السيئات والفضائح. وما تهذرون به من عذاب ألسنتكم.. وإلا فدونكم تعلوا بالحديد..

ولا قوة إلا بالله، وعليه توكلى، وهو حسبى. (" ۴۶۰) صفحهمفاتيح البحث: بنو أمية (۱)، القتل (۱)، المنع (۱)

رسالة عبد الله بن موسى إلى المأمون

رسالة عبد الله بن موسى إلى المأمون النص الأول للرسالة:

قال أبو الفرج الأصفهاني، صاحب كتاب " الأغاني، " في كتابه:

مقاتل الطالبيين ص ۶۳۰، ۶۳۱، في معرض حديثه عن عبد الله بن موسى، بن عبد الله بن الحسن، بن علي بن أبي طالب (ع)، الذي كان قد توارى في أيام المأمون:

. "وأخبرني جعفر بن محمد الوراق الكوفي، قال: حدثني عبد الله بن علي بن عبيد الله العلوي الحسيني، عن أبيه، قال:

كتب المأمون إلى عبد الله بن موسى، وهو متوار منه، يعطيه الأمان، ويضمن له: أن يوليه العهد بعده، كما فعل بعلي بن موسى، ويقول:

.. "ما ظننت أن أحدا من آل أبي طالب يخافني، بعدما عملته بالرضا.."

وبعث الكتاب إليه. فكتب إليه عبد الله بن موسى:

. "وصل كتابك، وفهمته، تختلني فيه عن نفسي ختل القانص، وتحتال على حيلة المغتال، القاصد لسفك دمي. (۴۶۱) صفحهمفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليهما السلام (۱)، كتاب مقاتل الطالبيين لأبو الفرج الأصفهاني (۱)، عبد الله بن الحسن (ع) (۱)، أبو الفرج الإصبهاني (الإصفهاني) (۱)، علي بن عبيد الله (۱)، عبد الله بن موسى (۳)، محمد الوراق (۱)

وعجبت من بذلك العهد، وولايته لي بعدك، كأنك تظن أنه لم يبلغني ما فعلته بالرضا! ففي أي شئ ظننت أني أرغب من ذلك؟!.

أفي الملك الذي قد غرتك نضرته وحلاوته؟!. فوالله، لأن أقذف - وأنا حي - في نار تتأجج أحب إلي من أن ألي أمرا بين المسلمين، أو أشرب شربة من غير حلها، مع عطش شديد قاتل..

أم في العنب المسموم، الذي قتلت به الرضا؟!.

أم ظننت أن الاستتار قد أملني، وضاق به صدري؟!. فوالله، إني لذلك، ولقد مللت الحياة، وأبغضت الدنيا، ولو وسعني في ديني أن أضع يدي في يدك، حتى تبلغ من قبلي مرادك. لفعلت ذلك، ولكن الله قد حظر علي المخاطرة بدمي. وليتك قدرت علي، من غير أن أبذل نفسي لك. فتقتلني، ولقيت الله عز وجل بدمي، ولقيته قتيلا مظلوما، فاسترحت من هذه الدنيا.

واعلم: أني رجل طالب النجاة لنفسي، واجتهدت فيما يرضي الله عز وجل عني، وفي عمل أتقرب به إليه، فلم أجد رأيا يهدي إلي شئ من ذلك. فرجعت إلى القرآن. الذي فيه الهدى والشفاء، فتصفحته سورة سورة، وآية آية، فلم أجد شيئا أزلف للمرء عند ربه، من الشهادة في طلب مرضاته.

ثم تتبعته ثانية، أتأمل الجهاد أيه أفضل، ولأي صنف، فوجدته جل وعلا يقول ": قاتلوا الذين يلونكم من الكفار، وليجدوا فيكم غلظة "فطلبت أي الكفار أضر على الإسلام. وأقرب من موضعي، فلم أجد أضر على الإسلام منك، لأن الكفار أظهروا كفرهم، فاستبصر الناس في أمرهم، وعرفوهم فخافوهم. وأنت ختلت المسلمين بالإسلام، وأسررت الكفر، فقتلت بالظنة، وعاقبت بالتهمة، وأخذت مال الله من غير حله، فأنفقته في غير حله، وشربت الخمر المحرمة صراحا، (۴۶۲) صفحهمفاتيح البحث: القرآن الكريم (۱)، القتل (۲)

وأنفقت مال الله على الملهين، وأعطيته المغنين، ومنعته من حقوق المسلمين، فغششت بالإسلام. وأحطت بأقطاره إحاطة أهله، وحكمت فيه للمشرك، وخالفت الله ورسوله في ذلك، خلافة المضاد المعاند، فإن يسعدني الدهر، ويعني الله عليك بأنصار الحق، أبذل نفسي في جهادك، بذلا يرضيه مني، وأن يمهلك ويؤخرك، ليجزيك بما تستحقه في منقلبك، أو تختر مني الأيام قبل ذلك. فحسبي من سعيي ما يعلمه الله عز وجل من نيتي، والسلام."

وثمة نص آخر:

وكان أبو الفرج قد ذكر قبل ذلك أي في ص ۶۲۸، ۶۲۹ من نفس الكتاب نصا آخر هو إما رسالة أخرى. أو نص آخر لهذه الرسالة

نفسها.. والظاهر أنه رسالة أخرى.. وكيف كان فقد قال أبو الفرج:

"وكان عبد الله توارى فى أيام المأمون، فكتب بعد وفاة الرضا يدعوه إلى الظهور، ليجعله مكانه، ويبايع له، واعتد عليه بعفوه عمن عفا من أهله، وما أشبه هذا من القول:

فأجابه عبد الله برسالة طويلة يقول فيها:

فبأى شئ تغرنى؟ ما فعلته بأبى الحسن – صلوات الله عليه – بالعنب الذى أطعمته إياه فقتلته.

والله، ما يقعدنى عن ذلك خوف من الموت، ولا كراهة له، ولكن لا أجد لى فسحة فى تسليطك على نفسى، ولولا ذلك لأتيتك حتى تريحنى من هذه الدنيا الكدرة.

ويقول فيها:

هبنى لا ثأر لى عندك وعند آبائك المستحلين لدمائنا، الآخذين حقنا، (۴۶۳) صفحهمفاتيح البحث: الإمام الحسن بن على المجتبى عليهما السلام (۱)، الفرج (۲)، الموت (۱)، الخوف (۱)، الوفاة (۱)

الذين جاهروا فى أمرنا فحذرناهم. وكنت ألطف حيلة منهم بما استعملته من الرضى بنا والتستر لمحننا، تختل واحدا فواحدا منا، ولكننى كنت امرءا حبب إلى الجهاد، كما حبب إلى كل امرئ بغيته، فشحذت سيفى، وركبت سنانى على رمحى، واستفرهت فرسى، لم أدر أى العدو أشد ضررا على الإسلام، فعلمت أن كتاب الله يجمع كل شئ، فقرأته، فإذا فيه ": يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار، وليجدوا فيكم غلظة."

فما أدرى من يلينا منهم، فأعدت النظر، فوجدته يقول ": لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله، ولو كانوا آباءهم، أو إخوانهم، أو عشيرتهم " فعلمت أن على أن أبدأ بما قرب منى..

وتدبرت، فإذا أنت أضر على الإسلام والمسلمين من كل عدو لهم، لأن الكفار خرجوا منه، وخالفوه، فحذرهم الناس، وقاتلوهم، وأنت دخلت فيه ظاهرا، فأمسك الناس. وطفقت تنقض عراه عروة عروة، فأنت أشد أعداء الإسلام ضررا عليه.. ".. ثم قال أبو الفرج:

وهى رسالة طويلة أتينا بها فى الكتاب الكبير.. (۴۶۴) صفحهمفاتيح البحث: يوم عاشوراء (۱)، الفرج (۱)، القتل (۱)

رسالة سفيان إلى هارون

رسالة سفيان إلى هارون مصادر الرسالة:

ذكر هذه الرسالة الدميرى فى حياة الحيوان ج ۲ ص ۱۸۸، ۱۸۹، نقلا عن ابن بليان، والإمام الغزالى، ودحلان فى الفتوحات الإسلامية ط مصطفى محمد ج ۲ ص ۴۴۹ حتى ۴۵۳.

وأشار إليها ابن خلدون فى مقدمته، ص ۱۷ مستدلا بها على تدين الرشيد والتزامه.. وذكر جرجى زيدان شطرا منها فى كتابه: تاريخ التمدن الإسلامى المجلد الأول، جزء ۲ ص ۳۸۵، ۳۸۶، والمجلد الثانى جزء ۴ ص ۴۸۰، ونحن نذكرها هنا عن الدميرى مع بعض تعديلات عن دحلان.

مناقشة لا بد منها:

ولكن الرسالة تذكر أن الذى كاتبه الرشيد، والمجيب له هو سفيان الثورى.. وهذا لا يمكن أن يكون صحيحا، فإن سفيان قد توفى فى خلافة المهدى متخفيا، فى سنة ۱۶۱ ه، وهارون لم يتول الخلافة إلا فى سنة ۱۷۰ ه. (۴۶۵) صفحهمفاتيح البحث: كتاب حياة الحيوان للدميرى (۱)، الدميرى (۲)

ولعل الصواب: هو أن مرسلها هو: إمام مكة سفيان بن عيينة، المتوفى سنة ۱۹۸ ه. عن إحدى وتسعين سنة.

ولعل الراوى قد اشتبه عليه الأمر، عفوا، أو عمدا! لحاجة فى نفسه قضاها. وأياما كانت الحقيقة، فإن هذه الرسالة تعتبر وثيقة تاريخية

هامة، لأنها تصور لنا حقيقة الوضع فی تلك الفترة من الزمن..

وتعطينا شأنها شأن رسالة الخوارزمی، ورسالة عبد الله بن موسی إلی المأمون صورة واضحة عما كان يمارسه خلفاء ذلك الوقت من مآثم، وما يرتكبونه من موبقات..

نص الرسالة:

وملخص حكاية هذه الرسالة هی: أن الرشيد أرسل إلی سفيان الثوری! - وقد قلنا: إن الظاهر: أنه ابن عيينة - كتابا يتودد إليه فيه، ويطلب منه أن يقدم عليه.

فلما وصل الكتاب إلی سفيان، رماه من يده، وقال لإخوانه:

ليقرأه بعضكم، فإنی أستغفر الله أن أمس شيئا مسه ظالم.

فلما قرأوه، أمرهم أن يكتبوا إلی الظالم فی الجواب ما يلی:

"من العبد الميت سفيان، إلی العبد المغرور بالآمال هارون، الذی سلب حلاوة الإيمان، ولذة قراءة القرآن.

أما بعد:

فإنی كتبت إليك أعلمك: أنی قد صرمت حبلك، وقطعت ودك، وقليت موضعك، وأنك جعلتنی شاهدا عليك، بإقرارك علی نفسك فی كتابك: بما هجمت علی بيت مال المسلمين، فأنفقته فی غير حقه، (۴۶۶) صفحهمفاتيح البحث: مدينة مكة المكرمة (۱)، عبد الله بن موسی (۱)، سفيان بن عيينة (۱)، الخوارزمی (۱)، القرآن الكريم (۱)، الظلم (۲)، العفو (۱)، الموت (۱)، الشهادة (۱)

وأنفذته بغير حكمه، ولم ترض بما فعلته وأنت ناء عنی، حتی كتبت إلی تشهدنی علی نفسك، فأما أنا فإنی قد شهدت عليك، أنا وإخوانی الذين حضروا قراءة كتابك، وسنؤدی الشهادة غدا بين يدی الله الحكم العدل..

يا هارون، هجمت علی بيت مال المسلمين بغير رضاهم. هل رضی بفعلك المؤلفة قلوبهم، والعاملون عليها فی أرض الله، والمجاهدون فی سبيل الله، وابن السبيل؟ أم رضی بذلك حملة القرآن، وأهل العلم؟!

أم رضی بفعلك الأيتام والأرامل؟!.

أم رضی بذلك خلق من رعيتك؟!.

فشد يا هارون مئزرك، وأعد للمسألة جوابا، وللبلاء جلبابا، واعلم أنك ستقف بين يدی الله الحكم العدل، فاتق الله فی نفسك، إذا سلبت حلاوة العلم والزهد، ولذة قراءة القرآن. ومجالسة الأخيار، ورضيت لنفسك أن تكون ظالما، وللظالمين إماما.

يا هارون، قعدت علی السرير، ولبست حرير، وأسبلت سترا دون بابك. وتشبهت بالحجبة برب العالمين، ثم أقعدت أجنادك الظلمة دون بابك وسترك، يظلمون الناس ولا ينصفون. ويشربون الخمر، ويحدون الشارب، ويزنون، ويحدون الزانی، ويسرقون، ويقطعون السارق. ويقتلون، ويقتلون القاتل، أفلا ـ كانت هذه الأحكام عليك، وعليهم، قبل أن يحكموا بها علی الناس؟! فكيف بك يا هارون غدا، إذا نادی المنادی من قبل الله:

احشروا الظلمة. وأعوانهم أين الظلمة، وأعوان الظلمة، فتقدمت بين يدی الله، ويداك مغلولتان إلی عنقك، لا يفكهما إلا عدلك وإنصافك، والظالمون حولك، وأنت لهم إمام، أو سائق إلی النار. (۴۶۷) صفحهمفاتيح البحث: سبيل الله (۱)، القرآن الكريم (۲)، القتل (۱)، الشهادة (۱)، الزنا (۱)، الزهد (۱)

وكأنی بك يا هارون.. وقد أخذت بضيق الخناق، ووردت المساق، وأنت تری حسناتك فی ميزان غيرك، وسيئات غيرك فی ميزانك علی سيئاتك، بلاء علی بلاء، وظلمة فوق ظلمة، فاتق الله يا هارون فی رعيتك. واحفظ محمدا صلی الله عليه وآله فی أمته. واعلم أن هذا الأمر لم يصر إليك. إلا وهو صائر إلی غيرك، وكذلك الدنيا تفعل بأهلها، واحدا بعد واحد، فمنهم من تزود زادا نفعه، ومنهم من خسر دنياه وآخرته، وإنی أحسبك يا هارون ممن خسر دنياه وآخرته.

وإياك، ثم إياك أن تكتب إلى بعد هذا، فإنى لا أجيبك..

والسلام.".

ثم بعث بالكتاب منشورا، من غير طى، ولا ختم.. (۴۶۸) صفحهمفاتيح البحث: الظلم (۱)، الخسران (۲)

قصيدة الأمير أبى فراس الحمدانى

قصيدة الأمير أبى فراس الحمدانى نقاط رئيسية:

كنت قد وعدت القارئ الكريم فى فصل: سياسة العباسيين ضد العلويين، بأن أورد فى أواخر هذا الكتاب قصيدة الأمير أبى فراس الحمدانى المعروفة ب ": الشافية."

وقد حان الآن موعد الوفاء بذلك الوعد. وقبل ذلك، لا بأس بالإشارة إلى:

أن أبا فراس قد ولد فى سنة ۳۲۰ ه. وتوفى فى سنة ۳۵۷ ه. عليه الرحمة والرضوان..

وفى زمانه: كان بنو العباس الخلفاء، وآل بويه السلاطين، وآل حمدان الأمراء.

ولاء. وشجاعة:

وأما عن سبب نظم هذه القصيدة، فهو أن أبا فراس وقف على قصيدة ابن سكرة، التى يتحامل فيها على العلويين، والتى أولها: (۴۶۹) صفحهمفاتيح البحث: ابو فراس الحمدانى (۲)، بنو عباس (۱)، الكرم، الكرامة (۱)

بنى على دعوا مقالتكم * لا ينقص الدر وضع من وضعه فحمى أبو فراس، ونظم هذه القصيدة، التى سارت بها الركبان، ودخل بغداد، وأمر أن يشهر فى المعسكر خمسمأة سيف، وقيل: أكثر من ذلك.. ثم أنشد هذه القصيدة، وخرج من الناحية الأخرى (۱) وقد شرح هذه القصيدة عدد من الأدباء والعلماء منهم ابن خالويه، ومنهم محمد بن أمير الحاج حسينى.

والقصيدة هى:

الدين مخترم والحق مهتضم * وفيئ آل رسول الله مقتسم والناس عندك لا ـ ناس فيحفظهم * سوم الرعاع ولا شاء ولا نعم إنى أبيت قليل النوم أرقنى * قلب تصارع فيه الهم والهمم وعزمة لا ينام الدهر صاحبها * إلا على ظفر فى طيه كرم يصان مهرى لأمر لا أبوح به * والدرع والرمح والصمصامة الخذم وكل مائرة الضبعين مسرحها * رمث الجزيرة والحذراف والعنم وفتية قلبهم قلب إذا ركبوا * يوما ورأيهم رأى إذا عزموا * * يا للرجال أما لله منتصر * من الطغاة، أما للدين منتقم بنو على رعايا فى ديارهم * والأمر تملكه النسوان والخدم (۱) راجع: شرح الشافية، لمحمد بن أمير حاج حسينى ص ۶، وقاموس الرجال ج ۱۰.

ص ۱۵۷، ورجال المامقانى ج ۳ ص ۳۰ من باب الكنى، ورجال أبى على ص ۳۴۹، والغدير ج ۳ ص ۴۰۳، والكنى والألقاب ج ۱ ص ۱۳۷، والفتونى فى كشكوله، وغير ذلك. (۴۷۰) صفحهمفاتيح البحث: مدينة بغداد (۱)، الحج (۱)، النوم (۱)

محلاون فأصفى وردهم وشل * عند الورود وأوفى شربهم لمم فالأرض إلا على ملاكها سعة * والمال إلا على أربابه ديم فما السعيد بها إلا ـ الذى ظلموا * وما الشقى بها إلا ـ الذى ظلموا للمتقين من الدنيا عواقبها * وإن تعجل فيها الظالم الإثم * * لا يطغين بنى العباس ملكهم * بنو على مواليهم، وإن رغموا أتفخرون عليهم لا أبا لكم * حتى كأن رسول الله جدكم وما توازن يوما بينكم شرف * ولا تساوت لكم فى موطن قدم ولا لكم مثلهم فى المجد متصل * ولا لجدكم مسعاة جدهم ولا لعرقكم من عرقهم شبه * ولا نثيلتكم من أمهم أمم * * قال النبى بها " يوم الغدير " لهم * والله يشهد، والأملاك، والأمم حتى إذا أصبحت فى غير صاحبها * باتت تنازعها الذؤبان والرخم وصيروا أمرهم شورى كأنهم * لا يعلمون ولاة الحق أيهم تالله ما جهل الأقوام موضعها * لكنهم ستروا وجه الذى علموا * * ثم ادعاها بنو العباس ملكهم * وما لهم قدم فيها، ولا قدم لا يذكرون إذا ما معشر ذكروا * ولا يحكم فى أمر لهم حكم ولا رآهم أبو بكر وصاحبه * أهلا لما طلبوا منها وما زعموا فهل هم يدعوها غير واجبة * أم هل أئمتهم فى أخذها ظلموا (۴۷۱)

صفحهمفاتيح البحث: بنو عباس (۲)، الوسعة (۱)، الظلم (۱)، الجهل (۱)، الشهادة (۱)

أما على فقد أدنى قرابتكم * عند الولاية إن لم تكفر النعم أينكر الحبر عبد الله نعمته * أبوكم، أم عبيد الله، أم قثم بئس الجزاء جزيتم فى بنى حسن * أباهم العلم الهادى، وأمهم لا بيعة ردعتكم عن دمائهم * ولا يمين، ولا قربى ولا ذمم هلا صفحتم عن الأسرى بلا سبب * للصافحين ببدر عن أسيركم هلا كففتم عن الديباج سوطكم * وعن بنات رسول الله شتمكم ما نزهت لرسول الله مهجته * عن السياط فهلا- نزه الحرم ما نال منهم بنو حرب وإن عظمت * تلك الجرائر إلا دون نيلكم * * كم غدرة لكم فى الدين واضحة * وكم دم لرسول الله عندكم أأنتم آله فيما ترون وفى * أظفاركم من بنيه الطاهرين دم هيهات لا- قربت قربى. ولا- رحم * يوما إذا أقصت الأخلاق والشيم كانت مودة سلمان لهم رحما * ولم تكن بين نوح وابنه رحم * * يا جاهدا فى مساويهم يكتمها * غدر الرشيد بيحيى كيف ينكتم ذاق الزبيرى عبء الحنث وانكشفت * عن ابن فاطمة الأقوال والتهم ليس الرشيد كموسى فى القياس ولا * مأمونكم كالرضا إن أنصف الحكم (۱) باؤا بقتل الرضا من بعد بيعته * وأبصروا بعض يوم رشدهم وعموا يا عصبة شقيت من بعد ما سعدت * ومعشر هلكوا من بعد ما سلموا لبئسما لقيت منهم وإن بليت * بجانب الطف تلك الأعظم الرمم (۱) كان هذا البيت مقدما على الذى قبله فى بعض مصادر هذه القصيدة. لكن الصواب تأخيره، ليتحد السياق، وينسجم المعنى.. (۴۷۲) صفحهمفاتيح البحث: يوم عاشوراء (۱)، القتل (۱)، الحرب (۱)، الطهارة (۱)

لا عن أبى مسلم فى نصحه صفحوا * ولا الهبيرى نجى الحلف والقسم ولا الأمان لأهل الموصل اعتمدوا * فيه الوفاء، ولا عن غيهم حلموا * * أبلغ لديك بنى العباس مألكة * لا- تدعوا ملكها ملاكها العجم أى المفاخر أمست فى منابركم * وغيركم آمر فيها، ومحتكم أنى يفيدكم فى مفخر علم * وفى الخلاف عليكم يخفق العلم يا باعة الخمر كفوا عن مفاخركم * لمعشر بيعهم يوم الهياج دم خلوا الفخار لعلامين إن سئلوا * يوم السؤال، وعمالين إن علموا لا يغضبون لغير الله إن غضبوا * ولا يضيعون حكم الله إن حكموا تنشى التلاوة فى أبياتهم سحرا * وفى بيوتكم الأوتار والنغم إذا تلوا آية غنى إمامكم: * قف بالديار التى لم يعفها قدم منكم علية أم منهم، وكان لكم * شيخ المغنين إبراهيم، أم لهم * * ما فى بيوتهم للخمر معتصر * ولا- بيوتهم للشر معتصم ولا تبيت لهم خنثى تنادمهم * ولا- يرى لهم قرد له حشم * * الركن، والبيت، والأستار منزلهم * وزمزم، والصفا، والحجر، والحرم وليس من قسم فى الذكر نعرفه * إلا وهم دون شك ذلك القسم وبذلك ينتهى هذا الكتاب، والحمد لله أولا وآخرا، وصلى الله على خير خلقه أجمعين، محمد وآله الطيبين الطاهرين..

جعفر مرتضى الحسينى العاملى (۴۷۳) صفحهمفاتيح البحث: بنو عباس (۱)، الغضب (۱)، الطهارة (۱)، الصّلاة (۱)

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنـادِرُ البِحـار – فی تلخیص بحـار الأنوار، للعلاّمـة فیض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُیونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّیخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع " القائمیّة "الثّقافیّ بأصبَهانَ – إیرانَ: الشهید آیة الله " الشمس آباذی – "رَحِمَهُ اللهُ – کان أحداً من جَهابذة هذه المدینة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَعَفِهِ بأهل بَیت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَیهِم) و لاسیَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (علیه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درایته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجریّة الشمسیّة (=۱۳۸۰ الهجریّة القمریّة)، مؤسَّسةً و طریقةً لَم یَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ کلَّ یوم.

مرکز " القائمیّة "للتحرّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریّة القمریّة)

تحتَ عنایـهٔ سـماحهٔ آیـهٔ الله الحـاجّ السـیّد حسن الإمـامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَـدَهٔ جمع ٍمن خِرّیجی الحـوزات العلمیّـهٔ و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّهٔ، ثقافیّهٔ و علمیّهٔ...

الأهداف: الدّفاع عن ساحهٔ الشیعهٔ و تبسیط ثَقافهٔ الثّقَلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهـمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشـّباب و عموم النـاس إلی التّحَرّی الأدَقّ للمسائـل الدّینیّـهٔ، تخلیف المطـالب النّـافعـهٔ – مکـانَ البَلاـتیثِ المبتذلـهٔ أو الرّدیئـهٔ – فی المحـامیل (=الهواتف المنقولهٔ) و الحواسیب (=الأجهزهٔ الکمبیوتریّهٔ)، تمهید أرضیّهٍ واسعهٍ جامعهٍ ثَقافیّهٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلاّب، توسعهٔ ثقافهٔ القراءهٔ و إغناء أوقات فراغهٔ هُواهِٔ برامِجِ العلوم الإسلامیّهٔ، إنالهٔ المنابع اللازمهٔ لتسهیل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرهٔ فی الجامعهٔ، و...

- مِنها العَدالهٔ الاجتماعیّهٔ: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزهٔ الحدیثهٔ متصاعدهً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ – فی آکناف البلد - و نشرِ الثّقافهِٔ الاسلامیّهٔ و الإیرانیّهٔ – فی أنحاء العالَم - مِن جهـهٍ اُخرَی.

- من الأنشطهٔ الواسعهٔ للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبهٔ، نشرهٔ شهریّهٔ، مع إقامهٔ مسابقات القِراءهٔ

ب) إنتاجُ مئات أجهزهٍ تحقیقیّهٔ و مکتبیهٔ، قابلهٔ للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّـلاثیّهِٔ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکهٔ و... الأماکن الدینیّهٔ، السیاحیّهٔ و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائمیّهٔ "www.Ghaemiyeh.com و عدّهٔ مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّهٔ، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّهٔ

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابهٔ الأسئلهٔ الشرعیّهٔ، الاخلاقیّهٔ و الاعتقادیّهٔ (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرهٔ SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّهٔ و اعتباریّهٔ، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّهٔ، الجوامع، الأماکن الدینیّهٔ کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامهٔ المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع "ما قبلَ المدرسهٔ "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسهٔ

ی) إقامهٔ دورات تعلیمیّهٔ عمومیّهٔ و دورات تربیهٔ المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلهٔ السَّنَهٔ

المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع"مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائی/"بنایهٔ"القائمیّهٔ"

تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّهٔ الشمسیّهٔ (=۱۴۲۷ الهجریهٔ القمریّهٔ)

رقم التسجیل: ۲۳۷۳

الهویّهٔ الوطنیّهٔ: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البرید الالکترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مکتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاریّهٔ و المَبیعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمین ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

المیزانیّـة الحالیّـة لهـذا المرکز، شـَعبیّـة، تبرّعیّة، غیر حکومیّة، و غیر ربحیّة، اقتـُنِیَت باهتمام جمع من الخیّرین؛ لکنّـها لا تـُوافِی الحجمَ المتزاید و المتّسِعَ للامور الدّینیّة و العلمیّة الحالیّة و مشاریع التوسـعة الثّقافیّة؛ لهذا فقد ترجَّی هذا المرکزُ صاحِبَ هذا البیتِ (المُسـمَّی بالقائمیّـة) و مع ذلک، یرجو مِن جانب سـماحة بقیّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّریفَ) أن یُوفِّقَ الکلَّ توفیقاً متزائداً لِإعانتهم - فی حدّ التّمکّن لکلّ احدٍ منهم – إیّانا فی هذا الأمر العظیم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفیق.


مركز
القائمية
اصفهان
للتحریات الكمبيوترية
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٠٩